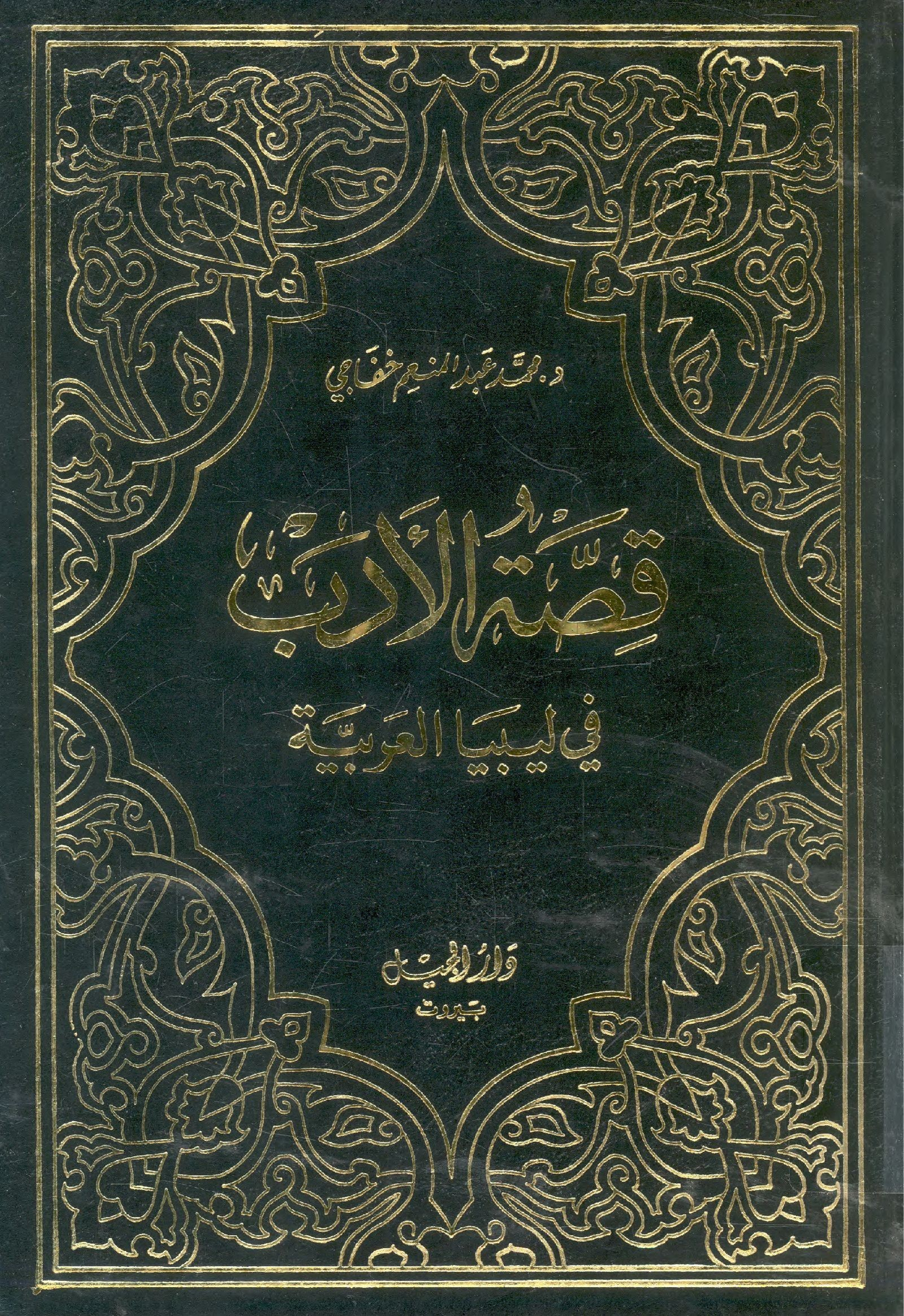

د. محمد عبد المنعم خفاجي
قصة الأدب
في ليبيا العربية
دار الجيل
بيروت


قصة الأدب

قصة الأدب

في ليبيا العربية

تأليف

د. محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ والعميد بجامعة الأزهر

دار الجيل

بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

د. ابراهيم رَفيدة

- ١ -

أحمد الله ولى الحمد، والهادى إلى سواء السبيل، وأصلى وأسلم على رسوله الكريم محمد النبى العربى الأمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا الكتاب «قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامى إلى اليوم» الذى ألفه الأخ العلامة الأديب الكبير محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، بأقسامه الثلاثة عمل علمى جليل، وصورة مشرفة لقراءات طويلة فاحصة، وجهد مشكور، لا يتسنى القيام به لغير المؤلف في دأبه وغوصه في تيارات الثقافة القديمة والحديثة على السواء.

والتراث الروحى والفكرى والثقافى والأدبى لوطننا المجيد، ليبيا، العربية المسلمة لا يزال أكثره مفقوداً، والقليل الأقل منه هو الذى يمكن مع الإجهاد الكثير، والعناء المضنى، الاهتداء إليه، والتعرف عليه.

وأشهد أن العمل الذى قام به الصديق العلامة رائع وجليل ومفيد وجديد، وفيه النفع لكل من يريد الوقوف على أخبار الماضى الأدبى لليبيا العربية الخالدة.

- ٢ -

والتاريخ الأدبي والثقافي لوطننا العزيز مرتبط أشد الارتباط بتاريخها السياسي في مختلف مراحله وعصوره: عصر الولاة - والأغالبة - والفاطميين - والصنهاجيين - والموحدين - والحفصيين - وعصر الأتراك العثمانيين بما احتوى عليه من الفترة المزدهرة في تاريخ ليبيا، فترة الاستقلال في عهد الأسرة القره مانللية - ثم عهد الاحتلال والنضال - فعهد الاستقلال في العصر الحديث - فعهد الثورة المباركة، ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩. ومن ثم فقد تتبع المؤلف هذه العصور السياسية بالدراسة والبحث، وكشف عن نهضات الأدب العربي في ليبيا في كل عصر منها، كما كشف عن أعلامها من علماء وأدباء وشعراء وكتاب مشيراً إلى كل المراجع والمصادر التي عول عليها، ووقف لديها.

والكتاب بأقسامه الثلاثة جهد مشرف ودراسة علمية، ولا ننسى أنه أفاد من البحوث التي سبقته والتي كتبها عن أدبنا المعاصر أمثال الدكتور الحاجري، ومحمد صادق عفيفي، أو التي كتبها الأدباء والكتاب الليبيون الأفاضل، مثل: الأستاذ خليفة محمد التليسي، والقويري، والمقهور، وعلى مصطفى المصراني، والغناي، وسواهم.

وعلى الجملة فإننا نحمد للمؤلف عنايته بالمراجع، والإشارة إليها، مما يعين الباحثين على متابعة السير في هذا المضمار لخدمة الثقافة والأدب في ليبيا العزيزة.

ولا شك أن صدور مثل هذا الكتاب قد سد ثغرة كبيرة في بناء الأدب العربي القديم والحديث.

- ٣ -

ومن محاسن الكتاب اشتماله على باب طويل تحدث فيه المؤلف عن الأدب الحديث في دول شمال أفريقية، ليبيا، ومصر، وسائر بلدان المغرب

العربي، وهو باب مفيد وموجز معاً.

ولا أجد ما أقوله للمؤلف إلا أن أشد على يديه بقوة وحرارة مصافحاً ومهنئاً على ما بذله فى تأليف هذا الكتاب من مجهود.

وليبيا تقدر أدباء العالم العربي وكتابه وشعراءه وعلماءه، وهى تعرف الفضل لأولى الفضل، ولا تنسى الأيادي النبيلة التي تمتد إليها كل حين، تدعم من نهضتها، وتشارك فى حقل الثقافة والأدب فيها.

والتوفيق من الله، وإليه نتضرع، ليلهمنا الرشد، ويقينا شر العثرة، ويرشدنا إلى الجادة، ويهدينا سواء السبيل.

وما توفيقى إلا بالله؟

إبراهيم رفيدة

ليبيا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ـ ١ ـ

أحمد الله وأستعينه وأستهديه، وأصلي وأسلم على رسوله العظيم، ونبيه الكريم، سيدنا محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فإني أقدم للقارىء العربي ـ فى كل مكان من بلاد العروبة، استظل بلوائها الخفاق، المنتصر، واستهدى بهدى كتابها الحكيم الخالد، القرآن الكريم، وتذوق آداب لغتها الشريفة الباقية على الزمن ـ هذا الكتاب «قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامى إلى اليوم» بأقسامه الثلاثة، تأريخاً لماضى الأدب العربي، ولتياراته واتجاهاته، فى الوطن الليبى العريق العزيز، وكشفاً عن تراث الأدباء الليبيين، وأعمالهم في القديم والحديث، في هذه الرقعة الحرة من الأرض العربية، وتسجيلاً لشتى التيارات اللغوية والثقافية والأدبية التى عاشت على أرض ليبيا، أو دارت فى خلد أدبائها وشعرائها وكتابها وعلمائها، ونشراً للمطوى المجهول من حديث أعلامها فى شتى مجالات الفكر والحياة والأدب.

ـ ٢ ـ

ولقد كانت فكرة راودتنى منذ وطئت قدماى أرض ليبيا الحرة، أن أكتب عن أدبها وأدبائها؛ ثم أخذت أدرس هذه البيئة العربية المسلمة،

وأتعمق فى دراسة الفكر الليبى، فى قديمها وحديثها، ووكلت إلىَّ جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية بليبيا، حين كنت أقوم بأعباء التدريس فيها منذ سنوات لطلاب كلية اللغة العربية، إحدى كلياتها الثلاث المزدهرة، تدريس مادة «الأدب الليبى» على النمط الذى تدرس به الآداب العربية فى مصر والعراق والشام والجزيرة العربية وشتى بلاد العروبة والمغرب العربى؛ فقبلت المهمة، واستعنت الله، واستلهمته الرشد والصواب والسداد.

ولم يكن درس الأدب الليبى بالسهل، ولا الممكن المتاح، فليس فى تاريخ الآداب الليبية كتاب، وليس هناك تقسيمات لعصور الأدب، ولا معرفة بالنهضات الثقافية والأدبية فى شتى هذه العصور وعواملها ونتائجها، وليس هناك معرفة بقدامى الأدباء والشعراء الليبيين العرب، ولا دراسات لحياتهم ونتاجهم وتراثهم؛ وكل ما عرف أو يعرف، وما كتب أو يكتب، إنما هو عن التاريخ الأدبى الحديث والمعاصر، وعن الأدباء الليبيين الأحياء، أو الذين رحلوا إلى جوار الله فى العهد القريب، وعن بعض الأعلام القديمة المشهورة التى خلد التاريخ الأدبى العربى ذكرها.

وبدأت أضع التقسيمات لعصور الأدب، وأتتبع الأدب فى كل عصر، والعوامل التى أثرت فيه، والحركات الفكرية والعلمية والثقافية التى سادته، وأدرس أشهر أعلامه فى الأدب والشعر ومختلف فنون الكتابة.

وأرخت للأدب الحديث فى ليبيا الحديثة.

ومن أجل بلوغ هذه الغاية استعنت بشتى المراجع القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة، وشتى الصحف والمجلات فى ليبيا وفى العالم العربى، ورجعت إلى المعاصرين آخذ منهم وأستمع إليهم، وقمت برحلات إلى ما أمكننى الرحلة إليه من بلدان ليبيا القريبة والبعيدة؛ ولم أدع وسيلة من الوسائل الممكنة المساعدة على بلوغ الهدف إلا لجأت إليها.

ومن الله التوفيق وهو الهادى إلى سواء السبيل.

المؤلف

تمهيد

- ١ -

اجتاحت المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث جيوش الاحتلال، ووراءها وفود المهاجرين ومحاولات كثيرة لفصله عن العروبة والإسلام وعن الشرق العربى الكبير.

وكان الاستعمار الفرنسى للجزائر وتونس ومراكش والإيطالى لليبيا حجر عثرة فى طريق تقدم هذه الأمم العريقة، وحائلاً بينها وبين شعورها بالذاتية والكرامة. كما صنع الاستعمار الانجليزى فى مصر مثل هذا الصنيع.

ونشر الاستعمار فى أرض المغرب العربى لغته وثقافاته، وحاول أن يصد شعوبه عن العربية التى حرم تدريسها فى المدارس، ولولا الزوايا السنوسية فى ليبيا، وجمعية العلماء فى الجزائر وما أنشأته من مدارس أهلية تدرس العربية والدين، وجامعة الزيتونة فى تونس، والقرويين فى مراكش، لضاعت اللغة العربية والثقافة العربية من هذه البلاد.

وكانت المدارس الإيطالية فى ليبيا والمدارس الفرنسية فى تونس ومراكش والجزائر من دعائم الدعاية ضد اللغة العربية والقومية الإسلامية، توجه الكثير من الاتهامات الظالمة إلى الجنس العربى وإلى الإسلام. . وأقوال هانوتو ورينان مشهورة، وكان رينان يزعم أن الشعوب السامية لا تعرف إلا بالصفات السلبية، وليست لها ثقافة ولا فنون ولا علوم، ولم تستطع أن تنشئ الفنون

التى تحتاج إلى الخيال.

وتناسى المستعمرون عروبة المغرب العربى وروحه الإسلامية العميقة، وطابعه المميز الأصيل، ونسوا دوره الكبير فى تاريخ الحضارة والنهضات، والفتوحات العربية الكبيرة التى قام بها أبطال المغرب فى حوض البحر الأبيض المتوسط: سواء فى الجزر، أو فى الجنوب الأوربى المطل على هذا البحر؛ كما نسوا دور مساجد طرابلس والقيروان، وجامعة الزيتونة وجامعة القرويين، وما خرّجت من أعلام مثل سحنون وأسد بن الفرات وابن رشيق وابن شرف وابن عرفة وابن بطوطة والشريف الإدريسي وابن خلدون وغيرهم من أعلام الفكر الإسلامى فى هذه البلاد.

وكان التقاء شعوب المغرب العربى بالإسلام أكبر حدث تاريخى فى حوض البحر الأبيض المتوسط، بل فى حياة هذه الشعوب نفسها وأصبحت هذه الشعوب عربية مسلمة، اعتنقت الإسلام إحساساً وشعوراً وعقيدة ومثلاً ومبادئ وقيماً، واعتنقت العروبة لغة وفكراً وثقافة وفناً وأدباً، فصارت جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربى الكبير ومن الروح العربى الإسلامى الإنسانى، وامتزجت هذه الشعوب بالإسلام والعروبة امتزاجاً كاملاً فى كل مجالات الحياة، وميادين النشاط الإنسانى، وفى شتى المناحى الروحية والحضارية واللغوية والفكرية والأدبية والسياسية والاجتماعية.

وكانت ثقافات الإسلام وانتصاراته وحضارته، وكذلك آداب لغة كتابه العظيم وعلومها، هى الأساس العقلى والثقافى لشعوب هذه البقعة الكبيرة من العالم العربى الفسيح الأرجاء.

وشاهدت هذه الشعوب العريقة، فى أرض المغرب العربى، الغزو الفكرى الأوربى، وقابلته بسخرية وازدراء، فكان السنوسيون فى ليبيا وعلماء الزيتونة فى تونس، وجمعية العلماء فى الجزائر، ممثلة فى شخص عبد الحميد ابن باديس الذى كان يؤكد طابع شخصية الجزائر، هذا الطابع الإسلامى العربى، كانوا من طلائع الكفاح، وحينما كان الفرنسيون قد أوقفوا تدريس

اللغة العربية فى مدارس الجزائر[١]، كانت جمعية العلماء تفتح المدارس الأهلية فى المساجد، وأحيا ابن باديس[٢] وجماعته الجانب العربى الإسلامى فى الشخصية الجزائرية، وصنعت جامعة القرويين مثل هذا الصنيع.

وهكذا تصدى التيار القومى العربى للاستعمار ودعاته من غربيين ووطنيين، وقابل كل الآراء المستوردة من معامل الاستعمار، والتى تطعن فى العرب والإسلام وفى التاريخ العربى، قابلها بسخرية عميقة.

وكان أظهر جوانب المقاومة السياسية والدينية والعربية يتمثل فى كفاح ليبيا ضد الاستعمار الإيطالى البائد.

وانتصرت هذه الشعوب، ونالت استقلالها، ومحت كل مظاهر الاستعمار السياسى والفكرى من بلادها، وصارت اللغة العربية مرة أخرى هى لغة التعليم فى هذه البلاد الإسلامية.

- ٢ -

وقد اقترح عثمان الكعاك من أدباء تونس إنشاء موسوعة مغربية، للأقطار العربية الممتدة من الإسكندرية إلى المحيط الأطلسى، وذلك لتحرير الثقافة العربية، وتصحيح أوضاعها؛ كما دعا إلى تطهير اللسان العربى فى المغرب من الدخيل الأجنبى، ويتضمن هذا المشروع ما يلى[٣]:

١ - تحديد منطقة المغرب العربى جغرافياً وحضارياً بالقيام بأبحاث دقيقة يتحقق منها وجه المغرب الحقيقى فى كل المجالات.

---

(١) يقول عثمان سعدى، إن الفرنسيين جعلوا تدريس اللغة العربية جريمة يعاقب عليها القانون، ولم يسمحوا إلا بتحفيظ القرآن.

(٢) كان يرى أن اللغة العربية والدين الإسلامى هما أولى مقومات شخصية الجزائر، وقامت آراؤه على الأساس التربوى، ونادى بأن الفكر الجزائرى فكر عربى إسلامى.

(٣) راجع مجلة المعرفة السورية عام ١٩٦٤.

٢ ـ التعريف بالأشخاص المغاربة من حيث مهمتهم وإنتاجهم ومنجزاتهم فى ميدان البناء والتعمير والسياسة والأدب والعلم والدين، وتقسيم العصور إلى تسعة: الحجرى ـ البربرى ـ الفينيقى ـ الرومانى ـ الوندالى البيزنطى ـ العربى ـ الاستعمارى ـ وأخيراً عهد الاستقلال. والترجمة لِكل شخص ترجمة جامعة مركزة.

٣ ـ التعريف بالمواضع والأمكنة بغاية التوسع والتدقيق وذلك بإيراد الوصف الحقيقى الجامع والتذييل بالمصادر ويجب التنصيص على المسميات الجغرافية الاسبانية والصقلية والمالطية والسردانية باللفظ العربى مع مقابله الأفرنجى.

٤ ـ ذكر العشائر المغربية (بربرية وعربية ورومانية).

٥ ـ بيان اللهجات المغربية من الأندلسية إلى الليبية.

٦ ـ بيان العلوم المغربية وتقسيمها إلى دينية ودخيلة وفلسفية وتصوفية وإيرادها على الترتيب الأبجدى مع التنصيص على مراحل النمو والتطور فيها.

٧ ـ بيان المعالم والآثار المغربية وإيراد وصفها الدقيق المحكم والتنصيص على أنواعها وأجناسها.

٨ ـ الترجمة للأدب المغربى فى أنواعه: ملحمة ـ موشح ـ زجل ـ مديح ـ ملزومة ـ الخ. وفى لغاته (بربرية ـ بونيقية ـ لاتينية ـ عربية ـ تركية) وفى أمكنته: (أندلس ـ صقلية ـ مالطة ـ الجزائر الخ) وفى رجاله مع الإحالة على أماكنهم الأبجدية وفى أغراضه (تاريخ ـ تفسير ـ ونقد ـ أو وصف) وفى مقارناته *تأثراً أو تأثيراً*.

٩ ـ ذكر الفنون المغربية من رسم ونحت وموسيقى ورقص وفولكلور وتمثيل الخ.

ـ ٣ ـ

وفى هذا المجال سوف نحاول إبراز الشخصية الليبية العربية فى مجال الأدب على مر العصور والأجيال، هذه الشخصية التى تعد مجهولة أو

كالمجهولة فى جميع البلاد العربية، وبين أدبائها، فهم حين يذكرون الآداب العربية فى ليبيا أو ما يصح أن نسميه الأدب الليبي لا يذكرون إلا ما عرفوه من آداب فى ليبيا فى العصر الحديث، ولا يرددون إلا جملة أعلام حديثة نالت شهرتها الأدبية والثقافية فى آخر العصر التركي، وفى عصر النضال القـومى ضد الاستعمار الإيطالى، وفى عهد الاستقلال.

وقد أجهدنى البحث خلال العصور والأجيال عن تاريخ الأدب الليبى منذ الفتح العربى الإسلامى لليبيا حتى اليوم، وحاولت فى هذه الدراسة أن أبرز أصول هذا الأدب وأعلامه، وأن أقسمه إلى عصور ومراحل، وأن أتتبعه بالدراسة فى كل عصر وكل جيل، مستعيناً في ذلك بكل ما يمكن أن يفيد من مصادر ومراجع.

القسم الاول

ليبيا والليبيون

تمهيد

- ١ -

ما مدلول هذا الاسم القريب إلى الأذهان والأرواح «ليبيا»؟

لقد صار لفظ ليبيا علماً علم شعب عربى أصيل، يتكلم العربية، ويدين بالإسلام، ويشاطر إخوانه العرب فى كل مكان آمالهم وآلامهم، ويتخذ من التراث العربى الإسلامى زاده العقلى والثقافى والروحى، وكذلك يشاطره العرب الحب والشعور بالأخوة والتعاضد والتعاون فى كل مجالات الحياة.

ليبيا العربية المسلمة، هى بنت الماضى البعيد، وهى كذلك حاملة راية الإسلام والعروبة فى مختلف العصور والأجيال؛ وهى موطن لذكريات عزيزة على كل مسلم وعربي، ومسرح لنضال الأبطال العرب فى شتى الأحداث ومواقف الجهاد وميادين البطولة.

- ٢ -

ورد هذا اللفظ فى «الأوذيسة»، لشاعر الإغريق القديم «هوميروس» - الذي عاش فى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد، علماً على إلهة من آلهة «العناية» اختلفت مع زوجها، فبرحت أرضها فى عربة ذهبية إلى أرض نائية نزلت بها، وخلعت عليها اسمها.. وهذا على نمط الأساطير الإغريقية القديمة التى يطلق عليها وعلى ما شابهها اسم الميثولوجيا.

وفى التوراة اسم «ليابيم» لأنثى الأسد، ولأرض تكثر فيها السباع.

وجاء هيرودوت المؤرخ اليونانى القديم (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق م) وأخذ يبحث عن أرض السباع فى القرن الخامس قبل الميلاد، فلم تكن إلا ليبيا، ونزلها هيرودوت ووصل إلى جبال السوداء فى منطقة «الجفرة»[١]، ووصفها بأنها كثيرة الأحراش والغابات، غزيرة المياه والينابيع، وتحدث عن سكانها، وذكر من قبائلهم «المشواش، اللوتوفاجس، الماساى، الناساميون» وشاهد كثيراً من حيواناتها، وسأل عن الأسد فقيل له إنه يتوالد فى تلك البقاع.. ولكن العوامل الطبيعية عصفت بليبيا القديمة وغيرت الكثير مما ذكره هيرودوت من جوها وحيواناتها ونباتاتها.

وقد ذكر هيرودوت أن الليبيين بالمعنى القديم الواسع للكلمة ذوو أصول جنسية مختلفة حتى ليمكن تقسيمهم إلى أربعة شعوب: اثنانِ منها أصيلان، والآخران دخيلان، فالأصيلان هما الجنس الأثيوبى والليبى، والدخيلان هما الفينيقيون والإغريق[٢]. والجنسان الأصيلان أصلهما في أغلب الآراء حامى، والوطن الأصلى للحاميين هو آسيا فى رأى ذائع، أو أفريقيا فى رأى آخر..

وقيل إن كلمة ليبيا اشتقت من اسم قبيلة لوبا أو اللواتا، ثم تغيرت على ألسنة المستعمرين اليونان إلى ليبس؛ وقد استعمل الرومان كلمة أفريقيا تمييزاً لها عن ليبيا، وكانت أول الأمر لا تعنى سوى «قرطاجنة» ثم أطلقت على القارة كلها، ويذهب كاريت إلى أن كلمة بربر حلت محلها كلمة الليبيين منذ الفتح الإسلامى، وقد أطلق الجغرافيون العرب اسم بلاد البربر على كل شمال أفريقيا بين برقة والمحيط الأطلسى وإن يكن ابن خلدون ذكر أن أقطار بلاد المغرب كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام[٣].

أما المؤرخون العرب فنطقوا بالاسم هكذا «لوبيا»، وقالوا إنه نسبة إلى «لوبى» بن حام بن نوح عليه السلام[٤].

---

(١) تعرف اليوم باسم الجفارة وهي منطقة زراعية خصبة قريبة من طرابلس.

(٢) ٥٤ ملامح المغرب العربي للشرقاوي والصياد ـ ١٩٥٩ دار المعارف.

(٣) ٥٥ و٥٦ المرجع.

(٤) ويؤكد بعيو ذلك مستدلاً بكلام ابن عبد الحكم ٢٥٧ هـ وابن رستة والمقريزي والسيوطي =

وقد اتسع لفظ ليبيا قديماً فأطلق على شمال إفريقيا من غرب الإسكندرية، ثم ضاق اللفظ حتى أصبح علماً على هذا الإقليم، الشامل لبرقة وطرابلس، الواقع بين مصر وتونس والجزائر.

- ٣ -

والليبيون القدماء خليط من البربر وبعض العناصر الأخرى الطارئة عليهم من أوربا عن طريق جبل طارق كما يقول كثير من المؤرخين الغربيين، فهم أخلاط من الآريين والساميين فى رأيهم، ويذهب كثير من المؤرخين العرب إلى أن الليبيين القدامى من أصل سامى، ويقولون إن هجرتهم كانت من الجزيرة العربية بعد انهيار سد مأرب، أو من العراق عقب الطوفان، أو من الأردن فى أحداث تاريخية قديمة، والعناصر التى هاجرت إلى ليبيا مرت بمصر وأقامت بها بعض الوقت، ومن هنا اعتقد بعض المؤرخين المحدثين أن الليبيين القدامى فرع لأصل مصرى[1].

= (١١ دراسات في التاريخ اللوبي)، وكذلك ذكر بعض الباحثين الإيطاليين في القرن الثامن عشر أن اسم ليبيا محرف عن لوب بمعنى الحر والعطش فى بعض اللغات السامية - ونحن نعلم أن اللغة العربية تقول: لاب يلوب لوبا ولوابا، بهذا المعنى نفسه، وهو الحر والعطش، ولابت الإبل بحثت عن الماء فلم تجده، وأرض لواب حرة العطش، ويرى مصطفى بعيو أن «ليبيا» محرفة عن «لوبيا» صـ ١٠ داراسات فى التاريخ اللوبى تأليف بعيو.

(١) مجلة القلم الجديد - تموز ١٩٥٣ - من مقال لمظفر فوزى الأمير من طرابلس؛ ويقول بعض المؤرخين: إن سكان الجهات الداخلية، كإقليم فزان من أصل إفريقى (أثيوبى)، فهم من الأمم الحامية؛ وأطلق عليهم اسم البربر لعجمتهم، وإن ذهب الكثيرون من نسابيهم إلى أنهم كلهم أو بعضهم من سلائل عربية حميرية أو مضرية. وأهم البربر أنواع كثيرة، ولهم لغات لا تحصى، وهم أهل بدو فى معيشتهم لم يخضعوا لأمة من الأمم لشدة شجاعتهم وعصبيتهم.

وقد لاقى العرب منهم الكثير من الأهوال فى بدء الفتح الإسلامى، فقد أسلموا وارتدوا بضع عشرة مرة وغدروا فى كل مرة منها بالعرب، وفتكوا بهم، إلى أن دانوا للإسلام نهائياً فى عهد موسى بن نصير وحكمه لأفريقيا فى نهاية القرن الأول الهجرى؛ وعززت الدولة الادريسية بالمغرب الأقصى، والحفصية، ودولة الأغالبة بأفريقيا، روح الإسلام والعروبة فيهم، وقد انتشرت فى أوساطهم بعض المذاهب الإسلامية. كالاعتزال والخوارج الصفرية والأباضية والتشيع، وقامت بينهم للعلويين دول عربية: كدولة الأدراسة (١٧٢ - ١٧٥ هـ) والدولة الفاطمية وغيرهما. وقد بقيت بعض اللهجات البربرية حتى اليوم بينهم فى المغرب، وخاصة فى =

ومهما كان فقد وفدت على ليبيا عناصر أخرى من الإغريق الذين قدم أكثرهم من كريت فى القرن السابع ق م، ثم عناصر من الرومان التى استولت على طرابلس من أيدى القرطاجنيين عام ١٠٦ ق م ثم استولوا على برقة عام ٩٦ م.

ثم دخلها العرب فاتحين، وامتزجوا بـأهلها، ونشروا الإسـلام واللغة العربية فيها، ثم جاء العنصر التركى خلال سيادة الخلافة العثمانية ونزلها وكان له السيادة فيهـا قرونـاً طوالاً، ثم وفـد عليها الأوربيـون وخاصـة فى عهد الاستعمار الإيطالى البغيض. ومع ذلك كله فقد بقى لليبيا أصلها العربى، وروحها الإسلامية، وذهب كل شيء فيها ما عدا عروبتها وإسلامها، فهى دولة عربية دينها الإسلام كما ينص على ذلك دستور ليبيا وقوانينها.

والليبى يعتز دائماً بصبغتـه العربيـة، وبعقيدتـه الإسلاميـة، ولا تزال القبائل العربية فى ليبيا كثيرة معروفة، وصاحبة نفوذ وسلطان.. ومنها تفرعت البطون والعشائر، وتناسل أكثر السكان.

- ٤ -

والوطن الليبى يشمل مساحة شاسعة تقارب المليون والسبعمائة ألف من الكيلومترات المربعة، والحدود الشرقية لليبيا تجاور الحدود الغربية لمصر وشمال السودان، ومن الغرب تجاور ليبيا تـونس، وكذلـك جزءاً كبيـراً من شرقى الجزائر، وفى الشمال البحر الأبيض المتوسط الذي تقع على شاطئه أهم المدن الليبية، مثل طبرق - درنة - بنيغازي - طرابلس، ويقع على حدودها الجنوبية بعض أقاليم الجزائر، وكذلك كل من جمهورية النيجر وجمهورية تشاد.

وفى هذه البقعة المترامية الأطراف يقيم الشعب الليبى البالغ تعداده نحو المليون والنصف من الأنفس، بينهم عدد قليل من الجاليات الأوربية.

= الجبال والجهات المنيعة من البلاد وفى داخل بعض البلاد كإقليم فزان غير أن هذه اللغة لم تكن لغة قراءة وكتابة وعلم وأدب، وقد عامل العرب الـبربر معـاملة حسنة، واعتـبروهم مساوين لهم في الحقوق والواجبات، وأشركوهم معهم في الإدارة وقيادة الجيوش ومنهم طارق ابن زياد وغيره من القواد.

والإقليم الشرقى هو برقة، والإقليم الغربى هو طرابلس، وفى الجنوب فزان وأشهر مدينة فيه «سبها».

وفى طرابلس[1] يقع كثير من الهياكل والقصور الرومانية واليونانية وكذلك فى: صبراته[2] ولبدة[3] مسقط رأس الأمبراطور الرومانى سبتيميوس سافاروس (١٩٣ - ٢١١ م) وفى طرابلس كذلك متاحف عديدة، منها المتحف الرومانى والمتحف الإسلامى، أما فى برقة فنشاهد آثار الشحات[4] بهياكلها الجميلة، وأعمدتها الرخامية الفارعة على الهضبات العالية فوق الجبل الأخضر ذى الخضرة الدائمة طول العام، والأمطار الغزيرة فى موسم الشتاء والربيع والجو المعتدل فى الصيف، ومن مدن الإقليم الشرقى البيضاء وسوسة واسمها القديم أبولونيا، والمرج واسمها القديم برقة وقد أطلق اسم برقة على هذا الإقليم كله.

---

(١) أنشئت طرابلس فى القرن السابع قبل الميلاد، بعد هجرة الفينيقيين إلى ليبيا، حيث أقاموا الأسواق على طول ساحل البحر الأبيض، وأهمها سوق «أويات» أو «أويا» فى مكان طرابلس اليوم.

(٢) كانت إحدى الأسواق الفينيقية القديمة، ثم سقطت فى أيدي القرطاجنيين والرومان والبيزنطيين والعرب، وقد بدأت أعمال الحفر فى صبراته عام ١٩٣٣، وكشف فيها عن كثير من الآثار الرومانية وتقع صبراته على ساحل البحر الأبيض وتبعد عن طرابلس نحو السبعين من الكيلومترات.

(٣) يسميها الرومان «لبتس مانيا» وتبعد عن طرابلس بنحو ١٢٠ كيلومتراً إلى الشرق، وهى قريبة من بلدة الخمس. وقد أنشأها الفينيقيون سوقاً تجارياً فى القرن السابع ق م فى منطقة زراعية خصبة، وباحتكاك الفينيقيين بالسكان الليبيين نشأت لغة عرفت فيا بعد باسم «اللغة البونيقية الجديدة» وتداولها القرطاجنيون ثم الرومان، وفيها ولد الامبراطور سبتيميوس سافاروس عام ١٤٦ م، وكان سكانها آنذاك نحو المائة ألف، واضمحلت لبدة بعد تلاشى الامبراطورية الرومانية وغزو الفندال فاكتسحتها الرمال وغطتها.

(٤) اسمها الأول «سيرينى أو سيرينيا» وقد أنشأها الاغريق قبل الميلاد بزمن طويل على ساحل برقة واستقروا بها، وصارت مركزاً لنشاط ثقافى كبير، إذ شيدت فيها المدارس ووفد إليها الطلاب من كل مكان، وظهر فيها الفلاسفة والادباء والشعراء؛ وكان فى وسطها المدينة المقدسة والمسرح والمعبد الفخم المخصص لزيوس، والملعب ويتسع لأربعين ألفاً من المشاهدين وحولها تقع الاحياء المخصصة للسكنى. وكانت سيرينيا المدينة المقدسة مدينة أبولوس إله النور والغناء والجمال وقد انهارت عقب انهيار حضارة روما. ومن المفكرين والفلاسفة الذين ظهروا فى هذه المدينة فى العصر الاغريقى: سينيسيوس (٤٢٠ م)، واريستيبوس، وكرنيادس، وكليماخس، واراتوستيس.

وتقع مدينة بنغازى القديمة على شبه جزيرة يحيط بها البحر من جهة وملاحة السلمانى من جهة أخرى. وقد تأسست عام ٤٤٦ ق.م. باسم يوسبريدس على يد أحد أخوة ملك قورينا، وبعد ذلك تكون منها ومن قورينا وأبولونيا وبرقة وتوكرة ما عرف فى التاريخ باسم المدن الخمس. وفى عام ٣٤٧ ق.م أطلق على المدينة اسم برنيق.

وكان يحكمها البطالمة آنذاك؛ وهذا الاسم نسبة إلى أميرة بطلمية غدت ملكة واشتهرت بالشجاعة والجمال. وبقيت هذه التسمية طوال العهدين الرومانى والبيزنطى. وجاء الفتح الإسلامى فوجدها مدينة صغيرة ثم تحولت إلى مركز حربى وتجارى.

أما اسمها المعروف حالياً أى بنغازى، فيعود إلى رجل صالح عرف بسيدى غازى واستوطن فيها عام ١٤٥٠ م. وفى ذلك الوقت أخذ يقطن المدينة أناس نزحوا من مصراته وساحل طرابلس.

وفى عام ١٥٧٨ استولى الأتراك على مدينة بنغازى، ثم حكمها القرمانليون سنة ١٧١١، وعادت إلى الأتراك فى ١٨٣٥، وفى ١٩١١ احتلها الإيطاليون وبقوا فيها إلى عام ١٩٤٢، وفى تلك الفترة كان الليبيون يجاهدون من أجل الاستقلال وبعد ذلك أصبحت المدينة مقراً للإدراة العسكرية البريطانية فى برقة، وفى عام ١٩٤٦ أصبحت عاصمة حكومة برقة، ومنذ الاستقلال صارت إحدى عاصمتى المملكة الليبية.

- ٥ -

ونحن إذا ذكرنا «لبدة» و«سابراته» و«طرابلس» وآثارها الشهيرة فى غرب ليبيا (إقليم طرابلس)، فإن: شحات، وسوسة، وتوكره، والمرج، وبنغازى فى شرق ليبيا (إقليم برقة)، تقف معها من الجانب الأثرى على قدم المساواة، أهمية وشهرة.

وأعظم هذه المدن الأثرية على الإطلاق مدينة «شحات» الشهيرة بآثارها

الإغريقية والرومانية.

فعلى سفح الجبل الأخضر، وبين البيضاء ودرنة وسوسة، تقع «شحات» المدينة الحالمة، التى خلدها التاريخ، وروت آثارها الباقية ذكريات المجد الغابر للشعب الليبى العريق.

والجبل الأخضر بارتفاعه الشاهق، وأمطاره الغزيرة ومروجه الخضراء، ومراعيه الواسعة، يضفى على «شحات» جمالاً أخاذا، ويجعلها أشبه ما تكون بمدينة الأحلام والشعر والخيال، حتى لتحسبها - وأنت تسير فى أرجائها - قصوراً، من قصور الفردوس، أو قطعة حية من مدن «ألف ليلة وليلة» المسحورة، يقودك إليها خيال شارد، أو يطير بك نحوها جنى مارد.

وعمر «شحات» اليوم هو ٢٦٠٠ عام فحسب، فقد أنشئت نحو عام ٦٣١ ق.م، باسم «قورينة»، قريبة من شاطئ البحر المتوسط، وفى موقع فريد، على ربوة عالية، وبجوار عين ماء جارية. ومنظر شاطئ البحر، الذى لا يبعد عنها أكثر من ١٨ ك.م، وهى تطل عليه، وترنو ببصرها إليه، منظر فريد بالغ غاية الروعة.

لقد كانت «قورينة» (شحات) أول المدن الإغريقية، التى شيدها الأغريق فى أفريقية، قبل الميلاد بقرون، ولا تزال آثارها باقية شاهقة، تدل على عظمة هذه المدينة وعلى حضارتها القديمة.

كانت المدن الثلاث الفينيقية: سابراته، واويا (طرابلس) ولبدة، التى أنشأها القرطاجيون، فى غرب ليبيا، فى القرن التاسع قبل الميلاد، قد طارت شهرتها، وازدهرت حضارتها، ونمت تجارتها، وأصبحت قبلة الأنظار.

وفى القرن السابع قبل الميلاد، كان الإغريق القدماء يعيشون فى ظلال تنافس شديد بين المدن الإغريقية المستقلة، وكان هذا التنافس عاملاً رئيسياً فى نشوب الحرب بين بعضها والبعض الآخر من جانب، وسبباً كذلك في ازدهار الحضارة الإغريقية من جانب آخر، لأن كل مدينة كانت تنافس أختها في تشجيع العلوم والفنون والآداب. وضاقت هذه المدن الإغريقية بسكانها،

وأخذت موارد الإنتاج فيها تقل يوماً بعد يوم، ولأن الإغريقيين يحبون المغامرة، ولهم ولع بركوب البحر، ولاضطرار بعضهم إلى الفرار من وجه خصومهم السياسيين، لذلك خرجت جماعات منهم تبحث عن بقعة هادئة خصبة حول شواطىء البحر المتوسط، رغبة فى الاستقرار بها، وتلتهم جماعات وجماعات، واستوطن هؤلاء وهؤلاء في جزر بحر إيجة وعلى شواطىء الشام ومصر، وأنشأ هؤلاء المهاجرون، مدناً إغريقية فى مواطنهم الجديدة، وعاشوا فيها كما كانوا يعيشون فى بلادهم الأصلية، يتكلمون الإغريقية، وينشرون فيها حضارة بلادهم القديمة.

وفى عام ٦٣١ ق.م. هاجرت جماعات من جزيرة يثرا اليونانية (سانتورين حالياً) الواقعة جنوبي بحر إيجة، وركبوا البحر، بقيادة مغامر منهم اسمه «باتوس» قاصدين ليبيا، ونزلوا فى إقليم برقة؛ فرحب بهم الليبيون، وتخيروا لهم فى بلادهم موقعاً فريداً نزلوا فيه، وشيدوا عليه أول مدينة إغريقية فى الشمال الإفريقي، سموها قورينة (شحات)، وكان موقعها أكثر شبهاً بمواقع مدنهم اليونانية.

وفى هذه المدينة بدأ الإغريق حياتهم الجديدة فى ليبيا بقيادة زعيمهم باتوس الذى اختاروه ملكاً لمدينتهم، وأخذ يحكمهم حكماً عادلاً مستنيراً طوال أربعين عاماً. . وفى آثار (شحات) مقبرة الملك باتوس الدائرية الشكل وحولها عدد كبير من المقابر الإغريقية ذات الأشكال المختلفة.

امتزج الإغريق بالليبيين، وأصهروا إليهم، وتعاونوا معهم فى كل شئون الحياة؛ وأخذت المدينة الجديدة تنظم نفسها على غرار المدن الإغريقية فى اليونان، سواء فى الحكم، أو فى المعيشة، ونظام الحياة. . ومد باتوس الطرق إلى قورينة، وشيد لها ميناء قريباً منها على شاطىء المتوسط هو ميناء أبولونيا (سوسة الآن) فازدهرت هذه المنطقة وشملتها الحضارة فى الشمال الإفريقى.

وتوالت الهجرة الإغريقية إلى المدينة، فكثر سكانها، وخرج فريق منهم، فأنشأوا مدينة جديدة فى الجنوب الغربى من قورينة، سموها برقة (المرج)، وأصبحت بعد قليل كذلك من مراكز الحضارة الإغريقية فى ليبيا. . ثم أسسوا

«يوسبيريديس» (بنغازى الآن) لتكون ميناء تجارياً لبرقة. كما أنشأوا مدينة خامسة على شاطئ المتوسط سموها تيوخيرا (توكرة الحالية)، فأصبح إقليم برقة كله يسمى إقليم المدن الخمس، ونمت وازدهرت هذه البقعة الفسيحة الممتدة كما نمت مدنها نمواً مطرداً، حتى أصبحت من مراكز الحضارة في شمال إفريقية.

كانت كل مدينة من المدن الخمس مستقلة بحكومتها ونظامها الإدراي، الذي اقتبسته من نظام المدن اليونانية، وكان أكثر سكانها من الإغريق، وأقليتهم من الوطنيين، وقد اندمج الوطنيون من سكان هذه المدن فى الحياة الإغريقية، وشاركوا الإغريق فى حضارتهم، فظهرت فى هذه الرقعة الآهلة من الأرض حضارة مشتركة ذات طابع إغريقي، وانفردت قورينة من بينها بشهرة كبيرة ومنزلة ممتازة، إذ كانت أعظم المدن الإغريقية فى المنطقة كلها، وأقدمها تأسيساً، وتولت أسرة باتوس الحكم فيها نحواً من مائتي عام (٦٣١ ـ ٤٤٠ ق.م)، وكان نظام الحكم فيها ملكياً وراثياً فى الأسرة المالكة، ويعاون الملك مجلس شيوخ ومجلس قضائى.

وظلت قورينة محافظة على استقلالها حتى جاء عصر البطالسة، فحدث نزاع بين المدن الإغريقية فى ليبيا، والتجأ بعض حكام هذه المدن إلى مصر يطلبون مساعدة ملكها بطليموس الأول لهم، وبعث بطليموس معهم جيشاً بقيادة (أوفيلاس)، فوطد الأمر لهؤلاء الأصدقاء، ثم ضم الإقليم كله إلى مصر، وفى عام ٣٢٢ ق.م زار بطليموس قورينة، واحتفى به أهلها... ومنذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد قام اتحاد بين المدن الخمس، وأصبحت المنطقة كلها تعرف باسم (بنتابوليس).

وفى متحف شحات نسخة من الدستور الذى منحه بطليموس لمدينة قورينة، وهى منقوشة باللغة الإغريقية على لوحة حجرية مستطيلة.

بذل الإغريق كل جهودهم لرفعة شأن قورينة، وإعلاء مكانتها، وتنمية حضارتها، فصارت مناراً عالياً يرسل أنواره إلى كل مكان، ومركزاً خطيراً من مراكز الثقافة الإغريقية على شواطىء البحر المتوسط، وازدهرت فيها العلوم

والفنون والآداب، كما ازدهرت حياتها الحضارية والاقتصادية، وظهر من أبنائها عدد كبير من الفلاسفة والعلماء والأدباء والشعراء، الذين ذاع صيتهم فى كل مكان.

ومن أشهر فلاسفتها (ارستيبوس)، الذى أسس مدرسة فلسفية كبيرة فيها، وتجمع حوله تلامذته وأتباعه الكثيرون، ومنهم ابنته التى علمها عقائده الفلسفية فخلفته فى تزعم مدرسته ونشر مذهبه الفلسفى.

ومن أشهر شعرائها كاليماخوس الذى كان من أساتذة الأدب وسدنته فى عصره، وكان عالماً كبيراً من علماء اللغة والنحو، واختاره بطليموس الثانى ملك مصر أميناً عاماً لمكتبة الإسكندرية، فظل في هذا المنصب حتى عصر بطليموس الثالث، وكان بالإضافة إلى عمله الرسمي شاعر العهد البطلمى (أو البطلسى).

ومن علماء قورينة المشهورين (أرستيبوس) الذى خلف أستاذه كاليماخوس فى منصب أمين مكتبة الإسكندرية، وهو من أعظم الجغرافيين القدامى، وقد نجح فى قياس محيط الكرة الأرضية قياساً لم يختلف كثيراً عن القياس العلمى الذى توصل إليه العلماء بعد ذلك.

خصص الإغريق فى قورينة الأماكن المجاورة لعين أبولو للأغراض الدينية، ولهذا شيدوا حولها عدداً كبيراً من المعابد للآلهة الإغريقية، ومن بينها معبد أبولو، ومعبد أرطميس، وجددت هذه المعابد فى عهد البطالسة (أو البطالمة) وزيدت عليها معابد لآلهة أخرى، كمعبد الإله زيوس كبير آلهة الإغريق.

وشيدوا فيها مسرحاً لعرض التمثيليات عليه، وآثاره باقية فيها حتى اليوم، كما شيدوا أسواقاً عامة ونادياً رياضياً للشباب، وعدداً كبيراً من الإدارات الحكومية، ولا تزال مقبرة الملك باتوس وكثير من المقابر الإغريقية باقية حتى اليوم، ومن آثار شحات (قورينة) التى يراها الزائر لها: الينابيع، والساحة والمجمع، وهياكل بعض المعابد، وغير ذلك من الآثار النفيسة.

وهكذا نمت المدينة وتقدمت فى العلوم والمعارف والفنون، وأقيمت فيها الأبنية الجميلة، والمنشآت العامة، من حمامات وملاعب ومسارح ومعابد، وقد زار هيرودوت المؤرخ اليونانى الكبير هذه المدينة، وتحدث عن معالم نهضتها، ومما كتبه وهو يقص مشاهداته فيها «إن نساء قورينة الإغريقيات حرمن على أنفسهن أكل لحم البقر، كما تفعل الليبيات تماماً، مشاركة لهن فى شعورهن الخاص، واشتركن معهن كذلك فى احترام الآلهة إيزيس، وفى الأعياد الوطنية ومواسم الصيام».

ونما النشاط الزراعى فى قورينة، فأنتجت أراضيها الزيتون، والقمح والكروم، كما امتدت مراعيها الوافرة الكلأ ونشطت تجارتها، وأصبحت مركزاً تجارياً مهماً لتصدير القمح والزيتون والخيول إلى اليونان، وكانت تصدر كذلك إليها السلفيوم، وهو نبات طبى له قيمة كبيرة، وكان ينبت على حافة المراعى، ويستخدم فى العقاقير الطبية والروائح العطرية، ولأهميته كانت تطبع صورته على النقود فى قورينة، وقد انقرض الآن، وكانت كذلك تصدر الذهب والعاج ونباتات وسط إفريقية إلى شواطىء البحر المتوسط.

وبعد حكم البطالسة بسط الرومان سلطانهم على إقليم طرابلس، ثم على إقليم برقة ابتداء من عام ٩٦ ق.م، وهاجر كثيرون من الرومانيين إلى قورينة، وأثروا ثراء كبيراً، وأقاموا المبانى الفخمة، والمنشآت الضخمة، كالحمامات الكبرى والمسارح المدرجة والملاعب وأقواس النصر، والتماثيل الجميلة، واقتبسوا الكثير من ألوان الحضارتين الفينيقية والإغريقية، وزادوا عليها العديد من مظاهر الحضارة فى شتى فنونها، ومما أنشأوه الحمامات الساخنة الجميلة التي فرشت أرضها بالفسيفساء، وكذلك مسرح جديد يشاهد السكان فيه مصارعة الحيوانات المفترسة.

دمر كثير من هذه المبانى الرائعة فى ثورة اليهود فى قورينة عام ١١٥ م، وقد قضى الرومان على الثورة بشدة وقسوة.

وكان فى قورينة وغيرها أيام الرومان كثير من المدارس يتعلم فيها أبناء البلاد العلوم والفلسفة والآداب، وكان بعضهم يتمم علومه فى روما، ويحصل

على أعلى المراكز فى الأمبراطورية الرومـانية، ومنهم (سبتيمـوس سيفيروس) (١٤٦ ـ ٢١١ م) وقد تولى منصب الأمبراطور فى روما عام ١٩٣ م، وهو ليبى من لبدة بإقليم طرابلس، وله تمثال في ميدان الشهداء بطرابلس.

ولما انقسمت الأمبراطورية الرومانية عام ٣٩٥ م إلى شرقيـة وغربيـة، وضعفت الغربية ثم سقطت عام ٤٧٦ م، خضعت قورينة للحكم البيزنطى (حكم الأمبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها بيزنطة ـ القسطنطينية) منـذ عهد جستنيان عام ٥٣٣ م، وظلت تحت الحكم الرومانى إلى أن فتحها عقبة ابن نافع عام ٦٤٣ م، فدخلت قورينة تحت الحكم الإسلامى.

إن آثار قورينة (شحات) آثار فريـدة، وقد بقى الكثـير منها ينـاطح الزمن، ويشير إلى حضارة قديمة ترعرعت فى ليبيا منذ عشرات القرون.

وفى متحف الشحات مجموعات كبيرة من التماثيل الإغريقية والرومانية.

ويـزور الشحات ومتحفهـا كل يـوم مئات من السـائحين من مختلف الدول؛ وفى المدينة فندق بنى حديثاً على الطراز الرومانى.. وفيها الكثير من معالم هذه الحضارة القديمة التى بقيت آثارها شاهدة عليها.

ـ ٦ ـ

وهكذا نرى أثـر الفينيقيين والإغـريق، والرومـان فى التاريـخ الليبى القديم واضحاً.

ولما فتح عمرو بن العاص مصر عـام ٢٠ هـ ـ ٦٤١ م أرسل جيشـاً إسلامياً لفتح ليبيا، فاستولى الجيش على برقة ثم طرابلس، وصنع بعده عبد الله بن سعد بن أبى سرح صنيعه، وكذلك عقبة بن نافع؛ وبذلك خضعت ليبيا لحكم الإسلام والعرب من عام ٢٢ هـ/٦٤٣ م، وإن قام الروم والبربر بثـورات وحروب كثـيرة لطرد العـرب والمسلمـين من ليبيـا، وانتهت كلهـا بالفشل.

ففى عام ٥٠ هـ فى عهد معاوية أخضع عقبة بن نافع شمال إفريقيا وهزم الروم وأسس القيروان عام ٥٣ هـ (٦٧٢ م)، وقتل عقبة فى حروبه مع البربر فخلفه زهير بن قيس عام ٦٢ هـ، الذى قتله البربر أيضاً، ثم أكمل موسى بن نصير فتح الشمال الإفريقى كله، وبذلك خضع البربر لحكم العرب نهائياً[1]، وهاجرت قبائل عربية كثيرة من جزيرة العرب إلى ليبيا، وأصبحت السيادة فيها للعنصر العربى الذى نشر الإسلام واللغة العربية فى ربوعها بالتدريج .

وخضعت ليبيا لحكم الأمويين ثم العباسيين وتعاقب عليها الولاة العرب الذين أكدوا سيادة العرب فى ليبيا ومن حيث كان الشعب الليبى فى القديم يعيش فى عزلة داخل بلاده، وتعيش العناصر الأجنبية الوافدة عليه فى الشواطئ ، الفينيقيون فى الشواطئ الغربية والإغريقيون فى الشواطئ الشرقية، وخلف هؤلاء وهؤلاء الرومان، فإن العرب اندمجوا بالشعب الليبى اندماجاً تاماً، ولم يمض قرن على فتح العرب لليبيا حتى صار الفاتحون ليبيين وصار الليبيون عرباً فى الدين واللغة والثقافة، وأصبح الجميع شعباً واحداً له قوميته العربية الإسلامية، وله ميوله الحضارية والإنسانية، ويقطن أرض بلاده شواطئها وجبالها ووديانها وصحراءها وكل مكان فيها، معتزاً بهذه الروابط الكبيرة بين إخوانه فى الدين واللغة والجوار . .

---

(١) من أعلام الفتح الإسلامى لليبيا: عبدالله بن سعد بن أبى سرح الذي تولى مصر فى خلافة عثمان وهو أخوه رضاعا، ثم فى عهد معاوية من عام ٤٣ حتى عام ٥٥ هـ، ودفن فى عسقلان بالشام، وهو الذى تم على يديه فتح المغرب، ومنه ليبيا، وله ضريح باسمه في واحة «أوجلة» ببرقة، ومنهم كذلك عقبة بن عامر الجهنى ومعاوية بن خديج الكندى (٥١ هـ)، ورويفع بن ثابت الأنصارى (٥٦ هـ)، وعقبة بن نافع الفهرى (٦٣ هـ) (١: ٩٢ حسن المحاضرة، ١: ٤١ المنهل العذب)، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، وخالد بن ثابت الفهرى، ومسلمة بن مخلد الأنصارى، وزهير ابن قيس (٦٩ هـ) وحسان بن النعمان الغسانى وهو أول من دخل أفريقية من أهل الشام فى زمن بنى أمية (راجع صـ١٣ وما بعدها الدرر السنية للإمام السنوسى)، وقد حكم افريقية من عام ٧٦ هـ، وتوفى حسان عام ٨٩ هـ.

الباب الاول

اللغة العربية في ليبيا

في عهد الولاة الأمويين والعباسيين
٤١ ـ ١٨٤ هـ

الفصل الاول

النشاط العربي في ليبيا في هذا العهد

- ١ -

أخذت القبائل العربية بالتدريج تهاجر إلى أرض ليبيا والمغرب العربي[١] الكبير كله، وبدأ العنصر العربي يكثر فى هذه البلاد بالتدريج، ولا سيما بعد استقرار الفتح الإسلامى فيها منذ عهد موسى بن نصير وما تلاه من حكم الأغالبة ثم الفاطميين، وأخذت طرابلس[٢] تتصدر مدن ليبيا العربية، وتكثر

---

(١) يقسم المغرب العربى إلى ثلاثة أقسام:
ا ـ المغرب الأدنى أو أفريقية، ويشمل بلاد طرابلس وتونس.
ب ـ المغرب الأوسط، ويشمل بلاد الجزائر.
جـ ـ المغرب الأقصى وهو مراكش.
وكانت أرض المغرب فى أحيان كثيرة تابعة للوالى العربى فى مصر، وبعد إنشاء القيروان واستقرار الفتح صارت ولاية إسلامية مستقلة الشخصية يتولى أمورها وال من قبل دمشق أو بغداد، وقد اتخذ العرب مدينة القيروان مركزاً إدارياً، وأنشأوا بها الدواوين المختلفة، وعينوا العمال للإشراف على شئون الولاية، وبنى حسان بن النعمان مدينة تونس ميناء لها يحل محل مدينة قرطاجنة.

(٢) أما مدينة برنيق فاختفت كمدينة قائمة بذاتها على أثر الفتح العربى واختفاء المجتمع الإغريقى الرومانى أمام العرب الزاحفين، وظلت مهجورة، ولكنها عادت إلى الظهور مرة أخرى فى القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى) عندما عادت إليها الحياة من جديد بوفود الجماعات إليها من مهاجرى وتجار مدن الساحل الطرابلسى، وكان من بينهم أولئك الذين أتوا من مدينة مسراتة، وقد تزايد عددهم على مر الأيام حتى اليوم، إذ نرى فيها أحياء مأهولة ممثلة للقرى المسراتية في موطنها الأصلى الذى نزحت منه، وشوارع تحمل أسماء قرى معروفة في مدينة «مسراتة»؛ وهؤلاء المهاجرون هم الذين أحيوا مدينة «برنيق» من جديد، تحت اسم بنغازى. أما مدينة درنة فإنها بقيت بعد الفتح العربى قائمة، وإن نمت بعد هجرة المسراتيين إليها فى القرن الخامس عشر الميلادي (راجع ٩٨ و٩٩ دراسات فى التاريخ اللوبى لبعيو).

فيها الحلقات العلمية والمدارس، وتقام فيها المساجد والأبنية العربية المختلفة، ويفد إليها العلماء المسلمون من المشرق؛ من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين، يعلمون الناس القرآن وفرائض الإسلام، كما يعلمونهم العربية لغة الكتاب الكريم وكذلك قامت القيروان فى تونس عام ٥٣ هـ مركزاً إسلامياً وثقافياً كبيراً في المغرب الأدنى، كما قامت تونس عام ٧٨ هـ، وفاس عام ١٨٨ هـ.

وصارت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى السياسة والعلم والأدب فى ليبيا، بها يتكلم العرب الفاتحون، ويتعلمها السكان الأصليون فى الوطن الليبى بالتدريج، وصار للعرب وللغتهم النفوذ الأعلى فى هذه البلاد التي سادتها مظاهر الحضارة العربية.

أخذ السكان الأصليون بأسباب الحضارة الإسلامية، وزاد تعلقهم بدين العرب ولغتهم، واندمجوا شيئاً فشيئاً فى العنصر العربى؛ وكان لدعوة الخوارج والمعتزلة والأباضية والتشيع التى سادت بين القبائل البربرية أثر عظيم فى انتشار الإسلام واللغة العربية، ولما تولى خلافة المسلمين عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١ هـ: ٧١٧ ـ ٧١٩ م) وجه عنايته إلى نشر الإسلام فى المغرب، والتمكين للغة العربية فيه، فأرسل جماعة من مشاهير التابعين لأداء هذه المهمة، وبناء صرح المغرب الإسلامى، فأسسوا المساجد فى سائر أنحاء البلاد لنشر الإسلام فى ربوعها، وأنشأوا الكتاتيب لتعليم اللغة العربية[1]. وقامت مساجد كثيرة فى طرابلس، كما بنى جامع الزيتونة فى تونس عام ٧٩ هـ فى ولاية حسان بن النعمان[2]، كما بنى مسجد القيروان من قبل عام ٥٣ هـ (٦٧٣ م) وقامت فاس عام ١٨٨ هـ، ثم قام مسجدها مسجد القرويين بفاس ٢٤٥ هـ، وغيرها من المساجد الكبرى، التى صار الكثير منها جامعات ومدارس إسلامية.

---

(١) راجع ٢: ٢٩٧ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف.

(٢) صار بعد خمس وثلاثين سنة من إنشائه (أي عام ١١٤ هـ) معهداً علمياً تدرس فيه العلوم الإسلامية والعربية.

ومع ذلك كله فقد كانت سيادة اللغة العربية في المدن الكبرى، التى تنتظم المدارس والجامعات والمساجد وعواصم الملك. أما خارج هذه المدن، فأكثر السكان من البربر الذين تسودهم اللهجات البربرية، والذين لم يتعود لسانهم العربية بعد؛ ولم يستطيعوا النطق بها[1]، ولشدة العجمة فى ألسنتهم، لم يجيدوا العربية إلا بعد زمن طويل، وقد ضرب ابن خلدون المثل بالبربر فى قلة استفادة الأعجمي من اللسان العربى، إذ كان معرقاً فى العجمة، قال: «وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق فى العجمة، وأبعد عن لسان مضر، قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية، وحصول ملكتها؛ لتمكن المنافاة حينئذ؛ واعتبر فى ذلك أهل الأمصار، فأهل إفريقية والمغرب، لما كانوا أعرق فى العجمة، وأبعد عن اللسان الأول، كان لهم قصور تام فى تحصيل ملكته بالتعليم؛ وهناك أمثلة كثيرة لفساد البلاغة فى نفوس البربر، وقلة درايتهم بأسباب فصاحة الكلام العربى، وعدم استطاعتهم التجويد والبيان فيما ينشئون من أدب[2]، ومع ذلك فقد نبغ من بين البربر بعض الشخصيات التى أثر عنها أرفع النماذج الأدبية، ومن بين هؤلاء طارق بن زياد البربرى، الذى أثرت عنه خطبة مشهورة فى أثناء الفتح العربى للأندلس

---

(١) راجع ٣: ١٧٣ الأدب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى، ٢: ٣٣٧ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف.

(٢) ٢: ٢٣٧ و٣٣٨ قصة الأدب في الأندلس، وذكروا أن يوسف بن تاشفين فيما بعد لما حضر إلى الأندلس رغب الشعراء عن مدحه، ولم يرضوا بالتقدم إليه، لعلمهم بمكان الأدب من نفسه، حتى رجاهم المعتمد فمدحوه، وبينما كان الشعراء ينشدون، قال له المعتمد: هل يعلم أمير المسلمين ما يقولون؟ قال: لا أعلم، ولكنهم يطلبون الخير، ولما انصرف يوسف إلى حاضرة ملكه، كتب المعتمد له رسالة فيها:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكمو أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

فلما قرئ عليه هذان البيتان، قال للقارئ: يطلب منا جواري سوداً وبيضاً؟ فقال القارئ: لا يا مولانا!، ما أراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهاراً، لأن ليالي السرور بيض، فعاد نهاره ببعده ليلاً، لأن ليالي الحزن سود، فقال: والله جيد! اكتب له في جوابه: «إن دموعنا تجري عليه، ورءوسنا توجعنا من بعده» وهذا ملك، وذلك هو شأنه حتى فيما بعد، في قلة حصول ملكة العربية وبلاغتها في نفسه.

عام ٩٢ هـ: ٧١١ م، وهى كما وردت فى كتب التاريخ والأدب، وكما جاء فى رواية نفح الطيب للمقرى»، ووفيات الأعيان لابن خلكان فى ترجمة موسى ابن نصير؛ قال طارق، بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وذكر فضل الجهاد، ورغب فى الشهادة[١]:

«أيها الناس: أين المفر[٢]، البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق[٣] والصبر. واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة[٤] اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة[٥]، وأنتم لا وزر[٦] لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم.. وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمراً، ذهب ريحكم[٧]، وتعوضت القلوب من رعبها الجراءة[٨] عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم، بمناجزة[٩] هذا الطاغية[١٠]، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة؛ وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن، إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة[١١]، ولا حملتكم على خطة ـ أرخص متاع فيها النفوس ـ أربأ[١٢]، عنها بنفسى،

---

(١) راجع ١: ٣٤٢ قصة الأدب فى الأندلس للمؤلف.

(٢) اسم مكان، أى موضع الفرار، وقيل إنه يجوز فيه كسر الفاء على القياس.

(٣) الصدق: البسالة فى الحرب.

(٤) بفتح الدال وضمها: الطعام يصنع لدعوة.

(٥) كثيرة.

(٦) الوزر: بالتحريك، الجبل المنيع، وكل معقل، والملجأ، والسلاح لأنه يعصم صاحبه، والوزير من الوزر (بالكسر فالسكون) وهو الحمل الثقيل، لأنه يحمل ثقل الأمر ويعين الملك برأيه، أو من الوزر (بالتحريك) لأن الملجأ إليه فى التدبير.

(٧) من معانى الريح المجازية: الغلبة والقوة والدولة، والريح تذكر وتؤنث.

(٨) من جرؤ بمعنى شجع.

(٩) المناجزة: المقاتلة.

(١٠) ملك النصارى.

(١١) أي ببعد، والنجوة المكان المرتفع.

(١٢) من ربأ كمنع بمعنى ارتفع.

واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً، استمتعتم بالأرفه[1] الألذ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى، فيما[2] حظكم فيه أوفر من حظى..

وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات الرومان، الرافلات فى الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان[3]، المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك[4]، أمير المؤمنين، من الأبطال عزبانا[5]، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً[6]، ثقة منه بارتياحكم للطعان، وإسماحكم[7] بمجالدة[8] الأبطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم؛ والله تعالى ولى إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً فى الدارين.. واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وانى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم (لذريق)[9]، فقاتله إن شاء الله تعالى، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه؛ وإن هلكت قبل وصولي إليه، فاخلفوني فى عزيمتى هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكشفوا الهم[10] من فتح الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون».

---

(١) من رفه عيش الرجل إذا لان.

(٢) فى رواية «النفح»: فما، والمعنى عليها لا يستقيم.

(٣) الذهب.

(٤) هو الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦ - ٩٦ هـ: ٧٠٥ - ٧١٥ م) الذى كان فتح الأندلس فى عهده وبأمره بقيادة واليه على إفريقيا موسى بن نصير.

(٥) جمع عزب (بالتحريك) وهو من لا زوج له. ويصح أن يكون جمع عازب. أو جمع عزيب؛ أو أعزب على القول بوجوده.

(٦) الصهر: القرابة، وزوج بنت الرجل أو أخته، والختن (بالتحريك): الصهر، أو كل ما كان من قبل المرأة كالأب والأخ.

(٧) من سمح الرجل كمنع، وأسمح، بمعنى جاد وكرم. أما سمح بضم الميم فمعناها صار من أهل السماحة.

(٨) المجالدة: المضاربة بالسيوف.

(٩) هو ملك الأسبان أثناء الفتح الإسلامى.

(١٠) بمعنى أزيحوه وأبعدوه عن أنفسكم.

وكما تدل هذه الخطبة البليغة على الحنكة السياسية والعبقرية العسكرية، تدل أيضاً على تمكن البلاغة من نفوس بعض أهل البربر، الذين تعلموا البلاغة العربية وبدأوا يتذوقونها؛ وهؤلاء قليلون جداً، فلا يصح أن ينسب فضلهم إلى بيئتهم، وإنما ينسب إلى امتياز ملكتهم، بما وهبهم الله من خصائص فى الإدراك، وإلى ظروف أخرى أحاطت بهم[1]، كتربيتهم فى بيئة عربية إسلامية منذ الطفولة.

يرتاب بعض الباحثين فى هذه الخطبة لأن كثيراً من المتقدمين لم يشيروا إليها، فلم يذكرها ابن عبد الحكم ولا البلاذرى، وهما أقدم رواة الفتوحات الإسلامية، ولم تشر إليها المصادر الأندلسية المتقدمة، ولا ابن الأثير وابن خلدون[2]، وهذا الشك ليس بمستساغ ما دامت الخطبة قد وردت فى أكثر من مرجع ومن بين مصادرها وفيات الأعيان لابن خلكان ونفح الطيب للمقرى، وغيرهما.. وهذه الخطبة لا ضير إن عددناها من نماذج الأدب العربى فى ليبيا العربية..

- ٢ -

وبانتشار الإسلام واللغة العربية فى ليبيا، أخذت الثقافة العربية الإسلامية فى الظهور، وكانت الصبغة الغالبة على العلماء هى الصبغة الدينية، والثقافة الذائعة فى البلاد هى ثقافات الشريعة وعلومها؛ وكان لمذهب مالك السيادة الروحية فى هذه البلاد، التى عنيت بعلوم القرآن والحديث والفقه عناية فائقة، وأخذ سكانها الفقه عن صاحب مالك ابن قاسم المصرى. ومن علماء الفقه المالكي فيما بعد أسد بن الفرات (٢١٣ هـ) مفتى الجماعة بالقيروان زمن الأغالبة[3]، وتلميذه سحنون[4] (٢٤٣ هـ)، الذى نقل مدونة الفقه التى

(١) ٢ : ٣٣٨ قصة الأدب فى الأندلس.
(٢) ١ : ٣٤٦ المرجع نفسه.
(٣) للأستاذ على مصطفى المصراتى كتاب مطبوع عنوانه «أسد بن الفرات فاتح صقلية».
(٤) راجع ١ : ١١٧ المنهل العذب، وكان يدرس بأجدابية ثلاث سنين، وقال سحنون: سمع =

رواها ابن قاسم عن مالك ولخصها ابن أبي زيد القيرواني، وعنهم انتشر مذهب مالك في ليبيا وفي المغرب كله، إلا في فترات كان يروج فيها فقه الشيعة أو الخوارج[1] والاباضية من بينهم خاصة.

- ٣ -

وكان النفوذ العباسي في ليبيا والمغرب ضعيفاً، لبعدها عن السلطة المركزية في بغداد، ولقوة الخوارج في هذه البلاد واستعانتهم بالبربر، ومن أجل ذلك تمكن الأدارسة من تأسيس دولتهم في المغرب الأقصى (١٧٢ هـ - ٣٧٥ هـ)، ثم استقل الأغالبة في تونس وليبيا وشرقي الجزائر منذ ولي أمور هذه البلاد ابراهيم بن الأغلب عام ١٨٤ هـ.

بل إن محمد بن الأشعث الذي تولى حكم هذه البلاد في عهد المنصور العباسي خرج عن طاعة الخليفة المنصور، وحاول الاستقلال بأفريقية، فعزله الخليفة وولى مكانه الأغلب بن سالم وهو أبو إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة، وذكر ابن الأثير أن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي كان من دعاة أبي مسلم الخراساني وقواده، ثم جاء إلى إفريقية مع محمد بن الأشعث؛ وقدم الأغلب بن سالم القيروان عام ١٤٧ هـ إلا أن البربر وأنصار ابن الأشعث من القواد العرب قتلوه عام ١٥٠ هـ، وقبره في القيروان معروف يعرف بقبر الشهيد، فولى المنصور والياً جديداً على هذه البلاد هو عمر بن حفص المهلبي عام ١٥١ هـ، وظلت ثورات الخوارج في هذه البلاد ضد

= أهل أجدابية مني العلم سنة ١٩١ هـ (١ : ١١٧ المنهل العذب)، وقد ضرب بنو سليم وبنو هلال مدينة أجدابية عام ٤٤٤ هـ (راجع ١ : ١١٦ المنهل).

(١) كان من أعظم المؤيدين فيها بعد لفقه الإمام مالك في ليبيا وأنحاء المغرب كلها المعز بن باديس الذي قضى على الفقه الشيعي في هذه البلاد بعد أن خلع طاعة مصر وخلفائها من الفاطميين.. وقد انتقل فقه الإمام مالك كذلك إلى الأندلس على أيدي تلامذة مالك ومنهم يحيى بن يحيى بن كثير الليثي (المتوفى بقرطبة عام ٢٣٤ هـ) وأستاذه زياد بن عبد الرحمن اللخمي، ومنهم كذلك عبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي (١٧٤ - ٢٣٨ هـ) وكان من كبار فقهاء مذهب مالك: ومنذر بن سعيد البلوطي (٣٥٦ هـ).

الحكم العباسي قائمة، فبعث الرشيد قائده هرثمة بن أعين على رأس جيش ضخم إلى إفريقيا عام ١٧٩ هـ للقضاء على ثوراتهم ففشل فى ذلك، وأخيراً ولي الرشيد إبراهيم بن الأغلب حكم هذه البلاد فأسس دولة الأغالبة فيها (١٨٤ - ٢٩٦ هـ)، واستقلت ولايات كثيرة عن الخلافة العباسية وأكثرها من الخوارج الذين تحالفوا مع البربر، ومنها ولاية تاهرت[١] (١٣٧ - ٢٩٧ هـ)، وولاية سجلماسة (١٦٧ - ٢٥٧ هـ)، وولاية تلمسان وغيرها من ولايات المغرب، وأكثر هذه الدول المستقلة عربية يحكمها أمراء عرب، يعملون ما وسعهم الجهد على نشر الإسلام واللغة العربية فى بلاد المغرب كله، ويتنافسون فيما بينهم على تشجيع العلماء وتقريب الأدباء والشعراء إليهم، وبذلك أثمر هذا الخلاف السياسى الشديد قوة وازدهاراً للغة العربية وآدابها فى هذا العهد. . كما حدث للأدب فى العصر العباسى الثانى حين نشأت الدول المستقلة، وتنافست فيما بينها على تشجيع الأدب ورعاية الأدباء والشعراء والعناية بالثقافة العربية بمختلف ألوانها وفنونها.

واللغة العربية، والأدب العربى، والثقافة الإسلامية تسير حيثما كانت تسير الفتوحات الإسلامية، فحيثما يفتح المسلمون البلاد، تقيم فيها حاميات من الجند الإسلامى، وعلى هذه الحاميات قواد من العرب، وبجانب الجيش أمراء يحكمون هذه البلاد؛ وغالباً ما يكونون هم أمراء الجيوش، وبجانبها تنزل القبائل العربية المهاجرة، تتكلم اللغة العربية، وتذيع الأدب العربى وتأخذ لهجتها ولغتها العربية فى الذيوع بين سكان البلاد الأصليين، ببواعث الجوار والاختلاط والسيادة والمصالح المشتركة. ويقبل من يدخلون فى الإسلام من أهل البلاد الصميمين على تعلم لغة العرب، والتأدب بآدابهم، وحفظ

(١) كانت مدينة تاهرت مركزاً كبيراً من مراكز المعتزلة في المغرب العربي، ويذكر ياقوت أن عددهم في تاهرت كان نحو ثلاثين ألف بيت (معجم البلدان - مادة تاهرت)، وكان المعتزلة منذ القرن الثاني الهجري قد بثوا الدعاة إلى كل جهة (٣: ٩٢ ضحى الإسلام)، ولصفوان الأنصاري قصيدة في واصل وأصحابه ودعوتهم وفي بثهم للدعاة في كل مصر (١: ٢٥ و٢٦ البيان والتبيين للجاحظ طبعة الخانجي). . كما قامت دولة أباضية في تاهرت أيضاً ودولة صفرية في سجلماسة.

أشعارهم، وتعلم علومهم. ومن ثم انتشرت اللغة وذاع الأدب فى كثير من البلاد المفتوحة، وقامت مواطن الأدب فى نواحي المملكة الإسلامية المترامية الأطراف التى كانت تستظل بلواء الإسلام؛ ومن هذه المواطن العزيزة ليبيا العربية المسلمة..

كانت قبيلة (لواته) تنزل برقة، ونزلت هوارة مدينة لبدة، وسكنت نفوسة مدينة صبرة[١]؛ وهى كلها قبائل بربرية؛ فلما جاء الإسلام وفتحت برقة وطرابلس أخذت القبائل العربية تهاجر إلى هذه البلاد.

وهاجر إليها عدد كبير من الصحابة[٢]، وكان مع موسى بن نصير سبعة وعشرون ألفاً من العرب أمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه واللغة[٣]، ومن الأعلام المشهورة فى هذا العصر: الشيخ عبد الوهاب القيسى المتوفى عام ٢٠٠ هـ والمدفون فى طرابلس، وضريحه فى مسجده بها[٤].

---

(١) ١ : ٢٨ و٦٩ المنهل العذب.
(٢) ١ : ٤٦ و٤٧ و٤٨ المرجع.
(٣) راجع ١ : ٥٣ المرجع.
(٤) ١ : ٧٥ و٧٦ المرجع ـ وراجع كتاب تاريخ المغرب العربى من الفتح العربى حتى قيام دولة الأغالبة والرسميين والأدارسة تأليف د. سعد زغلول.

الفصل الثاني

العرب الأولون في ليبيا
والمأثور من بلاغتهم

- ١ -

عقبة بن نافع الفهري - أحد أبطال الفتح الإسلامي لليبيا والمغرب العربي الكبير - يوصي أولاده وقد خرج من القيروان ليتابع الجهاد في سبيل الله:

يا بني: إني بعت نفسي من الله، لا أدري ما يقضى علي في سفري؛ وإني أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها:

إياكم أن تملأوا صدوركم شعراً، وتتركوا القرآن.. املأوا صدوركم من كتاب الله، فإنه دليل على الله، وخذوا من كلام العرب ما تهذبون به ألسنتكم، ويدلكم على مكارم الأخلاق؛ ثم انتهوا عما وراءه.

وأوصيكم أن لا تداينوا ولو لبستم العباء، فإن الدين ذل بالنهار، وهم بالليل؛ فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم، وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم.

ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين، يحملونكم دين الله، ويفرقون بينكم وبين الله. ولا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع والحيطة فإنه أسلم لكم؛ ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا..

ثم قال: عليكم سلام الله، وأرى ألا تروني بعد يومي هذا، ثم قال:

اللهم تقبل نفسي في رضاك، واجعل الجهاد رحمتي من دار كرامتي عندك[1].

- ٢ -

عقبة يخطب في جيش المسلمين، وهو يستعد لملاقاة الأعداء في زحفه الكبير إلى شاطئ المحيط الأطلسي[2]:

أيها الناس: إن أشرافكم وخياركم، الذين رضي الله عنهم، وأنزل عليهم كتابه، بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان على من كفر بالله إلى يوم القيامة، فهم أشرافكم والسابقون منكم للبيعة، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة، وأنتم اليوم في دار غربة، وإنما بايعتم رب العالمين، فقد نظر إليكم في مكانكم هذا، ولم تبلغوا هذه البلاد إلا طلباً لرضاه، وإعزازاً لدينه، فأبشروا، فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل إن شاء الله تعالى، وربكم عز وجل لا يسلمكم فاصبروا والقوهم بقلوب صادقة، فإن الله تعالى جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه.

- ٣ -

عقبة بن نافع على شاطئ المحيط الأطلسي يقحم فيه فرسه، وينادي بأعلى صوته، وهو يشير بسوطه:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال له بعض أصحابه: على من تسلم يا ولي الله؟

فقال: على قوم يونس من وراء هذا البحر، ولولا هذا لوقفت بكم عليهم.

---

(١) راجع صـ ١٩ الدرر السنية للإمام السنوسي.

(٢) صـ ٢٠ المرجع السابق.

ثم رفع يديه إلى السماء وقال:

اللهم اشهد، إنى قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل من كفر بك، حتى لا يعبد أحد من دونك[1]،

وفى طريق عودته إلى القيروان قتل وهو يقاتل جموعاً غفيرة من الأعداء وذلك عام ٦٢ هـ[2].

- ٤ -

ولى موسى بن نصير إفريقية عام ٨٩ هـ ففتح المغرب كله، وولى طارق ابن زياد البربرى على ولاية طنجة، وترك موسى معه عدداً قليلاً من العرب يعلمون البربر القرآن وفرائض الإسلام، وبعد قليل أصدر أمره إلى طارق بغزو الأندلس، وعبر طارق بجيشه البحر، وصعد إلى جبل سمى جبل طارق عام ٩٢ هـ، وسار إليه لذريق ملك أسبانيا فى جيش كثيف، فلما بلغ طارقاً ذلك، قام فى أصحابه فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطبهم خطبته المشهورة: «أيهاالناس[3]، أين المفر، والبحر من ورائكم، والعدو أمامكم، فليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام...»

وهذه الخطبة الطويلة المأثورة أثر من بلاغة العرب فى المغرب، سواء كان خطب بها طارق فى الأندلس، أو كان خطب بها فى طرابلس، وقد سلفت بنصها الكامل كما وردت فى وفيات الأعيان وفى نفح الطيب وغيرهما من المصادر الأدبية.

---

(١) صـ ٣١ المرجع السابق.

(٢) ٩٢: ١ حسن المحاضرة للسيوطى.

(٣) راجعها فى جميع كتب الأدب والتاريخ، وفى صـ ٣٣ الدرر السنية.

الفصل الثالث

مقومات الأدب العربي في ليبيا
في هذا العصر

- ١ -

ظهر الأدب العربي فى هذا العصر فى ليبيا العربية بإقليميها: برقة وطرابلس، وذلك بتأثير العوامل الجديدة التى من أهمها:

١ ـ الفتح العربى الإسلامى لليبيا، واستقراره نهائياً قبل نهاية القرن الأول الهجري.

٢ ـ هجرة القبائل العربية المتتالية من الحجاز ونجد واليمن إلى سهول وجبال وصحارى ليبيا العربية.

٣ ـ إنشاء المساجد واتخاذها حلقات علمية فى طرابلس ودرنة وغيرهما من مدن ومعاقل ليبيا، وكان جامع الناقة الكبير فى طرابلس أول المساجد التى أنشئت فى طرابلس.

٤ ـ إقامة الجنود الفاتحين فى ليبيا، ومنهم أعلام مشهورون من الصحابة والتابعين، واتخاذ طرابلس أول الفتح مقراً للحكم الإسلامى فى الشمال الإفريقى كله.

٥ ـ هجرة كثير من دعاة الفرق والمذاهب الدينية والسياسية إلى ليبيا فراراً من جور الخلفاء وبطشهم، ويقص التاريخ علينا هجرة كثير من الشيعة والخوارج والمعتزلة إلى هذه البلاد ومن الذين قدموا إلى ليبيا سلمة بن سعيد الذى وفد على هذه البلاد فى أوائل المائة الثانية لنشر المذهب

الإباضى والدعوة إليه.

٦ - هجرة المسلمين الأولين إلى طرابلس ودرنة وزويلة وغيرها واتخاذ كل مكان نزلوا فيه مركزاً ثقافياً عربياً إسلامياً، وقد عنى عمر بن عبد العزيز ببعث الصحابة والتابعين إلى الشمال الإفريقى لتعليم أهله فروض الإسلام ولغة الكتاب الحكيم.

٧ - اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للحكم الإسلامى فى ليبيا، فهى لغة الوالي والقواد والجنود والعرب المهاجرين، ولغة الدولة ولغة العلم والدين والثقافة، وهى أولا وقبل كل شىء لغة القرآن الكريم.

- ٢ -

وكان العربى حيثما ينتقل من الجزيرة العربية تنتقل معه لغته وأدبها، لذلك كان الكثير من الولاة وقواد الفتح والجنود والعرب المهاجرين، ومن الصحابة والتابعين، بلغاء مقاول، وفصحاء موهوبين، وطالما نطقوا فأبانوا، وقالوا فأفصحوا، وعبروا عن كل ما يختلج فى نفوسهم، ويتصل بمشاعرهم، ووصفوا الفتح ومعاركه، والمدن الجديدة التى نزلوها، وأجواءها ومشاهدها، وحنينهم إلى الوطن العربى الأم؛ كما تحدثوا عن آمالهم وآلامهم؛ وكان الأدب العربي على ألسنة قواد الفتح فى هذا العصر يتمثل فى الخطب الحماسية التى يلقونها فى الجنود، يرغبونهم فى الجهاد فى سبيل الله، والاستشهاد من أجل دينه، أو يبشرون فيها بنصر، أو يوجهون بها الجنود لخطط المعركة وسير أحداثها؛ وفى غير ذلك من الشئون والأغراض.

وإذا كان الكثير من نصوص هذا الأدب لم يدون، أو دون وفقدت مصادره، فإن ما بقى منه هو صورة موجزة تمثل الأدب العربى فى ليبيا العربية المسلمة فى هذا العصر البعيد.

ومن الضرورى أن يتعلم بعض شباب البربر من السكان الأصليين، من الأسرى وغيرهم، فى طرابلس وغيرها من مراكز الدعوة الإسلامية الجديدة اللغة العربية والدين الإسلامى وآداب العرب وبلاغتها، على أيدى جلة

العلماء المسلمين فى هذا العصر، وعلى أيدى الدعاة إلى المذاهب والفرق الإسلامية الذين كثروا فى ليبيا فى هذا العهد، وأن ينبغ بعضهم فى اللغة والبلاغة والفصاحة والأدب، ومنهم طارق بن زياد الذي تروى بلاغته العربية فى خطبته المشهورة التي خطب بها جنده فى بدء الفتح العربى للأندلس.

هذه وغيرها هى مقومات الأدب العربي الجديد فى ليبيا، الذى ظهر لأول مرة فى هذه البلاد، فى عصر الولاة الأمويين والعباسيين.

- ٣ -

ولا نخص بذلك كله النثر دون الشعر، فهما فى الحكم سواء، فكما عبر العربي فى هذا العصر عن أغراض الكلام بالنثر، كذلك عبر بالشعر فى وصف المعارك، والدعوة إلى الجهاد، وتحميس الجند، والحض على النضال والقتال، وفى وصف الحنين إلى الوطن وذكرياته وأحبابه، وفى كل ما يحتاج العربي للشعر فيه من دواع وأغراض.

وكما رحل الشعراء من الحجاز إلى مصر كنصيب وجميل وكثير وغيرهم، كذلك رحلوا إلى ليبيا مقيمين حينا، وزائرين حينا آخر.

ومن نصوص الشعر العربي القديم فى ليبيا ما وجد منقوشاً على قبر عتيق بمقبرة المنيذر الصحابى الجليل المدفون بطرابلس عام ٩٦هـ، فقد وجد عليه هذان البيتان:

هى فى جوارك يا منيذر فاحمها ... ومن المروءة أن يعز الجار
حاشا لفضلك يا رفيق محمد ... من أن تمس مجاوريك النار[1]

ولا يعرف تاريخ كتابة هذين البيتين.

ومن آثار شعر الفتح الإسلامى العربى لليبيا أبيات لأبى ذؤيب الهذلى

(١) ١: ٥٥ المنهل العذب، وراجع فى ترجمة المنيذر صـ ٦٤ من كتاب «نفحات النسرين والريحان»، لأحمد النائب.

يمدح فيها عبد الله بن الزبير أحد قادة الفتح، والذى تولى قتل جرجير بعد معارك دامية، ويقول أبو ذؤيب من هذه الأبيات:

وصاحب صدق كسيد الضرا ءينهض فى الغزو نهضاً نجيحاً
وشيك الفضول بطىء الفقو ل إلا مشاحاً به أو مشيحاً[1]

ويبدو أن الفاتحين فى معارك الفتح الإسلامى للشمال الإفريقى، كان أكثرهم من اليمن القحطانيين، فلم يؤثر لهم نشاط كبير فى مجال الشعر والبلاغة أثناء الفتح الإسلامى فى شمال أفريقيا، وكانت أكثر القبائل المهاجرة إلى هناك من اليمن؛ والشعر فى مضر لا في اليمن[2].

ومن قصيدة لشاعر ليبيا الكبير أحمد الشارف عنوانها «أمة ومجد» يقول الشاعر:

حيوا بنى وطنى من أمة العرب تمثلت فيهمو روح من الأدب
لا غرو أن يدعى الليبى أن له ما للعروبة من مجد ومن حسب
لديه من لغة القرآن معجزة تلوح كالدر كالياقوت كالذهب[3]

(١) ١٣٥ و١٣٦: ١ ديوان الهذليين، ٦: ٢٦٦ الأغانى (دار الكتب)، ٢: ٦٣٥ ابن قتيبة.
(٢) ١٦٦ ـ ١٦٨ شعر الفتوح الإسلامية ـ النعمان عبد المتعال القاضى ـ الدار القومية ١٩٦٥.
(٣) ٩٠ أحمد الشارف المصراتى ـ ط بيروت ١٩٦٣.

الباب الثاني

الأدب في ليبيا

في عهد الأغالبة

١٨٤ ـ ٢٩٦ هـ: ٨٠٠ ـ ٩٠٨ م

الفصل الاول

ليبيا العربية في عهد الأغالبة

- ١ -

بعد الفتح الإسلامى لليبيا صار أمرها بيد وال عربى يعينه خليفة المسلمين ويعاونه فى حكم البلاد الجيش العربى الفاتح ورؤساؤه من القواد، ثم زعماء القبائل العربية التى بدأت تهاجر من جزيرة العرب عن طريق مصر إلى هذه الديار، ثم الموظفون الكبار الذين كان الخليفة يعينهم ليساعدوا الوالى العربى فى الحكم.

وتتابع الولاة من قبل خلفاء بنى أمية، فخلفاء بنى العباس كما أسلفنا.

وفى عهد الرشيد ولى الخليفة على أفريقيا، هرثمة بن أعين القائد (ربيع الأول ١٧٩ هـ - رمضان ١٨١ هـ)، فأشار على الخليفة الرشيد أن يخلفه إبراهيم بن الأغلب فى حكم البلاد، الذى لم يل أمورها أحسن سيرة ولا سياسة منه[١]، ففى عام ١٨٤ هـ جعل الرشيد الحكم لابن الأغلب طيلة حياته، ويظل يتوارث فى أسرته فى ظلال النفوذ العباسى، فظهرت بذلك دولة الأغالبة العربية التى استمرت أكثر من قرن من الزمان (١٨٤ - ٢٩٦ هـ)، وكانت عاصمتها القيروان، وتشمل ليبيا وتونس وجزءاً من الجزائر - مقاطعة قسطنطينة - ونقل ابن الأغلب دواوين الدولة إلى مدينة جديدة أنشأها فى

---

(١) راجع ابن الأثير ٦: جـ٥، تاريخ الإسلام السياسى ٢: ١٧٩.

ضواحي القيروان سماها «العباسية»، وتعاقب على حكم هذه البلاد أحد عشر أميراً[1].

وكان يحكم ليبيا ولاة عرب من قبل الأمير الأغلبي، ومنهم سفيان بن المضاء والي طرابلس في عهد إبراهيم بن الأغلب[2]، وإبراهيم بن سفيان التميمي الذي تولى طرابلس بعده، وعبد الله بن محمد بن الأغلب، ومحمد ابن قهرب، وغيرهم.

وفي عهد الأغالبة استحكمت الصبغة العربية للبلاد، وعمها الأمن والرخاء، وكان لهم قوات برية وبحرية قوية، واحتل الأغالبة صقلية عام ٢١٢ هـ، ثم مالطة وجنوبي إيطاليا حتى هددوا مدينة روما، وأغاروا على جنوبي فرنسا، وأصبح البحر الأبيض بفضلهم بحيرة عربية إسلامية، ونشروا الثقافة العربية الإسلامية في صقلية وجنوبي إيطاليا: نابلي وروما، وفي عهد أبي الغرانيق أسندت ولاية إيطاليا لخفاجة ففتح جنوة عام ٢٥١ هـ[3] واستولى حاكم صقلية محمد بن خفاجة على مالطة عام ٢٥٥ هـ، وكانت طرابلس محطة بحرية ضخمة لأساطيل الأغالبة[4] وغزا الأغالبة فرنسا، وتقدموا إلى مرسيليا.

- ٢ -

ازدهرت ليبيا في عهد الأغالبة، وصارت معقلاً من معاقل الحضارة

---

(١) منهم: إبراهيم بن الأغلب (١٨٤ - ١٩٦ هـ)، وعبد الله بن الأغلب (١٩٦ - ٢٠١ هـ)، وزيادة الله الأول (٢٠١ - ٢٢٣ هـ)، والأغلب أبو عقال (٢٢٣ - ٢٢٦ هـ)، وابنه أبو العباس محمد (٢٢٦ - ٢٤٢ هـ)، وأحمد بن محمد (٢٤٢ - ٢٤٩هـ)، وأبو الغرانيق محمد زيادة الله الثاني (٢٤٩ - ٢٥٠ هـ)، ثم محمد الثاني (٢٥٠ - ٢٦١هـ)، فإبراهيم (٢٦١ - ٢٨٩ هـ)، ثم عبد الله (٢٨٩ - ٢٩٠ هـ) وزيادة الله (٢٩٠ - ٢٩٦ هـ)، وفي عهده فتح الفاطميون البلاد واستولوا على مقاليد الحكم فيها.

(٢) صـ ٦٠ المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب.

(٣) راجع تاريخ غزوات العرب صـ ١٥٢، وكتاب المجمل في تاريخ ليبيا صـ ٧٣.

(٤) راجع صـ ١٢٠ دراسات في التاريخ اللوبي لبعيو.

والإسلام، وانتظم فيها التعليم، في الكتاتيب والمساجد والمدارس، وأنشئت المكتبات العامة، وظهر كثير من العلماء منهم عبد الوهاب القيسي الزاهد (٢٠٠ هـ)، وعبد الله الشعاب (٢٤٣ هـ) ولكل منهم مسجد باسمه في طرابلس.

وقد نهضت الآداب في عهد الأغالبة، وكثر الأدباء والشعراء[١] في ليبيا، بل في المغرب العربي كافة[٢]، ولما فر زيادة الله الثالث آخر ملوك الأغالبة من مدينة رقادة[٣] أمام زحف أبي عبد الله الشيعي عام ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م حمل معه ما خف وزنه وغلا ثمنه، ثم ركب فرسه وتقلد سيفه، وقدم الأحمال تمر بين يديه هارباً على عيون أهله وولده، فأخذت جارية من جواريه عوداً ووضعته على صدرها، وغنته لتحركه على حملها معه فقالت:

لم أنس يوم الوداع موقفها وجفنها في دموعها غرق
وقولها والركاب سائرة تتركنا سيدي وتنطلق
استودع الله ظبية جزعت للبين والبين فيه لي حرق

فدمعت عينا زيادة، وشغله سوء الموقف عن حملها معه، وخرج من مدينة رقادة، ولحق بمدينة طرابلس[٤]؛ فمكث فيها سبعة عشر يوماً ذهب بعدها إلى مصر، وفيها مات، وتفرق الأغالبة في نواحي البلاد.

---

(١) راجع كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان فيها من اخبار لابن غلبون، وكتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لأحمد الأنصاري.
(٢) يراد بالمغرب في عرف المؤرخين القدماء ما وراء الاسكندرية غرباً إلى ساحل المحيط الأطلسي (راجع ١٠ الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية للإمام محمد بن علي السنوسي ط، ١٩٦ بالقاهرة).
(٣) كانت مقراً للإمارة منذ عهد إبراهيم الثاني الأغلبي (٢٦١ - ٢٨٩ هـ).
(٤) ٣: ١٦١ تاريخ الإسلام السياسي - حسن إبراهيم حسن.

وكما استطاعت هذه الدولة تحقيق الأمن والرخاء فى البلاد، وزيادة قواتها العسكرية البرية والبحرية الضاربة، ونشر الحضارة بمختلف فنونها ومظاهرها فى أنحاء الدولة.. فقد عنيت بالجوانب الفكرية والثقافية والأدبية عناية كبيرة، فأصبحت مدينة القيروان فى هذا العصر معقلاً من معاقل الحضارة الإسلامية، ومنبعاً من منابع الفكر العربي، فانتظم التعليم فى الكتاتيب والمساجد والجوامع، وتكونت المكتبات العامة التى تضم الكثير من الكتب الدينية والعربية والأدبية والعلمية، وزادت العناية بالفن المعمارى الذى تمثل بعظمته وأبهته فى قصور الملوك الأغالبة بالقيروان[1]، وظهر فى ذلك العصر من العلماء القاضي أسد بن الفرات (المتوفى ٢٢٠ هـ)، والقاضي سحنون (المتوفى عام ٢٤٠ هـ) من أئمة المذهب المالكى.

- ٣ -

ولقد كان معظم عرب برقة من قبائل بنى سليم؛ أما عرب طرابلس فأغلبهم، وخاصة فيما بعد عهد الأغالبة من عصور، من عرب بنى هلال الذين انتشروا فى طرابلس وتونس، وتحتفظ طرابلس حتى يومنا هذا ببقية من العنصر البربرى بين سكانها[2]، كما نزح إليها بعض الأقباط الذين كان كلامهم بالقبطية[3] في القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى)، وكانت قبيلة المجابرة سكان واحة جالو، وقبيلة زوية سكان واحة جخرة، من أشهر القبائل فى برقة نشاطاً تجارياً وإلماماً بطرق القوافل[4]؛ ولشهرة ليبيا بالقوافل التجارية منذ القدم نجد التمازج بين سكانها واضحاً، ولولا هذه

---

(١) أنشأ الأغالبة فيها معهداً لدراسة الرياضيات والطب والصيدلة ولترجمة الكتب اللاتينية، وسمي هذا المعهد بيت الحكمة. ومن الأطباء فى عهدهم أحمد بن الجزار.

(٢) ٩٨ دراسات فى التاريخ الليبى لمصطفى بعيو، وراجع كتاب المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكرى طبع الجزائر عام ١٨٥٧ م.

(٣) صـ ٥ المغرب للبكرى.

(٤) ٢٠٥ دراسات فى التاريخ الليبى لبعيو.

القوافل لكانت تلك الواحات المنتشرة فى الصحراء الجنوبية أحسن ما يمثل مناطق العزلة فى التكوين البشرى، ولكن بسبب هذه القوافل التجارية اختلط السكان بعضهم ببعض، وتأثروا بما تأثرت به الجهات الساحلية الشمالية من عناصر أجنبية طارئة، بل كان تأثر الجهات الجنوبية بالعنصر العربي - بعد الفتح الإسلامى - بما في ذلك واحات إقليم فزان، عظيماً، حتى إن الدم العربي انتشر جنوباً بشكل واضح، وظهرت آثاره فى ملامح السكان، وما زالت بعض القبائل إلى يومنا هذا تحتفظ بأنسابها العربية، وكثير من أفرادها ينتمون إلى البيت النبوى الشريف، وقد حملت هذه القوافل - فيما حملت معها من بضائع - هذه الدماء العربية ووصلت بها جنوباً إلى السودان، حيث انتشرت واستقرت، وكذلك بالمثل فيما يتعلق بنشر اللغة العربية، فإنه يرجع إلى تجارة القوافل الفضل الأكبر فى نشرها في الصحراء والوصول بها إلى مشارف السودان؛ وكذلك كان التجار المرافقون للقوافل التجارية خير دعاة للإسلام، فسرعان ما انتشر جنوباً، وإذا كانت القوافل التجارية فى إقليم ليبيا قد ساعدت على نشر الدم العربي واللغة العربية، فإن نجاحها فى نشر العقيدة الإسلامية كان أكثر حتى اليوم، إذ نرى الدين الإسلامى منتشراً فى جهات جنوبية نائية على الرغم مما يقف دون ذلك من مصاعب وعراقيل[1].

- ٤ -

ولقد كانت الصلات قوية آنذاك بين ليبيا وصقلية وكثير من جزر البحر الأبيض المتوسط التى خضعت لحكم المسلمين مدة طويلة وخاصة فى هذا العصر، واستمرت هجرة المسلمين من ليبيا إلى هذه الجزر، وسار كثير من العلماء إليها ينشرون فيها الإسلام ولغته وثقافاته، وكان فاتح صقلية هو الإمام الفقيه الورع أسد بن الفرات عام ٢١٢ هـ، وفاتح جزيرة كريت هو الإمام أبو حفص عمر بن شعيب، واستقرت اللغة والثقافة العربية فى

(١) ٢٠٧ و٢٠٨ دراسات فى التاريخ اللوبى لبعيو.

صقلية، ونبغ فيها الكثير من العلماء والأدباء، فى عصور ازدهار الثقافة العربية فيها[1]، ووصلت الثقافة العربية عن طريقها إلى أوربا، ومهد الأساتذة العرب فى صقلية لنهضة أوربا.

ـ ٥ ـ

وزاد من تمكن العربية وآدابها فى ليبيا فى عهد الأغالبة أن أمراء الدولة كانوا عرباً، يهزهم البيان الجيد، وتدفعهم أريحيتهم إلى تقريب الأدباء والشعراء إليهم، بل كان الكثير منهم أدباء وشعراء؛ فإبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة كان على ما وصفه ابن عذارى[2] ـ فقيهاً أديباً شاعراً خطيباً كما كان ذا رأى ونجدة وحزم وبأس، وعلم بالحروب ومكايدها، وكذلك كان أبناؤه من بعده مثله طلاقة لسان وقوة بيان وتشجيعاً للأدب، وتقريباً للأدباء والشعراء، وكان الأغالبة يشجعون الفنون كما كانوا يشجعون الآداب، وقد وفد عليهم زرياب المغنى، ونزل فى القيروان على أميرها زيادة الله الأول (٢٠١ ـ ٢٢٣ هـ)، ثم تاقت نفسه إلى الذهاب للأندلس وكتب إلى الحكم بذلك فبعث إليه يرحب به في بلاده فذهب إليها عام ٢٠٦ هـ وأقام فى قرطبة فى ظلال أميرها الأموى الجديد عبد الرحمن بن الحكم، وكان زرياب تلميذاً لإسحاق الموصلى وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الشعر بألحانها، وكان لذلك زرياب شاعراً مطبوعاً وأديباً بليغاً[3].

---

(١) من بينهم بعد العصر الأغلبى: ابن القطاع الصقلى (٤٢٣ ـ ٥١٥ هـ)، ومحمد بن ظفر الصقلى (٥٦٥ هـ)، وأبو محمد بن سابق الصقلى (٤٩٣ هـ)، وابن حمديس الصقلى الشاعر (٤٤٧ ـ ٥٣٧ هـ)، ومصعب القرشى (٤٢٣ ـ ٤٧٠ هـ).. وقد سقطت صقلية فى أيدى النورمانديين عام ٤٦١ هـ، وظلت العربية منتشرة فيها بعد ذلك، حتى ليروى ابن جبير (٥٤٠ ـ ٦١٤ هـ) فى رحلته أن ملك الجزيرة يقرأ ويكتب بالعربية (٣٠٨ و٣٠٩ رحلة ابن جبير).

(٢) البيان المغرب جـ ١ صـ ٨٠.

(٣) راجع ٤٠٢ ـ ٤٠٥: ٢ تاريخ الإسلام السياسى ـ حسن إبراهيم حسن، صـ ٩٢ ـ ٩٨ جـ ١ قصة الأدب في الأندلس للمؤلف في وصف رحلة زرياب إلى الأندلس.

وهكذا كانت القيروان تحاكى بغداد فى زعامة الحركة العلمية والأدبية والحضارية فى المغرب العربي الكبير ومن بينه الوطن الليبى، وشاركتها طرابلس فى حمل عبء الثقافة.

- ٦ -

أشهر العلماء والأدباء فى عهد الأغالبة

نبغ فى عهد الأغالبة الكثير من العلماء والأدباء من أشهرهم.

١ - إبراهيم بن حسان الأطرابلسي، مولى عبد الرحمن بن معاوية، توفى فى رحلته إلى المشرق عام ٢١٨ هـ[١].

٢ - إبراهيم بن حماد، مولى ينسب إلى زياد بن حبش من برقة، وهو محدث، مات بمصر عام ٢٤٥ هـ[٢].

٣ - إبراهيم البرقى: من الفقهاء من أصحاب مالك أخذ الناس عنه بمصر، وتوفى عام ٢٤٥ هـ[٣].

٤ - إبراهيم الغافقى الأطرابلسى قاضى طرابلس توفى عام ٢٥٣ هـ بالمغرب[٤].

٥ - خيثمة بن سليمان المحدث (٢٥٠ - ٣٤٣ هـ)[٥].

٦ - سعيد بن خلف السرق المحدث، رحل إلى مكة ومصر وقرطبة وكان أديباً معدوداً من العلماء[٦].

٧ - العباس بن محمد الصوفى (٢١٣ - ٣٠٩ هـ)[٧].

---

(١) ٢: ١٧ تاريخ العلماء، ٥ أعلام من ليبيا للزاوى.

(٢) ٦ أعلام من ليبيا.

(٣) صـ ٨ المرجع.

(٤) صـ ١٣ المرجع.

(٥) ١٠٦ المرجع، ٣: ٣١٢ النجوم الزاهرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة.

(٦) ١: ٢٠٩ تاريخ العلماء، ١٢٥ أعلام من ليبيا.

(٧) ١٤٦ - ١٤٨ أعلام من ليبيا.

٨ ـ عبد الجبار بن خالد السرتي الفقيه الورع (١٩٤ ـ ٢٨١ هـ) ولما ختن الأمير إبراهيم بن الأغلب أولاده، دعا عبد الجبار ليدعو لهم، فقال له: أيها الأمير، قد أنعم الله عليك بهؤلاء البنين، وعلمتهم كتاب الله، وأحييت فيهم سنة رسوله، وبلغني أنك بالغت فى الطعام، ودعوت إليه الأغنياء، فلو استكملت هذه المسرة ودعوت إليه الفقراء، فقال له الأمير: صدقت، وأعطاه خمسين ألف دينار، وقال له: تصدق بها على الفقراء[١].

٩ ـ عبد الرحيم البرقى المحدث توفى عام ٢٨٦ هـ[٢].

١٠ ـ عبد السلام البرقى ولى قضاء برقة ليزيد بن حاتم عام ١٥٥ هـ، وعمر طويلاً[٣].

١١ ـ عبد الكريم البرقى المحدث مات قريباً من عام ٢٣٠ هـ[٤].

١٢ ـ عبد الله الكوفى الاطرابلسي وهو وبيته من المحدثين[٥].

١٣ ـ عبد الله بن محمد البرقى من فقهاء المالكية ومن المحدثين مات عام ٢٩١ هـ[٦].

١٤ ـ عبد الله الشعاب الزاهد الصوفى توفى ٢٤٣ هـ بطرابلس[٧].

١٥ ـ علي بن زياد الفقيه شيخ المغرب، سمع من مالك والليث والثورى[٨].

١٦ ـ محمد بن ربيعة الحضرمى الطرابلسى روى عن مالك[٩].

١٧ ـ محمد بن صدقة الأطرابلسى المرادى، كان عالماً بالعربية يتقعر في كلامه، وكان يقرض الشعر[١٠].

---

(١) ١٤٩ و١٥٠ المرجع، ١: ٨٥ ـ ٩١ المنهل العذب.
(٢) ١٦٩ أعلام من ليبيا.
(٣) راجع ١٧٣ المرجع.
(٤) ١٨٤ المرجع.
(٥) ١٨٨ المرجع.
(٦) ١٩٣ و١٩٤ المرجع.
(٧) ١٩٦ أعلام من ليبيا، و١: ١٧٩ المنهل العذب، ٦٧ نفحات النسرين والريحان.
(٨) ٢٠٧ المرجع.
(٩) ٢٧٥ المرجع، ٢٠٤ رياض النفوس.
(١٠) بغية الوعاة للسيوطى، ٢٧٦ أعلام من ليبيا.

١٨ ـ محمد بن سالم الطرابلسي كان مترسلاً شاعراً صاحب نحو ولغة مع علم بالجدل ونظر فيه، وكان معتزلياً[١].

١٩ ـ محمد بن غلبون[٢].

٢٠ ـ محمد بن عبد الله السبرقي من أصحاب الحديث، وتوفى عام ٢٤٩ هـ[٣].

٢١ ـ محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي المحدث روى عن مالك وغيره[٤].

٢٢ ـ أبو الأسود موسى القطان الطرابلسي قاضي طرابلس (٢٣٢ ـ ٣٠٦ هـ)، وله أحكام القرآن في ١٢ جزءاً[٥].

٢٣ ـ يونس الأطرابلسي المؤدب توفى عام ٣٠٥ هـ[٦].

دعبل الخزاعي في برقة

دعبل الخزاعي الشاعر العباسي المشهور (١٥٩ ـ ٢٤٩ هـ) صاحب القصائد الرنانة في آل البيت، والذي طار ذكره في الهجاء السياسي[٧]، ويذكر البكري الجغرافي الرحالة العربي أن قبر دعبل في زويلة[٨]، ويروى بيت بكر

---

(١) ٢٧٥ أعلام من ليبيا.

(٢) ٢٨١ المرجع.

(٣) ٢٨٢ المرجع.

(٤) ٢٩٧ و٢٩٨ المرجع.

(٥) ٣٥١ و٣٥٢ المرجع.

(٦) ٣٦٥ المرجع.

(٧) راجع ١١ : ١٠٨ معجم الأدباء لياقوت، والجزء الثامن عشر من الأغاني، ٢ : ١٠٢ شذرات الذهب، ودائرة معارف البستاني المجلد السابع (مادة دعبل)، ومعجم البلدان في زويلة (بوزن سفينة)، وغيرها.

(٨) أثبت هذه المدينة الرحالة الإدريسي في خريطته، وسماها المؤرخون العرب «زويلة بني الخطاب» إذ كانت عامرة في عهد بني الخطاب الهواريين، وقد فتحها عقبة بن نافع وكان أول حاكم عربي لها، وتعتبر من أرض فزان وبينها وبين مدينة «مرزوق» نحو ١٥٠ ك.م، وزويلة فوق «ودان» وهي أقرب إلى أجدابية، وفيها مات كثير من الصحابة والتابعين والأشراف. =

ابن حماد الشاعر[1] فى ذلك وهو:

المـوت غـادر دعـبلاً بـزويـلة   فى أرض بـرقـة أحمـد بـن خصيب

وقد كان دعبل ولى ولاية أسوان فى مصر، ولكنه تركها واتجه إلى ليبيا يقصد زويلة وأشرافها من آل البيت لمجد يناله لديهم، ومات بها[2].

وزويلة فتحها عقبة من بين ما فتح من مدن فزان عام ٦٥٠ م، وما إن حل مطلع القرن الثامن الميلادى حتى كانت زويلة وفزان كلها قد دانتا بالإسلام وآل حكم المنطقة إلى بنى خطاب، وهى أسرة تنتمى إلى قبيلة هوارة اتخذت زويلة عاصمة لها ومقراً لسلاطينها، والقبور الثمانية الجميلة التى تقوم على حدود المدينة هى دون شك آثار أولئك الملوك الذين حكموا هناك، وكان آخرهم محمد بن عبد الله بن خطاب، ويقول المؤرخ العربي ابن خلدون إن هذا الملك لقى حتفه (عام ١١٩٠ للميلاد) على يد قراقوش الغزى الذى تولى بعده حكم فزان.

ولا يرد أى ذكر لزويلة خلال السنوات الستمائة التالية، إلى أن حط فيها أول أوروبى منذ الفتح الرومانى رحاله. وكان هذا الأوروبى رحالة ألمانيا اسمه فردريك هورنمان، جاء فى قافلة من القاهرة فى طريقه إلى نهر النيجر عام ١٧٩٦. ولسوء الحظ، لم يعد هورنمان إلى أوروبا ليكتب عما شاهد فى تلك الرحلة المدهشة؛ إذ لقى حتفه فى مكان ما بنيجيريا، إلا أنه أرسل من مرزوق وصفاً موجزاً لزويلة يقول فيه:

= وقد ظل حكم بنى الخطاب الهواريين لها حتى عام ٥٦٨ هـ - ١١٧٢ م (راجع ٢٤ تاريخ الفتح العربى فى ليبيا للزاوى).

(١) هو بكر بن حماد بن سهل الزناتى، شاعر أديب مشهور كان من الخوارج (إباضى) المذهب أو (صفري) الرأي، ولد فى تاهرت بالجزائر ورحل إلى الشرق عام ٢١٧ هـ، ومدح الخلفاء ونال جوائزهم، وهجا دعبلا شر هجاء، ثم عاد إلى أفريقية يقصد القيروان عاصمة الأغالبة آنذاك، وقتل ابنه فى الطريق، وكان يفتك به هو، حتى وصل تاهرت.

(٢) راجع فى تحقيق ذلك كله ٢٥ - ٢٣ لمحات أدبية عن ليبيا - على مصطفى المصراتى.

«هذه الواحة المزدهرة كانت فى وقت ما ملتقى القوافل من الشرق والغرب ومقر السلطان، وبالقرب من مركز المدينة يقوم حصن ضخم، بينما يوجد خارج الأسوار مسجد قديم، لم يلحق به سوى قليل من التلف، يحكى روعة زويلة القديمة، ويقوم في وسطه صحن كبير تحيط به أعمدة مهيبة، وإلى شرقى المدينة تقوم قبور الأشراف الذين ماتوا فى ساحة القتال عندما هاجم الكفار بلادهم».

والمهم فى هذا الوصف هو إشارة هورنمان إلى أن المسجد لم يكن قد لحق به سوى قليل من التلف عندما شاهده. أما اليوم، فلم يبق من هذا البناء سوى عقد أو عقدين يذكران المشاهد بمعمار الكنائس المسيحية.

الفصل الثاني

الأدب فى ليبيا فى عهد الأغالبة

زاد تمكن اللغة العربية فى ليبيا فى عهد الأغالبة لقدم الفتح العربى لهذه البلاد، وكثرة الهجرات العربية إليها، وكثرة ما أسس فى أنحائها من مدن ومدارس ومساجد تقوم بنشر اللغة العربية والدين الإسلامى بين السكان الأصليين فى أرض ليبيا العربية، ولرحلات العلماء من المشرق وقيامهم برسالة ثقافية ولغوية ودينية جليلة بين سكان هذه البلاد ولنشوء أجيال من الشباب العربى فى ليبيا، لغتهم هى اللغة العربية، ودينهم هو الإسلام، سواء كانوا من أصول عربية أم من سلالات السكان الأولين فى ليبيا، ثم لرعاية هذه الدولة وملوكها للغة العربية لغة القرآن الكريم.

ولقد ازدهر الأدب العربى فى ليبيا فى عهد الأغالبة، تبعاً لازدهار اللغة العربية والثقافة العربية فى هذا العصر، فنهض الأدب، وكثر الأدباء والشعراء، وبخاصة أن أمراء هذه الدولة كانوا عرباً، يهزهم البيان الجيد، والشعر البليغ، بل كان الكثير منهم أدباء وشعراء، فكان إبراهيم بن الأغلب رأس هذه الدولة أديباً شاعراً خطيباً، وكذلك كان أبناؤه من بعده مثله طلاقة لسان وبلاغة بيان، وتشجيعاً للأدب، ورعاية للأدباء والشعراء. وكانت رعايتهم للفنون تشبه رعايتهم للآداب، فأسسوا فى مدن دولتهم القصور والمساجد وأنشأوا المدن الفخمة، والحدائق والميادين والآثار العظيمة، ونزل فى رحابهم الكثير من العلماء والأدباء ورجال الفنون.

وحاكت القيروان بغداد وقرطبة فى زعامة الحركة الحضارية والعلمية والأدبية فى شمال أفريقية وشاركتها فى ذلك طرابلس وغيرها من مدن المغرب.

وفى ظلالهم عاش إبراهيم بن أحمد الشيباني الذى توفى بالقيروان عام ٢٩٨ هـ، وكان يكتب للأغالبة وكان أيام زيادة الله على بيت الحكمة، وأدخل فى إفريقية رسائل المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم، وله تآليف كثيرة[1].

ومن الأدباء والشعراء فى ليبيا فى عهد الأغالبة:

١ ـ محمد بن سالم الطرابلسى وكان كاتباً شاعراً أديباً.

٢ ـ بكر بن حماد وهو شاعر أديب مشهور.

٣ ـ محمد بن صدقة الأطرابلسى المرادى، وكان عالماً بالعربية، وشاعراً مجيداً ـ كما يقول السيوطى (٩١١ هـ) فى «بغية الوعاة».

وفى «البيان المغرب فى أخبار المغرب» لابن عذارى، كثير من صور الادب فى عهد الأغالبة.

ولإبراهيم بن الأغلب شعر فى زوجه، وكان قد خلفها بمصر ومنه:

ما سرت ميلاً ولا جاوزت مرحلة إلا وذكرك يثنى دائماً عنقى
ولا ذكرتك إلا بت مرتقباً أرعى النجوم كأن الموت معتنقى

هذه صور خاطفة عن الأدب العربى فى ليبيا فى عهد الأغالبة، هذا العصر الذي سجل للعرب والمسلمين مفاخر خالدة، لا تزال ذكراها ماثلة فى كتابات المؤرخين من عرب ومستشرقين حتى اليوم وفى المكتبة العربية الصقلية لميشيل آمارى ـ طبع ليبسك ـ صور كثيرة من مآثر هذه الدولة فى نشر الإسلام واللغة العربية فى صقلية وجنوبى إيطاليا فى القرن التاسع الميلادى.

(١) راجع ٢: ١٣٩ تاريخ الجزائر.

الفصل الثالث

الشعر العربي فى ليبيا فى عصر الأغالبة

كان الشعر أسبق أنواع الأدب ظهوراً، لأنه مظهر الثقافة العربية، ومرآة لحياة العرب العقلية والاجتماعية، يشدو به العربى حيثما نزل وأينما ارتحل، فيذكر فيه ما يمر بخاطره من حب وبغض، ويصف فيه ما يجول بنفسه، وما يراه فى بيئته.

على أن العرب امتزجوا بسكان البلاد، واعتنق الإسلام فريق من السكان الأصليين، فنشأ جيل جديد من المولدين خفت لديه العصبية، ولكنها لم تترك الفخر، فظل يحتل مكانة بارزة فى الشعر، وظل القوم يحتفظون بالتراث العربى وصاروا يتبادلون مع المسلمين بالمشرق آثار القرائح والأفكار من أدب وشعر وتأليف.

وهكذا عندما دخل العرب ليبيا واستراحوا من الغزو، رجعوا إلى طبيعتهم المتأصلة فيهم وهى قرض الشعر، فالشعر هو متعتهم النفسية وغذاؤهم الروحى، ومرآة لحياة العربى الاجتماعية والنفسية يتغنى به فى حله وترحاله. ويذكر فيه ما يمر بخلده من حب وبغض، ويرسم ما يحيط به من جمال الطبيعة وما تلهمه روحه من خيال بديع، فأخذوا يقولونه فى أغراضه التي فشت فى الشرق وفى أغراض أخرى جديدة، وكان من الأسباب التى دعت إلى قيام الشعر فى ليبيا ما علمناه من مؤثرات وعوامل ولا سيما هذه العوامل الثلاثة وهى:

١ ـ طبيعة البلاد وما فيها من المناظر المختلفة، والجبال المكسوة والمروج

الموشاة بألوان الزهر، مما أكسب الوجدان لطفاً، والمعانى دقة، والألفاظ جمالاً وروعة.

٢ ـ عناية الولاة بالشعر حتى أصبح قول الشعر زينة لكل أديب، وجمالاً لكل عالم، أولع به الفقهاء والنحاة والعلماء.

٣ ـ كثرة جمهرة العرب فى ليبيا وتمكن السلطان فى أيديهم، وشدة محافظتهم على تقويم لسانهم.

فعندما أقام العربى فى ليبيا، واستقر فى جبالها، وسهولها، ظهر الشعر العربى فى هذه البيئة التى كانت صورة لبيئة العربى الأولى فى الجزيرة العربية، وأخذ الشعر يذيع بين الناس. . . ولما قام ملك الأغالبة وعظم شأن دولتهم، واتسع نفوذها، وكثرت فتوحاتها، وازدهرت الحضارة فى طرابلس والقيروان فى أيامهم، بدأ الشعر نهضته وازدهاره، وخاصة أن ملوك الأغالبة وجهوا الكثير من عنايتهم إلى الشعراء والأدباء والعلماء، وقامت المكتبات العامة فى عهدهم، وكثرت حلقات العلم والأدب فى كل مكان.

وازدهرت الفنون، وجلب العلماء نفائس المؤلفات والآداب والثقافات من المشرق، ورحل زرياب إلى القيروان فأقام فيها فترة من الوقت قبل أن يرحل منها إلى قرطبة في الأندلس.

وقد حافظ العرب فى ليبيا على تقاليد الشعر العربى وأوزانه وقيود القافية فيه. ونسج الشعراء شعرهم على غرار شعر المشرق وثابروا على النظم فى موضوعاته المختلفة كالغزل والنسيب والمدح والرثاء والفخر.

وبعد تمكن سلطان العرب فى ليبيا، ونقل دواوين المشرق، أخذوا يعنون بالشعر فى أغراض شتى، إذ شملت فنونه كل مرافق الحياة، فنظموا فى كل ما نظم فيه شعراء المشرق من: مدح وهجاء وفخر وحماسة، وتهنئة ورثاء، ووصف، وغزل، وزهد وتصوف.

وأما مميزات الشعر فى ألفاظه وأساليبه: فإننا نرى فى الشعر سهولة فى الألفاظ وسلاسة فى التراكيب.

ويرجع ذلك إلى أن الشعراء لم يحملوا الألفاظ ما لا تطيق من المعانى المزدحمة، فالسر فى هذه السلاسة والعذوبة: سهولةِ طباعهم، ولين أخلاقهم وإرسالهم القول من غير تكلف ولا تصنع، فجاء أكثره جارياً مع الطبع، ولم يبالغوا فى الأخذ بفنون البديع من تورية وجناس وطباق وغيرها، وما كان يقع لهم منه فى عباراتهم جميل مقبول، لأنهم كانوا يأخذون من الأنواع البديعية ما تجود به القريحة من غير تعمل ولا إجهاد خاطر.

وأما مميزاته فى معانيه: فإننا نجدها واضحة جلية بعيدة عن تعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء، لقلة المشتغلين منهم بالحكمة، وبغض العامة لها.. وغلب على الشعر الخيال البديع الذى نشأ فيهم من تأثير الشعر الأندلسى، وساعدهم ذلك على أن يجودوا التشبيه، ويكثروا من استعمال المجاز والكناية فى شعرهم.

ابن سعدون الورجيلى

من شعراء الأغالبة وكان متشيعاً يقول فى حضرة المهدى عبيد الله وأبى عبيد الله الشيعى:

هذا أمير المؤمنين تشعشعت ... لقدومه أركان كل أمير
هذا الإمام الفاطمى ومن به ... أمنت مغاربها من المحظور
يا من تخير من خيار دعاته ... أرجاهم للعسر والميسور

الباب الثالث

الأدب العربي في ليبيا

في العصرين الفاطمي والصنهاجي
٢٩٧ ـ ٥٥٦ هـ

الفصل الاول

الأحداث السياسية فى هذه الحقبة

كان المغرب العربى، ومن بينه الوطن الليبى، مسرحاً للدعوات الدينية والسياسية، فقد هاجرت إليه من المشرق جماعات كثيرة من أصحاب الآراء والمذاهب، ليأمنوا فيه على أنفسهم من بطش الخلافة العباسية، لسعة أرض المغرب وبعده عن بغداد مركز الخلافة، وكثرة ما فيه من جبال وصحارى وواحات لا يهتدى للاجئين إليها.. ومن ثم وجدنا دعوة المعتزلة ودعوات الخوارج وخاصة الإباضية ودعوات العلويين، تنتشر في ربوعه، فقد ذاعت آراء هذه الفرق الدينية والسياسية بسرعة بين قبائل البربر، ووجد البربر فى فرقة الخوارج وصلابتهم فى الدين تلاؤماً مع طبيعتهم، وسرعان ما أقبلوا على اعتناق مذهبهم؛ فانتشر مذهب الإباضية[1] وهم فرقة من فرق الخوارج ـ بين القبائل التى تسكن جنوب المغرب ـ أما قبائل الشمال، مثل: كتامة وصنهاجة وغيرهما، فقد كانت تؤيد آل البيت ودعواتهم، وقامت دولة الأدارسة في فاس (١٧٢ ـ ٣٧٥ هـ)[2]، ثم قامت الدعوة الفاطمية فى المغرب.

ومن الدول المستقلة فى المغرب الدولة الرستمية بتاهرت بالجزائر (١٣٧ ـ ٢٩٧ هـ)[3]، وفى أيامها عاش الشيخ أبو سهل، وكان أفصح أهل زمانه فى اللسان البربرى، وألف به تآليف، وممن عاشوا فى تاهرت بعد الدولة

---

(١) وقد حارب إدريس الثانى (١٧٧ ـ ٢١٣ هـ) ـ وهو من ملوك الأدارسة ـ الصفرية من الخوارج وهزمهم.

(٢) راجع ٢: ٢٢٠ ـ ٢٢٣، ٣: ١٦٢ ـ ١٦٨ تاريخ الإسلام السياسى.

(٣) راجع ٤٧ ـ ٧٨: ٢ تاريخ الجزائر فى القديم والحديث لمبارك الميلى ـ مكتبة النهضة الجزائرية.

الرستمية يهود بن قريش التاهرتى من أهل القرن الرابع، وكان يجيد العربية والعبرية والبربرية والفارسية والآرامية، وقد اهتم بالبحث فى اللغات، وبالمقارنة بين العربية والبربرية والعبرية وهو واضع أساس النحو التنظيرى وله في ذلك كتاب بالعربية مخطوط بمكتبة أوكسفورد[1].

قضى الفاطميون على دولة الأغالبة عام ٢٩٦ هـ، ودخل أبو عبد الله الشيعى القيروان، ثم استقدم عبيد الله المهدى فقدم إليها عام ٢٩٧ هـ، وبويع بالخلافة ولقب أمير المؤمنين وبذلك قامت الدولة الفاطمية فى أفريقيا[2]، والخلافة العباسية ما تزال قائمة فى بغداد، والخلافة الأموية فى قرطبة بالأندلس، وأسس الفاطميون عام ٣٠٥ هـ عاصمة جديدة بالقرب من القيروان سموها المهدية[3]، واستطاعوا أن يخضعوا لسلطانهم كافة بلاد المغرب[4] وكما قضوا على الأغالبة قضوا كذلك على الدولة الإخشيدية فى مصر، وعلى الدولة الإدريسية فى فاس، وعلى الدولة الإباضية فى تاهرت، وعلى الدولة الصفرية فى سجلماسة.

وبانتقال عاصمة الفاطميين من المنصورية إلى القاهرة كون خلفاؤهم، إمبراطورية واسعة خضع لها الشام والحجاز واليمن وكافة بلاد المغرب، وجزر البحر الأبيض المتوسط، واحتفظ الفاطميون بالسيادة البحرية فى هذا البحر، وأنشأوا أسطولاً ضخماً، كان يجوب البحار، ويشن الغارات على موانىء الأبيض المتوسط وعلى جزر اليونان.

---

(١) ٢ : ٦٩ و٧٠ المرجع نفسه. وراجع عنه المجلة الآسيوية الفرنسية الصادرة عام ١٨٤٣.

(٢) راجع ١٤٢ و٢٥١ : ٣ المرجع السابق.

(٣) ظلت هذه المدينة آهلة بالسكان إلى استيلاء النورمانديين عليها عام ٥٤٣ هـ، ثم أخذها منهم عبد المؤمن عام ٥٥٥ هـ.

(٤) حاول أول الخلفاء الفاطميين وهو عبيد الله المهدى (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ) فتح مصر، واستولى جيشه على الإسكندرية، وخلفه القائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ) ثم المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ) هـ، وقد بنى عاصمة أخرى له سماها المنصورية بالقرب من المهدية، وخلفه المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ)، وعلى يديه تم فتح مصر عام ٣٥٨ هـ، وبنيت القاهرة وصارت هى عاصمة الدولة الفاطمية منذ دخلها المعز في ٧ من رمضان ٣٦٢ هـ - ١١ يونيو ٩٧٣ م.

وصارت أرض ليبيا واسطة عقد الدولة الفاطمية، وولاة الفاطميين يتولون أمورها، ويشرفون على شئونها. على أن نقل المعز خلافته إلى القاهرة جعل نفوذ الفاطميين يضعف بالتدريج فى أرض المغرب العربى، فاستقل بلكين بن زيرى شيخ صنهاجة، وأسس الدولة الزيرية عام ٣٦٢ هـ، وتسمى الدولة الصنهاجية؛ وحذا حذوه الحماديون عام ٣٩٨ هـ، وحكمت الدولة الصنهاجية طرابلس والقيروان، وتعد أول دولة بربرية في إفريقية بعد الفتح الإسلامي، وقد ورثوا حضارة الأغالبة والفاطميين، وشاركوا في بناء صرح الحضارة العربية، ووصلت النهضة الأدبية والفكرية فى أيامهم إلى درجة لم تبلغها من قبل، فكثر العلماء والأدباء والشعراء كثرة حافلة؛ واستمر الحكام الصنهاجيون يحكمون هذه البلاد مدة طويلة[1].

وبوفاة المعز الفاطمى عام ٣٦٥ هـ خلفه ابنه العزيز (٣٦٥ ـ ٣٨٦ هـ)، وقد بلغ نفوذ الفاطميين فى عهده حداً كبيراً، وازدهرت الحضارة الفاطمية فى عهده ازدهاراً عظيماً، ونبغ فى أيامه طائفة من الشعراء والأدباء والكتاب؛

---

(١) من ملوكهم: باديس بن منصور حفيد يوسف بن بلكين وقد مات باديس عام ٤٠٦ هـ، فخلفه ابنه المعز بن باديس الذي خلع بيعة الفاطميين عام ٤٤٣ هـ، وأعلن انضمامه للعباسيين في بغداد، وخطب في المساجد باسم خليفتهم، ثم نشر في المغرب المذهب المالكى، فرأى المستنصر الفاطمى أن ينتقم من المعز بن باديس ملك صنهاجة، فأرسل إلى أفريقية قبائل بنى هلال وبنى سليم ورباح العربية التى كانت تقيم فى صعيد مصر، وشجعها على هذه الهجرة بمختلف الوسائل، فوصلت هذه القبائل إلى أفريقية عام ٤٤٣ هـ فى موجات كبيرة، وقد أحدث هذا الزحف العربي الكبير انقلاباً عميقاً فى مختلف جوانب الحياة بإفريقية. إذ تم بسببه استعراب البلاد بصورة نهائية، وإن عمتها الاضطرابات والقلاقل الداخلية، فتمزقت أوصال الدولة الصنهاجية، ونشأت دويلات صغيرة في أنحاء ليبيا وتونس أشبه بملوك الطوائف فى الأندلس، ولكن بقى بنو زيري محتفظين بالمهدية والمناطق المجاورة لها، وفى تلك الفترة غزا النورمانديون صقلية وأسقطوا الحكم العربى الإسلامى فيها عام ٤٦١ هـ، كما غزوا من قبل المهدية واستولوا عليها عام ٥٤٣ هـ، ثم استولوا على بعض سواحل ليبيا وتونس، بينما كانت مدن الداخل تخضع لحكم القبائل العربية، وهكذا سقطت الدولة الصنهاجية، ولما استنجد الملك الحسن بن على الصنهاجي آخر ملوك هذه الدولة بعبد المؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين فى المغرب الأقصى لإنقاذ البلاد من أيدى النورمانديين سار بجيش كبير فطردهم واحتل البلاد عام ٥٥٥ هـ من طرابلس حتى شاطىء المحيط الأطلسى.

وخلفه ابنه الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ)، ثم الظاهر (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ)، ثم المستنصر الفاطمى (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ)، والمستعلى بالله (٤٨٧ ـ ٤٩٥ هـ)، ثم الآمر (٤٩٥ ـ ٥٢٤ هـ)، والحافظ (٥٢٤ ـ ٥٤٤ هـ) والظافر (٥٤٤ ـ ٥٤٨ هـ)، والفائز (٥٤٩ ـ صفر ٥٥٥ هـ)، ثم العاضد (٥٥٥ ـ ٥٦٧ هـ)، وهو آخر الخلفاء الفاطميين[١].

أما الصنهاجيون فقد بسطوا نفوذهم على تونس وشرقى الجزائر، وعلى طرابلس وبرقة، وسارت البلاد فى عهدهم فى طريق الرخاء والحضارة، وكان الناس فى أيامهم يفتنون فى الأبهة وركوب الخيل ونوعوا فى أطعمتهم وبالغوا فيها، وزينوا مجالس شربهم بالجوارى الحسان والمغنيات المطربات.

وكان للرونق الرائع والاشراقة البهية التى أحاطت بالبلاط الصنهاجى فى القيروان أن شد الشعراء والأدباء والفنانون رحالهم إليه، علهم يصيبون سهام خير ونعمة، حتى إنه كان يقف بباب المعز فيها أكثر من مائة شاعر.

وفى كتب التراجم أخبار كثيرة عن ترف القوم وكثرة الحظايا والسرايا: فيحيى بن تميم بن المعز حين يقوم إلى مجلس الطعام يشير إلى جارية من حظاياه ليتكىء عليها، ومحمد بن سحنون يتمتع بتسعة أسرة لكل سرير سرية[٢].

وأخذت ليبيا تنهل في عهد الصنهاجيين من هذه المناهل العذبة، وخاصة مدينة طرابلس التى هاجر إليها عدد كبير من سكان إفريقيا.

---

(١) راجع ٢ : ١٤ ـ ١٧ حسن المحاضرة للسيوطى.

(٢) دكتور عبد الرحمن ياغى ـ حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ـ ص ٧٨.

الفصل الثاني

اللغة العربية فى ليبيا فى عهد الفاطميين

كانت اللغة العربية هى السائدة قبيل حكم الفاطميين فى برقة وطرابلس، ثم زادت قوة ونفوذاً بفضل عناية الخلفاء بها وعملهم على نشرها، ولما هاجرت عام ٤٤٣ هـ قبائل بنى هلال وبنى سليم من مصر إلى أرض المغرب، استحكمت عروبة الألسنة فى أنحائه، وصار للعربية فى هذه البلاد السيادة والهيمنة، وقد حارب المعز بن باديس الصنهاجى هذه القبائل العربية، بمنتهى الشجاعة والصبر، ولكنها تغلبت عليه عام ٤٤٤ هـ فى معركة حيدران بتونس[١]، واستقر أبناء هذه القبائل فى ليبيا وتونس، واندمجوا مع أهالى هذه البلاد، وامتزجوا بهم فى المعاملة والتجارة والمعايشة والمصاهرة، ولنشأة هذه القبائل على البداوة، وإلفهم لها لم يطمعوا فى الملك؛ بل تركوا المدن يحكمها الولاة الخاضعون للنفوذ الفاطمى، وتقاسموا هم الأراضى الصحراوية التى ألفوا الحياة فيها فى حرية شاملة، وفراغ كثير، وطمأنينة موفورة، فحازت قبائل بنى هلائل أراضى تونس الجنوبية، وانفردت قبائل بنى سليم بأراضى ليبيا المجاورة للبلدان الساحلية القريبة من مصر، لأن أكثر بنى سليم بقي فى مصر والحجاز، ولم يأت منهم للمغرب إلا القليل، أما بنو هلال فقد جاءوا

(١) توفى المعز بن باديس عام ٤٥٤ هـ، وخلفه ابنه تميم (٤٥٤ - ٥٠١ هـ) وكان ميلاد تميم عام ٤٢٢ هـ، وانتقل بعده حكم الصنهاجيين إلى يحيى وعلى والحسن، وفى عام ٥٤٣ هـ استولى النورمانديون على المهدية وفيها جميع كنوز الصنهاجيين، إذ هرب الحسن منها دون أن يتمكن من إنقاذها. ولما استنجد بعبد المؤمن ملك الموحدين احتل بلاد الصنهاجيين وطرد النورمانديين منها وبذلك انقرضت الدولة الصنهاجية. وفى عهد الصنهاجيين استقلت الأسرة الخزرونية بطرابلس حينا من الزمن، ثم سقطت طرابلس فى أيدى النورمانديين الذين ظلوا فيها ستة أشهر، ثم رجعوا بأسطولهم، بعد أن تركوا مدينة طرابلس تحت نفوذهم وتحكمها بالنيابة عنهم أسرة بنى مطروح.

بجميع فروعهم، وبنو سليم أصلهم من فرعين كبيرين: الكعوب وأبو الليل، وقد توطنت الكعوب أرض إقليم طرابلس الساحلية ومنهم: المحاميد، والنوائل، وترهونة، وأولاد سليمان، ورفلة، وأما أبو الليل فقد تزوج من زناتة، واستقر هو وأبناؤه فى إقليم برقة، ومن قبائلهم: العبيد، والعرفاء، والعواقير، والحرابى، ومن فروعهم فى مصر قبائل أولاد على[1].

واختلط العرب الجدد بالأجناس الليبية، والمغربية، وبالسلالات العربية القديمة اختلاطاً شديداً، حتى صار لهجرتهم تأثير اجتماعى عظيم من حيث انتشار اللغة العربية والعادات التى كانت لهم فى الحجاز ومصر، وإن كانوا قد تأثروا بالليبيين كذلك فى كثير من نواحى التقاليد وطرز الحياة والمعيشة، وكانت موجة بنى سليم وبنى هلال فى القرن الحادى عشر الميلادى (١٠٤٥ م)، ويتراوح عددهم بين مائتى ألف وثلاثمائة ألف نسمة فيما يروى المؤرخون.

كان للعهد الفاطمى، والحكم الصنهاجى، لليبيا، وهجرة القبائل العربية إليها من مصر، تأثير شديد فى عروبة الألسنة، واستحكام اللغة العربية وسيادتها فى هذه البلاد[2]، يقول مصطفى بعيو: إن من أهم الموجات العربية التى أثرت فى ليبيا هجرة بنى هلال وبنى سليم، فاستوطن معظم قبائل بنى سليم فى برقة، وغالبية بنى هلال فى طرابلس وتونس[3].

وفي عهد الفاطميين ذاعت في ليبيا العلوم الإسلامية والعربية والعقلية، وقد أدخل الفاطميون إلى المغرب عقائدهم في الدين ممزوجة بالفلسفة، مما

---

(١) راجع ٢٢ ـ ٢٨ من كتاب برقة لنقولا زيادة، وراجع ١: ١٢١ ـ ١٢٧ المنهل العذب.

(٢) راجع ١: ١٤٩ و١٥٦ تاريخ ليبيا العام لابن مسعود.

(٣) ٩٧ دراسات في التاريخ اللوبى لمصطفى بعيو؛ ويقول كذلك نقولا زيادة في كتابه «برقة» صـ ٤٤ و٤٥: إن الذى أتم لبرقة عروبتها هو مجىء قبائل بنى سليم وبنى هلال في أواسط القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)، واستوطن بنو سليم برقة، واستقر بنو هلال فى طرابلس وتونس، وقبائل برقة المتحدرة من بنى سليم والتى تعرف بالسعدية هى التى تعمر تلك البقاع، وامتزج ما تبقى من البربر بهم، حتى صارت برقة عربية لا يبزها فى عروبتها قطر عربى آخر باستثناء الجزيرة العربية؛ ويبدو أن الألسنة ـ قبل هذه الهجرات للقبائل العربية =

أدى إلى ذيوع الفلسفة وعلومها. وكانت عناية المغاربة بعلوم العربية في ذلك العهد لا تقل كثيراً عن عنايتهم بعلوم الدين، وكان أكثر اعتمادهم فيها على ما نقلوه من كتب البصريين والكوفيين، ولم يكن لهم في النحو رواية عن الأعراب، ولا مذهب خاص فيه، كما كان للأندلسيين.

وفي أثناء العصر الفاطمي العظيم انتقلت مظاهر الحضارة الفاطمية إلى مدن طرابلس وبرقة التي تأثرت بالقاهرة وحاكتها إلى حد ما.. وزاد نصيب ليبيا من الحضارة في ظلال الدولة الصنهاجية (٣٦٢ ـ ٥٤٣ هـ) التي انفصلت عن الدولة الفاطمية، واستقلت بأمور تونس وطرابلس عنها، مع خضوع لنفوذ الفاطميين حيناً، والعباسيين حيناً ثانياً، والأمويين في الأندلس حيناً ثالثاً؛ ومن أشهر ملوك الصنهاجيين عناية باللغة العربية وعلومها وثقافاتها وآدابها المعز بن باديس (٤٠٦ ـ ٤٤٩ هـ)، الذي ازدهرت في عهده حلقات القيروان وطرابلس العلمية ازدهاراً كبيراً، وظهر في عهده أئمة النحو واللغة والأدب، ومن بينهم الإمام ابن القزاز محمد بن جعفر صاحب المعجم الكبير المسمى «الجامع في اللغة»، وهو من أمهات كتبها، ورتبه على حروف المعجم، وانتهى من تأليفه عام ٤١٢ هـ؛ وعلى يديه تخرج ابن رشيق وابن شرف وغيرهما[1]. وكذلك ابن فضال المجاشعى القيروانى (٤٧٩ هـ ببغداد) صاحب التصانيف الممتعة فى اللغة والأدب والحديث والتفسير، ومن أشهر

= الجديدة إلى أرض ليبيا وتونس ـ كانت تشوبها اللكنة والعي، وأن لغة التخاطب بما فيها من لهجات بربرية كانت بعيدة عن العربية بعداً كثيراً، ودليلنا على ذلك أن أبا علي القالي صاحب كتاب الأمالي المشهور (٢٨٨ ـ ٣٥٦ هـ) قد دخل طرابلس عام ٣٢٨ هـ فى هجرته من بغداد إلى قرطبة، ثم دخل القيروان، ولما وصل القيروان تعجب من غرابة اللهجات العامية ومن بعد لغة التخاطب عن العربية، يقول ابن بسام فى الذخيرة رواية عن القالي: لما وصلت القيروان وأنا أميز من أمر به من أهل الأمصار، فأجدهم درجات فى العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد، كأن منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصة ومقايسة، فقلت: إن نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت فى إفهامهم، بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم فسأحتاج إلى ترجمان فى هذه الأوطان. قال ابن بسام: فبلغنى أنه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الأندلسي فى ذكائهم (٩٨ صور من الفكر العربي وتاريخ الإسلام للمؤلف).

(١) ذكره جرجي زيدان (٢ : ٣٥٩ تاريخ آداب اللغة العربية)، وقال: هو أبو عبد الله محمد بن =

علماء اللغة بصقلية فى عصره على بن القطاع صاحب كتاب الأسماء وكتاب الأفعال وتوفى فى القاهرة عام ٥١٤ هـ؛ ومن علماء المغاربة الذين برزوا فى مختلف العلوم، وخاصة فى الفلك والجغرافيا: الشريف الإدريسى. وممن رحل إلى المغرب من الأندلسيين: محمد بن أبى الخصال، وأخوه أبو مروان، وابن عبدون، وقد تخرج عليهم من أبناء البلاد كثيرون، مثل: ابن الميمون، وابن محشوة، وهاجر ابن هانىء الشاعر من الأندلس إلى المغرب وأقام فيه حينا من الزمان وهكذا تم للعرب أن يجعلوا من ليبيا قطراً عربياً مسلماً نفض عنه غبار البربرية، وأقبل أهله على الحضارة العربية الإسلامية يعبون منها، فتكونت لتلك البلاد شخصيتها العربية الواضحة[1].

الشريف الإدريسى ٤٩٣ ـ ٥٧٥ هـ

عالم عربى مغربى جغرافى كبير، ورحالة مشهور، تعلم فى قرطبة، وأخذ عن علمائها، ونبغ فى الجغرافيا والطب والنجوم، وكان إلى ذلك أديباً ذواق للأدب. وطاف فى تركيا وآسيا الصغرى ومصر ومراكش والأندلس وزار فرنسا، وعبر البحر إلى انجلترا، ثم عاد إلى جزيرة صقلية، فرحب به ملكها روجر الثانى (١١٠١ ـ ١١٥٤ م: ٤٩٣ ـ ٥٤٨ هـ)[2]، وقص عليه قصص رحلاته، وصنع له كرة أرضية من الفضة، وكتب عليها بأحرف عربية كل ما كان يعرفه من البلدان؛ وقد ألف الإدريسى كتابه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» الذى كان عوناً للجغرافيين الأوربيين فى القرن الخامس عشر الميلادي، وقد وصف فيه المدن التى زارها وصفاً دقيقاً علمياً ولا يزال حتى اليوم مصدراً من المصادر المهمة عند الباحثين والعلماء.

= جعفر التميمى النحوى القزاز القيروانى، كان فى خدمة العزيز الفاطمى صاحب مصر، وكان مقدماً وجيهاً وصنف له كتباً من جملتها كتاب «الجامع فى اللغة» وذكر وفاته عام ٤١٢ هـ. وقد ترجم له ابن خلكان (١: ٥١٤)، وياقوت في معجم الأدباء (١٧: ١٠٥) والوافى بالوفيات (٢: ٢٠٤) والسيوطى فى بغية الوعاة صـ ٣٩.

(١) راجع صـ ٥٠ برقة ـ نقولا زيادة.

(٢) شهرته فى الكتب العربية رجار، وامتد حكمه طويلاً (١١٣٠ ـ ١١٥٤ م).

والشريف الإدريسى أصله من سبته، وهاجر آباؤه إلى صقلية.

وهو وإن كان ليس بليبى إلا أنه ينتمي إلى المغرب العربى الكبير الذى كانت الفواصل بين أقاليمه واهية، وكان أبناؤه من برقة حتى المحيط الأطلسى يخضعون لمؤثرات واحدة.

وقد تلقى الإدريسى دراساته فى قرطبة، وأتيح له أن يقوم بأسفار عديدة فزار لشبونة، والأندلس، ومراكش، وقسطنطينة، وسواحل فرنسا وانجلترا كما زار صقلية وآسيا الصغرى وكتابه المشهور، «نزهة المشتاق» فى مجمله تصنيف ممتاز للمعلومات التى أوردها المسافرون، والتجار، والحجاج. كما نجد فيه تفاصيل على جانب كبير من الفراسة والطرافة، عن إيطاليا، وفرنسا، وبلاد البلقان، وألمانيا، حتى جزر اسكندناوة، وكل هذا مزين بعديد من الخرائط التى لها أهميتها على الرغم من أنها ناقصة، ومنه نسخة خطية بمكتبة باريس ترجمها «جوبرت» إلى اللغة الفرنسية، ونشرت بين عامى ١٨٢٦، ١٨٤٠، وقد ترجمه يوحنا الحصرونى، وجبرائيل الصهيونى إلى اللغة اللاتينية، ونشراه مع النسخة العربية. وهاتان النسختان المنشورتان اختصار لنسخة موجودة فى مكتبة الاسكوريال بأسبانيا، وقد طبعت ترجمة الحصرونى وجبرائيل فى باريس.

ونشر الأستاذان دوزى ودى غويه مختصراً للكتاب أطلقا عليه «صفة المغرب والسودان» وطبع قسم من الكتاب فى «نانورمي» عام ١٧٩٠ ومنه «ذكر الأندلس» ومعه ترجمة أسبانية بقلم المستشرق كوندى عام ١٧٩٩ م. وطبع الكتاب أيضاً فى مدريد عام ١٨٨١ ومعه ترجمة أسبانية للأستاذ ساندرا. وترجم أميدى جوبار إلى الفرنسية جغرافية الشريف الإدريسى عن النسخة الموجودة فى مكتبة باريس وطبعها بين عامى ١٨٧٧، ١٨٧٩، ومنه جزء يشتمل على مقدمة وصفة البلاد التى هى الآن مملكة إيطالية ومعها ترجمة إيطالية وشروح وتعليقات بقلم أمارى وشياباريلي.

وطبع الكتاب فى مدينة ليبزج عام ١٨٢٨ بإشراف روزن ملر:

ومن طريف ما وصف به الإدريسى أهل برقة أن ثيابهم حمراء دائماً،

وبذلك يعرف أهلها من سائر البلاد المحيطة بها، والصادر عنها والوارد إليها؛ ومن الطريف كذلك قوله إن أرضها تمتاز بزراعة القطن الذي لا يجانسه صنف من أصناف القطن، كما أن تربتها ينتفع بها فى علاج بعض الأمراض إذ تعجن مع الزيت وتستخدم فى علاج الجرب والحكة!.

ووصف الإدريسى برقة، وقال إن أسواقها كاسدة، وكانت فيها سلف على غير هذه الصفة، وكان لها من الغلات فى سائر الزمان القطن المنسوب إليها، وبها ديار لدبغ الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها من أوجلة؛ وهى الآن يتجهز منها المراكب والمسافرون الواصلون إليها من الإسكندرية. ويتحدث الإدريسى عن اجدابية، وسرت وأوجلة.

وكذلك، وصف ابن حوقل الرحالة برقة فى كتابه «المسالك» حيث قال: إن برقة مدينة وسط، وهي فى بقعة فسيحة، ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها، وأرضها حمراء خلوقية التربة، وثياب أهلها أبداً محمرة، ويطوف بها من كل جانب منها بادية يسكنها الطوائف من البربر، وهى برية بحرية جبلية، ووجوه أموالها جمة، وهى أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان؛ وبها من التجار وكثرة الغرباء فى كل وقت ما لا ينقطع، طلاباً لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربين ومشرقين. ثم يتحدث ابن حوقل عن مدينة أجدابية ويصفها ويقول: إنه يطيف بها من أحياء البربر خلق كثير، وليس بها ولا ببرقة ماء جار.. إلى آخر ما كتب ابن حوقل عن ليبيا ومدنها من أوصاف شائقة.

ويقول ابن الفقيه صاحب كتاب البلدان عن مدينة برقة: إنها مدينة حسنة فى صحراء، وهى خصبة ممتعة.. ويقول المقدسى فى كتابه «أحسن التقاسيم»: تحمل من برقة ثياب الصوف والأكسية، ويقول: برقة قصبة جليلة عامرة نفيسة، وكثيرة الفواكه والخيرات، وقد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع.. وهى على جادة مصر، وأهلها يحسنون إلى الغرباء، وهم أهل خير وصلاح.

أشهر العلماء والأدباء فى هذا العصر

١ ـ إبراهيم بن أحمد بن جعفر الأزدى الطرابلسى البرقى الزاهـد عاش فى القرن الرابع الهجرى[١].

٢ ـ إبراهيم الاجدابى الطرابلسى، كان من أعلم أهل زمانـه بجميع علوم العـربية وأصله من قبيلة لـواتة الـبربريـة، وعاش فى القـرن الخـامس الهجرى[٢].

٣ ـ أبو بكر بن دحمان الأطرابلسى المحدث من القرن الرابع الهجرى[٣].

٤ ـ أبو الحسن السيقاطى الفقيه الصالح توفى عام ٤٢٠ هـ[٤].

٥ ـ أبو الحسن الاجدابى المؤرخ، كان واحد زمانه علماً وفضـلاً توفى عـام ٤٢٢ هـ[٥].

٦ ـ أحمد الأطرابلسى العابد المجتهد الإمام، توفى عام ٣٤٦ هـ[٦].

٧ ـ أحمد بن الحسين الأطرابلسى المحدث من أهل القرن الرابع[٧].

٨ ـ أحمد بن خلف الأجدابى، كان فقيهاً بارعاً، له معرفة بفن الجدل والأدب توفى ٣٩١[٨].

٩ ـ أحمد بن نصر الطرابلسى من أئمة المالكية[٩].

١٠ ـ حاتم الطرابلسى المحدث توفى عام ٥١٦ هـ[١٠].

١١ ـ الحسن الطرابلسى له كتاب فى تاريخ طرابلس توفى ٥٢١ هـ[١١].

---

(١) ١: ١٠١ الصلة لابن بشكوال، ٣ أعلام من ليبيا.
(٢) ٤ و٥ أعلام من ليبيا.
(٣) ١٨ المرجع.
(٤) ٢٥ المرجع.
(٥) ٢٥ و٢٦ المرجع.
(٦) ٢٩ المرجع.
(٧) ٣١ المرجع.
(٨) ٣١ و٣٢ المرجع، ١: ١٠٨ المنهل العذب.
(٩) صـ ٤٩ أعلام من ليبيا.
(١٠) ٩٧ و٩٨ المرجع.
(١١) ٦٩ المرجع.

١٢ - الحسن الاجدابى عالم محدث مؤرخ توفى عام ٤٣٢ هـ[١].

١٣ - خليل بن إسحاق له حظ فى العلم وباع واسع فى الأدب قتل عام ٢٣٢ هـ[٢].

١٤ - رافع البرقى فقيه متكلم محدث له شعر موزون وأكثره ملحون[٣].

١٥ - رافع بن مطروح من أسرة بنى مطروح وحكم طرابلس عام ٥٤٣ هـ نيابة عن النورمانديين حتى عام ٥٥٢ هـ وله شعر[٤].

١٦ - عبد الله الاجدابى المحدث المؤرخ توفى عام ٣٨٤ هـ[٥].

١٧ - عبد الله الطرابلسى القاضى الفقيه ولى القضاء ٣٢ عاماً (٤٤٤ - ٤٧٦ هـ)[٦].

١٨ - على بن ذكرون الطرابلسى المحدث توفى عام ٣٧٥ هـ[٧].

١٩ - على بن على البرقى نحوى شاعر مات عام ٥٢٣ هـ[٨].

٢٠ - على الطرابلسى (٣٤٨ - ٤٣٢ هـ) محدث نحوى بارع، نشر السنة فى المغرب وخاصم العبيدين[٩].

٢١ - فلفل بن سعيد أمير طرابلس من رجالات البربر من بنى خزرون توفى عام ٤٠٠ هـ[١٠].

٢٢ - محمد الطرابلسى الصوفى الورع[١١].

٢٣ - محمد بن الجيلى قاضى برقة توفى عام ٣٤١ هـ[١٢].

---

(١) ١٠٠ المرجع، ١: ١١٤ المنهل العذب.
(٢) ١٠٥ أعلام من ليبيا.
(٣) ١٠٩ المرجع.
(٤) ١١٠ و١١١ المرجع، ١: ١٣٦ المنهل العذب.
(٥) ١٩٠ أعلام ليبيا، المنهل العذب ١: ١٠٥.
(٦) ١٩٣ أعلام ليبيا.
(٧) ٢٠٥ المرجع.
(٨)) ٢١٢ المرجع، وراجع بغية الوعاة، ومعجم الأدباء.
(٩) ٢١٦ و٢١٧ أعلام ليبيا.
(١٠) ٢٥٣ المرجع، وقد حكمت أسرته طرابلس نحوا من ١٥٠ عاما.
(١١) ٢٦٤ أعلام من ليبيا.
(١٢) ٢٦٩ المرجع.

٢٤ ـ محمد بن الحسن قاضى طرابلس توفى بعد عام ٣٦٩ هـ[١].
٢٥ ـ محمد السرق المحدث (٢٩٨ ـ ٣٨٣ هـ)[٢].
٢٦ ـ محمد بن سالم الطرابلسى كان مترسلاً شاعراً نحوياً لغوياً وكان معتزلياً[٣].
٢٧ ـ محمد بن سعيد بن شرف الاجدابى القيروانى (٤٦٠ هـ) كان أديباً بليغاً وكاتباً مترسلاً وحامل لواء المنثور والمنظوم مات بالأندلس[٤].
٢٨ ـ موسى الطرابلسى الفقيه توفى ٤٢٢ هـ[٥].
٢٩ ـ هاشم الطرابلسى المحدث (٣٥١ ـ ٤٣٣ هـ)[٦].
٣٠ ـ الوليد بن هشام كان معلماً عالماً[٧].
٣١ ـ يحيى اللخمى المحدث الأخبارى[٨].
٣٢ ـ يحيى المؤدب الزاهد الطرابلسى توفى عام ٣٠٥ هـ[٩].
٣٣ ـ خطاب البرقى، أبو نزار الصوفى المتوفى عام ٣٧٣ هـ[١٠].
٣٤ ـ أبو الحسن محمد بن أحمد المتيم الأفريقى، وله كتاب «أشعار الندماء» وقد ذكره الثعالبى فى اليتيمة[١١]، وقد ذكر الثعالبى فى اليتيمة علماً آخر هو أحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوى الشاعر، وروى له شعراً[١٢].
٣٥ ـ سعيد بن خلفون الزاهد المتوفى ٣٦٢ هـ[١٣].

---

(١) ٢٧٠ المرجع.
(٢) ٢٧١ المرجع و١: ١٠٤ المنهل العذب.
(٣) ٢٧٥ أعلام ليبيا.
(٤) ٣٥٢ المرجع.
(٥) ٣٥٨ المرجع.
(٦) ٣٥٨ المرجع.
(٧) ٣٥٩ المرجع.
(٨) ٣٦١ المرجع.
(٩) ٣٦٥ المرجع.
(١٠) ١: ١٠٣ المنهل العذب.
(١١) ١: ٣٠٦ اليتيمة ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد.
(١٢) ١: ٣١١ المرجع السابق.
(١٣) ١: ١٠٢ المنهل العذب.

الفصل الثالث

الأدب فى هذا العصر

فى هذا العصر نبغ العلماء والمشرعون والمفكرون وخطت ليبيا الإسلامية العربية خطوات كبيرة فى سبيل التقدم والحضارة والرفاهية.

ونهضت الآداب العربية فى ربوعها ولقيت من تشجيع الفاطميين والصنهاجيين ومن رعايتهم الفائقة ما لم تلقه من قبل وظهر كثير من العلماء والأدباء والكتاب والشعراء، وقامت حركة أدبية كبيرة فى طرابلس وبقية المدن الليبية، كما ازدهرت الآداب فى القيروان العاصمة السياسية الكبيرة، وكان بعض ملوك هذه البلاد أدباء وشعراء ومن بينهم تميم بن المعز الصنهاجي (٤٥٤ ـ ٥٠١ هـ) الذى كان شاعراً أديباً ذا ذوق عربى سليم وبلاغة متمكنة طيعة ويروى له أدب وفير وشعر كثير[1].

ومن الأدباء المشهورين الذين عاشوا فى ظلال الفاطميين فى ليبيا ابن هانىء الأندلسى ٣٦٢ هـ، وخليل بن إسحاق ٢٣٢ هـ، وله باع واسع فى العلم والأدب، وأحمد بن خلف الأجدابى ٣٩١ هـ، وكان ملماً بالجدل والأدب وابن زرعة البرقى الشاعر.

ومن الأدباء الذين عاشوا فى ظلال الصنهاجيين ابن شرف الاجدابى ثم القيروانى (٤٦٠ هـ)، وكان كاتب المعز بن باديس. ويعاصره ابن رشيق القيروانى (٤٥٦ هـ) صاحب كتاب العمدة المشهور، وكان ابن رشيق كاتب المعز وشاعره أيضاً، ولابن شرف كتاب أعلام الكلام، وكتاب أبكار الأفكار، وكتاب رسائل الانتقاد وهو مشهور، ومن الأدباء الذين عاشوا فى ظلال

---

(١) راجع ١٤١ ـ ١٦٤ خريدة القصر قسم شعراء المغرب ط ١٩٦٦.

الصنهاجيين أيضاً إبراهيم الاجدابى الطرابلسى وكان أعلم أهل زمانه بجميع علوم العربية، وعاش فى القرن الخامس الهجرى، ومحمد بن سالم الطرابلسى وهو معتزلى أديب شاعر ملم بجميع العلوم العربية، وعلى بن على البرقى ٥٢٢ هـ وهو شاعر مجيد، وابن خراسان الطرابلسى الشاعر، والودانى الشاعر وغيرهم.

وهكذا نهضت الآداب العربية فى ليبيا فى هذا العصر الطويل، وأثمرت هذه الحركة الفكرية، وتلك التيارات الأدبية، تراثاً غالياً لا يزال مدفوناً فى كثير من المخطوطات العربية الباقية فى مكتبات طرابلس والقيروان والزيتونة والقاهرة.

نماذج وصور من شعر هذا العصر

- ١ -

ابن شرف القيروانى (٤٦٠ هـ) شاعر وكاتب المعز بن باديس:

إن تدعك الغربة فى معشر قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت فى دارهم وأرضهم ما دمت فى أرضهم

- ٢ -

ابن رشيق القيروانى الأزدى المتوفى عام ٤٥٦ هـ بجزيرة صقلية، وكان كاتب وشاعر المعز بن باديس، وكان أبوه رومياً؛ وله كتاب العمدة:

فى الناس من لا يرتجى نفعه إلا إذا مس باضرار
كالعود لا تطمع فى طيبه إن أنت لم تمسسه بالنار

- ٣ -

ولابن رشيق أيضاً:

أحب أخى وإن أعرضت عنه وقل على مسامعه كلامى
ولى فى وجهه تقطيب راض كما قطبت فى وجه المدام
ورب تجهم من غير بغض وضغن كامن تحت ابتسام

- ٤ -

أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى (٤٥٣ هـ) صاحب زهر الآداب:

كتمت هـواك حتى عيـل صـبرى وأدنـتـنـى مـكـاتمـتـى لـرمسى
ولم أقـدر عـلى إخـفـاء حـال يجـول بهـا الأسى دون الـتـأسى
وحـبـك مـالـك لحـظى ولـفـظى وإظـهـارى وإضـمارى وحسى

- ٥ -

اضطهد المعز بن باديس الصنهاجى (٤٠٥ ـ ٤٥٤ هـ) الشيعة فى أيام حكمه الذى استمر ٤٩ عاماً، فقال فى ذلك القاسم بن مروان الشاعر:

وسـوف يـقـتـلـون بـكـل أرض كـما قـتـلـوا بـأرض الـقـيروان

وقال شاعر آخر:

يـا مـعـز الـديـن عش فى رفـعـة وسرور واغـتـبـاط وجـذل
أنـت أرضـيـت الـنـبـى المـصـطفـى وعـتـيـقـاً[1] فى المـلاعـين السفـل
وجـعـلت الـقـتـل فـيـهـم سنـة بـأقـاصى الأرض فى كـل الـدول

- ٦ -

ابن رشيق فى الأمير تميم بن المعز بن باديس (٤٥٤ ـ ٥٠١ هـ).

أصح وأقـوى مـا رويناه فى النـدى مـن الخـبر المـأثـور مـنـذ قـديـم
أحـاديث تـرويهـا السيـول عن الحيـا عن البحـر عن كـف الأمـير تميـم[2]

---

(١) هو سيدنا أبو بكر الصديق، والملاعين يقصد بهم الشيعة.
(٢) ١ : ١٣٢ المنهل العذب.

- ٧ -

تميم بن المعز بن باديس وكان عالماً فاضلاً وشاعراً رقيق العاطفة:

فإما الملك في شرف وعز ... يحلّ التاج في أعلى السرير
وإما الموت بين ظبا العوالي ... فلست بخالد أبد الدهور

ومن رقيق شعره:

وخمر قد شربت على وجوه ... إذا وصفت تجل عن القياس
خدود مثل ورد في ثغور ... كدر في شعور مثل آس

وكان تميم بن المعز بن باديس شهماً شجاعاً ذكياً، وله شعر حسن، وكان حسن السيرة، محباً للعلماء مقبلاً على الشعراء وأهل الأدب، وقصده الشعراء وغيرهم من كل مكان[١].

- ٨ -

وقال ابن هانئ الأندلسي من قصيدة يمدح بها القائد جوهراً، ويصف الجيش الذي غزا به مصر، ويودعه عند خروجه من القيروان:

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع ... وقد راعني يوم من الحشر أروع[٢]
غداة كأن الأفق سد بمثله ... فعاد غروب الشمس من حيث تطلع[٣]

---

(١) ١ : ١٣٢ المنهل العذب.

(٢) راعني: هالني وأدهشني. يوم الحشر: يوم القيامة. أروع: أكثر هولاً ودهشة وفزعاً.
المعنى: كنت أسمع عن عظمة جيش المعز لدين الله الذي يقوده القائد جوهر وعن قوته، ولقد رأيته اليوم بعيني رأسي فعجبت لقوته وعظمته، وخيل إلي لكثرة عدده وازدحام الخلق فيه أن اليوم الذي رأيته مجتمعاً فيه أشد هولاً وفزعاً من يوم القيامة، وكان ما سمعته عنه أقل مما رأيته عليه.

(٣) الغداة والغدوة: أول النهار المبكر.
المعنى: رأيت الجيش في الصباح المبكر وقد أحدث بسيره طبقة من الغبار في الجو أخفت الجو الطبيعي، وحجبت الشمس عن الناس فخيل إلينا أن الشمس غربت من مكان طلوعها.

فلم أدر إذ سلمت كيف أشيع ... ولم أدر إذ شيعت كيف أودع[1]
وكيف أخوض الجيش والجيش لجة ... وإنى بمن قاد الجيوش لمولع[2]
وأين؟ وما لى بين ذا الجمع مسلك ... ولا لجوادى فى البسيطة موضع[3]
ألا إن هذا حشد من لم يذق له ... غرار الكرى جفن ولا بات يهجع[4]
نصيحته للملك سدت مذاهبي ... فما بين قيد الرمح والرمح إصبع[5]
فقد ضرعت حتى الرواسي لما رأت ... فكيف قلوب الإنس والإنس أضرع[6]
فلا عسكر من قبل عسكر جوهر ... تخب المطايا فيه عشرا وتوضع[7]

---

(١) المعنى: قد حير عقل هول الموقف وروعة المنظر، فلم أدر كيف أسلم ولا كيف أشيع من أردت تشييعهم وتوديعهم.

(٢ ، ٣) المعنى: وكيف أصل إلى من أريد توديعه فى وسط هذا الجيش العظيم وكيف أجتاز تلك الكتل البشرية إلى القائد العظيم لأودعه؟ وأين أذهب ولا طريق لي فى هذا الجمع الحافل، ولا يستطيع جوادى أن يشق طريقه فى هذا الزحام الهائل.

(٤) الغرار: القليل. الكرى: النوم، يهجع: ينام:
المعنى: ولقد جمع هذا الجيش العظيم شخص لم يذق طعم الراحة، لأن هذا الاستعداد الهائل يتطلب مجهوداً مضنياً وعملاً متواصلاً، وهذا ما فعله جوهر.

(٥) مذاهبى. طرقى. القيد: القدر. وقيد الرمح والرمح. أي بين الرمحين.
المعنى: المقصود بالنصيحة هنا المشورة بغزو مصر وإخلاصه لدولة المعز، فمشورة جوهر على المعز وإخلاصه لدولة المعز كانا سبباً فى حشد هذا الجيش الكبير الذى سد على طرقى فى السير، فلا يستطيع المرء أن يشق لنفسه طريقاً وسط هذا الجمع الذي بلغ من شدة زحامه أن المسافة التي بين الرمحين لا تتسع لأكثر من إصبع، وهذا كناية عن شدة الزحام.

(٦) ضرع: خضع وذل واستكان. الرواسى: الجبال الراسيات.
المعنى: ليس لدينا من مظاهر ذلة الجبال وخضوعها لهذا الجيش العظيم إلا انهيارها وعدم ثباتها أمام قوته. فكان الشاعر يقول: إن الجبال الرواسى لا تقوى على الثبات أمام هذه القوة الكبيرة فكيف بالإنس وهم أقل احتمالاً من الجبال؟ وكأنه أيضاً يقول: لقد فزعت الجبال مما رأت من قوة الجيش، ومن الطبيعى أن فزع الإنسان الذى له قلب وعاطفة يكون أعظم من فزع الجماد الذى لا عاطفة له. وفى هذا كله مبالغة فى قوة جيش جوهر.

(٧) الخبب: ضرب من العدو. والإيضاع: الإسراع فى السير.
المعنى: لقد بلغ من كبر المسافة التى يشغلها الجيش على الأرض أن الدواب تقطع هذه المسافة وهى مسرعة فى عشر ليال، وفى هذا مبالغة فى تقدير الكثرة.

تسـير الجبـال الجـامـدات لسـيره وتسجد من أدنى الحفيف وتركـع[1]
إذا حل فى أرض بنـاها مـدائنـا وإن سار فى أرض ثوت وهى بلقع[2]

- ٩ -

ومن غرر مدائح ابن حمديس (٤٤٧ - ٥٣٧ هـ) قوله فى المعتمد بن عباد:

أنكـرت سقـم مـذاب الجسـد وهـو مـن جـنس عـيـون الخـرد
وبكـت فـالـدمـع فى وجنـتـهـا كـجـمـال الطل فى الـورد الـنـدى
مـا الـذى يبكى بحـزن ظبيـة فـتـكـت مـقـلتـهـا بـالأسـد
والـظبـاء الحـور إمـا قـتـلت لحظات الـعـين مـنهـا لا تـدى
غـادة إن (يـنط) مـنهـا مـوعـد بـغـد فـر إلى بـعـد غـد
هـكـذا عـنـدي يجـرى مـطلهـا بـخـلاف عـنـدهـا مـطرد
وهـى مـن عـجـب ومـن تـيـه لهـا كـبـد تـرحـم مـنهـا كـبـدى
ذات عـين بـالهـوى نـابـغـة ضـل فى الحـب بهـا مـن يهـتـدى
وهـى نـجـلاء حـكـاهـا سعـة جـرحـهـا فى كـل قـلب مـكـمـد
لا يـذوق المـيـل فـيـهـا إثـمـدا مـا لأحـداق المـهـا والإثـمـد
قـذفـت حـبـة قـلبـى فى الهوى هـل رأيـت الجـمـر فى المـفـتـأد
سـحـرهـا وحى بـنجـوى نـاظـر لا نـفـاث لـلنهـى فى عـقـد

---

(١) الحفيف: الصوت. وأدنى الحفيف: أقل الصوت.
المعنى: أن الجبال تسير لسيره وتسجد وترجع لأقل صوت منه، وأقل صوت وأقل حركة من الجيش تكون كبيرة لكثرة عدد الجيش وضخامته، وفى هذا كناية عن عظمة الجيش وشديد هيبته.

(٢) ثوت: أقامت. البلقع: الأرض التى لا شىء بها. المعنى: لا يزال الشاعر يعطينا صورة عن كثرة عدد المحاربين وضخامة الجيش، فهو يقول: إن الجيش إذا قام فى جهة احتاج إلى مساكن كثيرة، وثكنات للأجناد، فبنى مدائن تؤوى هذا الجيش الضخم، وإذا لم يحل فى جهة بل سار عنها ولم يقم فيها تركها قفراً لا أثر فيها للعمران ولا للنبات.

ما لأس فى محب عمل غير داء الروح داء الجسد
خفى البرء على إلطافه وهو فى بعض ثنايا العود
إن فى ظلم ظلوم لجنى شهد، واها لذاك الشهد
ذاب لى بالراح منها برد هل يكون الراح ذوب البرد
هاتها صفراء ما اخترت لها أفق الشمس على أفق يدى
خارج فى راحتى مقتنص كل هم كامن فى خلدى
جرد المزج عليها صارماً فاتقته بدموع الزبد
عتقت ما عتقت فى خزف برداء القار منه ترتدى
حيث أبلى جسمها لا روحها مر أيام الزمان الجدد
ما أطاق الدهر أن يسلبها أرج المسك ولون العسجد
فاقض أوطار اللذاذات على نقر أوتار الغزال الغرد
فلحون العود والكأس لنا والندى والبأس للمعتمد
ملك إن بدأ الحمد به ختم الفخر به ما يبتدى
معرق فى الملك موصولاً به شرف المجد ومحض السؤدد
من غدا فى كل فضل أوحدا ذلك الأوحد كل العدد
من حمى الإسلام من طاغية كان منه فى المقيم المقعد
وكست أسيافه عارية ذل أهل السبت أهل الأحد
ذو يد حمراء من قتلهمو وهى عند الله بيضاء اليد
تقتدى الأملاك فى العدل به وهو فيه بأبيه يقتدى
كيف لا يعلى على الناس العلا مستمد من علا المعتضد
عارض ينهل بالويل إذا كان للعارض كف الجلمد
وهصور يفرس القرن إذا جرد المرهف فوق الأجرد
قومت عزمته عن نية من منار الدين ميل العمد
لا تلمه فى عطاياه التى إن ترم منهن نقصاً تزدد
فنداه البحر والبحر متى تعصف الريح عليه يزبد
ومحال نقلك الطبع الذى كان منه فى كريم المولد
كم لحام جر فى أوله رحمه فهو له كالمقود

وليـوث صـال فيهم فـانثنـوا وضـواريهـم لـه كـالـنـقـد
بـحـسـام مـطـفـئ أرواحـهـم بـشـواظ الـبـارق المـتـقـد
لـعـواريـه عـلى هـامـاتهـم عـن شرار الـقـدح مـا فى الـزنـد
كـم تـغـنى بـالمـنـايـا فى الـطلا فـشـنـاه عـن مـغـانى مـعـبـد
وسـنـان مشرع فى صـعـدة كـلسـان فى فـم الأيـم الـصـدى
فى سـماء الـنـقـع مـنـه كـوكب طـالـع فى يـزنى أمـلد
أبـداً يـدعـو إلى مـأدبـة حـوم الـوحش ضحـا بـالفـدفـد
يـا بنى البـأس من الـذمـر الـذي جـاء فى كـاهـل عـزم أيـد
شيب الحـرب اقتحـامـا بـعـدمـا ربـيـت فى حـجـره كـالـولـد
يـرعـف الـلهـذم فى راحـتـه كـلما شـم قـلوب الأسـد
سـمـهـرى أحـرقـت شعـلتـه كـل روح فى غـديـر الـزرد
أنـت ذاك الأسـد الـورد فـهـل كـان فى رمحـك سـم الأسـود
أعـنـاق الـبـهـم اسـتـحـسـنـتـه وهـو بـرد أم عـنـاق الخـرد
دمـت فى المـلك لمـعـنى مـادح ينـظم الفخـر وجـدوى المجتـدي
وبـنـات مـن فـصـيـح مـفـلق يـشهـد الـفضـل لـه فى المشـهـد
فـهـو بـالإحسـان فى ألـفـاظـهـا محـسـن صـيـد المـعـانى الشرد
فى بـيـوت أذنـت فـيـهـا الـعـلا لـك بـالـتـقـريظ فى كـل نـدى
قـد بـنـاهـا من عـروض فـهى لا يـعـرض الهـدم لهـا فى الـسـنـد
فـإذا أثـنـت عـليـكـم فـتـقـت لـكـم مـسـك الـثـنـاء الأبـدى
وإذا اسـتـحـيـت مـن المجـد أتى مـعـربـاً عنهـا لـسـان المنـشـد

- ١٠ -

وله من قصيدة طويلة يصف فيها الطبيعة ويشتاق الى وطنه:

وريـح خـفـيـفـة روح الـنـسـيـم أطـت بـليـلاً وهـبـت رخـاء
سرت وحيـاهـا شـقـيـق الحـيـاة عـلى ميت الأرض تـبكى الـسـماء
فمن صـوت رعـد يسـوق السحـاب كـما يسمـع الـفحـل شـولا رغـاء

وتشعل فى جانبيها البروق بريق السيوف تهز انتضاء
فبت من الليل فى ظلمة فيا غرة الصبح هاتى الضياء
ويا ريح إما مريت الحيا ورويت منه الربوع الظماء
فسوقى إلى جهام السحاب لأملأهن من الدمع ماء
ويسقى بكائى ربع الصبا فما زال فى المحل يسقى البكاء

أشهر الشعراء فى هذا العصر[1]

١ - أبو الحسن الحصرى[2]

أبو الحسن على بن على بن عبد الغنى الفهرى الضرير القيروانى، المعروف بالحصرى، ذكره ابن بسام فى الذخيرة وقال عنه: إنه بحر براعة، ورأس صناعة، وزعيم جماعة، وفد على الأندلس نحو عام ٤٥٠ هـ، وتوفى عام ٤٨٨ هـ بطنجة، وهو رقيق الشعر عذبه، وأشهر شعره داليته المشهورة التى افتتن بها الشعراء وعارضوها فى كل زمن، وممن عارضها شوقى وصبرى ويكن؛ وهو غير الحصرى القيروانى صاحب زهر الآداب المتوفى عام ٤٥٣ هـ، وهو شاعر أيضاً[3].

ومن دالية الحصرى فى الغزل والصبابة قوله:

يا ليل، الصب متى غده أقيام الساعة موعده
رقد السمار وأرقه أسف للبين يردده

---

(١) راجع كثيراً من شعراء هذا العصر فى كتاب «خريدة القصر قسم شعراء المغرب» وهو مطبوع عام ١٩٦٦ م.

(٢) راجع كتاب «أبو الحسن الحصري»، تأليف محمد المرزوقى والجلانى بن الحاج يحيى ط تونس ١٩٦٤ م.

(٣) ذكر جورجى زيدان أن وفاته عام ٤١٣ هـ (٢ : ٣٣٥) تاريخ آداب اللغة العربية).. وترجم للحصرى هذا ابن خلكان (١ : ١٣)، وياقوت فى معجم الأدباء (١ : ٣٥٨).

فبكاه النجم ورق له ... مما يرعاه ويرصده[1]
كلف بغزال ذي هيف[2] ... خوف الواشين يشرده
نصبت عيناي له شركا ... في النوم فعز تصيده
وكفى عجبا أني قنص[3] ... للسرب سباني أغيده[4]
صنم للفتنة منتصب ... أهواه ولا أتعبده
صاح والخمر جنى فمه ... سكران اللحظ معربده
ينضو من مقلته سيفاً ... وكأن نعاساً يغمده
فيريق دم العشاق به ... والويل لمن يتقلده[5]
كلا لا ذنب[6] لمن قتلت ... عيناه ولم تقتل يده
يا من جحدت عيناه دمي ... وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمي ... فعلام جفونك تجحده؟
إني لأعيذك من قتلي ... وأظنك لا تتعمده
بالله هب المشتاق كرى ... فلعل خيالك يسعده
ما ضرك لو داويت ضنى ... صب يدنيك وتبعده
لم يبق هواك له رمقا ... فليبك عليه عوده
وغدا يقضي أو بعد غد ... هل من نظر يتزوده؟
يا أهل الشوق لنا شرق[7] ... بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقاءكم ... وصروف الدهر تبعده

---

(١) رصده بالخير وغيره يرصده رصداً ورصداً: رقبه.
(٢) هو ضمور الخصر.
(٣) القنص: ما اقتنص.
(٤) الأغيد من النبات: الناعم المتثني، والوسنان المائل العنق من الناس.
(٥) تقلد السيف: حمله.
(٦) الذنب: الاثم «وكلا» تأتي بمعنى حقا وبمعنى ألا التنبيهية وبمعنى لا النافية.
(٧) الشرق: الشجا والغصة والشرق بالماء والريق ونحوهما، كالغصص بالطعام. والشرق: دخول الماء في الحلق حتى يغص به، مورده: يقال ورد فلان أي حضر وأورده غيره وتورده كورده أحضره فمورده اسم مكان من ورده.

ما أحلى الوصل وأعذبه لولا الأيام تنكده
بالبين وبالهجران فيا لفؤادي كيف تجلده؟

وقد عارض شوقي هذه القصيدة بقصيدته:

مضناك جفاه مرقده ... وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه ... مقروح الجفن مسهده
أودى حرقا[1] إلا رمقا[2] ... يبقيه عليك وتنفده
يستهوى[3] الورق[4] تأوهه ... ويذيب الصخر تنهده
ويناجى النجم ويتبعه ... ويقيم الليل ويقعده
ويعلم كل مطوقة[5] ... شجنا في الدوح تردده
كم مد لطيفك من شرك[6] ... وتأدب لا يتصيده
فعساك بغمض مسعفه ... ولعل خيالك مسعده
الحسن حلفت بيوسفه ... والسورة أنك مفرده
قد ود جمالك أو قبسا ... حوراء الخلد وأمرده
وتمنت كل مقطعة ... يدها لو تبعث تشهده
جحدت عيناك زكى دمى ... أكذلك خدك يجحده؟
قد عز شهودى إذ رمتا ... فأشرت لخدك أشهده
وهممت بجيدك أشركه[7] ... فأبى واستكبر أصيده[8]

---

(١) الحرق: من حرقته النار، وفي الحديث: الحرق والغرق والشرق شهادة، وفيه: أيضاً الحرق شهيد.
(٢) الرمق: بقية الحياة.
(٣) يستهوى: يستهيم ويحير.
(٤) الورق: جمع ورقاء وهى الحمامة والورقة السمرة.
(٥) المطوقة: الحمامة التى فى عنقها طوق.
(٦) الشرك: حبائل الصيد.
(٧) أشركه، أشركه بفتح الهمزة وبضمها، من شركه.
(٨) الأصيد: الذي يرفع رأسه كبراً ومنه قيل للملك أصيد لأنه لا يلتفت يميناً أو شمالاً والفعل صيد يصيد.

وهززت[1] قوامك أعطفه ... فنبا وتمنع أملده
سبب لرضاك أمهده ... ما بال الخصر يعقده
بيني في الحب وبينك ما ... لا يقدر واش يفسده
ما بال العاذل يفتح لي ... باب السلوان وأوصده
ويقول تكاد تجن به ... فأقول وأوشك أعبده
مولاى وروحى فى يده ... قد ضيعها سلمت يده
ناقوس القلب يدق له ... وحنايا الأضلع معبده
حسادى فيه أعذرهم ... وأحق بعذرى حسده
قسما بثنايا لؤلؤها ... قسم[2] الياقوت منضده
ورضاب يوعد كوثره ... مقتول العشق ومشهده[3]
وبخال كاد يحج له ... لو كان يقبل أسوده
وقوام يروى الغصن له ... نسبا والرمح تفنده
وبخصر أوهن من جلدى ... وعوادى الهجر تبدده
ما خنت هواك ولا خطرت ... سلوى بالقلب تبرده

وعارض قصيدة الحصرى أيضاً الشاعر إسماعيل صبرى. والشاعر ولى الدين يكن، ومطلع قصيدة ولى الدين:

الحسن مكانك معبده ... واللحظ فؤادى مغمده
يا سيدتى هذا حر ... لم يعرف قبلك سيده

ومنها:

للصبح سناؤك أبيضه ... لليل غرامى أسوده
أحببت قلاك فمطلقه ... عندى عذب ومقيده

---

(١) هززت قوامك: من هززت فلاناً لخير فاهتز أي حركته فتحرك.
(٢) قسم: كفرح ومنضد اسم مفعول أو اسم فاعل.
(٣) مشهده: أشهد الرجل إذا استشهد فى سبيل الله فهو مشهد، ومنه: أنا أقول سأموت مشهداً.

إن ضل حنانك عن قلبى فأنا بولوعى أرشده
قد بات دلالك يخذله وجمالك كان يؤيده
زيدى تيها أزدد كلفاً كلفى إن رث أجدده
(شوقى) إن بنت يضاعفه (صبرى) إن جرت يؤكده
خلان هما شمسا فلك طرفى مع طرفك يرصده
فصلى بالله ولو حلما (مضناك جفاه مرقده)
وعديه اليوم ولو كذبا الصب يماطله غده

٢ - الودانى الشاعر

ينسب إلى ودان - بلد من البلاد الطرابلسية الجنوبية - سكن صقلية وكان أديباً رقيق الشعر، وله ديوان أجاد فيه وأبدع ما شاء له الإبداع؛ واسمه أبو الحسن على بن أبى إسحاق بن إبراهيم الودانى، وكان صاحب الديوان بصقلية، وله أدب كثير، ذكره ابن القطاع وأنشد له:

من يشترى منى النهار بليلة لا فرق بين نجومها وصحابى
دارت على فلك الزمان ونحن قد درنا على فلك من الآداب
ودنا الصباح ولا أنى وكأنه شيب أطل على سواد شباب

وله فى المشيب وقد ذكره صاحب خريدة القصر:

وبرغمى لما أتانى مشيبى قلت يا أهلا بالضحوك القطوب
ولعمرى ما كنت ممن يحييه ولكن تملق بالقلوب

وكان معاصراً لابن رشيق، وبينهما مكاتبات وتراسل[1].

(١) ٢٣ و٢٠٤ أعلام من ليبيا، ١: ٢٧١ و٢٧٢ المنهل العذب.

٣ ـ ابن خراسان الطرابلسى الشاعر

هو أحمد بن الحسين بن حيدرة، المعروف بابن خراسان الطرابلسى الشاعر، ذكره ياقوت فى معجم البلدان عند الكلام على طرابلس الغرب، وأنشد له من نظمه:

أحبابنا غير زهد فى محبتكم ... كونى بمصر وأنتم فى طرابلس
إن زرتكم فالمنايا فى زيارتكم ... وإن هجرتكم فالهجر مفترسى
ولست أرجو نجاحاً فى زيارتكم ... إلا إذا خاض بحراً من دم فرسى
وأنثنى ورماح الخط قد حطمت ... فى كل أروع لا وان ولا نكس
حتى يظل عميد الجيش ينشدنا ... نظماً يضىء كضوء الفجر فى الغلس[1]

٤ ـ ابن زرعة الشاعر

هو أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرعة، الزهرى البرقى أبو بكر مولى بنى زهرة، الشاعر، قال وقد حدثت فى مصر زلزلة:

بالحاكم العدل أضحى الدين معتلياً ... نجم العلى وسليل السادة الصلحا
ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ... لكنها رقصت من عدله فرحا

وهو يشير هنا إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى.

وقال أيضاً فى الحاكم وقد مات وجاء فى عقب ذلك مطر:

أذرى لفقدك يوم العيد أدمعه ... من بعدما كان يبدى البشر والضحكا
لأنه جاء يطوى الأرض من بعد ... شوقاً إليك فلما لم يجدك بكى[2]

---

(١) ٣٠ أعلام من ليبيا.
(٢) ٤٠ أعلام من ليبيا.

٥ ـ اللكى الشاعر

هو الحسين بن مروان بن عثمان اللكى الشاعر، منسوب إلى لك بلدة ببرقة، شاعر مجيد رقيق الإحساس، دقيق الوصف، ومن شعره:

تمكن منى السقم حتى كأننى ... تمكن معنى فى خفى سؤال
ولو سالمت عيناه عينى فى الكرى ... لأشكل من طيف الخيال خيالى
سمحت بروحى وهى عندى عزيزة ... وجدت بقلبى وهو عندى غال[1]

٦ ـ ابن البرقى الشاعر

أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن البرقى، ذكره العماد فى الخريدة، وأثبته ابن أبى الصلت، وكان بينه وبين أبى النضر مودة، وأورد له شعراً:

رمانى الدهر منه بكل سهم ... وفرق بين أحبابى وبينى
ففى قلبى حرارة كل قلب ... وفى عينى مدامع كل عين

وأنشد له ابن سعيد فى «المغرب»:

ولى سنة لم أدر ما سنة الكرى ... كأن جفونى مسمع والكرى عذل

وكتب ابن النضر له يوبخه فرد عليه:

لا تكذبن فما كنا لنوجب من ... حق وأنت تراه عنك قد سقطا
وليت عصر شبابى شاغل أملى ... بك اغتباطا وها فوداى قد شمطا

وتوفى فى ربيع الأول عام ٥٦٢ هـ، وقد سبق أن ذكر أن اسمه على بن على البرقى نقلا عن كتاب أعلام ليبيا (صـ ٢١٢).

---

(١) ١٠١ المرجع.

٧ ـ ابن شرف الاجدابى القيروانى الشاعر[1]

محمد بن أبى سعيد بن شرف الاجدابى من إجدابية إحدى مدن ليبيا، تتلمذ على أبى الحسن القابسى، وأثنى عليه الباجى ووصفه بالعلم والذكاء وأن[2] علم الأدب بعض علومه، وابن شرف عالم أديب متمكن، تعلم فى القيروان، وكان من أساتذته فيها أبو عمران الفاسى، وأبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز شيخ علماء العربية فى القيروان، وكان صديقاً لأبى الحسن الحصري صاحب كتاب زهر الآداب (المتوفى عام ٤٥٣ هـ) يحضر مجالسه الأدبية، وقد كان شبان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه، ورأس عندهم، وشرف لديهم كما يقول ابن رشيق. واتصل بالمعز بن باديس، كما اتصل بوزيره ابن أبى الرجال الذي كان شاعراً أديباً، وكان المعز قد نشأ على حب الأدب وتذوقه وعلى تقدير الأدباء، وعلى الرغبة فيهم والحفاوة بهم، وصار ابن شرف أحد شعراء حضرة المعز.

ولما نكبت القيروان بتخريب الهلالية لها هاجر ابن شرف مع المعز إلى المهدية، التى هاجر إليها كذلك ابن رشيق. ثم اتخذ ابن شرف طريقه إلى صقلية، ولحقه فيها كذلك ابن رشيق.

ولابن شرف قصيدة مشهورة فى رثاء القيروان، قال فيها:

آه للقيروان! أنة شجو ... من فؤاد بجاحم الحزن يصلى
حين عادت بها الديار قبوراً ... بل أقول الديار منهن أخلى
ثم لا شمعة، سوى أنجم تخـ ... ـطو على أفقها نواعس كسلى
بعد زهر الشماع توقد وقدا ... ومتان الذبال تفتل فتلا
والوجوه الحسان أشرق منهـ ... ـن، ويفضلنهن معنى وشكلا

(١) راجع ١: ١٢٩ المنهل العذب، وكتاب (حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها).
(٢) ١: ١٢٩ و١٣٠ المنهل العذب.

ويصف جلاء أهل هذه المدينة عنها: رجالها ونسائها، شيوخها وأطفالها، وقد سالت بهم الطرق، وازدحمت بهم مسالك البادية، وما تعرضوا له فى خلال ذلك من عدوان وحشي، لا يعرف ضميراً، ولا يرقب فى هؤلاء إلا ولا ذمة فيقول:

. . . بعد يوم كأنما حشر الخلـ ـق حفاة به، عوارى، رجلى
ولهم زحمة هنالك تحكى زحمة الحشر والصحائف قتلى
وعجيج وضجة كعجيج الخلـ ـق يبكون والسرائر تبلى
من أيامى وراءهن يتامى ملئوا حسرة وشجوا وثكلا
وحصان كأنها الشمس حسنا كنفتها الأطهار، نجلاء، كحلا
فات كرسيها الجلاء فأضحت فى ثياب الجلاء للناس تجلى
جار فيهم زمانهم وأولو ألا مر ففروا يرجون فى الأرض عدلا
تركوا الربع والأثاث وما يثـ ـقل، لا حامل من الناس ثقلا
لبسوا الباليات من خشن الصو ف، وعاد النبيه فى الناس غفلا
نادبات: عفراء تسعد سعدى وسعاد تجيب بالنوح جملا
ليس منهن من يودع جارا لا، ولا حرمة تشيع أهلا
كلهن اعتدى الفراق عليه فاقتحمن الجلاء حفلا فحفلا
فإذا القفر ضمهم فرق الدهـ ـر لهم غير ذلك النبل نبلا
من ثعابين حاملين نيوبا عصلا: ذابلا ونبلا ونصلا
وشياطين راحين يلاقو ن بجوف الفلا مساكين عزلا
فتعرى الظهور تعتل عتلا وتشق البطون تغسل غسلا
فإذا مطمع أصابوه فى أحـ ـشاء قوم غموا بذلك كلا
فإذا نجت المقادير منهم راحلا بالخلاص يحمل رحلا
لقى الهون والمذلة أنى كان فى سائر البلاد وحلا
ليس يلقى إلا امرأ مستطيلاً طالباً عنده حقودا وذحلا
فترى أشرف البرية نفساً ناكساً رأسه يلاطف نذلا
فهمو كلما نبت بهم أر ض مطايا الفراق خيلا ورجلا

مـزقـوا فى البـلاد شرقـا وغـربـا يسكبـون الـدمـع هـطلا ووبـلا
لا يـلاقـى النسيـب منهـم نسيبـاً يـتـعـزى بـه، ولا الخـل خـلا

ولم يلبث ابن شرف أن ضاق بصقلية، فطمح ببصره إلى الأندلس، وعاد مرة أخرى إلى مكابدة السفر فى البحر، مما يقول فيه:

كـأنى وأفـراخي ـ إذا الليـل جننـا وبـات الكرى يجفـو جفـونـا ويـطرق
حـمـائم أضللن الـوكـور فـضمهـا تجـانـسهـا حـتى تـراءى المفـرق
إذا أفـزعـتـهـم نـبـوة زاحمـوا لهـا ضـلوعي حـتى ودهـم لـو تـفـتـق
ويصغر جسمى عن جميع احتضانهم فيـثـبـت ذا فـيه وذا عنه يـزهـق
كـأنهم لم يـسكـنـوا ظـل نـعـمـة لهـا بهجـة مـلء العيـون ورونـق
إلى أن غـدوا قـن الفيـافى فـتـارة تبـاع، وفى بعض الأحـايـين تعتق
وطـورا عـلى مـوج البحـار، كـأننا قـذى قـد وثقنـا أننـا ليس نغـرق
ونحن نـفـوس تسعـة ليس بـيـنـنـا وبـين الـردى إلا عـويـد مـلفـق

ويقول أيضاً:

أطافل مـا سـمـعـت بـالـفـلا قط، فـعـايـنـت الـفـلا دارهـا
ولا رأت أبـصـارهـا شـاطـئـا ثـم جـلت بـالـلج أبـصـارهـا
وكـانـت الأسـتـار آفـاقـهـا فـعـادت الآفـاق أسـتـارهـا
ولم تـكـن تـعـلو سريـرا عـلا إلا إذا وافـق مـقـدارهـا
ثـم عـلـت كـل عـبـور الخـطا تـرمـى بهـا الأرض وأحـجـارهـا
ولم تـكـن تـلحـظهـا مـقـلة لـو كحلت بـالـشمس أشـفـارهـا
فـأصـبـحـت لا تـتـقـى لحـظة إلا بـأن تجـمـع اطـمارهـا

وأقام ابن شرف فى الأندلس منذ عام ٤٤٧ هـ فى غرناطة والمرية حينا، وفى شرق الأندلس وغربها حينا آخر. وظل مع ذلك يذكر وطنه القيروان ويحن إليه، فيقول فيها يقول:

يـا قـيروان! وددت أنى طـائـر فـأراك رؤيـة بـاحـث مـتـأمـل

آهـا! وأيـة آهـة تشفـى جـوى قـلب بنـيران الـصبـابـة مـصـطلى
لا كـثرة الإحــسـان تـنسى حسرة هـيهـات تـذهـب علة بـتعـلل
وإذا تجـدد لى أخ ومـنـادم جـددت ذكـر أخ هـنـالـك أول
(لـو كنت أعـلم أن آخـر عهـدهـم يـوم الـرحيـل فعلت مـا لم أفعـل)

وأخذ ابن شرف ينظم قلائد الأدب شعراً ونثراً، وألف فيها ألف: «أعلام الكلام» و«أبكار الأفكار»، وكان يعاصر ابن رشيق..

ولما قال ابن رشيق:

مما يـبـغـضـنى فى أرض أنـدلس سماع مـقتـدر فيهـا ومـعـتـضـد
ألقـاب مملكـة فى غـير مـوضـعهـا كـالهر يحكى انتفـاخـاً صولـة الأسـد

أجابه ابن شرف الاجدابى بقوله:

إن تـرمـك الـغـربـة فى مـعشر قـد جبـل الـطبـع عـلى بغضهـم
فـدارهـم مـا دمـت فى دارهـم وأرضـهـم مـا دمـت فى أرضـهـم

وله من قصيدة:

كسيت قنـاع الـشيـب قبـل أوانـه وجـسمى عليـه لـلشبـاب وشـاح
ويـا رب وجـه فيـه للعـين نـزهـة أمـانـع عـينى مـنـه وهـو مـبـاح
وأهجـره وهـو اقـتراحى من الـورى وقـد تهـجـر الأمـواه وهى قـراح

ووصفه الباجى بالعلم والذكاء[1]، ومن مؤلفاته أيضاً كتاب «رسائل الانتقاد» عارض به كتاب «العمدة» لابن رشيق، وقد تأنق فيه فسجعه وزينه بالتشابيه والكنايات، يقلد بها المقامات فى الخطاب والجواب؛ وضمنه انتقاداً على الشعراء الجاهليين ومن بعدهم، وشتان بينه وبين كتاب ابن رشيق، وقد نشرت رسائل الانتقاد فى مجلة المقتبس فى السنة السادسة.

وتوفى ابن شرف عام ٤٦٠ هـ[2] بالأندلس ودفن فى المرية.

---

(١) ٢٦٠ أعلام ليبيا.
(٢) راجع ٢ : ٢٨٣ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان.

٨ - ابن رشيق القيروانى

٣٩٢ - ٤٥٦ هـ

أبو العباس الحسن بن رشيق أبوه مملوك رومى من موالى الأزد، كان صائغاً فى بلدة المحمدية[١] فعلمه أبوه صناعته، وقرأ الأدب وقال الشعر، وأخذ عن علماء المغرب العربى فى طرابلس وغيرها، ورحل إلى القيروان عام ٤٠٦ هـ وأقام فيها واشتهر بها ومدح أميرها المعز بن باديس (٤٠٦ - ٤٤٩ هـ) وابنه الأمير تميم (٤٤٩ - ٥٠١ هـ)؛ ولما هجم عليها العرب من بنى هلال وقتلوا أهلها وخربوها انتقل إلى صقلية وأقام فى مازر إلى أن مات؛ وله كتاب تزييف نقد قدامة، وكتابه «العمدة فى صناعة الشعر ونقده» وهو من أشهر كتب النقد فى الأدب العربى[٢]، وكتاب «قراضة الذهب فى نشر أشعار العرب»[٣]، وتوفى عام ٤٥٦ هـ، أو عام ٤٦٣ هـ؛ وقد ألف فيه كتاب «ابن رشيق» لعبد الرؤوف مخلوف (عدد ٤٥ من سلسلة أعلام العرب)، وبساط العقيق فى حضارة ابن القيروان وشاعرها ابن رشيق لحسن حسني عبد الوهاب، وابن رشيق لعبد العزيز الميمنى، والنتف من شعر ابن رشيق وابن شرف للميمنى؛ وحياة القيروان وموقف ابن رشيق منها للياغى.

ابن هانئ الأندلسى فى القيروان وبرقة

ابن هانئ الأندلسى (٣٢٠ - ٣٦٢ هـ) شخصية مشهورة، وعلم من أعلام الشعر فى القرن الرابع الهجرى، ويقرن بالمتنبى فى روعة الشعر وبلاغته.

ولما بلغ ابن هانئ الخامسة والعشرين من عمره هاجر من الأندلس إلى

(١) من أعمال برقة (٢: ٧٧ المنهل العذب)، وراجع: ١: ٢٧٧ إنباه الرواة للقفطى.
(٢) دراسات فى النقد الأدبى صـ ٢٦١ للمؤلف، ٢: ٣٣٤ و٢٨٣ جورجى زيدان.
(٣) ١: ١٣٣ ابن خلكان، ١: ١٣٧ معجم الأدباء لياقوت.

المغرب عام ٣٤٧ هـ ونزل فى المهدية وطن والده، واتصل بجوهر قائد المعز ومدحه، كما مدح جعفر بن على القائد الفاطمى أمير ولاية الزاب والمسيلة.

وفى عام ٣٥٠ هـ وصل الشاعر إلى القيروان عاصمة الخلافة الفاطمية، فسعى إلى الخليفة ومثل بين يديه، وأنشده شعره ومدائحه فيه وفى الخلافة وجلال الدولة وعظمة أيامها، وتصوير عزها الشامخ، ومجدها المكين.

ومن مدائح الشاعر فى المعز قصيدة قيل عنها إنها أول شعر مدح به ابن هانئ الخليفة المعز، وفيها يقول الشاعر:

ملك أناخ على الزمان بكلكل ... فأذل صعباً فى القياد جموحا

ويحذر أعداءه سطوته ويشيد بانتصارات جيوشه فيقول:

ونصرت بالجيش اللهام وإنما ... أعددته قبل الفتوح فتوحا
يزجيه أروع لو يدافع باسمه ... علوى أفلاك السماء أزيحا
فكأنما ملك القضاء مقدرا ... فى كل أوب، والحمام متيحا

ويصف الأسرى وبؤسهم، وأسطول المعز وقوته، وتتبع بنى أمية لحركاته البحرية، ويذكر مأتمهم الذي تجاوبت به الدنيا، ورزء فقيدهم الذى فقدوه، ويدعو إلى القضاء على دولتهم فى الأندلس، فيقول:

وأمية تخفى السؤال وما لمن ... أودى به الطوفان يذكر نوحا؟
تتجاوب الدنيا عليهم مأتما ... فكأنما صبحتهم تصبيحا
لبسوا معايبهم ورزء فقيدهم ... كاللابسات على الحداد مسوحا
أنفذ قضاء الله فى أعدائه ... لتراح من أوتارها وتريحا

إلى أن يقول:

أعليك تختلف المنابر بعدما ... جنحت إليك المشرقان جنوحا؟
أم فيك تختلج الخلائق مرية ... كلا وقد وضح الصباح وضوحا
صورت من ملكوت ربك صورة ... وأمدها علما فكنت الروحا

والقصيدة قوية رائعة، ويتجلى من قراءتها أنها نظمت على أثر انتصار حربى لجيوش المعز، ولكن لا ندرى فى أى عام كان هذا الانتصار. ونتساءل: من هو هذا الفقيد الذى لبست أمية رزءه فى الأندلس، وتجاوبت بمأتمه الدنيا؟ لم يفصح الشاعر بشيء، ولا يبعد عندى أن يكون هو الملك الناصر الذى توفى عام ٣٥٠ هـ، وإذاً يكون تاريخ القصيدة هو هذا التاريخ؛ وإذا صح أنها أول ما أنشده ابن هانئ أمام الخليفة فيكون إذاً بدء اتصاله به هو عام ٣٥٠ هـ.

ولابن هانئ قصيدة أخرى نالت إعجاب الخليفة، وكوفئ عليها مكافأة طائلة بلغت خمسة عشر ألف دينار وذكر الديوان أنه قد قيل فيها إنها أول ما أنشده الشاعر بالقيروان من شعر فى المعز ومطلعها:

هل من أعقة عالج يبرين ... أم منهما بقر الحدوج العين؟

ويقول فيها:

هذا معد والخلائق كلها ... هذا المعز متوجا والدين
هذا ضمير النشأة الأولى التى ... بدأ الإله، وسرها المكنون

ويحرض فيها المعز على العبور إلى الأندلس والقضاء على دولة بنى أمية فيها؛ والقصيدة رائعة، قوية فى نظمها وفى روحها وفى العقيدة التى تملأ جوانبها بالحياة الفنية المشبوبة: وهى على أى حال من أوائل القصائد التى نظمها ابن هانئ فى المعز، بعد إقامة الشاعر فى القيروان عام ٣٥٠ هـ؛ أقام ابن هانئ فى فناء الخليفة، واستظل بظله، وعاش فى القيروان عاصمة دولته، يروح ويغدو كل يوم إلى الخليفة، ينشر أمامه الثناء المحبر والشعر الساحر، والقوافى البليغة، التى يشيد فيها بالدولة والخليفة، ويدعم حقها فى تراث الرسول، ويذود عنها أعداءها من الأمويين والعباسيين، ويشدو بأيامها وانتصاراتها؛ كل هذا والخليفة يزيده عطفا ورعاية وتمكينا.

وبذلك ابتدأت صفحة جديدة فى حياة الشاعر، فعاش فى مجد الدولة وظلها، وبين سمع الزمان وبصره..

وصار ابن هانئ في القيروان شاعر الخليفة، والشاعر السياسي لدولة الخلافة الفاطمية، ينطق بمجدها، ويتحدث عن عظمتها الروحية والسياسة والحربية، وكان يجد في عظمة المعز وعصره مجالا فسيحا ينظم الشعر فيه.

نعم إن قصائده كانت في أول اتصاله ببلاط المعز تدور حول إثبات وجود الشاعر والتمكين لنفسه ولشخصيته في الدولة، وتصوير آلامه والخطوب التي احتملها، وشكر أيادي الخليفة التي تغدق عليه المال والعطاء، ولكنها مع ذلك كله لم تخل من الحديث في مجد الخلافة والدولة وعاهلها العظيم، وفي انتصارات الفاطميين الحربية والبحرية على الروم عام ٣٥١ هـ إلى ٣٥٤ هـ، نظم ابن هانئ كثيراً من القصائد الرائعة التي صور فيها هذه الانتصارات الباهرة أبلغ تصوير، ثم كان فتح مصر عام ٣٥٨ هـ فألهم الشاعر بآيات ساحرة من القريض، ونظم ابن هانئ بعد ذلك قصائد هي صورة صادقة لما تلا ذلك من أحداث حتى وفاته عام ٣٦٢ هـ مقتولا في برقة، ولما بلغ المعز خبر وفاته حزن حزناً شديداً وقال: هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك[١].

كان ابن هانئ في هذه الفترة العظيمة التي قضاها في بلاط المعز شاعر الخليفة، والشاعر السياسي، وشاعر العقيدة الفاطمية بمبادئها الروحية وآرائها السياسية ومعتقداتها الدينية، وصارت شخصيته في هذا العهد أظهر شخصية بين الأدباء والشعراء وبين رجال الدولة والسياسة، وأغدق عليه المعز المال إغداقاً، وحسبك أن نونيته وحدها كافأه المعز عليها بخمسة عشر ألف دينار. ولننتقل بعد ذلك إلى مرحلة جديدة من التحليل الأدبي لبعض قصائد الشاعر في هذه الفترة الحافلة.. لابن هانئ كثير من القصائد التي نظمها في المعز وتسمى «المعزيات».

(١) ابن خلكان جـ ٢ صـ ٤، ٥ - ويروى أن ابن هانئ قتل مخنوقاً بتكة سرواله، وربط في شجرة بعد ليلة معربدة، وكان موته في برقة بأيدي بعض اللصوص أو بفعل مؤامرة سياسية كما أرجح.

لما وصل إلى المعز نبأ فتح مصر على يد قائده جوهر صور ابن هانئ الفتح وأنباءه ونتائجه السياسية تصويراً باهراً فى قصيدة بالغة نهاية الروعة والسحر والبلاغة، وهى المثل الأول لقوة العقيدة فى نفس الشاعر، ولأثر هذه العقيدة فى فنه الشعرى الموهوب، ومطلعها:

يقول بنو العباس: هل فتحت مصر؟ فقل لبنى العباس: قد قضى الأمر

وقيل إن الشاعر بدأها بدعوة المعز إلى فتح بغداد:

تجهز إلى بغداد قد فتحت مصر وأنجز صرف الدهر ما وعد الدهر
تقول بنو العباس هل بلغ المدى فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

وهو يدل على طموح الفاطميين السياسى أبعد غايات الطموح، ويسترسل ابن هانىء فى قصيدته استرسالاً جميلاً، فيصور الفتح وأثره ومداه وما ترتب عليه من نتائج ويقرر حق الفاطميين فى تراث الرسول، ويذود عنهم خصومهم السياسيين، ويصف الجيش الفاتح، ودخوله الإسكندرية، ورسول القاهرة إلى جوهر، ثم سيره إليها، وقضاءه على الدولة الإخشيدية، ويدعو الشاعر العالم الإسلامى إلى أن يستظل بلواء الفاطميين، وأن يدخل فى نطاقهم السياسى، وإلا فالويل لمن يقف فى طريق السيل المنهمر، ويتهكم ببنى العباس إلى أن يقول:

ألا تلكم الأرض العريضة أصبحت وما لبنى العباس فى عرضها فتر
فقد دالت الدنيا لآل محمد وقد جررت أذيالها الدولة البكر

ويشيد بالمعز ويده على العلويين:

من انتاشهم فى كل شرق ومغرب فبدل أمنا ذلك الخوف والذعر
فكل إمامى يجىء كأنما على خده الشعرى وفى وجهه البدر

ويبشر بهذا الفتح العالم الإسلامى، لا سيما قلبه الخافق، البيت المحرم، الذى يراه عما قريب سيكون فى قبضة المعز وسلطانه، إلى أن يقول:

حبيب إلى بطحاء مكة موسم تحيى «معدا» فيه مكة والحجر

ويصور آثار الفتح، ويشيد بالخليفة، ويهنئه به، فى حرارة وقوة إيمان ويصف الأمن والعدل اللذين سادا مصر على يد جوهر، وينوه بجوهر وأعماله ومجده وولائه إلى أن يقول:

رضينا لكم يا أهل مصر بدولة ... أطاع لكم فى ظلها الأمن والوفر
لكم أسوة فينا قديما فلم يكن ... بأحوالنا عنكم خفاء ولا ستر

إلى أن يقول:

ألا إنما الأيام أيامك التى ... لك الشطر من نعمائها ولى الشطر

والقصيدة من أروع شعر ابن هانئ، ومعجزة من معجزات فنه الخالد. وفى المغرب وجد الشاعر شعراء، اتخذهم أنداداً لا أساتذة؛ كان من شعرائه على التونسي الشاعر، الذى قال فيه ابن هانئ لما هجاه شعراء المغرب بعد هجرته: «لا أجيب منهم أحداً إلا أن يهجونى على التونسي فأجيبه[1]». وكان منهم عبد الله بن الحسن الجعفرى، ومقداد بن الحسن الكتامى وسواهم من الشعراء؛ وهكذا عاش ابن هانئ فى القيروان وبرقة وربوع المغرب خمسة عشر عاماً، كل ثروته الشعرية هى من إنتاجه الأدبى فى هذه الفترة الصغيرة فى حياة الشاعر..

---

(١) ١: ٧١ عمدة.

الباب الرابع

الأدب العربي في ليبيا

في ظلال الموحدين والحفصيين
٥٥٦ ـ ٩٥٨ هـ

الفصل الاول

هذا العصر التاريخي

- ١ -

قام محمد بن تومرت المهدي بسوس: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وآزره في دعوته عبد المؤمن بن علي، وبايع الناس ابن تومرت بالإمارة عام ٥٣٢ هـ، فأنشأ في المغرب دولة جديدة سميت دولة الموحدين، وصارت بلاد المغرب تحت حكمهم.

وعاصرت دولة الموحدين دولاً كثيرة، منها: دولة المرابطين (٤٣٤ - ٥٣٩ هـ) - والدولة الحمادية بالجزائر[1] (٤٠٠ - ٥٤٧ هـ)، والدولة الفاطمية والدولة الأيوبية؛ ومات ابن تومرت[2] عام ٥٣٤ هـ، فخلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي[3]، الذى فتح البلاد، وطوى الممالك، وضم الأندلس إلى مملكته حيث انتزعها من أيدى المرابطين، وقضى على دولتهم عام ٥٤١ بعد أن استمرت نحو ستة وخمسين عاماً (٤٨٤ - ٥٤١ هـ)، وأصبحت دولة

---

(١) كان محمد بن حماد ببجاية فى القرن الخامس الهجرى، ولوعاً بندب آثار أسلافه الحماديين بالقلعة وما حولها من الأمكنة، وله فى ذلك شعر كثير، (راجع ٢: ٢١٣ و ٢١٤ تاريخ الجزائر).

(٢) لابن تومرت كتاب فى أصول الدين على مذهب الأشاعرة، وكان أشعرياً، وتأثر بأراء أستاذه الغزالي، وحاول نشرها في المغرب، وقد سموا الموحدين تسجيلاً لتوحيدهم الله، وتعريضاً بمن جنح عن التأويل ووقف عند الظاهر.

(٣) بنى عبد المؤمن بن علي مدينة الرباط في مراكش عام ٥٤٥ هـ: ١١٥٠ م لتكون مركزاً لتجمع الجيوش الموحدية الغازية.

الموحدين تشمل شمال بلاد المغرب من طرابلس إلى مراكش، وكذلك الأندلس، وتوفى عبد المؤمن فخلفه ابنه يوسف على الملك (٥٥٨ ـ ٥٨٠ هـ)، ثم يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠ ـ ٥٩٥ هـ)، ثم محمد بن يعقوب (٥٨٥ ـ ٦١٠ هـ)، ثم يوسف بن محمد بن يعقوب (٦١٠ ـ ٦٢١ هـ)، وحكم الموحدون البلاد نحو خمس وسبعين سنة (٥٥٤ ـ ٦٢٩ هـ) وكان بدء دولتهم عام ٥٢٤ هـ.

كانت أسرة بنى مطروح[1] فى طرابلس خاضعة لنفوذ النورمانديين فى صقلية، فلما عظم شأن الموحدين فى عهد عبد المؤمن بن على طرح يحيى بن مطروح طاعتهم وسار على رأس وفد من الشعب الليبى إلى المهدية وبايعوا عبد المؤمن بن على بالخلافة، وبذلك دخلت ليبيا فى حكم الموحدين وصار يحيى بن مطروح والياً عليها من قبلهم، وشغل وظيفته نحو اثنتى عشرة سنة، وفي عام ٥٦٨ هـ استأذن من ملك الموحدين يوسف بن عبد المؤمن في الحج، فأجابه الخليفة إلى ذلك، وهيأ لوازمه، وغادر طرابلس، حيث ركب إحدى السفن التجارية، واستقر عام ٥٦٨ هـ غرب الإسكندرية، وقيل للمكان الذي نزل فيه مرسى مطروح فى عهد صلاح الدين الأيوبى، وكثر الطامعون فى الإمارة والحكم من الثائرين، فى ذلك العهد، ممن حكموا ليبيا، وإن ظل نفوذ الموحدين غالباً فيها[2]، وينافسهم فى هذا النفوذ ملوك الدولة الحفصية (٦٢٥ ـ ٩٨١ هـ)..

وبعد انتهاء دولة الموحدين اتسعت المملكة الحفصية[3]، فشملت

---

(١) راجع ١: ١٣٦ و ١٤٠ المنهل العذب.

(٢) راجع وصف لآثار الموحدين فى مراكش والأندلس (أشبيلية) فى عدد رجب ١٣٨٤ م من مجلة قافلة الزيت بالظهران ـ فى مقال للمؤرخ محمد عبد الله عنان بعنوان «أطلال مغربية».

(٣) عاصر الحفصيون دولة المماليك فى مصر، ودولة بنى مرين بفاس (٦٥٧ ـ ٧٦٩ هـ)، والدولة الزيانية بتلمسان (٦٣٣ ـ ٩٥٧ هـ)، ودولة بنى الأحمر فى غرناطة، وسواها (راجع الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لمحمد الزركشى، تاريخ الموحدين والحفصيين لابن الشماع، والخلاصة النقية فى أمراء إفريقية لمحمد الباجى، وتاريخ ابن خلدون، وكتاب «عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس لمحمد عبد الله عنان، وسوى ذلك من المصادر).

طـرابلس وتونس والجـزائر ومـراكش التى انضم ملوكها من بنى مـرين إلى الحفصيين، وقدموا لهم فروض الولاء؛ وقد أسس دولة الحفصيين أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد، وكان والياً على إفريقية من قبل الموحدين منذ رجب ٦٢٥ هـ، وما لبث أن استقل عنهم سنـة ٦٢٦ هـ، وبعث أبو زكـريا إلى طرابلس بولاته... ولما ضعف نفوذ الحفصيين أغار لويس التاسع ملك فرنسا على تونس عام ٦٦٨ هـ (١٢٦٩م) فى الحملة الصليبية الثامنة بعد أن هزم من قبل فى المنصورة عام ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م)، ولقى لويس حتفه فى تونس عام ١٢٧٠م ٦٦٩ هـ، وشاهدت الخلافة الحفصية عهداً مضطرباً دام مائة عام، فاستقلت أسرة بنى ثابت بطرابلس[1]، ثم غزا أهالى جنوا بإيطاليا مدينة طرابلس، وقويت الخلافة الحفصية مرة أخرى فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري، فعادت البلاد إلى وحدتها القديمة ومجدها السالف، وسادها الأمن، وفى آخر القرن التاسع الهجرى حدثت نكبة الأندلس عام ٨٩٧ هـ ـ ١٤٩٢م وطرد العرب منها، فأخذوا يهاجرون جماعات وأفراداً إلى أرض المغرب الكبير وينزلون فى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش، فعاد لهذه البلاد ازدهارها.

وقد عقدت الدولة الحفصية معاهدات تجارية وسياسية مع مدن أوربا التجارية كـبرشلونة وجنـوة وصقلية والبنـدقية ومـرسيليا، واشتهـرت أسواق طرابلس وتونس بين التجار الأوربيين، وبتأثير هجرة الأندلسيين والصقليين إليها ازدهرت الفنون والصناعات والعلوم والآداب، فظهر أثر الفن الأندلسى فيما أنشىء من المبانى: كجامع القضـاء بتونس وصـومعته المشهـورة واسواق المدينة وأبوابها التى مـا تزال مـوجودة إلى الآن؛ ونهضت العلوم والآداب،

(١) منهم أبو بكر بن محمد بن ثابت الطرابلسى أمير طرابلس، وقد حـارب أهل جنـوا الذين استولوا على طرابلس وهزمهم، ومات وهو أمير على المدينة عام ٧٩٢ هـ (١٩ أعلام ليبيا) ومنهم ثابت بن محمد أول أمير من الأسرة (٧٣٠ هـ) وثابت الثاني (نحوه ٧٣٥ هـ) ومحمد بن ثابت (٧٥٠).

وعمل الملوك الحفصيون على تشجيع العلم والأدب فى أنحاء بلادهم، فأسسوا المدارس، ونظموا التعليم بجامع الزيتونة، وأنشأوا المكتبات، وظهر في إيامهم كثير من الأدباء والشعراء. ومن مشاهير هذا العصر ابن خلدون والأطباء من آل الصقلى، وكذلك الإمام المازري (٧٣١ هـ) وابن عرفة (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) وغيرهم[1]؛ ومن الأدباء ابن حازم القرطاجنى (٦٠٨ - ٦٨٤ هـ)، ومن الرحالة ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٩ هـ: ١٣٧٧م)، ومن أدباء أهل المغرب أبو إسحاق إبراهيم التلمسانى الأنصارى الكاتب الشاعر الرحالة الذى دخل مصر والشام وغيرهما ومات بسبته عام ٦٩٠ هـ.

وظل نفوذ الحفصيين سائداً في ليبيا إلى بدء الحكم العثمانى لها عام ٩٥٨ هـ (١٥٥١م)، وإن كان إقليم برقة يخضع لنفوذ المماليك في مصر ولسلطانهم الأسمى.

- ٢ -

أربعة قرون كاملة عاشتها ليبيا العربية فى ظلال نفوذ الموحدين والحفصيين، وفى ظلال حكام من بيوت ليبية صميمة مثل بيت بنى مطروح وبيت بنى ثابت.

وفى هذه القرون الأربعة وعلى الرغم من كثرة الحروب والخلافات السياسية فيها، والثورات التى كثيراً ما تنشب من آن لآخر، قويت العربية واستحكمت الألسنة، وصقلت الطباع، وازدهر الأدب، وكثر الأدباء والشعراء، وتعددت حلقات العلم فى كل مدينة، من مدن ليبيا وقراها، وأثمر هذا العهد نهضة أدبية زاهرة في النثر والشعر، وبتأثير ازدهار الحياة العلمية والأدبية نهضت الكتابة، وهى أهم ألوان الأدب، فوجدنا كتابة الرسائل وكتابة التأليف قوية رصينة دقيقة؛ وبعد أن كانت الكتابة والنثر الفنى مقصورة على الأمراء والعلماء تخرج فى الفصاحة والبلاغة الموالى من البربر، فشاركوهم

---

(١) راجع ٢: ٣٠٨ - ٣١٩ قصة الأدب فى الأندلس للمؤلف.

فيها؛ وأصبحت الكتابة صناعة اقتدى الكتاب فيها بكتاب مصر والأندلس وبغداد، ففشا فيها السجع والتأنق فى المجاز والاستعارة. وما جاءت الدولة الفاطمية والصنهاجية إلا ولصناعة الكتابة منزلة عند ملوكهم ليس وراءها إلا منزلة أمراء الجيوش وأمراء الأساطيل، فكان من كتاب عصر الصنهاجيين: على ابن أبي الرجال، وابن رشيق، وابن شرف، وابن القزاز.

وفى عهد الموحدين والحفصيين هاجر كثير من أعلام كتاب الأندلس إلى بلاد المغرب العربى، حتى اجتمع منهم في بلاد العدوة الافريقية ما لم يجتمع مثله للملك من ملوك الطوائف فى الأندلس، فكان منهم: أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، وأخوه أبو مروان، وأبو محمد عبد المجيد بن عبدون، وابن عياش، وابن محشوة، وابن الميمون، فنشروا طريقة الأندلسيين في الكتابة، وتخرج عليهم كثيرون ثم اضمحل أمر الكتابة بالتدريج، حتى أصبحت مجرد سجع قليل البلاغة، متكلف التقفية.

- ٣ -

وهذا فصل من رسالة كتب بها ابن الميمون عن المستنصر بالله أحد ملوك الحفصيين (٦٨٣ - ٦٩٤ هـ) إلى بعض نوابه، وقد نقض العهد على بعض المهادنين من النصارى قال بعد الديباجة:

بلغنا ما كان منكم من اكتساح النصارى، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى، ونعوذ بالله من شهوة تغلب عقلاً، ونخوة تعقب هواناً وذلاً؛ وقد أخطأتم في فعلتكم الشنيعة من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه خلاف ما أمر الله به من الوفاء بالعهد، والوقوف مع العقد.

الثاني: عصيان الأمر العزيز، وفيه التغرير بالمهج، وترك السعة للحرج.

الثالث: أنكم تثيرون على أنفسكم من شر عدوكم، قصمه الله، شرراً، يستعر ضراماً يعدم فيه المنتصر، فليتكم إذ تحليتم بالعصيان، ورضيتم الغدر المحرم في سائر الأديان، ثبتم للعدو إذ دهمكم، ولقيتموه بالجانب القوى حين زحمكم.

فإذا وافاكم كتابنا هذا بحول الله وقوته، فأدوا من أسرتم إلى مأمنه، وردوا ما انتهبتم إلى مسرجه، ولا تمسكوا من الأسارى بشعرة، ولا من الماشية بوبرة، ومن سمعنا عنه بعد وصول هذا الكتاب أنه تعدى هذا الرسم، وخالف هذا الحكم، أنفذنا عليه الواجب، وحكمنا فيه المهند الغاضب فلتسرع من نومة الغفلة إفاقتكم، ولا تتعرضوا من الشر لما تعجز عنه طاقتكم. ونحن متعرفون ما يكون منكم من تأن أو بدار، ومقابلون لكم بما يصدر عنكم من إقرار وإنكار. . . وهو يرشدكم بمنه.

الفصـــل الـثــاني

أشهر العلماء والأدباء فى هذا العصر

نبع فى هذا العصر الكبير (٥٥٦ ـ ٩٥٨ هـ)، الذى استمر أربعة قرون كاملة، فحول العلماء والأدباء والشعراء ممن عاشوا فى ظلال نهضة علمية كبيرة ازدهرت فى مدن ليبيا والمغرب العربى كله، على الرغم من كثرة الاضطرابات السياسية والدينية فى هذه الفترة.

وسوف نذكر هنا بعض هؤلاء الأعلام الخالدين:

١ ـ أحمد بن محمد الآبى من ناحية برقة أديب شاعر توفى عام ٥٩٨ هـ، وأقام بالإسكندرية والقاهرة مدة طويلة، وترجم له ياقوت فى معجم الأدباء (جـ ٥ صـ ٥٥ ـ ٥٩).

٢ ـ أبو إسحاق إبراهيم المصراتى، تولى الخطابة بجامع القيروان؛ وتوفى بها عام ٧٠٤ هـ[1].

٣ ـ أبو على الحسن الطرابلسى (٦٠٩ ـ ٦٨٣ هـ) كان فقيهاً عالماً، كاتباً بارعاً أديباً (٩٢ و٩٣ نفحات النسرين والريحان) وكان خطيباً أديباً، وله شعر كثير، ومنه قوله:

آهـاً نـردد لـو تشفى لنـا كـربـا ... وبـالنعلات نحيى لـو قضت أربـا
وبـالأمـانى ينـال القلب بغيتـه ... وقـد تحقق من معتادهـا كـذبـا[2]

وتوفى فى تونس عام ٦٨٣ هـ وستأتى ترجمة له..

(١) ٨ أعلام ليبيا للزاوى، ١: ١٧١، ١٧٢ المنهل العذب.

(٢) ٢٣ ـ ٢٥ أعلام ليبيا، و٢٨ ـ ٣٠ مجلة القلم الجديد (تموز ١٩٣)، وأعلام من طرابلس للمصراتى.

٤ ـ أبو القاسم الطرابلسي الرماح (٧٨٥ ـ ٨٨٧ هـ)[١].

٥ ـ أبو موسى الهواري الطرابلسي توفي عام ٧٦٠ هـ[١].

٦ ـ أحمد القروي (٨١٤ ـ ٨٩٦ هـ) أحد الأئمة الفقهاء[٢].

٧ ـ أحمد التاجوري كان حافظاً للأداب والتاريخ (٦٣٥ ـ ٧٠٨)[٣].

٨ ـ أحمد بن محمد (٩٨٩ هـ) من أصحاب عبد السلام الأسمر[٤].

٩ ـ أحمد القيرواني من تلامذة عبد السلام الأسمر ومن أعلام المائة التاسعة[٥].

١٠ ـ أحمد بحر السماح (٩٧٩ هـ)[٦].

١١ ـ أحمد زروق (٤٨٦ ـ ٨٩٩ هـ) من أئمة العلماء، شرح حكم ابن عطاء الله، ومنه نسخة خطية بمكتبة الأزهر (١٠٦) ٦١٥٠، و ١٣١٤ بخيت، وشرح العقيدة القدسية للغزالي وله مؤلفات كثيرة [٧] منها كتابه «قواعد التصوف»، وهو مطبوع بالمطبعة العلمية بالقاهرة عام ١٣١٨ هـ.

١٢ ـ راشد بن أبي زيد من تلامذة عبد السلام الأسمر توفي ٩٨٩ هـ[٨].

١٣ ـ سالم بن طاهر (٩٩٩ هـ) لقي الأسمر عام ٩١٠ هـ كان مشاركاً في جميع العلوم[٩].

١٤ ـ شعبان الفراري من تلامذة الأسمر توفي عام ٩٩٧ بغريان[١٠].

---

(١) ٢٨ أعلام ليبيا.

(٢) ٣٧ و ٣٨ المرجع.

(٣) ٣٨ و ٣٩ المرجع.

(٤) ٤٦ المرجع.

(٥) ٥٣ و ٥٤ المرجع.

(٦) ٥٥ المرجع.

(٧) ٦٥ ـ ٦٧ أعلام من ليبيا.

(٨) ١٠٩ المرجع، ١: ١٩٣ المنهل العذب.

(٩) ١٢٠ المرجع.

(١٠) ١٣٤ المرجع.

١٥ ـ صالح الطرابلسى من العلماء الفضلاء وتتلمذ على الأسمر، توفى ٩٨٩ هـ[١].

١٦ ـ عبد الحميد بن أبي الدنيا الطرابلسى من أئمة العلماء وكان شاعراً مجيداً وله تآليف كثيرة (٦٠٦ ـ ٦٨٤ هـ)[٢]، وله من شعره قصيدته:

طرق السلامة والفلاح قناعة ولزوم بيت بالتوحش مؤنس

١٧ ـ عبد الحميد الكمودي (٩٠٥ ـ ٩٩١ هـ) من أئمة العلماء، تلقى عن الأسمر[٣].

١٨ ـ عبد الرحمن التاجورى الطرابلسى (٩٦٠ هـ) من أعلام العلماء[٤].

١٩ ـ عبد الرحمن الطرابلسى المحدث (٥٧٠ ـ ٦٥١ هـ)[٥].

٢٠ ـ عبد الرحمن السليمى من مشاهير العلماء توفى عام ٨٩٩ هـ[٦].

٢١ ـ عبد السلام الأسمر (٨٨٠ ـ ٩٨١ هـ) من أعظم علماء عصره ومن كبار الصوفية[٧].

٢٢ ـ عبد السلام المصراتى (٦٤٦ هـ) عالم صوفى [٨].

٢٣ ـ عبد العزيز الطرابلسى (٦٢٩ ـ ٧٠٨ هـ) من أئمة العلماء فى عصره[٩].

٢٤ ـ عبد الله بن شرف الطرابلسى (٩٤٠ هـ) من قواد الدفاع عن طرابلس ضد الأسبان[١٠].

---

(١) ١٣٦ أعلام من ليبيا، ص ٩٠ نفحات النسرين والريحان.

(٢) ١٥٤ و ١٥٥ أعلام.

(٣) ١٥٦ المرجع.

(٤) ١٥٨ ـ ١٦٠ المرجع، ١: ٢١١ المنهل العذب.

(٥) ١٦٠ أعلام من ليبيا.

(٦) ١٦١ المرجع.

(٧) ١٦٩ ـ ١٧٢ المرجع.

(٨) ١٧٣ المرجع؛ ١: ٢٢١ ـ ٢٢٣ المنهل العذب.

(٩) ١٧٨ و ١٧٩ أعلام من ليبيا.

(١٠) ١٨٩ المرجع.

٢٥ ـ عبد النبى الصنهاجى عالم متصوف من القرن التاسع الهجرى[١].

٢٦ ـ على بن أبى عجيلة عالم متصوف (٩٨٩ هـ)[٢].

٢٧ ـ أبو الحسن على بن محمد (٩٩٧ هـ)[٣] من العلماء والنساك.

٢٨ ـ عمر القريوى (٩٠٦ ـ ٩٩٩ هـ)[٤] من كبار العلماء، كانت له حلقة علمية بطرابلس.

٢٩ ـ عمران بن عبد السلام الأسمر (٩٩٥ هـ) من العلماء والنساك[٥].

٣٠ ـ عمران الطرابلسى (٦٦٠ هـ) من العلماء والخطباء[٦].

٣١ ـ غلبون السالمى (٧١٠ هـ) من أسرة عليمة جليلة[٧].

٣٢ ـ كريم الدين البرموى المصراتى من مشهورى المؤرخين (٨٩٣ ـ ٩٩٩ هـ) وتاريخه «روضة الأزهار» مشهور[٨].

٣٣ ـ محمد الجبالى من علماء طرابلس المشهورين (٩٩٨ هـ) [٩].

٣٤ ـ محمد الهجرسى (٩٠٧ ـ ٩٨٨ هـ) من العلماء والنساك[١٠].

٣٥ ـ محمد الخروبى (٩٦٧ هـ) من العلماء المعروفين وله تفسير مخطوط فى دار الكتب المصرية فى ثمانية أجزاء[١١] اسمه، «رياض الأزهار»[١٢].

---

(١) ١٩٧ المرجع.

(٢) ٢٠٤ المرجع.

(٣) ٢١٥ المرجع.

(٤) ٢٢٧ المرجع.

(٥) ٢٣٩ المرجع.

(٦) ٢٤٠ أعلام ليبيا.

(٧) ٢٤٤ المرجع.

(٨) ٢٥٥ و٢٥٦ المرجع.

(٩) ٢٨٤ المرجع.

(١٠) ٢٨٦ المرجع.

(١١) ٢٨٦ و٢٨٧ المرجع، وراجع عنه ٤٣ ـ ٤٨ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى، ويذكر عن الكثيرين أن وفاته عام ٩٦٣ هـ.

(١٢) دار الكتب المصرية ـ مكتبة طلعت رقم ٣٦٤ تفسير، ١ : ٢١٢ المنهل العذب، وص ١١٦ نفحات النسرين والريحان.

٣٦ ـ محمد البرقى (٨٢٣ هـ) من العلماء[١].

٣٧ ـ محمد أبو طبل (٨٨٥ ـ ٩٨٧ هـ) من أصحاب الأسمر[٢].

٣٨ ـ محمد الحطاب الطرابلسى (٨٥٦ ـ ٨٩٦ هـ) من العلماء[٣].

٣٩ ـ محمد الحطاب الكبير هو أخو السابق، (٨٦١ ـ ٩٤٥ هـ) عالم ناسك[٤].

٤٠ ـ محمد الحطاب الصغير (٩٠٢ ـ ٩٥٤ هـ) من سادات العلماء ومشهورى المؤلفين فى عصره[٥].

٤١ ـ يحيى الحطاب (٩٩٣ هـ) كان علامة مؤلفاً متفنناً[٦].

٤٢ ـ مساعد المصراتى (٨٧٢ هـ) له اشتغال بالعربية والمنطق[٧].

٤٣ ـ يوسف بن على (٩٨٩ هـ) له معرفة بسائر العلوم[٨].

٤٤ ـ أبو محمد بن أبى الدنيا (٦٨٤ هـ) من العلماء الأجلاء والشيوخ الفضلاء، وله مؤلفات كثيرة، ومن شعره:

طرق السلامة والفلاح قناعة ... ولزوم بيت بالتوحش مونس
يكفيه أنساً أن يكون أنيسه ... آى الكتاب ونوره فى الحندس
وإذا رأت عيناه إنساناً أتى ... فلينفرن نفور ظبى المكنس
ولقلما ينفك صاحب مقول ... من عثرة أو زلة فى المجلس
تحصى وتكتب والجهول مغفل ... حتى يراها فى مقام المفلس[٩]

(١) ٢٩٢ أعلام ليبيا.
(٢) ٣٠٨ المرجع.
(٣) ٣٠٩ المرجع، وراجع ص ١٠٤ نفحات النسرين والريحان.
(٤) ٣٠٩ ـ ٣١١ أعلام، وراجع الضوء اللامع للسخاوى، والمنهل العذب للنائب ١ : ٢٠٣، وص ٤٤ نفحات النسرين والريحان.
(٥) ١ : ٢٠٧ ـ ٢١٠ المنهل العذب، ١١١ ـ ١١٤ نفحات النسرين والريحان.
(٦) ٣٦١ أعلام ليبيا.
(٧) ٣٢٧ أعلام ليبيا.
(٨) ٢٦٣ المرجع.
(٩) ١ : ١٦٤ المنهل العذب، و ٨٥ ـ ٨٨ نفحات النسرين والريحان.

٤٥ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن الاجدابي من أئمة العلم والدين والعربية ومشاهير الفضلاء في عصره، ومن أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقها ونحواً ولغة وعروضاً ونظماً ونثراً، وله عدة كتب[1]، وقد توفى عام ٦٥٠ هـ، وكتابه «الأزمنة والأنواء» طبع في دمشق في سلسلة إحياء التراث القديم بتحقيق عزة حسن.

و«الأزمنة والأنواء» كتاب طريف[2] ألفه أبو إسحق إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن الاجدابي المتوفى سنة ٦٥٠ للهجرة؛ والكتاب يتناول الأزمنة والأنواء؛ والمؤلف إجدابي الأصل، وإن كان ولد في طرابلس الغرب، واجدابية بلدة من نواحي افريقية، تقع قريباً من طرابلس الغرب، إلى الشرق منها، وتبعد عنها ما يزيد عن ثمانمائة كيلومتر.

وأبو إسحق بن الأجدبي كان أحد شيوخ العلم واللغة في القرن السابع الهجرى؛ وطرابلس الغرب مثل مصراته واجدابية، لها في العلم والعناية به باع طويل، وكانت دوماً موئلاً لعلماء كبار!

ولابن الأجدابي «كفاية المتحفظ» وهو كتاب مختصر في اللغة، ومختصر في الأنساب، وألف في العروض، أما كتاب «الأزمنة والأنواء»، فقد قدم ابن الاجدابي كتابه بقوله: «هذا كتاب مختصر أودعناه أبواباً حسنة في علم الأزمنة وأساساتها، والفصول وأوقاتها، ومناظر النجوم وهيئاتها، بأوضح ما أمكننا من التبيين، وبأسهل ما حضرنا من التقريب. وبالله نستعين، على ما نحاول من جميع أمورنا، وإليه نرغب في التوفيق لما يرضيه عنا. وحسبنا الله وعليه توكلنا».

---

(١) ١ : ١٦٦ و١٦٧ المنهل، ص٨٦ نفحات النسرين والريحان، وراجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي، ومن كتبه «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ»، ومنه نسخة خطية في مكتبة الإمام كاشف الغطاء في النجف في ١٠٢ صفحة، وقد طبع في القاهرة عام ١٣٢٣ هـ، وفي بيروت أيضاً، ومنه نسخة خطية أخرى في مكتبة الحسينية بالنجف.

(٢) راجع مجلة المعرفة عدد ١٩٦٥/٢/١٢.

والقسم الأول من الكتاب يتناول فيه مؤلفه الأصل فى حساب الأزمنة، وعلامات السنين والشهور، الشمسية منها والقمرية. ثم ينتقل من ذلك إلى باب يعرض فيه إلى مشاهير الكواكب ومواقعها فى القبة الزرقاء. ويلى ذلك ذكر النجوم السيارة. فإذا فرغ من ذلك عدل بنا إلى أزمنة السنة وفصولها وبروج الشمس ومنزلتها، وذكر الرياح وأسمائهن وآخر أبواب الكتاب هو فى معرفة الشهور الشمسية وأسمائها عند الأعاجم وما يحدث فى كل شهر منها من طلوع المنازل أو سقوطها.

ويقول ابن الاجدابى عن أيام السنة الشمسية عند الأعاجم: «واعلم أن الروم والسريانيين والقبط بنوا حساب أزمنتهم على مسير الشمس. فجعلوا مدة سنتهم ثلاثمائة يوم وخمسة وستين يوماً. وزادوا المكان الربع الذي فى سنة الشمس يوماً فى كل أربع سنين من سنيهم مساوية فى عدة الأيام لأربع سنين شمسية، وصارت شهورهم من أجل ذلك ثابتة فى أزمنة الشمس، غير منتقلة من مواضعها منها. إلا أنهم لم يجعلوا ابتداء سنتهم موافقاً لابتداء سنة الشمس. بل افتتح كل فريق منهم السنة فى وقت من سنة الشمس غير موافق لأولها. فكان افتتاح السريانيين سنتهم فى الربع الثالث من سنة الشمس وهو فصل الخريف، والشمس حينئذ ببرج الميزان. وكانت الروم فى أول أمرها موافقة لهم على ذلك، ثم افتتحت الروم السنة بعد ذلك فى الربع الآخر من سنة الشمس، وهو فصل الشتاء، والشمس حينئذ ببرج الجدى. وافتتحت القبط سنتها فى الربع الثانى من سنة الشمس، وهو فصل الصيف، والشمس حينئذ ببرج السنبلة. وإنما خصصنا هؤلاء بالذكر دون غيرهم من العجم، لأن حسابهم هو المحفوظ فى بلاد المسلمين والمستعمل فيها وأشهر ذلك وأغلبه على استعمال الناس حساب الروم والسريانيين. وعليه اعتمدنا فى كتابنا هذا فى تحديد أوقات تداخل الفصول، وأوقات الطلوع والسقوط، وغير ذلك مما يحدث فى الأزمنة، ويختص بوقت من أوقات السنة.

ومن فصول الكتاب ذكر أوقات الليل وهو فصل لغوى بقدر ما هو تلخيص للأزمنة، ففي ذلك يقول المؤلف: فأما أوقات الليل فأولها العشاء،

وآخر العشاء عند مغيب الشفق، ثم الهدوء وهو حين يهدأ الناس وينامون. والوهن والهزيع من أول الليل إلى نحو من ثلثه».

ويكثر المؤلف النقل عن ساجع العرب، والذي يقصده الأمثال المسجوعة المرتبطة بمواعيد معينة من الشهر أو منازل معينة من النجوم. فهو يقول، فى ذكره شهر نيسان «أي إبريل»: إن السماك الأعزل يسقط فيه، ويضيف إلى ذلك واحداً من الأقوال الدالة على الطقس «وعند سقوط السماك يبتدئ بحصاد الشعير بالعراق، وحينئذ تطلع السمكة، ثم ينقل قول ساجع العرب: «إذا طلعت السمكة، أمكنت الحركة، وتعلقت الحسكة، ونصبت الشبكة» وهذه الأسجاع تبلغ الأربعين عداً.

والكتاب محقق عن نسخة فريدة وهو مطبوع فى دمشق بتحقيق الدكتور عزة حسن فى سلسلة إحياء التراث القديم.

٤٦ ـ ومن هؤلاء الأعلام عبد العزيز الطرابلسى[١]، (٦٣٩ ـ نحو ٧٠٠هـ) وهو من العلماء الفحول، حسن العبارة، شارك فى علوم كثيرة، ومدحه العلامة التيجانى الرحالة بقصيدة.

٤٧ ـ أبو سعيد فرج المسراق من العلماء الزاهدين[٢]، وراجع بعض الأعلام الأخرى فى كتاب «المنهل العذب»[٣] وكتاب «نفحات النسرين والريحان».

---

(١) ١: ١٠٧ ـ ١٠٩ المنهل العذب.

(٢) ١ : ١٧٢ المرجع نفسه

(٣) ١ : ١٨٨ ـ ١٩٦ المرجع نفسه.

صور شعرية

- ١ -

رافع بن مطروح الطرابلسي ينشد في الحنين إلى طرابلس وهو مقيم في مرسى مطروح:

لـوقفـة بـين بـاب البحـر ضـاحيـة   وبـاب هـوارة ومـوقـف الغـنـم[١]
أشهى إلى النفس من كسر الخليج ومن   ديـر الزجـاج وشاطئ بـركة الخـدم[٢]

- ٢ -

الشاعر أبو محمد عبد الله التيفاشي يمدح عبد المؤمن بن علي (٥٢٥ - ٥٥٨ هـ) ملك الموحدين بقصيدة مطلعها:

مـاهـز عـطفيـه بـين البيض والأسـل   مثـل الخليفـة عبـد المؤمن بن عـلي

وأراد الاسترسال في القصيدة فأمره بالتوقف، واكتفى منه بهذا البيت لبلاغته، وأعطاه ألف دينار.

- ٣ -

حماد المالقي يصف هزيمة بعض الثوار أمام المنصور ملك الموحدين

---

(١) الأماكن الثلاثة في طرابلس.
(٢) الأماكن الثلاثة في الإسكندرية.

المتوفى عام ٥٩٥ هـ:

أرى يحيى أمام الخلق يأتي ... يفر أمام من يأتي إليه
فشبهت الشقي بياء (يرمي) ... ولام الأمر داخلة عليه

أشهر العلماء في هذا العصر

١ - أبو بكر السرتي

شاعر من شعراء سرت المبرزين، ومن شعره:

أقول لعيني دائماً ولعينها ... لسان بسر الحب فى الخلد ناطق
أجدك ما ينفك لي منك ضائر ... بسرتي، واش، أو لحيني رامق
فلولاك لما أعرف العشق أولاً ... ولولاه لم أعرف بأني عاشق[1]

٢ - ابن معمر الهوارى الطرابلسى

٦٠٩ - ٦٨٣ هـ

هو الفقيه أبو الحسن على بن موسى بن معمر الهوارى الطرابلسى من أعلام القرن السابع الهجرى، وكان مع تضلعه فى الفقه وعلوم الدين أديباً شاعراً موهوباً.

ولد فى طرابلس وتلقى العلوم المختلفة فيها، ورحل إلى تونس والمهدية، هو وأخوه معاً على أبي زكريا البرقي، ثم عاد أخوه أبو موسى إلى موطنه فتولى القضاء والفتيا فى طرابلس وبقى أبو الحسن فى المهدية، وفى فتن سياسية هناك اعتقل الأستاذ البرقي وتلاميذه ومنهم شاعرنا، وعاد الشاعر إلى

---

(١) ١٩ أعلام ليبيا للزاوي، ولم يذكر تاريخ وفاته، وأرجح أنه عاش في هذا العصر، بدلالة خصائص شعره، وراجع ١٢٤ و ١٣٦ من هذا الجزء.

تونس، واجتمع به علماؤها وأدباؤها، وجلس إليه الأمراء والعظماء؛ وكان ابن معمر خطيباً بليغاً، ومحدثاً لبقاً، وعالماً متضلعاً، وشاعراً مطبوعاً، وولى مناصب فى تونس، منها الإشراف على خزانة الكتب العلمية (دار الكتب التونسية)، ثم تقلبت به الأحوال السياسية، فنفى إلى المهدية عام ٦٦٧ هـ، ويقول الشاعر في هذه الفترة لصديق له:

كتبت ولولا الحكم كنت إليكم ... من التشوق فى متن الرياح أطير
وما فى صميم القلب من خالص الوفا ... فسيان فيه غيبة وحضور

ثم عفى عن الشاعر وأفرج عنه عام ٦٦٨ هـ، وفى عام ٦٧٥ هـ عاد إلى الإشراف على خزانة الكتب، وبعد قليل أعيد اعتقاله فى دار الأشراف، فآثر العزلة وأرسل الشعر في الشكوى والحنين إلى الوطن، يقول فيما يقول:

وزال النطق حتى ليس تلقى ... فتى يسخو بمرجوع السلام
وزاد الأمر حتى ليس إلا ... سخى بالاذية والملام

ومن شعره:

وارحمتاه لقلب كم أجشمه ... أمراً يذيب من الأصلاد ما صلبا
وكم يعانى ملمات بأيسرها ... يهون الأمر من دنياه ما صعبا
وكم تلجلج فى أفكاره لجج ... سود تأجج فى أحشائه لهبا[1]

ولما أفرج عنه كتب لصديق له فى المعتقل:

لئن سرنى فك الأسارى من الحبس ... لقد ساءنى فقدى لما فيه من أنس
ولو أننى خيرت فيما أريده ... لآثرت تقديمى سراحك عن نفسى

وله قصيدة على نمط «المنفرجة» المشهورة يقول فى أولها:

---

(١) راجع ٢٣ - ٢٥ أعلام ليبيا، وأعلام من طرابلس وص ٢٨ - ٣٠ مجلة القلم الجديد من مقال بقلم على مصطفى المصراتى،وص ٩٢ - ٩٦ نفحات النسرين والريحان لأحمد النائب.

الله أنعم بعد اليأس بالفرج   يا أزمة الدهر بعد الشدة انفرجى

وقد أثبتها الرحالة التجانى فى رحلته، واخيراً لقى ربه عام ٦٨٣ هـ[1].

٣ - شرف الدين البوصيرى

٦٠٨ - ٦٨٥ هـ

هو الكاتب الشاعر المتصوف شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجى البوصيرى صاحب البردة والهمزية.

وهو من أسرة ترجع إلى أصول مغربية، فهو من صنهاجة إحدى قبائل البربر ووطنها الصحراء.

وقد أقامت بليبيا وبلاد المغرب طويلاً؛ ثم هو يتأثر في شعره بنزعات المغاربة في الميل إلى التصوف، وقد عاش فى الإسكندرية طويلاً قريباً من ليبيا، وكان من أساتذته كثير من المغاربة؛ وأرجح أن أسرته ليبية الأصل.

ويعده الكثير أحد شعراء مصر فى عصر الدولة الأيوبية وأوائل عصر دولة المماليك.

والبوصيرى ومنزلته فى الشعر في عصره مما لا يجهله أحد، فلا داعى للكلام عليه، والترجمة له فى هذا المقام، فما إلى الترجمة قصدت، ولكنى ذكرته إثباتاً لأصله المغربى الليبى فيما أذهب إليه.

وأستاذه الأول هو أبو العباس المرسي، وللبوصيرى قصيدة دالية يمدح بها استاذه ويعزيه عن شيخه أبي الحسن الشاذلى، وعدد أبياتها ١١٨ بيتاً...

(١) وينسب إلى هوارة وهى باب من أبواب طرابلس الغرب، نسبة إلى قبيلة كبيرة فى صعيد مصر وليبيا وتونس، وهم في الأصل من عرب جزيرة العرب.

وراجع عن ابن معمر رحلة التجانى، وص ٢٩ و ٣٠ مجلة القلم الجديد عدد تموز ١٩٥٣ من مقال لعلى مصطفى المصراتى، وراجع كذلك كتاب المصراتى «أعلام من طرابلس».

٤ ـ ابن منظور الافريقى

(ـ ٧١١ هـ)

ابن منظور هو الشيخ محمد بن مكرم بن على بن أحمد الأنصارى الافريقى ثم المصرى، جمال الدين، ينسب إلى رويفع بن ثابت الأنصارى (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ).

ترك خمسمائة مجلدة بخطه، وكتابه اللسان جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة والنهاية، وجوده ما شاء، وولى قضاء طرابلس. وخدم في ديوان الإنشاء في مصر كما ذكرنا.

وتوفى ابن منظور فى القاهرة فى شعبان عام ٧١١ هـ، ومن مؤلفاته، أخبار أبى نواس وقد طبع فى القاهرة... ويؤكد الزاوى فى كتابه «أعلام ليبيا» أنه من مواليد طرابلس[١]، ويقول الزاوى: إن ابن منظور ينتمى إلى الإمام الصحابى رويفع الأنصارى أمير ليبيا فى أوائل الفتح العربى[٢].

ويقول في مقدمة اللسان:

لم أزل مشغوفاً بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه، فلم يفسد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع. فصارت الفوائد فى كتبهم مفرقة، وصارت أنجم الفضائل فى أفلاكها هذه مغربة وهذه مشرقة فجمعت منها فى هذا الكتاب ما تفرق، وقرنت بين ما غرب منها وبين ما شرق، فجاء بحمد الله وفق البغية، وفوق المنية».

---

(١) وكذلك أكد هذا على الفقيه حسن (جـ ٣٢ صـ ٤٦ مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق).

(٢) راجع ٢٩٩ ـ ٣٠٢ أعلام ليبيا، وراجع ترجمة لابن منظور فى ١: ١٦٩ و ١٧٠ المنهل العذب، وص ١٤ نفحات النسرين والريحان.

الفصـــل الثـــالـث

مفكرو هذا العصر
من أعلام المغرب العربي

عبد الرحمن بن خلدون فيلسوف التاريخ

حين نتحدث هنا عن ابن خلدون لا نتحدث عنه كعالم أو أديب ليبى عاش في هذا العصر، بل نتحدث عنه كمفكر إسلامى كبير أنبتـه المغرب العربي الكبير، وعاش فى ربوعه، وتتلمذ على علمائه، وكتب الكثير من آرائه وهو مقيم فيه، وذاعت فلسفته وآراؤه الإسلامية والصوفية فى أرجائه، وتتلمذ عليه الكثير من أبنائه، وقضى في طرابلس بالذات وقتاً من الأوقات، جالس علماءها وأدباءها وكبار الصوفيين فيها.

وكذلك نحن هنا لا نتحدث عن العلامة المؤرخ الفيلسوف الكبير ابن خلدون بوصفه ليبيا أنبتته أرض ليبيا العربية، وإنما نتحدث عنه بوصفه ابناً من أبناء المغرب العربي الكبير، وأحد الفلاسفة والمؤرخين المسلمين الذين يعتز بهم تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد نشأ ابن خلدون فى أرض المغرب العربى، وتعلم فيها على أيدى علمائه، وعـاصر الكثير من الأحـداث التى ألمت به، وذاعت آراؤه وكثر تلاميذه فى صعيده، وأقام فى طرابلس فترات قصيرة يدرس ويكتب ويحاضر ويستفيد من علمائها.

وعبدالرحمن بن خلدون من علماء القرن الرابع عشر الميلادى ١٣٣٢ ١٤٠٦؛ ورغم أن تراثه العلمي قد تبوأ مقامه بين تراث الفكر العالمي منذ

القرن التاسع عشر، إلا أنه ما يزال مغموط الحق فى الشرق العربى، ولقد كان المعتقد الذى يذهب إلى حد البداءة أن أوربـا هى أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ ومبادىء علم الإجتماع وأصول الاقتصاد السياسى؛ فإذا علماء الغرب فى القرن التاسع عشر يصابون بالعجب والذهول حين اكتشفوا أن ابن خلدون قد سبق الغرب فى كل هذه الميادين بعدة قرون وأنه هـو المؤسس الحقيقى لكل هذه العلوم، فعكفوا عـلى دراسته وتـرجموا تـراثه إلى معـظم اللغات وارتفعوا به إلى أسمى مكانة وجعلوه فى سلك الفلاسفـة ومؤرخى الحضارة وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسى واعترفوا له بالسبق والأصالة فى كل تلك الميادين، ويقول الدكتور علي عبـد الواحـد وافى فى كتبه عن ابن خلدون:

«وجه آخر لدراسة الظواهر الاجتماعية لم يعرض له أحد من قبل ابن خلدون، وذلك أن دراسة هذه الظواهر لا لمجرد وصفها ولا للدعوة إليها، ولكن لتحليلها تحليلاً يؤدى إلى الكشف عن طبيعتها والأسس التى تقوم عليها والقوانين التى تخضع لها، أى أن تدرس كما يـدرس العلماء ظواهـر الفلك والطبيعة والكيمياء ووظائف الأعضاء؛ هذا الوجه من الدراسة لا يتاح إلا لمن ثبت لديه أن الظواهر الاجتماعية لا تسير حسب الاهواء والمصادفات، ولا حسب ما يريده لها الأفراد، وإنما تسير فى نشأتها وتطورها ومختلف أحوالهـا حسب قوانين ثابتة مطردة، وهذه الحقيقة لم يصل إليها تفكير أحد من قبل ابن خلدون. . بل إن نقيضها كان هو المسيطر على أفكارهم جميعاً، فقد كان المعتقد أن ظواهر الاجتماع خارجة عن نطاق القوانين وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات الزعماء والمشرعين ودعاة الإصلاح».

فمن بحوث ابن خلدون في المقدمة يتألف علم جديد لم يعرض له أحد من قبـل: وقد سـماه ابن خلدون علم العمران البشرى أو علم الاجتـماع الإنسانى وهو العلم الذى نسميه الآن السوسيولوجيا أو علم الاجتماع.

ويقول عنان فى كتابه عن ابن خلدون: كان وقوف الغرب على تراث ابن خلدون اكتشافاً علمياً حقاً، وكان أعجب ما فى هذا الاكتشاف أن يظفر

الغرب في تراث المفكر المسلم بكثير من النظريات الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية التى لم يطرقها البحث الغربى إلا بعد ابن خلدون بعصور طويلة.

أجل اكتشف النقد الغربى لدهشته واعجابه فى تراث ابن خلدون كثيراً مما ردده مكيافللى بعده بقرن، وما ردده فيكو ومونتسيكو وآدم سميث وأوجست كونت بعدة قرون. وكان المعتقد أن الباحث الغربى أول من اهتدى إلى فلسفة التاريخ ومبادئ الاجتماع والاقتصاد السياسى، فإذا ابن خلدون يسبقه بعصور، ويغزو فى مقدمته هذه الميادين ويعرض كثيراً من نواحيها ونظرياتها بقوة وبراعة.

ويقول لوفيج جمبلوفتش: لقد أردنا أن ندلل على أنه قبل أوجست كنت بل قبل فيكو الذي أراد الإيطاليون أن يجعلوا منه أول اجتماعى جاء مسلم تقى فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن وأتى فى هذا الموضوع بآراء عميقة وما كتبه هو ما نسميه اليوم: علم الاجتماع.

ومقدمة ابن خلدون تراث جليل خالد يمتاز بالجدة والابتكار، وهى تسجل منهاجاً جديداً فى فهم التاريخ وتحليله ونقده، وفى فهم المظاهر الاجتماعية وتعليلها.. وموضوع المقدمة، كما يصفه ابن خلدون نفسه هو «العمران البشرى والاجتماع الانسانى». وقد تحدث ابن خلدون فيها عن: العمران البشرى على الجملة وأصنافه، والعمران البدوى، وذكر القبائل والأمم البربرية، وتحدث عن الدول والخلافة والملك، وذكر المراتب السلطانية، وعن العمران الحضرى، والبلدان والأمصار، وعن الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه وعن العلوم واكتسابها وتعلمها..

وبحوث ابن خلدون فى المقدمة هى تمهيد لدراسة التاريخ وفهمه، وهى بحوث جديدة كل الجدة، وإن كانت آراء الفارابى فى المدينة الفاضلة، وإخوان الصفاء فى رسائلهم، تعد تمهيداً موجزاً صغيراً لبحوث ابن خلدون؛ كبحوث الفارابى عن حاجة الإنسان إلى الاجتماع، وعن نشأة القرى والمدن، وكتقسيم إخوان الصفا للعلوم والصنائع وبحثهم عن تأثير طبيعة البلدان فى

الأخلاق . . ولكن بحوث الفارابي وإخوان الصفاء لها منهجها الفلسفى، حيث يتناول ابن خلدون هذه البحوث والموضوعات من الجانب الاجتماعى . وتشمل بحوث ابن خلدون فى المقدمة جوانب من علوم الاجتماع وفلسفة التاريخ والاقتصاد السياسى .

وقد عنى المستشرقون عناية خاصة بالجانب الاجتماعى من تفكير ابن خلدون وتراثه، وعد «فون كريمر» المستشرق النمسوى «ابن خلدون» مؤرخاً للحضارة الإسلامية، وعده دى بوير فيلسوفاً، ولكن الاتجاه العام كان إلى دراسة فلسفة ابن خلدون الإجتماعية، التى تسمى اليوم بحوثه فيها بعلم الاجتماع، الذي سبق فيه أوجست كونت، وفيكو، ومكيافللي من أعلام الاجتماع فى أوربا. ولقد سبق مكيافللي ومونتسيكو وفيكو إلى الدرس النقدى للتاريخ كما سبق ماركس وسواه إلى نظريات علم الاقتصاد السياسى . والمقدمة تسبق كتاب مكيافللى الذائع «الأمير» بأكثر من قرن من الزمان وهى أوسع دراسة، وأرحب أفقاً، وأغزر مادة، على الرغم من أن المقدمة قد ألفت عام ١٣٧٧م، وكتاب الأمير ألف عام ١٥١٣م.

وفى آخر تاريخ ابن خلدون تعريف كتبه ابن خلدون عن نفسه حتى مستهل عام ٧٩٧ هـ، وهو بمثابة ذيل لتاريخه ويعد مفتاح شخصية ابن خلدون، ومرجعاً لكل من كتب عنه، ومن التعريف نسخة كاملة مستقلة فى دار الكتب المصرية (١٠٩م تاريخ) تصل حوادثها إلى نهاية عام ٨٠٧ هـ أي قبل وفاته بشهور قلائل . .

وقد نشرت المقدمة فى مصر عام ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٨م[١]، وفى بيروت عام ١٨٧٩ وفى باريس عام ١٨٥٨م بإشراف المستشرق كازمير، وظهرت ترجمتها الفرنسية لدى سلان بين عامي ١٨٦٣ و١٨٦٨ فى ثلاثة مجلدات وترجمت إلى التركية بعناية بيرى زاده المتوفى عام ١١٦٢هـ - ١٧٤٩م. وترجمت فصول منها إلى الإيطالية والإنجليزية واللاتينية والروسية . .

(١) فى مطبعة بولاق بتصحيح الشيخ نصر الهورينى، وفى عام ١٢٨٤ هـ ثم طبع تاريخ ابن خلدون بأكمله .

وقد خلدت هذه المقدمة النفيسة ابن خلدون، ورفعته إلى مصاف الفلاسفة، وبوأته فى تاريخ التراث الفكرى الإسلامى مكاناً رفيعاً، ويعجب علماء الغرب وفلاسفته بالمقدمة، ويرون أن ابن خلدون بها يعد المبتكر الأول لعلم الاجتماع، وواضع أسس العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصاد الاجتماعى والسياسى، وفلسفة التاريخ والقانون العام. وقد عرفوا فضل ابن خلدون قبل أن يعرفه الشرقيون، فترجموا المقدمة إلى لغاتهم، ثم طبعت فى القاهرة لأول مرة منذ نحو مائة عام، وكان لها أثر فى أساليب الكتاب والأدباء، وأى أثر، وفى عام ١٩٣٢ أحيا جماعة من أدباء مصر ذكرى ابن خلدون، ونشر عنان كتاباً عنه.

ولا شك أن المقدمة أثر لحياة هذا العالم وثقافته وتجاربه وشخصيته التى هى مثل للفكر والمؤرخ والرجل السياسى. إذ أن تجاربه وصلاته السياسية بعروش دول المغرب وتوليه أعظم المناصب فيها، وتقلبه شاباً ورجلاً وكهلاً فى الأحداث السياسية، كل هذا خلق منه سياسياً داهية؛ والمسائل التى عالجها ابن خلدون فى المقدمة ذات دقة متناهية، ولم يسبق لأحد من علماء المسلمين أن تناولها بالتأليف على هذا النمط والأسلوب، وهو ينبه فى المقدمة على أن الكلام فيها، مستحدث جديد أدى إليه البحث والتفكير، وأنه ليس من علم الخطابة المنطقية ولا من علم السياسة المدنية، وأنه «علم مستقل»، ابتكره ابن خلدون دون أن يطلع على تأليف فى معناه، وإن كان بعض الأبجديات التي ذكرها فى المقدمة قد تجرى لأهل العلوم بالعرض فى براهين علومهم، مثل ما يذكره الحكماء فى إثبات النبوة من أن البشر متفاوتون فى وجودهم فيحتاجون فيه إلى الوازع والحاكم، ومثل ما يذكر فى أصول الفقه من أن الناس محتاجون إلى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات ومثل ما ورد فى حكم الحكماء وكتب الفلاسفة كالكتاب المنسوب لأرسطو في السياسة ورسائل ابن المقفع وسراج الملوك للطرطوشي.. فقد حوم فيه، وبوبه على أبواب تشابه أبواب المقدمة ولكنه لم يستوف المسائل، بل يبوب الباب للمسألة فيستكثر من الأحاديث والحكم بدون تحقيق، فهو نقل وترغيب أشبه

بالمواعظ، وكان حوم على الغرض فلم يـدركه... وابن خلدون يؤكـد أن المسائل التى ورد ذكرها فى المقدمة قد ألهمه الله إياها إلهاماً، فهو الذي نهج للباحثين فيها السبيل، ووضح لهم الطريق.

ولابن خلدون رأى فى العرب عجيب، فهو يذهب إلى أنهم لا يتغلبون إلا على البسائط، وإذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الفساد والخراب، وإذا حصل لهم الملك فإنما يحصل لهم بصفة دينية، وهم عنـده أبعد الأمم عن سياسة الملك، وهم أبعد الناس عن الصنائع، ومبانيهم يسرع إليها الفساد، وحملة العلم فى الإسلام عجم، وهذا الرأى الغريب حير الباحثين فى تراث ابن خلدون الفكرى، فعللوه بأسباب مختلفة متناقضة، أما نحن فنعلله بأحد أمرين:

الأول: أن ابن خلدون يريد بالعرب البدو فى أى مكان كما عبر هـو عنهم بهذا أحياناً، لا عرب الجزيرة العربية خاصة، وهذا الرأى محتاج إلى إثبات السر فى ترجيحنا هذا المعنى دون المعنى الآخر للفظة عرب...

والثانى: أن ابن خلدون يقصد العرب ويريدهم ويتكلم عنهم، ومن الملحوظ من عبر التاريخ أن العرب فى جاهليتهم وحين تحللهم من الدين بعد الإسلام كانت أحوالهم كما يصفها ابن خلدون، فكأنمـا ابن خلدون يقصد بهذه الفصول ذكر طبيعة العرب حين ضعف الدين من نفوسهم، وكأنه يريد التعميم فى أحوالهم، فأن العرب حين تمسكهم بإسلامهم وشريعتهم، كانوا كما نعرف عدلاً وسياسة وإصلاحاً ونبل حكم، وفى هذا البحث يذكر ابن خلدون أن أهل البادية مغلوبون لأهل الأمصار. ويذكر ابن خلدون أحوال الموالى والمصطنعين وما يعرض للدول من الحجر على السلطان والاستبداد به ومشاركته فى نفوذه وألقابه.

وآراء ابن خلدون فى الفصل الخامس فى المقدمة عن المعاش ووجوهه والكسب والصنـائع مبـاحث قيمة فى الاقتصـاد السياسى والاجتـماعى، وقد

اقتبس منها كارل ماركس فى كتبه «رأس المال» ومن آراء ابن خلدون فى المقدمة:

١ ـ أن النقد التاريخى هو تطبيق طبائع العمران على التاريخ وحوادثه، فما جاز لنا قبوله من التاريخ قبلناه، وما لا يجوز فيه رفضناه.

٢ ـ أن أصول التوحيد هى عقائد متلقاة عن الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها إلى العقل ولا تعويل عليه. وهنا يذكر ابن خلدون أن العقل معزول عن الشرع لأن مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية، فهى فوقها محيطة بها. لاستمدادها من الأنوار الإلهية، ويأخذ فى ذم الفلسفة وتخلفها، ولا شك أن ابن خلدون كان بحاجة إلى تأكيد ذلك لبغض المجتمع الإسلامى فى عصره للفلسفة وعلومها وأصحابها والعنف فى البطش بكل من عرف عنه أنه محب لها، ولا نخال ابن خلدون سوى فيلسوف ملهم.. فأفكاره فى المقدمة أفكار فلسفة عميقة، وكذلك دراسته للفلسفة وعلومها وتاريخ نشأتها تدل على أنه من أنصارها ومحبيها وعارفى قدرها، ويبدو أنه كان يقصد التمويه على عامة الناس وجمهور العلماء حتى لا يتهم بالإلحاد والكفر، ويعرض نفسه لمحن لا داعى لها، بل إن المقدمة نفسها لون من ألوان الفلسفة فى عصرنا الراهن، ولا شك أن ابن خلدون يستحق تقدير المفكرين والتاريخ والإنسانية جمعاء.

ويبدأ ابن خلدون مقدمته فيقول: «يقول العبد الفقير إلى الله تعالى، الغنى بلطفه، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى، وفقه الله...»

ثم يقول: «أما بعد، فإن فن التاريخ من الفنون التى تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والاقيال وتتساوى فى فهمه العلماء والجهال». وبهذا الأسلوب المسجوع الموقع يستمر ابن خلدون فى التنويه بعلم التاريخ، وقد كان لهذا الأسلوب أثره في أوائل عهد النهضة الأدبية في مصر والعالم العربى.

ثم يذكر ابن خلدون في مقدمته أنه قسم كتابه إلى:

١ - المقدمة فى فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلمام بمغالط المؤرخين.

٢ - الكتاب الأول فى العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والأسباب.

٣ - الكتاب الثانى فى أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد، وفيه من الإلماع ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى إسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والافرنجة.

٤ - الكتاب الثالث فى أخبار البربر ومواليهم من زناته وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان بدول المغرب خاصة من الملك والدول.

إن المقدمة، من أهم ما وصل إلينا من التراث العربى الثقافى الأصيل، وهى تحفة فريدة مبتكرة لا مثيل لها فى الآثار الإسلامية القديمة.. وابن خلدون بمقدمته يحتل مكانة بارزة فى التاريخ الإسلامى الفكرى والعقلى.

ونحن مدينون لابن خلدون ولنظرياته بالكثير، فقد رفع ابن خلدون بكتاباته من مكانة العقل العربى، ولا يزال تراثه موضع الفخر والإعجاب من كل الباحثين والدارسين.

ويرجع تاريخ تأليف هذه المقدمة إلى عام ٧٧٩ هـ، ففى عيد الفطر من عام ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤م قدم ابن خلدون مدينة تلمسان فى المغرب، وكانت شهرته آنذاك تسبقه إلى كل مكان.

وأراد ابن خلدون أن يخلد فى هذه المدينة إلى الدرس والتأليف، وأن يستريح من أعباء السياسة وتعبها، ولكن أمير تلمسان أراد من ابن خلدون أن يسعى لتوطيد عرشه بين القبائل المغربية، فتظاهر بالقبول وخرج من تلمسان، وذهب إلى أحياء بنى عريف فنزل لديهم، وقدمت أسرته من تلمسان حيث أقام ابن خلدون فى هذه المنطقة النائية مدى أربعة أعوام، بدأ فيها بتأليف كتابه التاريخى المشهور، بـ«تاريخ ابن خلدون»، ويسمى

العبر وديوان المبتدأ». . . وكان ابن خلدون يومئذ في الخامسة والأربعين من عمره، وكان مكتمل الثقافة، كثير التجارب، ناضج التفكير، عميق العقلية، دارساً لأحوال المغرب وسياسته وتاريخه ودوله وملوكه، ولحياة القبائل البربرية وطباعها وتقاليدها.

وفى هذه العزلة النائية كتب ابن خلدون مقدمة تاريخه حيث جاد فكره بأفكار وبحوث وآراء جديدة. وبنظريات خالدة لا تزال الجامعات وشتى البيئات العلمية تعكف على دراستها وبحثها. . وقد انتهى ابن خلدون من كتابة مقدمته في منتصف عام ٧٧٩ هـ - ١٣٧٧م، حيث أمضى خمسة شهور فى تدوينها، ثم نقحها وهذبها بعد ذلك عدة مرات، ويقول عنها ابن خلدون فى آخر الجزء السابع من تاريخه: «وأكملت المقدمة على هذا النحو الغريب الذي اهتديت إليه فى تلك الخلوة، فسالت فيها شآبيب الكلام والمعانى على الفكر، حتى امتخضت زبدتها، وتألفت نتائجها».

ثم شرع ابن خلدون بعد إتمام المقدمة فى كتابة تاريخه، فكتب تاريخ العرب والبربر وزناته، وهو المدون فى الأقسام الأولى والأخيرة من «العبر»، وكان منهج ابن خلدون كتابة تاريخ المغرب والدول البربرية. كما يشرح ذلك فى المقدمة فيقول: «وأنا ذاكر فى كتابى هذا ما أمكننى منه فى هذا القطر المغربى إما صريحاً مندرجاً فى أخباره أو تلويحاً، لاختصاص قصدى فى التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه وذكر ممالكه، دون ما سواه من الأقطار، لعدم اطلاعى على أحوال المشرق وأممه، وإن الأخبار المتناقلة لا توفى كنه ما أريده منه». ولكنه بعد أن أمضى شوطاً فى كتابة تاريخه رأى أن يكون كتابه شاملاً لتاريخ البشر منذ بدء الخليقة، لذلك آثر أن يعود إلى تونس ليستكمل المراجع اللازمة له بعد أن كان قد أكمل المقدمة وكتابة الأقسام المتعلقة بتاريخ العرب والبربر.

وكتب ابن خلدون إلى سلطان تونس يستأذنه فى العفو عنه والإذن بعودته إلى وطنه لإكمال كتابه التاريخى فرد السلطان عليه بالصفح والقبول، ودعاه إلى القدوم إلى تونس، فغادر ابن خلدون أحياء عريف فى شهر رجب

عام ٧٨٠ هـ، ولقى العالم الجليل أبا العباس سلطان تونس بظاهر سوسة، حيث بالغ فى إكرامه وأصدر أوامره إلى رجال الدولة بتوفير ما يلزم له ولأسرته من المسكن والمعاش؛ ودخل ابن خلدون وطنه بعد أن غاب عنه شاباً دون العشرين، عام ٧٥٣ هـ، وأقام فى دعة وهدوء عاكفاً على الدرس والبحث.

وعكف المؤرخ التونسى الكبير على إتمام مؤلفه وتهذيبه وتنقيحه، وأتم منه نسخة أهداها إلى السلطان أبى العباس في أوائل عام ٧٨٤ هـ ـ ١٣٨٢م وتشمل المقدمة وأخبار البربر وزناتة وتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، وتاريخ الدول الإسلامية المختلفة إلى عصر المؤرخ واسترجاع السلطان أبى العباس لتوزر عام ٧٨٣ هـ، وأنشد ابن خلدون السلطان وهو يقدم إليه موسوعته التاريخية الكبرى قصيدة لامية طويلة نوه فيها بالسلطان وأعماله وانتصاراته.

وبعد قليل استأذن ابن خلدون في السفر للحج، فأذن له، وودعه أصدقاؤه وتلاميذه ومريدوه وهو يركب البحر إلى المشرق فى منتصف شعبان عام ٧٨٤ هـ ـ أكتوبر ١٣٨٢م . . وفى عيد الفطر من العام نفسه وصل ابن خلدون الإسكندرية، فنزل فيها، وتوجه منها إلى القاهرة فوصلها في أول ذى العقدة عام ٧٨٤ هـ ـ نوفمبر ١٣٨٢م، بعد دخول ابن بطوطة الرحالة إليها بنحو ستين عاماً، إذ كانت وفادة ابن بطوطة على القاهرة عام ٨٤٦هـ ـ ١٣٢٦م في عهد الناصر بن قلاوون.

وأقام ابن خلدون فى القاهرة، وانهال عليه طلبة العلم بها يلتمسون منه الإفادة، واستوطن القاهرة وتصدر للتدريس بها بالجامع الأزهر، وكان سلطان مصر إذ ذاك هو الظاهر برقوق الذى ولى حكم مصر في أواخر رمضان عام ٧٨٤ هـ، وتولى بعد ذلك ابن خلدون التدريس بالمدرسة القمحية بجوار جامع عمرو، وهى من مدارس المالكية المشهورة فى مصر، وبعد قليل عين قاضياً لقضاة المالكية فى مصر فى أواخر جمادى الأولى عام ٧٨٦ هـ.

وكان سلطان تونس قد حجز أسرة المؤرخ في تونس حتى يعود ابن

خلدون إلى موطنه، فتوسل إلى السلطان الظاهر أن يشفع له لديه فى تخلية سبيل أسرته ففعل. وأطلق سراح أسرته، وركبت سفينة إلى مصر، ولكن السفينة غرقت فى البحر الأبيض وغرق أهله فيها، ووصله فى القاهرة نبأ هذه الفاجعة الأليمة، فحزن حزناً شديداً، وفى عام ٧٨٩ هـ سافر إلى الحج، ثم عاد إلى القاهرة فى جمادى الأولى سنة ٧٩٠ هـ.

وفي أثناء إقامة ابن خلدون بالقاهرة أخذ يهذب وينقح في المقدمة والتاريخ وزاد في حوادث التاريخ حتى بلغ بها نهاية القرن الثامن الهجرى بعد أن كان قد بلغ بها تونس حتى عام ٧٨٣ هـ... ومن الفصول الجديدة التي كتبها في مصر: خواص دول المماليك المصرية، ونشأة التتار، وسوى ذلك من بحوث.

ويذهب سلامة موسى إلى أن ابن خلدون قد سرق كل ما كتبه إخوان الصفا وعزاه إلى نفسه؛ ويرد عليه أبو القاسم محمد كرو مفنداً هذا الرأى.

وابن خلدون هو ولى الدين عبد الرحمن بن محمد، ينتهى نسبه إلى جده الأعلى ابن خلدون، وأسرته من بنى وائل، وقيل إنها هاجرت إلى الأندلس فى القرن الثالث.

ولد بتونس في أول رمضان عام ٧٢٢ هـ ٢٧ مايو ١٣٣٢م، من أسرة أندلسية اشتهرت بالعلم والأدب والرياضة، وكان نزوحها من الأندلس فى أواسط القرن السابع الهجرى من اشبيلية ونشأ عبد الرحمن فى تونس فى ظلال دولة الحفصيين ودولة بنى مرين بالمغرب وكان منهم السلطان ابو الحسن المرينى (٣٧١ - ٧٥٢ هـ)، وابنه أبو عنان (٧٥٢ - ٧٥٨ هـ)، ثم أبو سالم بن أبى الحسن المرينى (٧٥٨ - ٧٦٢ هـ)، وأكمل دراسته الأولى على والده، وعلى بعض الأساتذة المشهورين، ولكن الوباء الكبير الذى اجتاح البلاد قضى على أسرته فى المغرب، فحزن لذلك حزناً شديداً، واشتغل بالكتابة، فدعاه السلطان أبو إسحاق ملك تونس عام ٧٥١ هـ ليتولى له كتابة «العلامة» وهى التوقيع على المراسيم السلطانية والمخاطبات الرسمية باسم السلطان، وقربه إليه،

ولكن ابن خلدون لم يلبث أن ترك أبا إسحاق واتصل بالسلطان أبي عنان المريني ملك المغرب الأقصى عام ٧٥٥ هـ، فتولى له الكتابة والتوقيع حيناً، ثم اتهم بالتآمر على السلطان فسجن ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة السلطان أبي عنان، ورد إلى وظائفه، ثم تولى كتابة السر والإنشاء وخطة المظالم للسلطان أبي سالم ابن أبي الحسن المريني، فأظهر كفاية وإخلاصاً، ولاذ بالسلطان أبي سالم في هذه الفترة ملك الأندلس محمد بن الأحمر ووزيره لسان الدين بن الخطيب، بعد أن اغتصب العرش منه، فاتصلت رابطة الصداقة والأدب بين ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب من ذلك الحين، ثم توفي السلطان أبو سالم سنة ٧٦٢ هـ؛ ولم يلبث ملك الأندلس أن استرد عرشه، فرحل ابن خلدون إلى الأندلس عام ٧٦٤ هـ، وأقام في العاصمة غرناطة مشمولاً بعطف ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب، وأرسله فى سفارة رسمية إلى ملك قشتالة بأشبيلية، فقام بها خير قيام، بيد أن فتور العلاقة بينه وبين ابن الخطيب كان باعثاً له على الخروج من الأندلس عام ٧٦٦ هـ حيث تولى الحجابة لأمير «بجاية» ولكن عرش هذا الأمير لم يلبث أن اغتصبه مغتصب، فظل ابن خلدون يتنقل من خدمة أمير إلى خدمة أمير، حتى حيكت حوله المؤامرات ففر إلى الأندلس مهاجراً إليها مرة أخرى عام ٧٧٦ هـ، ولكن فراره إلى غرناطة وهرب ابن الخطيب منها إلى المغرب الأقصى كان مثاراً لمشكلات سياسية بين ملك بني الأحمر في غرناطة وبني مرين في فاس بالمغرب الأقصى، وقد انتهت الأحداث بقتل ابن الخطيب في فاس وبطرد ابن خلدون من الأندلس.

عاد ابن خلدون إلى المغرب الأقصى، ملتجئاً إلى أحياء بني عريف بتلمسان، حيث أقام يؤلف كتابه التاريخي الكبير، وهو كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر»، كما أسلفنا، ثم عاد إلى وطنه تونس عام ٧٨٠ هـ، فأتم كتابه ورفعه إلى سلطان تونس أبي العباس الحفصي عام ٧٨٣ هـ، وقربه السلطان إليه، ولكن الوشايات عادت تحوك حوله الدسائس من جديد، فعزم على الرحلة إلى المشرق، مستأذناً من السلطان فى السفر إلى مكة لأداء فريضة الحج، فأذن له وركب ابن خلدون سفينة أقلته إلى الإسكندرية فنزل بها

وسافر إلى القاهرة، فوصلها عام ٧٨٤ هـ، وأخذ ابن خلدون يلقى دروسه في مذهب مالك فى الأزهر الشريف، واتصل ببرقوق رأس دولة «المماليك البرجية» الـذي حكم مصر سبعة عشر عـاماً (٧٨٤ ـ ٨٠١ هـ) وولاه التـدريس فى المدرسة القمحية المالكية بجوار جامع عمرو، وتولى قضـاء المالكيـة أيضاً، فأرسل إلى بلاد المغرب يستقدم أسرته، ولكنها غرقت بها السفينة التي كانت فيها، ولم ينج أحد، فعظم حزن ابن خلدون لذلك، كما أسلفنا.

كان وجود ابن خلدون فى مصر وولايته لمنصب قضاء المالكية فيهـا، مثـار دسائس وأحقـاد بينه وبـين علماء عصره الذين كـانوا يتـطلعون لهـذا المنصب، واضطرب الأفق حوله، وعزل عن القضاء، فاستأذن من برقوق فى الحج فأذن له، وعاد بعد الحج فعينه برقوق أستاذاً فى المدرسة الصرغمتشية ـ شمال جامع ابن طولون، ثم عينه شيخاً لخانقاه بيبرس، وانقطع الى التدريس والتعليم، يوطد الصلات السياسية والعلمية بين مصر والمغرب، حتى أعاده برقوق إلى منصب القضاء، وظل فيه إلى أن توفى برقوق عام ٨٠١ هـ، وتولى بعده ابنه فرج فعزله عن القضاء.

وفى هذه الأثناء كان جيش تيمورلنك يغزو الشرق، ويعبث فى بلاده فساداً، ودخل الشام، فخرج فرج للقائه، وخرج معه ابن خلدون، ولكن فرجاً رجع مسرعاً ليقضى على ثورة سياسية قـامت فى مصر، وأقام الجيش حيث هو، وأقام مع الجيش ابن خلدون، ثم انتصر جيش تيمورلنك، فسار ابن خلدون إلى معسكـر الظافـرين يفاوض فى شروط الصلح، وفى تسليم دمشق بعد أن أنهكها الحصار... ولما عاد ابن خلدون إلى مصر أعيد إلى القضاء لثالث مرة، ثم عزل عام ٨٠٤ هـ، واستمر بين ولاية للقضاء المالكى وعزل منه، حتى تولاه لسادس مرة عام ٨٠٨ هـ، فلبث فيه ستة أسابيع توفى بعدها.

وقد انقطع ابن خلدون عام ٧٧٧ هـ لتأليف تـاريخه فى أيـام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، وأقام عامين يكتب

فى مقدمته حيث أتمها عام ٧٧٩ هـ، وأتم كذلك بعض فصول الكتاب التاريخية، ثم كتب فصولاً أخرى منه فى تونس وفى القاهرة، وانتهى أخيراً من الكتاب فى القاهرة عام ٧٩٧ هـ، وسماه «العبر وديوان المبتدأ والخبر».

وقد أهدى ابن خلدون نسخة كاملة من الكتاب لسلطان المغرب الأقصى أبى فارس المرينى، الذى تولى حكم المغرب ثلاثة أعوام (٧٩٦ - ٧٩٧ هـ) ويقع الكتاب فى سبعة مجلدات، والمجلد الأول منها فى فلسفة التاريخ والاجتماع وهو المشهور بالمقدمة، والستة الباقية فى تاريخ العرب والعجم والبربر.

وبعد هذه الحياة الحافلة، وفى القاهرة توفى ابن خلدون فى ٢٦ رمضان عام ٨٠٨ هـ - ١٦ مارس عام ١٤٠٦م، ودفن فى مقبرة الصوفية فى العباسية خارج باب النصر.

- ٢ -

ابن بطوطة الرحالة

ولد ابن بطوطة فى مدينة طنجة عام ٧٠٣ هـ - ١٣٠٤م من أسرة دينية عريقة فى الاشتغال بالعلوم الشرعية وينتهى نسبها إلى قبيلة لواتة، إحدى قبائل العرب التى كانت فى وقت ما فى بلاد برقة بين مصر وطرابلس. أما ثقافته فلم تكن تتجاوز العلوم الدينية والأدب وممارسة بعض الشعر واللغة الفارسية، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره أى عام ٧٢٥ هـ - ١٣٢٦م خرج فى وفد من الحجاج إلى مكة، ومنها قطع طريق البادية إلى العراق، وظل ينتقل فى بلاد العرب وفارس وتركيا والهند والصين زهاء ربع قرن، حج خلال هذه المدة أربع مرات، وتزوج كثيراً من النساء؛ وفى سنة ٧٥٠م - ١٣٤٩م، عاد إلى طنجة، وكانت بلاد المغرب فى تلك الفترة تحت سلطان بنى مرين الذين كانوا يعطفون على العلماء والشعراء ويجزلون لهم العطاء فلاذ ابن

بطوطة بأبي عنان أمير مراكش وصار من جملة حاشيته وكان يقص في مجالسه على الناس ما رآه في أسفاره، فطلب إليه الأمير أن يدون رحلته فأملاها على كاتب الأمير الفقيه محمد بن جزى الكلبي، وانتهى من كتابتها سنة ١٣٥٣م وسماها «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، وعاش ابن بطوطة في بلاد فاس حتى توفي سنة ٧٧٩هـ - ١٣٧٧م.

يكاد يجمع المؤرخون على أن الدافع الذى حمل ابن بطوطة على القيام بهذه الرحلة هو الحج، وأنه لما وصل إلى مكة والتقى بالحاج حصلت له فكرة الطواف حول العالم، وهم يستدلون على ذلك بقوله: «وكان خروجى من طنجة معتمداً حج بيت الله الحرام»، ثم إنه لم يكن متأهباً للسفر الطويل. بيد أنه يلوح لي أن ابن بطوطة لم يكن يوم خروجه من طنجة بعيداً عن فكرة الطواف حول العالم، إن لم تكن هذه الفكرة الهدف الرئيسى الذى كان يرمى إليه أولاً. ولا ينكر أن الحج كان في نظره غاية سامية باعتباره مسلماً شديد الإيمان والثقة بالله، لكن لا مانع من أن يكون هذا الإيمان البالغ المتمكن من نفسه بعض ما كان يرومه من تلك الرحلة، والدليل على ذلك ما رواه ابن بطوطة نفسه فقد حدث أنه نزل في مصر ضيفاً عند أحد علماء الإسكندرية المسمى «برهان الدين» ثلاثة أيام، فتوسم فيه برهان الدين حب التجوال، وأوصاه بأنه إذا ذهب إلى الهند أو السند أو الصين أن يزور أفراداً سماهم له ثم ما رواه ابن بطوطة نفسه أيضاً أنه زار وهو في طريقه إلى القاهرة أحد الأولياء الصالحين الذى كان مقيماً بقرية «قبالة» بالقرب من بلدة «فوه» على النيل فرأى في منامه وهو عنده أنه زار مكة واليمن والعراق وبلاد الترك والهند. وأما أنه لم يتخذ الأهبة الكافية لهذا السفر الطويل ففى الحقيقة أن ابن بطوطة لم يتأهب حتى بالنسبة إلى الحج، إذ كان جل اعتماده على الهبات والعطايا يوم فارق طنجة. ولعل عدم التأهب هذا يعتبر دليلاً على أنه كان ينوى السفر الطويل من أول الأمر، إذ يتعذر على مثل ابن بطوطة الذى عرفنا حاله من الفقر والفاقة أن يطوف حول العالم، ويعد ما يكفيه من المال والزاد لمثل هذا السفر الطويل الشاق.

تعتبر رحلة ابن بطوطة من أهم المصادر التاريخية الجغرافية بالنسبة إلى حياة الأمم الشرقية فى القرون الوسطى، وهى ليست بأول مشروع من نوعه فى هذا الصدد كما نعلم، لقد قام «مركو بولو» الإيطالى برحلة فى الشرق قبل «ابن بطوطة» بنصف قرن تقريباً ودون مشاهدته إلا أن ابن بطوطة لم يطلع على تلك الرحلة. والذى يميز رحلة ابن بطوطة هو أنها رسمت لنا صورة واضحة للشعوب التى كانت تتكلم فى ذلك الوقت اللغة الفارسية كإيران والهند، وذلك راجع إلى تمكن ابن بطوطة من هذه اللغة، فى حين أن رحلة «ماركو بولو» تمتاز بناحية أخرى وهى أنها عرفتنا حالة الدول المغولية التى كانت تبسط نفوذها من شواطىء المحيط الهادىء إلى ما وراء نهر الفولتا بشكل أوضح مما ذكره ابن بطوطة. وسبب ذلك راجع إلى معرفة «ماركو بولو» اللغة المغولية، الأمر الذى ساعده مساعدة كلية على فهم حالة أولئك الأقوام؛ والحقيقة أن هاتين الرحلتين تعتبر إحداهما مكملة للأخرى.

لقد أيد «فريسكو بالدى» الرحالة الإيطالى الذى ساح فى الشرق بعد ابن بطوطة بأكثر من نصف قرن ما رواه ابن بطوطة فى رحلته، ومع هذا يقول «ابن خلدون»: ورد بالمغرب لعهد السلطان «أبي عنان» رجل من مشيخة طنجة يعرف «بابن بطوطة» كان رحل منذ عشرين سنة إلى المشرق وتقلب فى بلاد العراق واليمن والهند، وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب، فتناجى الناس بتكذيبه.

ونلاحظ أن ابن بطوطة فى رحلته الثانية خرج من طنجة عام ٧٢٥ هـ - ١٣٢٦م للحج فمر بمصر والشام ومكة ثم العراق وجدة، ثم الصومال وأريتريا، ثم عاد إلى الحجاز ومنها إلى آسيا الصغرى والأناضول ثم الهند وسيلان وأطراف من الصين وسيلان، ثم عاد إلى الشام فالقاهرة فى عهد السلطان حسن قلاوون ودخل مدينة فاس عام ٧٥٠ هـ، ثم ذهب إلى طنجة وقام من طنجة برحلة إلى الأندلس، ثم عاد منها، وقام برحلة أخرى إلى السودان عام ٧٥٣ هـ، وعاد منها إلى سجلماسة عام ٧٥٥ هـ.

الباب الخامس

الأدب العربي في ليبيا

في عصر الأتراك العثمانيين
٩٥٨ - ١٣٢٩ هـ: ١٥٥١ - ١٩١١م

الفصـــل الاول

هذا العصر التاريخي والثقافى

- ١ -

فى نهاية الفترة الطويلة السابقة تعرضت ليبيا العربيـة الإسلاميـة إلى هجوم استعمارى صليبى من الشعوب الأوربية ، ولا سيما من فلول فرسان الصليبيين، الذين حلوا فى جزيرة مالطة، بعد أن اضطرهم العرب المسلمون فى شرق البحر المتوسط إلى الجلاء عن سواحل سوريا؛ كما تعرضت ليبيا لغزو أسباني بعد انتصار الأسبان على العرب فى الأندلس، فقد قـدموا بأسطول بحرى كبير ليتعقبوا العرب المسلمين الذين نزحوا من الأندلس بعد الهزيمة، وحلوا ضيوفاً على إخوانهم العرب المسلمين فى ليبيا، وكان الاسبان يقصدون السيطرة على سواحل ليبيـا فى مطاردتهم العنيفـة للمسلمين الفـارين بدينهم وعروبتهم من أرض اسبانيا، حتى يقضوا على الروح العربية.

والتفت أهل ليبيا إلى الدولة الإسلامية الكبرى التى كانت قائمة آنذاك وهى الدولة العثمانية، التى صارت مسئولة فى ذلك الحين عن مصير الأمـة العربية، يطلبون مساعدتها ومعاونتها العسكرية والسياسية، وكان من نتيجة ذلك أن مدت الدولة العثمانية سلطانها إلى أرض ليبيا، واستمر الحكم العثمانى فى ليبيا مدة طويلة، تطورت فيها الحياة فى البلاد تطوراً جديداً، انتهى آخر الأمر إلى نشأة دولة مستقلة على يدى حاكم تركى هو مؤسس الدولة القره مانلية التى كان لها أثر فى نظام الحكم وفى حياة الشعب، وفى وضع الأسس الأولى لمقومات الدولة الليبية الحديثة.

ولكن الـدولة القـره مانليـة لم تستمر أكـثر من قرن وربـع، ثم عاد العثمانيون يبسطون نفوذهم وسلطانهم على البلاد مرة أخرى، وظلت الخلافة العثمانية تحكم البلاد حتى فوجئت آخـر الأمر بـالغزو الاستعـماري الإيطالي الغاشم.

- ٢ -

وعندما ننتقل إلى استقصاء أحداث التاريخ ومقدماتها في هـذه الفترة الحافلة، نجد أن السلطان سليماً الأول العثماني عندما فتح مصر عام ٩٢٣ هـ - ١٥١٧م وضع يده على مصائر الامبراطورية المصرية، التي أسسها المـماليك بقواتهم العسكرية المتفوقة، فأصبح سلطان تركيا يحكم مصر، ويحكم جميع الشعوب التي كانت تخضع لسلطان المماليك أو لنفوذهم وباستيلاء العثمانيين على مصر خضع إقليم برقة للعثمانيين بحكم تبعيته الاسمية لمصر في ذلـك الحين.

وفي عهـد السلطان سليمان القـانوني ابن سليم الأول اشتـد النضـال البحري بين العثمانيين والاسبانيين في حوض البحر الأبيض المتوسط، وحدثت عدة مصادمات بحرية بين السفن العثمانية والأسـطول الاسباني؛ وكـان من نتائج هذا النضال البحري مجيء العثمانيين إلى طرابلس الغرب، واستخلاصها من أيدي فرسان القديس يوحنا بجزيرة مالطة الذين حكموا البلاد بعد أن تنازل عنها شارل الخامس ملك أسبانيا.

وكانت طرابلس منذ عام (٩١٦ - ١٥١٠م) قد احتلها الأسبان[1] بعد صراع بحري دام بين القوات الإسلامية والقوات المسيحية، أي بين الأتراك

(١) راجع كتاب «الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس» تأليف عمر الباروني مطبعة ناجي بطرابلس ١٩٥٢، وكتاب العهد العثماني الأول في طرابلس للمؤلف نفسه أيضاً، والاحتلال الأسباني لطرابلس امتد من عام ١٥١٠ حتى عام ١٥٣٠م: ٩١٦ - ٩٣٦ هـ، واحتلال فرسان القديس يوحنا لها استمر من عام ٩٣٦ - ٩٥٨ هـ: ١٥٣٠ - ١٥٥١م.

والأسبان، وذلك حتى لا تقع فى أيدى الأتراك فتكسبهم موقعاً بحرياً فريداً يستطيعون أن يتخذوا منه قاعدة حربية وبحرية للهجوم على اسبانيا نفسها وعلى أسطولها البحري الضخم، وحتى يبادروا هم باتخاذها قاعدة للهجوم منها على تركيا وعلى أسطولها فى البحر الأبيض المتوسط، وكذلك رغبة فى الاستفادة من أرباح تجارة القوافل التى كانت تسير بين مدينة طرابلس وبلاد السودان؛ وشجع الاسبان على احتلال طرابلس ضعف دولة الحفصيين وعدم قدرتها على الوقوف فى وجه الاسبان؛ وقد سقطت المدينة بعد دفاع باسل عظيم من الشعب الليبى، وبتأثير هذه المقاومة لم يستطع الأسبان بسط نفوذهم إلا على المدينة وحدها، وقد نقل الليبيون حركة المقاومة للغزو الاسبانى إلى مدينة تاجوراء المجاورة لطرابلس، وعلى مسافة قريبة منها إلى الشرق، وأرسلوا وفداً منهم للخليفة العثمانى يطلبون منه النجدة ومساعدتهم على طرد الاسبان، فقدم الأتراك بأسطول بحرى إلى ساحل ليبيا لدعم حركة النضال ضد الأعداء في البحر المتوسط؛ وجعلوا موانئ ليبيا قاعدة لأعمالهم الحربية ضد الاسبان؛ وكان أول وال تركى على ليبيا هو «درغوت باشا» الذى سقط شهيداً فى الهجوم على جزيرة مالطة بعد أن رد للساحل الليبي أمنه وأنزل الرعب فى قلوب الأعداء[1]؛ وبعد أقل من عشرين عاماً من الغزو الاسبانى لطرابلس تنازل ملك اسبانيا شارل الخامس عن المدينة لفرسان مالطة لأنه كان فى هذا الوقت مشتبكاً فى حروب طويلة مع الفرنسيين في إيطاليا، وذلك عام ١٥٣٠م - ٩٣٦هـ وحكم المدينة فرسان مالطة نحوا من اثنين وعشرين عاماً حتى طردهم منها العثمانيون عام ٩٥٨ هـ - ١٥٥١م.

وكانت برقة آنذاك فقيرة فى مواردها الاقتصادية والنفوذ الداخلى فيها لقبائل بنى سليم، وإن كانت قد انتقلت تبعيتها الاسمية من سلاطين المماليك إلى السلاطين العثمانيين. أما إقليم فزان فكان لقبيلة «الخرمان» - إحدى قبائلها - النفوذ الفعلى فيه، ثم أقام منتصر بن محمد وهو أحد أشراف مراكش

(١) راجع ١٢٩ و١٣٠ دراسات فى التاريخ الللوبى لبعيو.

أسرة حاكمة فى فزان عرفت فى ذلك العهد بإسم أسرة بنى محمد التى كانت عاصمتها بلدة «مرزق» وظل الحكم فى فزان فى أيدى هذه الأسرة حتى قضى عليها يوسف باشا القره مانللي عام ١٨١١م بقتله لآخر حاكم منها.

- ٣ -

كانت عاصمة البلاد في هذا العصر الطويل هى مدينة طرابلس، وقد مرت هذه المدينة[١] بعصور تاريخية عديدة هي:

العصر الفينيقى (القرطاجنى)	٨٠٠ - ١٤٥ ق م
العصر الرومانى	١٤٥ ق م - ٥٤٠م
العصر الفندالى	٤٥٠ - ٥٣٣م
العصر البيزنطى	٥٣٣ - ٦٤٣م
الحكم الإسلامى العربى	٦٤٣ - ١٥١٠م
الحكم الإسبانى	١٥١٠ - ١٥٥٣م
العهد العثمانى الأول	١٥٥٣ - ١٧١٤م
عهد الأسرة القره مانلية	١٧١٤ - ١٨٣٥م
العهد العثمانى الثانى	١٨٣٥ - ١٩١٢م
الغزو الإيطالى	١٩١٢ - ١٩٤٣م
الإدارة البريطانية	١٩٤٣ - ١٩٥١م
عهد الاستقلال منذ عام	١٩٥١ حتى اليوم

وقد زار الشاعر المصرى الكبير محمود غنيم طرابلس عام ١٩٥٤ فألهمته هذه القصيدة، التى نشير إليها هنا لما في مضامينها من صلة بما ذكرناه قال:

قالوا: الجمال هنا والمجد فاقتبس ... فقلت: كل المعالى فى طرابلس

(١) هى مدينة أويا القديمة وحرفت إلى أوا، ومعناها بالإغريقية ثلاث مدن، ثم أطلق عليها اسم تريبوليس، نسبة إلى الخط الدفاعى الذى أقامه الرومان فى المنطقة، وعربت عند الفتح الإسلامى إلى اطرابلس.

لما نزلت بها باتت تذكرني أمجاد مصر وبغداد وأندلس

يا أمة ورثت مجد العروبة لو قست النجوم بها في المجد لم تقس

أشبال «ليبيا» كأني إذ نزلت بكم نزلت بالقبلتين: الحجر والقدس

الثائرون على الطغيان من قدم من كل حر يبيع النفس بالبخس

المترعون كئوساً غير آثمة من كل نبع من الصحراء منبجس

فيكم من البدو أخلاق مبرأة من كل ما حوت الأمصار من دنس

إن لم تكن جنة المأوى دياركمو فما دياركمو منها سوى قبس

لاضيف أكرم من ضيف يجاوركم بالدار والأهل والأحباب مؤتنس

كأن عاهلكم في عدله عمر كفاكم الله شر الحاكم الشرس

أبناء يعرب طال الليل فانتظروا شعاع فجر يجلي ظلمة الغلس

إن العروبة لا تفنى ولو فنيت شم الجبال فناء الأربع الدرس

محروسة بجنود الله ظافرة أما كفى بجنود الله من حرس؟

بني العروبة فروا من مضاجعكم فما نسيتم ولا المجد القديم نسي

أبناء يعرب هيا ابنوا المأثرات فقد دوى الأذان ورنت صيحة الجرس

خطوا على العلم والأخلاق دولتكم وشيدوها من الشورى على أسس

وحصنوا أرضكم من كل مغتصب بكل مدرع فى الحرب مترس

باتت تنازعنا أوطاننا أمم مدت إلينا قديماً كف ملتمس

جاست خلال مغانينا ولو لمحت طيف الحديد وطيف النار لم تجس

طال السكوت على شعب يضام بلا ذنب، وحر رهين القيد محتبس

والله ما نسيت مصر جراحهمو وإن تكن فى جلاء الظلم فى عرس

أين الذين على حق الشعوب بكت عيونهم؟ هل أصيب القوم بالخرس

قل للألى بسلاح الذرة افتخروا العرب سادوا الورى بالسيف والفرس

الفاتحون بجند من مبادئهم والعاصفون بملك الروم والفرس

جابت مواخرهم ظهر العباب ولم تترك خيولهم شبرا من اليبس

أنتم بنو العرب الأمجاد زانكمو حسن المحيا وسحر المنطق السلس

ماست غصونكمو من تيهها بكمو بين الرياض ولولا التيه لم تمس

وتقع قلعة طرابلس على زاوية فى الجنوب الشرقى من المدينة؛ وقد بنيت أول ما بنيت فى عهد الفينيقيين، وأعاد بناءها وجددها الرومان، وبعدهم البيزنطيون ثم العرب. والبناء الحالى لا يحتفظ لنا بشيء من الآثار التى سبقت عهد الاسبان إلا بالقليل.

وموقع القلعة منذ أن أسست لم يتغير وإن تغيرت معالمها فى مختلف العهود. ويعتقد أن بقايا القلعة القديمة لا زالت موجودة تحت الطبقات السفلى منها، ولو أن بعض الأنقاض استعملت فى بناء بعض نواحيها من جديد. وتورد بعض المراجع التاريخية أنه عند استيلاء العرب على مدينة طرابلس فى سنة ٦٤٣ م، قاموا بتحصين القلعة التى كانت فى موقع استراتيجى يعتمد عليه ويحدثنا التيجانى ـ الرحالة العربى الشهير ـ عن عظمة قلعة طرابلس عندما زارها وهو في طريقه إلى الأراضى المقدسة سنة ١٣٠٧ م.

ويشير الرحالة العربى إلى قاعة للجلسات داخل القلعة ملبسة بالمرمر ومزخرفة بأنواع الزينة. وقد ظلت هذه القاعة مطموسة تحت الأنقاض إلى الآن ولم يكشف عنها رغم الحفريات التى أجريت فى القلعة.

ونكاد نجهل كل شيء عن قلعة طرابلس خلال القرنين التاليين لزيارة التيجانى، أى من أوائل القرن الرابع عشر إلى أوائل القرن السادس عشر. ويحدثنا عن عظمة قلعة طرابلس الربان التركى الحاج محمد الشهير ببيرى رئيس عندما زار ميناء طرابلس قبيل الاحتلال الاسبانى في ١٥١٠ م، فيقول في كتابه (كتاب البحرية): «إننا لم نشاهد فى بلاد المغرب قلعة أجمل من قلعة طرابلس، وان كل برج فيها يرى وكأنه مصنوع من الشمع خاصة، وأن قلعة طرابلس تبيض بالجير كل سنة فتظهر للناظر إليها من البحر كالفضة الناصعة البياض. ولكن الأسبان بعد احتلالهم البلاد هدموا بعض أبراجها وحفروا حولها خندقاً».

أما مؤرخو الاسبان فلم ينقلوا لنا شيئاً عن حالة القلعة من الداخل، إلا أنه جاء فى تقاريرهم وصف موجز لها من الخارج إذ تقول تلك التقارير:

إن طول القلعة من الجنوب إلى الشمال ١٦٠ خطوة ومن الشرق إلى الغرب ٢٠٠ خطوة، وان الأمواج تنكسر على جدرانها من الجهة الشمالية، ويحيط بها خندق من جميع الجهات الأخرى مملوء بمياه البحر، ويبلغ عرض هذا الخندق ٤٤ خطوة وعمقه قامة إنسان، وأما ارتفاع جدران القلعة فثماني قامات أي حوالى ١٢ متراً».

وأهم وصف لقلعة طرابلس من الداخل هو الذي كتبه عنها رجل فرنسي كان قد أسره البحارة الطرابلسيون فى عهد عثمان باشا الساقزلي سنة ١٦٦٨ م. مع الطبيب الفرنسى جيرارد. وقد مكث فى الأسر حوالى عشر سنوات.

يقول هذا الفرنسي المجهول: «إن قلعة طرابلس محيطها ٥٠٠ خطوة وتتكسر أمواج البحر على جدرانها الشرقية، بينما البقية يحيط بها خندق وشكلها منحرف وتقفل أبوابها ليلاً، وتوجد بداخلها قصور ومساكن الباشا وحاشيته، التى تعتبر آية فى الجمال. وكذلك مساكن الحامية من ضباط وجنود. وهذه المساكن مريحة جداً تتوفر فيها وسائل الراحة».

وتقع القلعة ـ السراى الحمراء ـ على الشاطئ، وكانت طوال القرون الخمسة الماضية مسرحاً حافلاً للأحداث السياسية فى المدينة. وفى الوقت الحاضر تعتبر من أهم المعالم التى يقصدها زوار طرابلس للتعرف على تاريخ هذه البلاد الزاخر بأنباء الأمم وأحداث الماضى.

ولقد شيد هذا الصرح على انقاض قلعة حربية رومانية إبان الفتح الإسلامى لمدينة طرابلس. ويعتقد أنه أدخلت عليه بعض التعديلات أثناء حكم الاسبان الذين غزوا طرابلس فى النصف الأول من القرن السادس عشر. وقد هاجمها الاسبان بقيادة فردناند الكاثوليكى واحتلوها عام ١٥١٠م. وأجريت عليها بعض الإصلاحات ثم تم تسليمها إلى فرسان مالطة.

وفي عام ١٥٥١ احتلها الأتراك وأعادوا بناءها وجعلوها مركزاً لحكومتهم. وقد تم مؤخراً إجراء حفريات فى القلعة كشفت النقاب عن

العديد من الآثار القديمة. وقامت مصلحة الآثار بعد استقلال البلاد بترميم القلعة وخصصت بعض أبنيتها لمكاتبها كما خصصت المباني الأخرى للمتاحف الأثرية والعلمية والتاريخية. وكذلك فإن إدارة الآثار بولاية طرابلس الغرب تقع فى أحد أجنحة القلعة التى تطل على البحر من عل، وأمامها الحدائق الجميلة التى تزيد فى بهاء القلعة.

وللقلعة بوابتان إحداهما فى الناحية الغربية والأخرى فى الناحية الجنوبية، وكانت البوابة الغربية تستخدم كبوابة رئيسية للقلعة وتؤدى إلى برج سان جورج الذى تشغله حالياً بعض المكاتب الحكومية.

وبعد الدخول من البوابة والمرور فى الممر الذى يكشف عن سماكة جدران القلعة التى كانت تنصب عليها المدافع، يرى الداخل فى الناحية اليمنى باباً يؤدى إلى جامع، وهو أقدم مبنى داخل جدارن القلعة.

أما الجزء الأوسط من القلعة كما يبدو الآن فقد شيد خلال القرن الثامن عشر عندما أصبح مسكناً لعائلة حكام القره مانللي ومركزاً للحكومة، وقد شيد حوله عدد من الدواوين التي غطت معظم المساحة الواقعة داخل القلعة. وتطل على المساحة المكشوفة داخل القلعة أجنحة مساكن عائلة القره مانللى، وكانت مبانيها كغيرها من المباني التى شيدت فى القرن الثامن عشر فى طرابلس ذات طابقين.

وتتوسط حدائق القلعة الواسعة الجميلة وغيرها من الأماكن هناك، نافورات رخامية جميلة جيء بها من ساحات عدة مبان قديمة فى طرابلس. ولإحدى هذه النافورات أحواض ذات ثمانية أضلاع نقش عليها باللغة العربية تاريخ القرن السابع عشر. أما النافورات الأخرى فعليها نقوش عربية تبين تاريخ القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

وعلى محاذاة الناحية اليسرى من الحديقة توجد جدران القلعة وعليها فتحات لإطلاق المدافع منها ويطل على الحديقة أيضاً ديوان القره مانللى، وهو أكبر الدواوين الموجودة في القلعة، وكان متاخماً للديوان الكبير الذي كان

يستقبل فيه باشوات القره مانللي قناصل الدول الأجنبية وغيرهم من الزوار ذوي الشأن.

ولم يكن اسم[1] طرابلس حتى سنة ١٨٨٠ يطلق إلا على المدينة القديمة، داخل السور القديم الذي كان يحيط بها من كل جهاتها بما فيها جهة البحر. أما القسم الآخر خارج الأسوار فكان يسمى المنشية.

وكان للمدينة، أربعة أبواب، اثنان في الجهة القبلية، وهما باب الخندق وباب المنشية، وواحد في الجهة الغربية وهو الباب الجديد وقد فتح في سنة ١٨٧٠، وكان في الجهة الغربية قبل ذلك باب قديم جداً يسمى باب زناته، فأغلقه علي باشا القره مانللي عندما قامت الحرب بينه وبين محمد بك القره مانللي على الحكم حوالي سنة ١٨٣٣، والباب الرابع في الجهة الشمالية وهو باب البحر.

وفي المدينة القديمة ست محلات هي: حومة غربان وحومة البلدية وسيدي الصفار وباب البحر والحارة الكبيرة والحارة الصغيرة، وهذه الأسماء لم تتغير منذ مئات السنين. والمحلات التي كانت خارج السور القديم - والتي كانت تسمى في مجموعها بالمنشية - هي الشارع الغربي ومجلة الظهرة وزاوية الدهماني وشارع الزاوية وشارع ابن عاشور وغيرها من الشوارع والمحلات؛ وبقي السور القديم الذي كان يفصل المدينة عن المنشية، والذى كان سكان طرابلس يعتمدون عليه في الدفاع عن ممتلكاتهم وأرواحهم من الغارات البحرية والبرية حتى سنة ١٨٨٠. فكانت أبوابه تغلق بعد صلاة العشاء مباشرة، ولا يسمح بالخروج من المدينة والدخول إليها لأحد إلا صباحاً. ولما كثر البناء خارج السور، ولم تعد للأسوار قيمة دفاعية بالنسبة للحروب الحديثة، واستقر الأمن في البلاد، هدم الأتراك الجزء المواجه للبحر وفتحوا فيه ثغرة كبيرة أخرى سميت بباب الحرية. وبعد الاحتلال الإيطالي قام الإيطاليون بهدم جزء آخر من السور ولم يبق منه الآن إلا الجزء الممتد من

---

(١) مجلة المعرفة - ١٩٦٤

مدخل سوق المشير إلى باب الحرية، والجزء الآخر الذى يمتد من الباب الجديد حتى البحر حيث مخازن الحلفاء. وقد بقى هذان الجزآن كآثار تاريخية إلى اليوم.

وأما السور الذى يحيط بضواحى المدينة والذى يسميه الأهالى بالكردون، فقد بناه الإيطاليون سنة ١٩١٢ لحماية منطقة احتلالهم من غارات المجاهدين وطوله بضعة كيلومترات وله عدة أبواب منها باب العزيزية وباب قرقارش وباب ابن غشير وباب ترهونه وغيرها.

وقد ورد فى «السالنامة» (وهى نشرة سنوية كانت تصدرها الولاية فى العهد العثماني) أنه كان فى عام ١٨٨٥ «يوجد داخل السور قصر الحكومة فى السراي الحمراء، وثكنة عسكرية تستوعب ١٥٠٠ جندى، ومركزان للشرطة وبرج الساعة و٩ جوامع و١٨ مسجداً وثلاث زوايا و٥ كنائس للنصارى و٧ كنائس لليهود، ومدرسة ثانوية و١٥ مدرسة قرآنية وابتدائية، ومدرسة واحدة للبنات، وثلاثة معاهد دينية، وجميع قنصليات الدول ومستشفى واحد، والبلدية ومعملان للصابون و٢٠ فرناً و٧٢ مطحناً تدار بالجمال ومدبغة واحدة و٢٤٥٣ بيتاً و١٠١٩ دكاناً و٤٠ مخزناً و٢٢ مقهى و٤ حمامات و٣٣ فندقاً وثلاث صيدليات. وعدد سكانها قدر بـ ٢٥ ألف نسمة بين مسلمين ونصارى ويهود».

أما القسم الذى كان خارج السور فكان فيه: «٤٥ جامعاً و٧١ مسجداً و٤٥ زاوية و٣٠ مدرسة قرآنية وابتدائية و٢٥ مطحناً منها اثنان تداران بالبخار و٤٥ فندقاً وكنيستان و١٥٠٠ بيت و٥٩٥ دكاناً و٢٢ مقهى و١٢٠٠ بستان، وثكنات الفرسان والمدفعية، وثلاثة مراكز للشرطة، والمستشفى العسكرى، و١٥ مدبغة. وقدر عدد السكان فى هذه المنطقة بـ ٢٠ ألف نسمة».

- ٤ -

استمر الحكم العثماني لليبيا مدة طويلة تقرب من نحو أربعة قرون

شملت ثلاث فترات مختلفة:

١ ـ الفترة الأولى عهد الحكم العثماني الأول (١٥٥١ ـ ١٧١١: ٩٥٨ـ ١١٢٣ هـ).

٢ ـ الفترة الثانية العهد القره مانللي (١١٢٣ ـ ١٢٥١ هـ: ١٧١١ ـ ١٨٣٥ م).

٣ ـ الفترة الثالثة العهد العثماني الثاني (١٢٥١ ـ ١٣٢٩ هـ: ١٨٣٥ ـ ١٩١١ م).

(أ) ففي الفترة الأولى: كان يحكم ليبيا ولاة أتراك، كانوا فى أغلب الأمر من كبار القواد، وعلى رأسهم درغوت باشا الذى يعده بعيو أول حاكم تركي لليبيا[١]، أو مراد آغا الذى يعده كثيرون أول تركى حكم البلاد[٢] وقد بنى له مسجداً ومدرسة فى تاجوراء، وخلفه درغوت (١٥٥٣ ـ ١٥٦٥) الذي بنى مسجداً كبيراً في طرابلس أطلق عليه اسمه، ومن الولاة جعفر باشا (١٥٦٩ ـ ١٥٨١) الذي طرد الأسبان من تونس وقضى على الدولة الحفصية عام ١٥٧٤هـ، ومحمد باشا الساقزلى (١٦٣١ ـ ١٦٤٩) الذي ضم إقليم برقة إلى ولايته بعد أن كان خاضعاً للسلطة العثمانية في مصر اسميا.

وفى هذه الفترة نمت البحرية الليبية نمواً كبيراً، وأصبحت عاملاً فعالاً فى الدفاع عن الوطن الليبى وفى تهديد أعدائه وفى حماية القوافل التجارية الليبية البحرية فى البحر المتوسط[٣]، وكانت (ترسانة) طرابلس لا تكف عن العمل ليل نهار لتزويد الأسطول بأكبر عدد من السفن[٤]، وقد تحدث الرحالة العياشي عن القوة البحرية الطرابلسية التى شاهدها عند مروره بطرابلس يوم الأربعاء ١٧ رجب ١٠٧٦ هـ فى طريقه إلى الأراضى المقدسة[٥] وفى عام

---

(١) ١٣٠ دراسات في التاريخ اللوبي ـ بعيو.

(٢) ٣٣ تاريخ ليبيا.

(٣) ١٢٤ دراسات في التاريخ اللوبي.

(٤) ١٣١ المرجع نفسه

(٥) ١٣٦ المرجع نفسه، ١: ٦٠ رحلة العياشي.

١٦٧٥ م هاجمت البحرية الليبية سفناً إنجليزية فى البحر المتوسط وغنموا منها ثلاثاً، مما أثار غضب البحرية الإنجليزية فقامت بغارة بحرية على طرابلس، حيث أحرقت السفن الليبية الراسية فى الميناء بعد أن قذفت المدينة بمدافعها[١].

وكان لنشاط البحرية الليبية أثره الكبير فى زيادة الثراء والرفاهية للشعب، وفى تحسن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وقوة البلاد السياسية، وقد تغنى الأدب الشعبى بهذه البطولات والملاحم وأعمال الأسطول الليبى فى تهديد سفن أوربا وحماية الوطن من غزو صليبى أوروبى، ومن الأدب الشعبى آنذاك قصة عسيلة وهى فتاة ليبية أسرها قراصنة الروم وحملوها معهم فاستنجدت بالشيخ المولى عبد السلام الأسمر الفيتورى ببلدة زليتن الذى عاش فى القرن العاشر الهجرى قرن نمو البحرية فعمل هذا الولى على نجدتها وإنقاذها من العدو[٢].

(ب) وفي الفترة الثانية: وهى العهد القره مانللى كانت ليبيا مستقلة استقلالاً داخلياً تاماً وإن اعترفت بالسيادة العثمانية، وأول حاكم لليبيا من هذه الأسرة هو أحمد باشا القره مانللى الذي ينتسب إلى بلدة قرمانيا في هضبة الأناضول بآسيا الصغرى، وكان بحاراً فى الأسطول العثمانى، ثم صعد إلى الحكم بعد كفاح طويل في ٢٧ يوليو ١٧١١ م.

وقد أولى الأسطول وقوافل التجارة البرية جل اهتمامه وقد جعل اللغة العربية اللغة الرسمية وبجانبها اللغة التركية؛ فكتب بالعربية الوثائق والمعاهدات السياسية والأوراق الرسمية، وبنى مسجداً ضخماً في طرابلس يعد تحفة فنية رائعة ويدل على الرخاء والرفاهية، اللذين سادا البلاد، وقد حكم البلاد أربعة وثلاثين عاماً ومات عام ١٧٤٥، وظهر فى عهده المؤرخ محمد بن

---

(١) ١٢٦ و١٣٧ دراسات لبعيو.

(٢) راجع الفصل القيم الذي كتبه بعيو عن ليبيا والسيادة البحرية (١٠٩ - ١٦٦ دراسات في التاريخ اللوبي).

خليل غلبون وكتابه «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار» مشهور[1] وقد ألفه عام ١٧٣١ م، وخلف أحمد باشا ابنه محمد باشا (١٧٤٥ - ١٧٥٤)، ثم على باشا القره مانللى (١٧٥٤ - ١٧٩٣)، ويوسف باشا القره مانللى (١٧٨٥ - ١٨٣٢) وعلى باشا (١٨٣٢ - ١٨٣٥) وهو آخر الأسرة القره مانلية.

وفى هذه الفترة بلغت البحرية الليبية ذورة قوتها، وألقت الرعب فى قلوب الأوربيين، وعقدت دول أوربا المعاهدات مع حكومة ليبيا حتى تأمن على تجارتها نظير دفع جزية سنوية وكانت انجلترا أسرع هذه الدول إلى عقدها فى سنة ١٧٥١[2]، ثم البندقية عام ١٧٦٥ م، وفى عهد يوسف باشا القره مانللي فرضت الإتاوات السنوية على معظم الدول البحرية، وكان لذلك أثره القوى فى حياة البلاد وانتعاشها، وكان الصراع بين البحرية الليبية والبحرية الأمريكية فى عهد يوسف باشا[3]، صدمة قوية أصابت هيبة البحرية الليبية في الصميم[4]، وبانتهاء الأسرة القره مانلية عام ١٨٣٥ زال ما للبحرية الليبية من وجود[5]. . وكان نشاط تجارة القوافل البرية فى ليبيا مصاحبا لازدهار الأسطول الليبى وقوته[6]، وقد تغنى به الأدب الشعبى فى ليبيا[7].

---

(١) وقد توفى ابن غلبون عام ١١٧٧ هـ: ١٧٦٣ م (١٦٨ نفحات النسرين والريحان) وراجع كتاب ابن غلبون للأستاذ على المصراتى. وقد ذكر فيه أن ابن غلبون من مصراته وأنه درس فى الأزهر وعاد إلى ليبيا عام ١١٣٣ هـ: ١٧٢٠ م، وكان معاصراً لأحمد باشا القره مانللى، ومن معاصريه: أحمد بن محمد المسكنى المفتى ومحمد النعاس، وكتابه «التذكار» شرح لقصيدة أحمد بن عبد الدايم الأنصارى في طرابلس.

(٢) ١٣٨ و١٣٩ دراسات لبعيو.

(٣) ١٤٨ - ١٦٢ المرجع.

(٤) ١٦١ المرجع.

(٥) ١٦٣ المرجع.

(٦) ١٨٥ المرجع وراجع الفصل القيم عن تجارة القوافل فى ليبيا الذى كتبه بعيو فى كتابه دراسات (١٦٧ - ٢٢٠ المرجع).

(٧) ١٩٧ و١٩٨ المرجع - وفى آخر هذه الفترة ظهر أبو القاسم المحمودى (١٢٣٦ هـ) شيخ قبيلة المحاميد المشهورة وكان صاحب النفوذ فى جبل نفوسة واغتيل بيد أتباع يوسف باشا (٢٧ و٢٨ أعلام ليبيا).

(جـ) وفى الفترة الثالثة: وهى العهد العثمانى الثانى عادت ليبيا إلى الحكم العثمانى، وتولى أمورها ولاة من قبل الخلافة العثمانية، وفيها اختلت أمور البلاد وظهرت الدعوة السنوسية بقيادة محمد بن على السنوسي، وأنشئت بعض المدارس وكثر الشباب الليبى فى مدارس وجامعات استانبول، وذاعت الثقافة التركية واللغة[1] والتقاليد والعادات والأسماء التركية فى البلاد، وكادت تمحى شخصية ليبيا العربية، وصارت التركية لغة الدواوين ولغة الحكم والسياسة، وقد تنافس الأهلون فى إنشاء المساجد والمدارس العلمية ومنهم رمضان ميزران[2] (١٣١٩ هـ) مؤسس المدرسة المسماة باسمه فى طرابلس «مدرسة ميزران القرآنية»، التى كان لها قصب السبق فى تحفيظ القرآن الكريم، كما كان لمدرسته العلمية أكبر الفضل فى نشر العلوم وتخريج العلماء ممن أسهموا فى نشر العلوم الدينية والعربية، وفى المحافظة على الثقافة الإسلامية؛ وقام عمر المسلاتى (١٨٤٨ - ١٩٢٣) وجماعة من المصلحين بإصلاح مدرسة أحمد باشا لتقوم برسالتها العلمية، فوضعوا لها نظاماً خاصاً وسموها كلية أحمد باشا، وتولى رياستها قبيل وبعد الاحتلال الإيطالى مباشرة[3].

لقد كان الفضل فى حفظ اللغة العربية وأدبها فى هذا العصر راجعاً إلى أثر غيرة العلماء والأدباء الليبيين، فضلاً عن أثر الأزهر والزيتونة والزوايا الدينية والمعهد الجعبوبى[4].

وفى العهد العثمانى الأخير اختير بعض الممثلين عن ليبيا أعضاء فى مجلس المبعوثان - النواب - العثمانى ومن بينهم: سليمان باشا البارونى، وأحمد

(١) كانت التركية اللغة الرسمية للبلاد ولغة التعليم أيضاً (١٥٩ أعلام ليبيا).

(٢) ١١٨ و١١٩ أعلام ليبيا.

(٣) ٢٣٠ المرجع.

(٤) وإذا كان التعليم ضئيلاً فى العهد التركى حتى إن الرجل فى البادية كان لا يجد من يقرأ له فيتكلف الذهاب بها إلى أقرب مدينة إليه (٥٧٠ برقة العربية) فإن الإمام محمد بن على السنوسى قد قلب - بجهوده وبما أنشأ هو وخليفته الإمام المهدى السنوسى من زوايا - كل هذا التخلف وأحاله إلى يقظة ونهضة واسعة.

ضياء بك المنتصر والد محمود المنتصر رئيس وزراء ليبيا فى فترات عـديدة، وفرحات بك الزاوى والد نجم الدين فرحات وعم طاهر الزاوى، والمرحوم المختار بك كعبار عم السيد عبد المجيد كعبار رئيس مجلس النواب الليبى فى فترة من فترات عهد الاستقلال، وعمر منصور الكيخيا رئيس مجلس الشيوخ الليبي كذلك في فترة من فترات الحياة النيابية في عهد الاستقلال، والمرحوم يوسف بن شتوان من برقة.

وكان القضاء قبل العهد العثمانى على مذهب الإمام مالك، فلما جاء العثمانيون أدخلوا معهم الفقه الحنفى كمصدر من مصادر التشريع والقضاء.

وإذا كان القضاء قد بقى فى ليبيا جارياً على مذهب مالك بن أنس فى الدعاوى المدنية، والجنائية، فى عهـد الأتراك الأول، وعهـد حكومـة القره مانللى، وبقى للمدن الليبية الكبرى حق ترشيح القضاة.

فإن مذهب الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان قد ساد في العصر العثمانى الثانى وفرض الأتراك تطبيقه، وجعلوا المجلة الشهيرة هى مصدر الأحكام، وصار القضاة يعينون من الأتراك والشاميين، وكان قاضى طرابلس هو القاضى الرئيسى، وسائر القضاة نواباً له، وكان يساعد هؤلاء القضاة مفتون يدلون باجتهادهم فيما يشكل على القضاة من الأحكـام، كما كـانوا يفتـون الناس كمحكمين.

وقـد طبق الأتراك فى القضـاء الجنـائى قـانـون العقـوبـات الـتركى، وأصبحت الإجراءات فى كل من القضاء المدنى والجزائى منظمة بقانونى أصول المحاكمات الحقوقية وأصول المحاكمات الجزائية.

ولكن مذهب مالك كان هو السائد بين الشعب، وعليه تدور أحكام الناس فيما بين بعضهم والبعض الآخر، ويتسم فقه مالك بالمـرونة وبـروح تقدمية تساير كل عصر، وتتمشى مع أحدث النظريات القانـونية؛ ومـدونة مالك الفقهية موسوعة ضخمة فى الفقه، وكانت تحمل على بعير، ووجدها بعض القضاة عام ١٩٣٥ في بلدة «أوبارى» بفزان تملأ خزانة كبيرة ومكتوبة

على صحف من جلد الغزال.

ومن الفقهاء المالكيين القدامى الإمام المازرى أحد شراح مختصر خليل ابن إسحاق وهو من بلدة مازرة بسيشليا في إيطاليا؛ وقد أخذ الفقه اللاتينى من مذهب مالك كثيراً من النظريات حتى فى مواد الأحوال الشخصية.

الفصـل الثـاني

أشهر العلماء والأدباء في هذا العصر

نبغ فى العلم والأدب الكثير من العلماء والأدباء فى هذا العصر الذى امتدا نحواً من أربعة قرون:

نذكر منهم ما يلي:

١ ـ أبو بكر الطرابلسى (١١٨٠ هـ) من العلماء والزاهدين والصالحين[١].
٢ ـ أبو تركية المصراتى (١١٠٣ هـ) عالم زاهد ورع[٢].
٣ ـ أبو القاسم المصراتى العالم الأمثل (١٠٦٦ هـ) من المحدثين وشارك فى فنون من المعقول والمسموع[٣].
٤ ـ أحمد الطرابلسي المحدث (١٢٥٤ هـ)[٤].
٥ ـ أحمد شامل الطرابلسى شيخ رواق المغاربة بالأزهر الشريف ومن العلماء الأماثل (١٢١٥ هـ)[٥].
٦ ـ أحمد بن سالم (١٢٧٢ هـ) كان على جانب كبير من العلم وتولى التدريس بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر[٦].
٧ ـ أحمد الأنصارى العلامة الفقيه المؤرخ، وكان شاعراً مجيداً حسن

(١) ٢٠ و٢١ أعلام ليبيا.
(٢) ٢١ المرجع.
(٣) ٢٦ المرجع.
(٤) ٢٩ المرجع.
(٥) ٣٢ و١٣٢ المرجع و٢: ٥٥ المنهل العذب، ١٥٦ نفحات النسرين والريحان.
(٦) ٣٣ أعلام.

الطريقة فى الشعر، ومن شعره قصيدة يستنجد الخليفة العثمانى على الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس سنة ١٤٤٠ هـ ومنها:

يا واحدا ما فى البسيطة مثله ملك الملوك بتاجه المتكلل
إنا لنرجو منك أخذ الثأر من شعب الفرنسيس اللئيم الأرذل[١]

وسنذكره فى الشعراء فيما يلى ذلك.

٨ ـ أحمد بن الرحمن الطرابلسي (١١٥٥ هـ) عالم جليل محدث مشارك في جميع العلوم، ولي قضاء طرابلس بعد والده[٢].

٩ ـ أحمد بن عبد العزيز الطرابلسى ولى القضاء بطرابلس وتوفى عام ١٠٢٢ هـ[٣].

١٠ ـ أحمد بن عبد المحسن ولى بعد والده القضاء بزليطن وولاه أحمد باشا الفتيا فى ٢٦ من المحرم عام ١١٤٢ هـ وكان عالماً جليلاً، درس بزاوية عبد السلام الأسمر وتوفى فى ٢٨ من المحرم ١١٤٧ هـ[٤].

١١ ـ أحمد بن على العالم المشهور والفقيه المحدث (١١٩٠ هـ)[٥].

١٢ ـ أحمد الغريانى (١٠١٤ ـ ١١٠٨ هـ) تولى الإفتاء بطرابلس في عهد عثمان باشا حاكم طرابلس[٦].

١٣ ـ أحمد اليربوعى[٧] من الفضلاء وأعلام الأدباء في طرابلس، تولى القضاء فيها بعد والده، أثنى عليه العياشى الرحالة، وتوفى عام ١٠٧١ هـ.

١٤ ـ أحمد الطرابلسى (١١٣٠ هـ) عالم زاهد عابد[٨].

---

(١) ٣٦ و٣٧ أعلام ليبيا.
(٢) ٣٨ المرجع.
(٣) ٣٩ المرجع.
(٤) ٤١ المرجع.
(٥) ٤٢ المرجع.
(٦) ٤٣ المرجع.
(٧) ٤٣ و٤٤ المرجع.
(٨) ٤٤ المرجع.

١٥ - أحمد بن محمد بن سالم (١٢٤٢ - ١٣١٥ هـ) علامة جليل، تولى قضاء زليتن[١].

١٦ - أبو العباس أحمد بن محمد الطرابلسى (١٠٦٢ هـ]) عالم عابد ورع[٢].

١٧ - أحمد بن يوسف (١٢٩٤ هـ) كان من تلاميذ الإمام السنوسى وعلى جانب كبير من العلم، وهو جد السيد إدريس السنوسى ملك المملكة الليبية لأمه[٣].

١٨ - أحمد المقرحى (١٢٦٣ هـ) توفى بالبيضاء ودفن بمقبرة الإمام رويفع الأنصارى وكان من أعيان العلماء وفضلائهم، تولى الإفتاء بالزاوية واتصل بالإمام السنوسى فى طرابلس عام ١٢٥٧ هـ، وصحبه وانتقل معه إلى برقة وصار من خواص أصحابه[٤].

١٩ - أحمد المسكنى (١٠٤٢ - ١١٠١ هـ)[٥]، كان في مقدمة العلماء الطرابلسيين فى زمنه وتولى الإفتاء فى طرابلس، وأثنى عليه الرحالة العياشى، وذكر أن من مؤلفاته «شكر المنة فى نصر السنة»[٦]، وهو فى الرد على الإباضية كما ذكره مؤلف كتاب «اليواقيت الثمينة فى أعيان مذهب عالم المدينة» لبشير ظافر.

٢٠ - حسين الأنصارى (١٢٢٣ - ١٢٩٨ هـ) تلقى العلوم فى طرابلس ثم تونس ومصر، وصار من مشهورى العلماء فى عصره، وتمكن من فقه الإمام الأعظم، وأصبح من فحول العلماء، مع تصرف فى شتى العلوم

---

(١) ٤٥ و٤٦ المرجع.

(٢) ٤٧ أعلام ليبيا.

(٣) ٥٤ المرجع.

(٤) ٨٠ المرجع.

(٥) ٨٠ و٨١ المرجع، ٢٧٤ تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ١: ٢٧٩ المنهل العذب، وصـ ١٣٢ و١٣٣ من كتاب نفحات النسرين والريحان.

(٦) ٨١ أعلام ليبيا، وراجع هامش صـ ١٦٦ من هذا الجزء.

والفنـون، ومن مؤلفاتـه: «إرشـاد السـالكين ونصرة الـذاكـرين» في التصوف[1].

٢١ ـ داود أفندى ابن أسعد (١٢٨٣ هـ: ١٨٦٦ م) ـ ١٢٣٦ هـ: ١٩١٧ م، كان يجيد الكثير من اللغات الشرقية والغربية، فأتقن الفارسية والتركية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية، كما كان يجيد العربية لغة قومه، وكان عالماً بحاثاً مفكراً، أصدر عام ١٣١٦ هـ ـ ١٨٩٨ م مجلة الفنون نصف شهرية، وسافر إلى الأستانة والتحق بوظيفة فى نظارة المعارف هناك، ثم عين مديراً للمعارف فى ولاية (أزمير)، وبعد الانقلاب الاتحـادي فى تركيا عام ١٩٠٨ رجع إلى طرابلس وظل فيها حتى توفى عام ١٩١٧، وبحوثه فى مجلة الفنون تمتاز بالطرافة والجدة[2].

٢٢ ـ سالم بن عبد الحفيظ (١١٧٦ ـ ١٢٤١ هـ) من العلماء الأجلاء وتولى التدريس فى زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر[3].

٢٣ ـ سالم بن أحمد (١١٥٨ هـ) كان على جانب كبير من العلم، وعـاصر أحمد باشا القره مانلى[4].

٢٤ ـ الطاهر الرمشاني من علماء الزاوية وتولى الإفتاء بها عام ١٢٨٧ هـ[5].

٢٥ ـ عبد الحفيظين محمد (١٢٣٣ ـ ١٣١٥ هـ) من مشهورى العلماء وكبار الأساتذة فى عصره[6].

٢٦ ـ عبد الحميد البشتى من العلماء والمدرسين وتوفى نحو عام ١٣٩٠ هـ.

٢٧ ـ عبد الرحمن الطرابلسى، علامة فقيه تقى ورع، وله منظومة عارض منظومة البوصيرى الهمزية وتوفى نحو عام ١٣٢٤ هـ[7].

---

(١) ١٠٠ و١٠١ المرجع، وراجع ترجمته في ١٤ ـ ١٧ مقدمة كتاب «نفحات النسرين والريحان» لأحمد النائب. والمقدمة بقلم المصراتي.
(٢) ١٠٧ ـ ١٠٩ أعلام ليبيا، وكتاب «صحافة ليبيا» للمصراتي.
(٣) ١٢١ أعلام ليبيا.
(٤) ١٢٢ المرجع.
(٥) ١٣٩ المرجع.
(٦) ١٥٣ و١٥٤ أعلام ليبيا.
(٧) ١٦٠ المرجع.

٢٨ ـ عبد السلام التاجورى، برع فى علم الشريعة وعلوم التصوف وله تآليف منها «فتح العليم». و«تذييل المعيار»، وتوفى عام ١١٣٩ هـ[١].

٢٩ ـ عبد القادر بن عبد السلام (١٢٢٣ ـ ١٢٩٧ هـ عالم جليل، وصوفي ورع، امتدحه العلماء بالقصائد البليغة[٢].

٣٠ ـ عبد القادر المقرحى من العلماء في القرن الثالث عشر الهجرى، وكان عالماً فاضلاً ذا وجاهة وجاه، وتولى قضاء الزاوية نحو عشر سنوات[٣].

٣ ـ عبدالله بن غلبون (١١١٠ هـ) عالم فاضل من مصراته[٤].

٣٢ ـ عبدالله الأسمر (١٠٨٨ هـ) علامة صوفى فاضل، له تلاميذ كثر، ورسائل فى الذكر والتصوف والوعظ[٥].

٣٣ ـ عبدالله المصراتى (١٨٣٨ ـ ١٩١٨) كان من علماء الأزهر المشار إليهم فى العلم والفضل[٦].

٣٤ ـ على بن أحمد، رحل عام ١٣١٥ إلى الأزهر لطلب العلم، وعاد إلى طرابلس ١٣٢٢ هـ، وتولى التدريس بجامع أحمد باشا[٧].

٣٥ ـ على بن عبد الصادق، عالم فقيه فاضل ومؤدب مؤلف، وله منظومة فى عيوب النفس (توفى عام ١١٣٨ هـ)[٨].

٣٦ ـ على بن عبد اللطيف (١٢٦٨ ـ ١٣٢٧) من العلماء الفضلاء، وكان يشارك في جميع العلوم. وله منظومة فى علمى الأصول والتصوف سماها «الدرر الحسان»[٩].

---

(١) ١٧٤ أعلام ليبيا.
(٢) ١٨١ المرجع.
(٣) ١٨٤ المرجع.
(٤) ١٨٨ المرجع.
(٥) ١٩٤ المرجع.
(٦) ١٩٥ أعلام ليبيا.
(٧) ٢٠٩ و٢١٠ المرجع.
(٨) ٢٠٥ و٢٠٦ المرجع.
(٩) ٢١٠ أعلام ليبيا.

٣٧ - علي بن كريمة من علماء الزاوية المبرزين توفى عام ١٣٢٨ هـ[١].

٣٨ - عمر المسلاتى (١٨٤٨ - ١٩٢٣ هـ) درس فى الأزهر وعاد ليعمل فى التدريس، وصار قاضياً فى محكمة الاستئناف بمدينة طرابلس، ثم عين عام ١٩١٣ مفتياً لمدينة طرابلس، ورأس جمعية الجامعة العثمانية فى طرابلس[٢].

٣٩ - محمد الأثرم (١١٤٥ - ١٢٠١ هـ) من العلماء الزاهدين[٣].

٤٠ - محمد بن أحمد بن الإمام الطرابلسى (١٠٨٣ هـ) من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء[٤].

٤١ - محمد عليش الطرابلسى شيخ المالكية بالأزهر (١٢٩٩ هـ) وله مؤلفات كثيرة[٥].

٤٢ - محمد بن أحمد بن مساهل (١٠٧٧ هـ) تولى الإفتاء بطرابلس[٦].

٤٣ - محمد الورفلى (١٣٤١ هـ) رحل إلى الأزهر وعاد عام ١٣١٧ إلى طرابلس وتولى التدريس بزاوية عبد السلام الأسمر وتخرج عليه الكثير من طلاب العلم[٧].

٤٤ - محمد بن الأمين (١٢٦١ - ١٣٢٤ هـ) تولى الإفتاء فى مدينة الخمس[٨].

٤٥ - محمد بن شعبان الطرابلسى، ناظر علماء استانبول عام ١٠١٦، وأسند إليه قضاء طرابلس والإفتاء والتدريس بها[٩] وتوفى عام ١٠٢٠ هـ.

٤٦ - محمد بن عبد الحفيظ تولى التدريس بزاوية عبد السلام الأسمر وتوفى ١٢٣٤ هـ[١٠].

---

(١) ٢١٣ و٢١٤ المرجع.
(٢) ٢٢٩ و٢٣٠ المرجع.
(٣) ٢٥٩ المرجع، ١٤٥ نفحات النسرين والريحان.
(٤) ٢٦١ أعلام ليبيا.
(٥) ٢٦٢ المرجع.
(٦) ٢٦٣ المرجع.
(٧) ٢٦٥ و٢٦٦ أعلام ليبيا.
(٨) ٢٦٧ أعلام ليبيا.
(٩) ٢٧٦ المرجع، و١ : ٢٤١ المنهل العذب
(١٠) ٢٧٦ أعلام ليبيا.

٤٧ ـ محمد التاجورى فقيه محدث انتفع به خلق كثير توفى عام ١١٧٩[١].

٤٨ ـ محمد بن عبد الرحمن بن قنونو عالم فاضل ومؤلف محقق (١١٨٠ ـ ١٢٥١ هـ) وله منظومة في الفلك ومنظومات أخرى في علوم شتى[٢].

٤٩ ـ محمد بن عبد الرزاق (١٢٣٦ ـ ١٣١٠ هـ) شيخ الأساتذة والعلماء والمفتين بمدينة الزاوية[٣].

٥٠ ـ محمد بن عبد الكريم الطرابلسى (١٢٣٢ هـ) تولى قضاء طرابلس بعد والده[٤].

٥١ ـ محمد بن على الغريانى الطرابلسى (١١٩٥ هـ) من كبار العلماء والمؤلفين[٥].

٥٢ ـ محمد المدنى عالم عارف بالله، سافر إلى الآستانة ونال حظوة كبيرة عند السلطان عبد الحميد، وتوفى بها عام ١٣٢٥ هـ[٦].

٥٣ ـ محمد بن محمد بن عمران بن عبد السلام الأسمر من جلة الفقهاء توفى عام ١٠٨٨ هـ[٧].

٥٤ ـ محمد بن محمد الفطيسى (١٢١٠ هـ) فقيه عالم جليل مؤلف، نظم فى الفقه منظومة ثم شرحها فى مجلدين، وله منظومة في التوحيد وأخرى فى النحو[٨].

٥٥ ـ محمد بن محمد المكنى (١٠٨٥ هـ) عالم فاضل من بيت علم[٩].

٥٦ ـ محمد بن مصطفى الماعزى (١١٦٧ هـ) من أماثل العلماء وزهادهم[١٠].

---

(١) ٢٧٧ المرجع.
(٢) ٢٧٧ و٢٧٨ المرجع.
(٣) ٢٧٨ و٢٧٩ المرجع.
(٤) ٢٨٠ و٢٨١ المرجع.
(٥) ٢٩١ المرجع.
(٦) ٢٩١ و٢٩٢ المرجع.
(٧) ٢٩٥ أعلام ليبيا.
(٨) ٢٩٥ و٢٩٦ المرجع.
(٩) ٢٩٦ المرجع.
(١٠) ٢٩٧ المرجع.

٥٧ ـ محمد بن منيع عالم جليل علامة، شغل بالتدريس سنين طويلة، وبذل فى مساعدة طلاب العلم الكثير من ماله وجهده، وكان موضع الإجلال والتقدير، وكسب شهرة كبيرة فى إقليم طرابلس، وكذلك كان على جانب كبير من العلم والتقوى، وله قصيدة همزية عارض بها همزية البوصيرى فى مدح الرسول، وتوفى بعد عام ١٣٣٠هـ[١].

٥٨ ـ محمد البوراوى من أحفاد عبد السلام الأسمر، كان فقيهاً فاضلاً توفى عام ١٠٧٨ هـ[٢].

٥٩ ـ محمد الأزهرى ـ أخذ عن محمد بن منيع، وكان يضرب بعلمه المثل، وسماه الإمام السنوسي (الأزهري) وإن كان لم يذهب إلى الأزهر، توفي عام ١٣١٥ هـ[٣].

٦٠ ـ محمد الشريف بن محمد السنوسى (١٣٦٢ ـ ١٣١٣ هـ) كان له مشاركة في جمع العلوم[٤].

٦١ ـ محمد العربى (١١٤٣ هـ) عالم شاعر[٥].

٦٢ ـ محمد كامل بن مصطفى (١٢٤٤ ـ ١٢١٥ هـ) درس فى الأزهر، ورجع إلى طرابلس عام ١٢٧٠ هـ، وأخذ يعمل فى نشر العلم وفى التدريس، وله على البيضاوى حواش كثيرة، وله كذلك كتاب الفتاوى الكاملية فى الحوادث الطرابلسية طبع عام ١٣١٣ هـ فى مجلد وهي تجرى على مذهب أبى حنيفة، وله حواش على السعد لم تطبع، وكان يقال له سيبويه زمانه، وتولى الإفتاء في طرابلس (١٣١١ ـ ١٣١٥ هـ) وتخرج عليه جيل من رجالات ليبيا وأدبائها[٦].

(١) ٣٠٦ المرجع.
(٢) ٣٠٧ المرجع.
(٣) ٣٠٨ المرجع.
(٤) ٣١٧ و٣١٨ أعلام ليبيا.
(٥) ١٤٨ نفحات النسرين والريحان.
(٦) ٣٢٥ ـ ٣٢٦ أعلام ليبيا.

٦٣ ـ محمد المكنى (١٠٦٥ هـ) كان من أشهر علماء ساحل طرابلس[١].

٦٤ ـ مصطفى الكاتب (١٢١٣ هـ) مصري الأصل، طرابلسى المولد والمنشأ والوفاة، عالم أديب، كان على جانب كبير من العلم والذكاء، وله كتاب «المسائل المهمة والفوائد الجمة فيما يطلبه المرء لما أهمه» وكان كاتباً لعلي باشا القره مانللى ولذلك لقب الكاتب، وقربه إليه، وحظى عنده، وأسس المسجد والكتاب والمدرسة المعروفان باسمه[٢].

٦٥ ـ مفتاح بن عبدالله (١٢٦٦ ـ ١٣٥٢ هـ) طلب العلم فى الأزهر وتولى القضاء بزليتن وله فتاو لم تطبع[٣].

٦٦ ـ مصطفى باكير (١١٨٩ هـ)[٤].

---

(١) ٣٢٦ و٣٢٧ المرجع.

(٢) ٣٤٣ و٣٤٤ المرجع، صـ ٣٥ ـ ٤١ كتاب لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى. وكتاب الكاتب مخطوط ألفه عام ١٢٠٧ هـ ويقع فى ٣٦٨ صفحة مخطوطة.

(٣) ٣٤٥ المرجع.

(٤) ١٥٥ نفحات النسرين والريحان.

الفصل الثالث

الأدب العربي فى هذا العصر

- ١ -

مع سيادة اللغة التركية فى عصر العثمانيين واتخاذها لغة رسمية للدواوين وفى شئون السياسة، إلا أن اللغة العربية بسطت نفوذها وسلطانها الفعلى على جميع أنحاء ليبيا، بتأثير عناية الشعب الليبى بها لأنها لغة الدين والقرآن ولغة التراث الإسلامى المجيد، وتنافس أثرياء الشعب فى إنشاء المدارس والكتاتيب والمساجد، وشجعوا العلم والعلماء وأخلص العلماء والأدباء لرسالتهم الأدبية والعربية إخلاصاً شديداً، وقد اتخذت أسرة القره مانللى العربية لغة رسمية أيام حكمهم، وتعددت حلقات العلم ومجالس الأدب، وكلها تؤكد سيادة العربية ونفوذها الروحى واللغوى.

ومع فقدان الكثير من الآثار الأدبية والشعرية فى هذا العصر، إلا أننا نستنتج مما بقى فى أيدينا من كتب ومن آثار أن العربية قويت فى هذا العصر، واستمرت فى نهضتها، وأنها لم تعقها العوائق دون بلوغ غايتها.

ووجد جيل من العلماء أثرى بهم العلم والآداب، ومنهم: أحمد بن عبد المحسن (١١٤٧ هـ)، وأحمد اليربوعى (١٠٧١ هـ) وكان من أعلام الفضلاء والأدباء فى طرابلس، وأحمد المكنى (١١٠١ هـ)، وحسين الأنصارى، ومحمد ابن خليل غلبون المؤرخ المشهور، وكتابه «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار» مشهور وقد ألفه نحو عام ١٧٣١ - ١٧٣٢ م، وعمر المسلاتى (١٨٤٨ - ١٩٢٣ م)، ومحمد بن منيع (١٣٣٠ م) ومحمد الأزهرى

(١٣١٥ هـ)، ومحمد كامل (١٣١٥ هـ) ومصطفى الكاتب (١٢١٣ هـ)، وغيرهم كثيرون، ممن سبق ذكرهم.

ونهض الشعر نهضة كبيرة، ومع ظهور آثار الضعف عند بعض الشعراء، فقد كان البعض الآخر يمثل شعره القوة والرصانة والجمال والطبع، لقوة ممارستهم للعلوم العربية والأدبية، ولتعدد ثقافتهم ورحلاتهم في طلب العلم والأدب إلى الأزهر وإلى الزيتونة فى تونس وإلى مختلف المدن الليبية، وإلى استنابول كذلك عاصمة الخلافة العثمانية.

وإذا كان أحمد الفقيه حسن الشاعر يقول:

خـالـه سلطان حسـن فـوق كرسي الخـد تـاه

فيأتى بهذه الاستعارة الغريبة القبيحة، التي تشبه ماء الملام فإن شاعراً مثل مصطفى زكرى يقول:

انـظر إلى ورد الخـدود وحـولـه آس العـوارض أخضرا مسبـوتـا
تـر آيتـين ومن عجـائب مـا تـرى شجـر الزبـرجد اثمـر اليـاقـوتـا

ويقول محمد بن مقبل:

لـقـد لاح في أفـق الـذكـاء ذكـاء به انجاب عن وجه العويص غطاء

وإذا وجدنا التكلف والتصنع والتعقيد فى شعر محمد بن منصور مثلاً نجد الطبع والموهبة والرقة فى شعر البهلول وزكرى وغيرهما، وإذا وجدنا الإغراب فى شعر ابن شتوان وتكلف البديع فى شعر عبد الكريم الطرابلسى فإننا نجد الرقة والعذوبة كذلك فى شعر عديد من الشعراء في ذلك العصر.

ويصور الأستاذ على مصطفى المصارتي الحياة الأدبية فى ليبيا فى القرن التاسع عشر فى مقدمة ديوان أحمد الشارف الذى نشره فى بيروت. فيقول: «سرت في مجالس أدباء طرابلس فى القرن التاسع عشر ألوان من حديث المسامرات، وفنون من شعر المعارضات، وأدب الرواية والحفظ، ألوان وأنماط

تدور حول تقليد الشعر القديم ومحاكاته، وأقبل المتسبون للعلم على حفظ شعر الفحول، أو المشاهير من شعراء المتقدمين، وطرائف الأدب، يرونها فى فصل من الأغانى، أو فى المستطرف والمخلاة والعقد الفريد ويرون أن طريق التكوين الأدبى هى فى الإقبال على الأمهات من مثل الأمالى، والعقد الفريد، والبيان والتبيين.

ورغم ندرة الكتب وعدم انتشار المطبوعات، إلا أن بيوتات السراة الوجهاء كانوا يقبلون على افتناء الكتب، ويتوارثون خزانة فى الحائط، أو صندوقاً مليئاً بالكتب الفقهية والأدبية وقواميس اللغة وشروحها، وكانت ظاهرة من ظواهر المجتمع فى طرابلس أن يشجع السراة الأدب فى شكل ندوات تعقد فى «المرابيع» الملحقة بالبيوت، وكانت متنفساً لمواهب فى الأدب والموسيقى والأدب الصوفى أيضاً، وبيوتات العلم كانت تتوارث القضاء والإفتاء، ولديها في بيوتها طاقة محفورة فى الحائط مليئة بالكتب، أمثال مقامات الحريرى وقاموس الفيروزابادى وكتب الجاحظ وبعض دواوين الشعر وكتب الفقه ومخطوطات فى كل علم.

وقد تركت الزوايا الدينية أثراً ملموساً فى البلاد، فانتشرت الدراسة بالمعاهد العلمية، أمثال: المعهد الأسمرى بزليتن، وزاوية أحمد زروق بمصراتة، وزاوية الدوكالى بمسلاته، وكلية أحمد باشا القره مانللى، وكلية عثمان باشا، بمدينة طرابلس، وهناك الطلاب الذين درسوا فى الجغبوب والزوايا السنوسية، التى أدت دوراً هاماً فى المحيط العلمى والأدبى وحفظ اللغة؛ وغير ذلك من معاهد ومدارس كانت ملحقة بالمساجد، فيها ظلال من العلم، وأنماط من الأدب، وبها مكتبات لا تخلو من كتب قيمة؛ وحيث تنشأ الدراسة العلمية يتكون بجانبها الأدب والشعر، كان هناك شغف بالأدب وقرض الشعر، أشبه ما يكون بالتقليد والاجترار، إلا من عصمته ملكته وأنقذته همته، وثابر على المطالعة والرواية. . .

ولم تكن هناك مجلات أدبية، الثقافة كانت ذات دائرة ضيقة، والتعليم لطبقات الشعب لم يكن متسعاً، هناك حلقات ترسل ضوءاً لا يكشف معالم

الطريق، كان المتنبى فى نظر المثقفين سيد الشعراء، وأبو العلاء زنديقاً، وعنترة سيد شعراء الحماسة، وأبو تمام بديوانه وحماسته مدرسة شعرية؛ وديوان عمر بن الفارض وأحمد البهلول الطرابلسي يلقيان عند عشاق الأدب والشعر إقبالاً شديداً، وكان الجاحظ ثروة.

ثم جاءت نهضة شعرية جديدة وافدة من المشرق، فحدث التجديد، من أمثال البارودى وصبرى وشوقى وحافظ والزهاوى والرصافى والكاظمى وعبد المطلب؛ وبقيت مع هذا مجالات الشعر في ليبيا تسير فى ركب المحافظة والمعارضة والتقليد والمحاكاة، إلا بصيصاً من نور يرسله أمثال مصطفى بن زكرى، وسليمان البارونى، وأحمد الزدام، والأزمرلى، وابن شتوان، ومن هذه المدرسة التي حاولت التجديد أو التأثر بالجديد في إطار المحافظة أحمد الشارف (١٨٦٤ - ١٨٥٩ م)[1].

وقد نبغ فى الشعر الكثير من أعلام الشعراء الذين سوف نذكر منهم طائفة نبغوا فى هذا العصر وذاعت شهرتهم فيه.

---

(١) راجع ١٣ - ٢١ ديوان أحمد الشارف، حيث لخصت كلام الأستاذ المصراتى.

الفصـل الـرابـع

أشهر الشعراء فى هذا العصر

في هذا العصر الكبير ظهر العديد من الشعراء الذين طار صيتهم وذاع ذكرهم.

ونذكر منهم هؤلاء الأعلام:

١ ـ أحمد بن عبد الدائم الأنصارى

سبق ذكره فى العلماء والأدباء، كان علامة مؤرخاً فقيهاً، وكان حافظاً للتواريخ الإسلامية والأخبار الملوكية، ملماً بكثير من العلوم.

وكان شاعراً مجيداً حسن الطريقة فى شعره، ومنه قصيدة يستنجد فيها بالخليفة العثمانى ليأخذ بالثأر من الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس سنة ١١٤٠ هـ، ومنها قوله:

يـا واحـدا مـا فى البسيـطة مثله مـلك الملوك بـتـاجـه المتـكـلل
إنـا لنرجـو منـك أخـذ الثـأر من شعب الفـرنسيس اللئيـم الأرذل

وهو الذى نظم القصيدة المشهورة التى أنشأها فى الرد على العبدرى المغربى الرحالة، وكان قد ذم فى رحلته طرابلس وأهلها[١]، فرد عليه الأنصارى بقصيدة طويلة مدح فيها طرابلس وأهلها، وشرحها ابن غلبون

(١) ابتدأ العبدرى رحلته عام ٦٨٨ هـ، واجتمع بقاضى طرابلس محمد عبد الله بن عبد السيد ووقعت بينهما مناقشات فلمه العبدرى وذم طرابلس.

شرحاً مطولاً سماه «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان فيها من أخبار». وصار هذا الشرح تاريخاً من تواريخ طرابلس الغرب التي يعتمد عليها، مما دل على وطنيته وعلمه وأدبه[1].

ويرجح محمد مرمش[2] أن قصيدة الأنصارى ليست فى الرد على العبدرى، بل على شخص معاصر للشاعر بدليل أن الشاعر خاطبه بقوله فى آخر القصيدة:

فجاءتك يا شرقى تسعى فراعها ... وكن منصفا ثم اجن من ثمراتها

وقال له كذلك:

فتب وانتصح لله إن كنت عارفاً ... ودع سوء ما أبديته من صفاتها

فلا تهج أما للثغور حنونة ... كفاها مديحا عدكم هفواتها

وتقع قصيدة[3] ابن عبد الدائم في تسعة وعشرين بيتا وتدل على طول باعه فى الأدب والشعر وهى من الشعر الرصين الذى يدل على تضلع صاحبه ونبوغه، واستهلها بقوله:

أرى زمنا قد جاء يقتنص المها ... بلا جارح، والأسد فى فلواتها

رأى القبض مبيضا بمزبلة الحمى ... فقال كفانى إنه من صفاتها

ثم مدح طرابلس وأهلها في نحو أربعة عشر بيتاً منها:

طرابلس لا نقبل الذم إنها ... لها حسنات جاوزت سيئاتها

ويمدح الملك أحد باشا القره مانللى[4] (١٧١١ - ١٧٤٥) فيقول:

(١) ٣٦ و٣٧ أعلام ليبيا للزاوى.

(٢) صـ ٣١ و٣٢ مجلة القلم الجديد - عدد تموز ١٩٥٣.

(٣) راجع القصيدة الكاملة فى صـ ٦٠ و٦١ من كتاب «نفحات النسرين والريحان» لأحمد النائب.

(٤) ينتمى إلى بلدة قرمانيا فى جنوبي هضبة الأناضول فى آسيا الصغرى، فهو تركى الأصل، جاء جده مصطفى إلى طرابلس يعمل بحاراً فى الأسطول التركي أيام طرغود باشا الذى كان يرغب فى استيطان الأتراك فى ليبيا، واستقر مصطفى فى طرابلس وتزوج من امرأة عربية من الليبيين.

بهـا ملك ينـدى من السحب راحـة وأرأف بـالأغـراب مـن والـداتها
لهـا همـة تـعلو لـتـأيـيـد سـنـة بـحـفظ مبـانيـهـا وجمـع رواتهـا

وفي المنهل العذب نص للشيخ أحمد بن عبد الدائم الأنصارى يذكر فيه سبب هجرة الشيخ محمد، بن سعيد الهـبرى[1] (١٠٩٣ هـ) إلى طرابلس وإقامته فيها[2]، وكان الشيخ الهبرى من مدينة مستغانم بالجزائر[3].

٢ - العياشى الرحالة

قال الرحالة أبو سالم العياشى فى رحلته يمدح الشيخ محمد بن أحمد بن مساهل:

عليـك سـلام الله ممن غـدت لـكم عـليـه أيـاد فى الفـصـول الأوائـل
بنورك يستـهدى إذا الأرض أظلمـت عـلى أهلها بـالجهل أهل الـسواحـل
فكم قـد أنلت العـرف سـائله وكم مننت بـلا سؤل وجـدت بنـائـل[4]

٣ - على الأوجلى

من شعـراء ذلك العهـد وأدبائـه، هاجـر إلى حلب وأقام فيهـا عـام ١٠٤٠ هـ، واجتمع بعلمائها وأدبائها وشعـرائها، ومـدحه الشعـراء بقصائـد طويلة.

وله شعر جميل، وكان ينظمه فى الحنين إلى أوجلة مسقط رأسه ومنتجع شبابه، ومترع أحبابه، خمس بيتين للقرطبي فقال:

بشمعـة كـافـور من الجيـد قـد أضت ليـال بـريعـان الشبـاب قـد انقضت

(١) ١ : ٢٦٨ المنهل العذب.
(٢) ١ : ٢٦٩ المرجع.
(٣) راجع ترجمته فى صـ ١٣٠ - ١٣١ نفحات النسرين والريحان لأحمد النائب والهبرى كما يذكر المؤلف توفى عام ١٠٩٣ هـ: ١٦٨٢ م.
(٤) ١ : ٢٥٨ المنهل العذب.

فلو قيل ما يبكيك قلت كما قضت وليال وأيام تقضت وقد مضت
فسالت لنا من ذكرهن دموع(١)

٤ - احمد بن عروس

يقول من شعر له:

ما غرها؟ غرها البين وأهل العقول استراحوا
ما دفنت؟ من سلاطين وسيسان بالجير طاحوا
اين الذي قبلنا أين لعبت عليهم وراحوا(٢)

٥ - محمد بن مقبل الكبير

١٠٥٤ - ١١٠١ هـ

درس فى طرابلس وهى مولده ومنشأه، وتولى الإفتاء بها بعد الشيخ أحمد المكنى، وكان من المبرزين فى العربية وفقه مالك.

واشتهر بالذكاء والفصاحة وجودة الشعر وسلاسة النثر، ومن شعره يمدح الأستاذ محمد الإمام لما قدم إلى مدينة طرابلس:

لقد لاح فى أفق الذكاء ذكاء به انجاب عن وجه العويص غطاء
وما هو إلا الأوحد الجهبذ الذى عليه بمضمار الفحول لواء
إمام همام قد علا منبر العلا فأفحم من تبيانه البلغاء
هو البارع البحر الإمام محمد إمام له بابن الإمام جلاء
إليه مقاليد البلاغة سلمت فحق لها فخر به وعلاء(٣)

٦ - محمد العربى

عالم أديب شاعر، ولد ونشأ بطرابلس وأخذ عن شيوخ عصره، وكان واسع الاطلاع في الأدب، له ذوق عال في الشعر.

(١) ٢٠٣ و٢٠٤ أعلام ليبيا، ٢: ١٢٨ المنهل العذب.
(٢) ١: ٣٤٠ المنهل العذب.
(٣) ٢٢٩ أعلام ليبيا ١: ٢٧٧ - ٢٧٩ المنهل العذب، ١٣٣ نفحات النسرين والريحان.

رحل إلى مصر فى طلب العلم، وعاد إلى طرابلس وجلس للتدريس، فاشتهر بفضله وعلمه بين الناس، وتوفى عام ١١٤٣ هـ.

ومن شعره:

الأ هل ترى العين الألى قبل ودعوا — وهل سيل أجفانى التأرق والهمع
وهل تبلغ النفس الأمانى برهة — وهل يسرج الاحلاك من ليلنا شمع
أو الموت أدنى من لبانة قاصد — يسامره جنح الدجى الشعر والدمع
بلى إن دهرى والع بتبددى — إلى الله أشكو من زمان به ولع
فمالي وللأفراح من بعد جيرة — تقضى بهم رشدى وأعوزنى الجمع
لقد سئمت نفسي الحياة وطولها — تساوى لدى القبر والسوق والربع[1]

٧ ـ أحمد البهلول[2]

أديب نحوى فقيه محدث، وشاعر أديب مشهور، ولد بطرابلس وتعلم فيها، وفى القاهرة، حيث رحل إليها، وصار بين أهل طرابلس فى شهرة ابن الفارض الأدبية والصوفية والشعرية.

ومن شعره الصوفى تخميسه على «القصيدة العياضية» الذى سار بذكره الركبان، وذاع بين الشعب الليبي ذيوعاً كبيراً، وصار يتلى فى المساجد فى المولد النبوى الشريف؛ وقد أبدع البهلول فى هذا التخميس إبداعاً فاق به الأصل، والقصيدة فى مدح الرسول هى طويلة وأولها:

أحبة قلبى عللونى بنظرة — فدائى جفاكم والوصال دوائى

---

(١) ٢٨٥ أعلام ليبيا وراجع ترجمته وشعراً له في المنهل العذب (١: ٣٠٧ ـ ٣١٠)، صـ١٤٨ نفحات النسرين والريحان.

(٢) ٥٥ ـ ٥٧ أعلام ليبيا، وفى ١٥ ـ ٢٤ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى بحث مطول عنوانه «هل ذاق أحمد البهلول طعم الحب»، وترجم له كذلك المصراتى في كتابه، «أعلام من طرابلس» وراجع عنه ١: ٢٨٨ ـ ٢٩١ المنهل العذب، وصـ ١٣٦ ـ ١٣٨ نفحات النسرين والريحان لأحمد النائب.

وقد خمس البهلول هذا البيت فقال:

أذوب اشتياقاً والفؤاد بحسرة وفى طى أحشائى توقد جمرة
متى يرجع الأحباب من طول سفرة
أحبة قلبى عللونى بنظرة فدائى جفاكم والوصال دوائى

وقد نشر الأستاذ الشيخ طاهر الزاوى هذا التخميس وقدم له.

وللبهلول رسائل فى الأدب دلت على علو كعبه، وله نظم لمتن العزية فى فقه الإمام مالك، وله المقامات الثورية على نمط مقامات الحريرى، ومنظومة فى العقائد سماها «درة العقائد» فى سبعين بيتاً، وله منظومة المعينة فى فقه أبي حنيفة، وكان مهاباً مبجلاً من الجميع؛ توفى ليلة السبت الثانى من رجب عام ١١١٣ هـ[١].

ومدح الرسول بديوان كامل طبع فى القاهرة واستانبول، ويقول المصراتي فيه: كان البهلول أديباً شاعراً فليس فى ديوانه خفقات قلب ونيران محب، ونجد فيه ظلال الحب الصادق العفيف[٢].

وفى طرابلس الجميلة الخالدة يقول الشاعر أحمد بن يحيى من قدماء الشعراء فى طرابلس:

لقد طال شوقى إلى فتية حسان الوجوه بأطرابلس
وقد عيل صبرى فما مسعدى على الشوق إلا دموع الحبس[٣]

ويقول أحمد البهلول رحمه الله ـ أيام ان كان مجاوراً بالجامع الأزهر ـ فى

(١) ٥٧ أعلام ليبيا، وصـ ١٢٦ نفحات النسرين والريحان.
(٢) ٢٤ لمحات أدبية عن ليبيا.
(٣) ١: ٢٠ المنهل العذب ـ نشر الفرجانى.

الحنين إلى طرابلس وفى وصفها[1]:

طرابلس الغرا ترى لى عودة ... إليـــك، وهل يدنو الذى كان قد ذهب
سقا الجـانب الشرقى منك سحابة ... ولا زال فيـك من رياح الصبا يهب
بـلاد لهـا بـالخـلد آيـة شبـهـة ... فمنهـا نبـات الـزعفـران، كـذا العنب
ترى سوحها من فضة فإذا اكتست ... بشمس الضحى أضحت لجينتها ذهب
وفى كل حول حولها حلة حلت ... بـرؤيتها خضراء من سندس القصب
وفيهـا نخيـل بـاسقـات إذا الصبـا ... تهب عليهـا أسقطت يـانـع الـرطب
وفيهـا من الأشجار ما جل وصفه ... بـأوراقهـا الـورقـاء غنت من الـطرب
فيـا حبـذا ثـغـر لـه النصر خـادم ... ويـا حبـذا عـين بهـا المـاء قـد عـذب
أمثل شوقا شكلها فى ضمائرى ... فـيسقط دمعى الشكل من شدة التعب
بـديعـة حسـن زادهـا الله بهجـة ... وآمن أهليها مـن الخـوف والشـغب
لقـد أعجـزت أوصـافهـا كـل معـرب ... وكـل الـذى أملى وكـل الـذى كتب
وكيف بـدار قـد حـوت كـل رقعـة ... بقـوم لهم فى العلم بـاع وفى الأدب

وراجع القصيدة كاملة فى «نفحات النسرين والريحان»[2].

٨ ـ عبد الكريم الطرابلسي

كان فقيهاً عالماً جليلاً، أديباً شاعراً، ومحدثاً لغوياً خطيباً وأصولياً متكلماً.

ولى القضاء مكان والده، وحسنت فيه سيرته، وله أدب رائع، وشعر بليغ، ومنه قوله:

---

(١) ١ : ٢١ ـ ٢٣ المنهل العذب ـ نشر الفرجانى.

(٢) ٦٢ و٦٣ نفحات النسرين والريحان لأحمد النائب.

يا مشتكى حزني شرخ الشباب غدا — والشيب وافى فعلق العمر ضاع سدى
ناديت بالويل إذ بانت طلائعه — ووفده رام للوفدين أن يفدا
اجابني بلسان الحال ينشدنى — لا تبتئس يا فتى فالعيش عيش غدا
يوم ترى فيه من خاف الإله على — كثبان مسك لا يخشون فيه ردى
وجوههم أسفرت بالبشر ضاحكة — والمبلسون استجاشوا بالبكا كمدا
يا طول حسرتهم ياعظم حيرتهم — لا يذكرون بها مالا ولا ولدا
من خاف أدلج والموعود مرتقب — والعبد لم يتخذ زادا ولا عددا

وتوفى عام ١١٨٩ هـ(١).

٩ ـ محمد بن محمد بن عبد الكريم النائب

١١٨٧ ـ ١٢٥٧ هـ

كان على جانب كبير من العلم، وله باع كبير فى الأدب والشعر، ولى قضاء طرابلس بعد أخيه عبد الكريم.

ومن شعره الصوفى:

هذه أنوار ليلى قد بدت — وجلاها النور فى أحسن زى
هزمت جيش النفوس سطوة — ولسلب العقل يا صاح تهى
فالفتى من سلبته جملة — وأزالت عن محياه الغطى
ذاك من حاز الوصال دفعة — لا الذى تسلبه شيئا فشى
لا نرى فى شمسها ظل السوى — قد طوت بساطه الأنوار طى
عجبا ترفل فى وحدتها — وهى شمس وهى ظل وهى فى

---

(١) ١٨٤ و١٨٥ أعلام ليبيا، ١: ٣٣٨ ـ ٣٤٠ المنهل العذب.

وإذا الحسن بدا فاسجد له نافى التقليد عن ليلى ومى
حرم الله حللت آمنا وسجود الشكر واجب يا أخى[1]

وابنه محمد كان كوالده علماً وفضلاً وتوفى عام ١٢٣٢ هـ: ١٨١٦ م[2]، بعد أن أعقب ابنه حسين، وحسين هذا أعقب ابنه أحمد النائب صاحب كتابى: المنهل العذب، ونفحات النسرين والريحان.

١٠ ـ احمد النائب الأنصارى الطرابلسى

١٢٦٤ هـ: ١٨٤٦ ـ ١٣٣٥: ١٩١٤ م

مؤلف كتاب المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب، لقى السيد الإمام محمد بن على السنوسى ومدحه، ولما كان فى الآستانة كان يألف أستاذه الشيخ فالح الظاهرى الذى قدم له كتابه؛ ويقص عن أستاذه الظاهرى تاريخ السيد الإمام محمد بن على السنوسى.

ومن مدائحه فى الإمام قصيدة يائية طويلة يقول فيها:

كبراءة من كل لؤم حازها شيخ الشيوخ محمد بن على
سامي المكان مكان كل فضيلة ظل الورى بالمجتدين حفى

كان موجوداً فى أواخر المائة الثالثة بعد الألف لأنه ذكر ان والده توفى عام ١٢٩٨ هـ[3]، وتوفى أحمد عام ١٣٣٥ هـ ـ ١٩١٤ م[4].

---

(١) ٢٩٢ و٢٩٣ أعلام ليبيا، ١: ٣٦٥ المنهل العذب ـ وراجع ترجمة والده فى ١: ٣٣٦ و٣٣٧ المنهل العذب.

(٢) صـ ١٨ مقدمة نفحات النسرين والريحان.

(٣) ٢: ٢ المنهل العذب نشر الزاوى، وقد ترجم المؤلف لوالده فى الكتاب (٢: ٤٩ المنهل العذب).

(٤) صـ ١٢ مقدمة «نفحات النسرين والريحان» بقلم المصراتى.

وطبع كتاب المنهل العذب فى الآستانة عام ١٣١٧ هـ، ثم طبع فى طرابلس الجزء الأول منه عام ١٩٦٠، ونشر الجزء الثانى الأستاذ طاهر أحمد الزاوى الطرابلسى فى القاهرة عام ١٩٦١، وقد نشر الأستاذ المصراتى كتابه «نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان» فى بيروت عام ١٩٦٤ عن نسخة خطية بدار الكتب المصرية وقدم لها بترجمة له، ولوالده حسن الأنصارى (١٢٢٣ هـ: ١٨٠٨ م - ١٢٩٨ هـ: ١٨٨٠ م)[١].

١١ - أحمد الفقيه حسن[٢]

١٢٥٩ - ١٣٠٤ هـ: ١٨١٤ م

شاعر أديب مترسل، من أسرة عريقة فى العلم والأدب فى طرابلس.

درس على علماء طرابلس، ثم درس اللغة التركية والعلوم الحديثة فى المدارس التركية، وشغل منصب رئيس القلم العربى فى ولاية طرابلس، وظل فى هذه الوظيفة خمسة وعشرين عاماً، وانتفع بأدبه وتأثر به الكثير من الشباب والأدباء، وفوق ذلك كان ملماً باللغة الفرنسية وسافر عام ١٢٩٨ هـ إلى باريس وإلى تونس ومصر والآستانة.

وقرأ مصادر الأدب العربى وأفاد منها، وكان لا يرى إلا فى مجلس علم أو ندوة أدب، وكان له ندوة خاصة، يتردد عليها رجالات طرابلس، وفى مقدمتهم: عبد الرحمن البوصيرى، ومحمد فريد باشا، وعبد الرحمن نور الدين، وغيرهم من أفاضل البلاد وعلمائها وأدبائها مثل الشيخ خليفة البلبالى.

وقد ترجم رحلة لأحد الفرنسيين كتبها عن الشمال الأفريقى، وله مجموعة من الأغانى والموشحات، وديوان شعر صغير الحجم، وفيه من رقيق

(١) صـ ١٤ - ١٧ المرجع نفسه وفيها يصحح المصراتى مولد أحمد النائب كما ذكرناه سابقاً. بعد أن كان قد ذكر أن ميلاده عام ١٢٥٦ هـ: ١٨٤٠ م (صـ ٥ المرجع نفسه).

(٢) ٧٤ - ٧٨ أعلام ليبيا.

الشعر ما يدل على ذوق ناضج وخيال خصب[1].

ومن شعره فى هجاء بعض الحكام:

حكامنا ما أنصفوا والكلب منهم أشرف
إن كان فيهم طيب فأصله لا يعرف
أو كان فيهم أسعد[2] فهو الشقى المسرف

ومن شعره فى الغزل:

الخد ورد وذاك النبت ريحان والريق خمر وذاك الطرف سكران
وخاله عنبر قد حار من عجب فى روضة الحسن فهو الدهر حيران
من النصارى رشيق القد ذو هيف بمهجة الصب فتاك وطعان
لا تعجبوا من شقائى فى محبته فطرفه الأدعج السحار فتان

ومن تخميسه لرائية ابن الفارض:

شوقى بديوان السلوك تسطرا وحقيقتى دقت فكادت لا ترى
يا منية المشتاق من دون الورى
زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا

ومن شعره أيضاً:

رشأ صاد فؤادى بسهيم قد رماه
فغدا دمعي كواد لست أدرى من رماه
خاله سلطان حسن فوق كرسى الخد تاه
وبصدغيه جنود عارضاه عارضاه
ما احتيالى ومليكى حاجباه حاجباه

---

(1) ٧٥ المرجع.

(2) تعريض بأسعد رئيس محكمة الجزاء آنذاك.

ومن شعره في وصف راقصة:

رومية بهرت بتلعباتها ... فاقت بحسن شمائل أخواتها
الكسر فى رشفاتها والموت فى ... رشقاتها والسحر فى لحظاتها
قامت تبختر كى ترينا لعبة ... لم تدر أن الموت فى حركاتها
فسقى الحياء خدودها فتوردت ... وجرت بقيته ببرد لهاتها
الله أكبر ما أتم جمالها ... قد كل وصفى عن حميد صفاتها
الله يعلم ما ألاقى فى الحشا ... لما توارت في مقاصيراتها

١٢ ـ أحمد بن يوسف بن شتوان

أديب بارع، وشاعر موهوب ممتاز، ولد فى مصراتة، وتعلم فيها وفى طرابلس.

وحفظ الكثير من أشعار العرب ودواوينهم، وقرأ مصادر الأدب العربى، وعنى بالمؤلفات فيه؛ فنبغ في النثر والشعر حتى عد من المبرزين فيهما.

وسافر إلى برقة واجتمع بالإمام السنوسى، واستفاد من علمه وولى قضاء برقة، ثم رحل إلى مصر ولقى علماءها وأدباءها، وسافر إلى الآستانة وعين مدرساً فى جامع السلطان محمد الفاتح، وطار صيته، وتوفى هناك ودفن فى مسجد الفاتح نفسه، حيث تدفن الأسرة المالكة باذن من الخليفة وذلك فى أوائل القرن الرابع عشر الهجري.

وله شعر رقيق، منه هذه الأبيات التى يصور فيها ما لقى فى بلده مصراتة من تعسف حاكمها التركى:

ذات الرمال عداها كف عاديها ... لما استقر غراب البين واديها
داء عراها فما تنفك فى قلق ... وحار كل طبيب فى تداويها
وكان قدما بها أسد العرين فما ... يحوم حول حماها أو يدانيها

ومنها يصور فيه فرح الناس بعزل هذا الحاكم فيقول:

والآن لما أعاد الله بهجتها	كأنها قد أعيدت فى مباديها
تختال فى طرب فى حلى زينتها	كأنما عمر الفاروق واليها
رد الشباب عليها بعد ما قبرت	شمطاء لمظاء لاخل يوافيها
فالله يحفظ أوقات السرور بها	خضرا منابتها بيضا لياليها
أهدى إليها سلاما باسما عطرا	يغشى رباها يحييها فيحييها
عاشت أوائلنا فى ظلها رغدا	أقدامهم فى المعالى من يضاهيها

ولقد كان من أصدقاء الشيخ أحمد بن شتوان فى تركيا الحافظ أحمد شفيق، ومدحت باشا رئيس الوزراء لأن هذا الوزير الكبير كان من تلامذة جامع الفتح، وقد تعلم أبناء الشيخ وهم يوسف بك ومنصور فى المدارس التركية، وصار يوسف عضواً فى مجلس المبعوثان فيما بعد، ومن تلامذة الشاعر الشيخ: يوسف ضياء الدين الذي ولى القضاء في مدينة بنيغازى وتوفى فيها، ودفن فى مقبرة السيد خرْبيش فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى[1].

ومن شعر ابن شتوان قصيدته التى نظمها فى مدح والى برقة العام في المرة الأولى وهو المشير على باشا رضا عند زيارته لبرقة، ومطلعها:

برق ترامى في الوجود وأومضا	أألقام فى أرجاء برقة أو مضى
بل قد أقام فأنشأ السحب التى	طمت فألحقت الروابى بالفضا

ومنها:

لاذت جداولها تحف بجنة	تلهى الجآذر والمها والناهضا
والعندليب على أريكة شطها	غنى وصفق بالجناح ونفضا
صفت قوارير السلاف لشربها	صهباء كان بكأسها جمر الغضا
رمت الهموم بثاقب من شهبها	فتحللت بالرحم تحليل الفضا
لعبت أكف سقاتها بعقولهم	لعب الزمان بعقل أصحاب القضا

(١) مجلة القلم الجديد صـ١٣ و١٤ عدد تموز ١٩٥٣ م.

وله قصيدة سينية فى خمسة وثمانين بيتا أنشأها فى القسطنطينية عام ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨م وذكر فيها أحمد فارس الشدياق وجريدة الجوائب[١].

وترجم له المصراق فى كتابه «لمحات أدبية عن ليبيا»[٢]، فقال عنه: كان لغوياً متين اللغة، شاعراً سليم الذوق، مرهف الإحساس، وذكر أشياء من تاريخه وقصيدته السينية فى مدح الجوائب وصاحبها الشدياق، ثم ذكر القصيدة كلها ومطلعها:

رسوم بأيدى لاعبات الرواامس عينت فرعتها عاديات الرواامس

وهى على نهج المعلقات الجاهلية متانة وغرابة، وكان يحذو حذو الجاهليين فى شعره.

وقد اجتمع ابن شتوان بالإمام محمد بن على السنوسى أثناء زيارته لطرابلس[٣].

١٣ - الطاهر بن محمد

١٢٨٣ - ١٣٢٨ هـ

أديب ثائر شاعر وعالم فاضل مشهور، درس فى الأزهر الشريف، وكان على جانب كبير من الذكاء، تولى الإفتاء فى مدينة الزاوية بعد وفاة والده عام ١٣١٤ هـ، وزار الآستانة مع وفد من ليبيا للاستنجاد بالخليفة العثمانى لمقاومة الغزو الإيطالى لأرض الوطن الليبى.

وله بعض مقطوعات شعرية فى غاية الجودة، وضاع الكثير من

(١) ٥١ - ٥٣ أعلام ليبيا.
(٢) ٤٩ - ٦٦ لمحات أدبية من ليبيا - على مصطفى المصراق.
(٣) ٥١ أعلام ليبيا.

شعره. . . ومن شعره في الغزل:

لم يــدر مــا لــذة الــدنـيا وبهجتها   من لم يكن من كؤوس الشاى قد شربا
فهى المــريحــة لــلأحــزان قــاطبــة   نــاهيك إذ لـونها قـد شـاكـل الـذهبـا
قـد خـامـرت عقـل صب مــذ ألم بهـا   وأورثتـه انـدهـاشـا فـازدهى طـربـا

١٤ ـ محمد بن منصور

١٢٥٣ ـ ١٣٤٧ هـ

عالم صوفى فاضل، وأديب شاعر مطبوع؛ ولد بزليتن، وتلقى العلم فى زاوية عبد السلام الأسمر وشغل بالعلم ونسخ كتبه وكان يقول متمثلاً بقول الشاعر:

ألا يـا مـسـتـعـير الـكـتـب دعـنى   فـمـحـبـوبى مـن الـدنـيـا كـتـابى
فـفـي تحـريـره أفـنـيـت عـمـري   وفى تحـصـيـله أفـنـيـت زادى

ورحل إلى الأزهر ينهل من معينه عام ١٢٧٧ هـ، ورجع إلى بلده عام ١٢٨١ هـ، وقد نال قسطا من العلوم الشرعية والعربية.

ومن شعره قوله فى الوعظ:

وكـم مــانــع حقــا عـليــه وحتـفــه   ينـاديـه بـالـويلات والخلد فى سقـر
وكم طـامع فى الخلد قـد خـاب سعيـه   وسـيـق بـلا زاد إلى حـفــرة المـقــر
وكم حاســد للناس لم يشف غيــظه   وخـاب الذى يـرجوه بل باء بالضرر
وكم آكل للسحــت يزعـم حـله   ولم يدر أن السحت دأب الذي كفـر

١٥ - مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكرى[١]

١٨٥٣ - ١٩١٨ م

أستاذ شاعر أديب، ولد ونشأ ودرس فى طرابلس، وتلقى علوم الدين والعربية على أستاذ عصره محمد كامل مصطفى[٢] (١٣١٥ هـ)، وتعلم التركية وكانت لغة الدواوين والدولة الحاكمة حينذاك؛ واختير عضواً فى مجلس إدارة الولاية فى أيام حسنى باشا، ورئيساً لمكتب الفنون والصنائع بمدينة طرابلس فى عهد رجب باشا، وكان يجمع إلى ذلك وظيفة مستشار الولاية، وقام برحلات إلى مصر وفرنسا، وفى عام ١٣١٠ هـ أدى فريضة الحج، وطبع ديوانه بمصر.

وكان شاعراً رقيق الشعر، ينطق به عن طبع وموهبة وملكة متدفقة البلاغة.

وله فى الأدب جولات كثيرة، وكان عميد أدباء طرابلس، وعلى جانب كبير من المعرفة والعلم، وخبرة واسعة بشؤون السياسة والحكم.

ومن شعره:

عبث النسيم بقدها فتحركت ... ألف الذوائب فوق ردف مائل
ما كنت أحسب قبل ذلك أن أرى ... ألفاً يحركها حدوث العامل

ومنه:

فانظر إلى ورد الخدود وحوله ... آس العوارض أخضرا مسبوتا
تر آيتين ومن عجائب ما ترى ... شجر الزبرجد اثمر الياقوتا

---

(١) ٣٤٠ - ٣٤٣ أعلام ليبيا - وزكرى بالزاى فخد من العمور من بنى هلال، ويقال إن ابن زكرى من أصل أندلسى؛ ١٦٥ - ١٧١ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى، ٢٤٧ و٢٤٨ الشعر والشعراء فى ليبيا لمحمد صادق عفيفى.

(٢) كان محمد كامل بن مصطفى من تلامذة جمال الدين الأفغانى، وكذلك صديقه السراجى سراج، وكلاهما تعلم فى الأزهر، وتتلمذ عليهما ابن زكرى.

وديوان ابن زكرى[1] المطبوع عام ١٣١٠ هـ كتب عليه: «هذا ديوان مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكرى الطرابلسى المغربى»، وفي صدره يقول شاعرنا: هذا ما سمح به فكرى، من طرائف الأبيات الغزلية، ولطائف النكات الأدبية؛ ولا يغرك ما أدعيه، ولست من أربابه وذويه؛ فغاية مرامى، ومرمى سهامى، أن أرد من فم الأدب رضابه، وأرتشف من راحة (الشعر) حبابه، وأقرع باب معانيه، وأسوم شباب أغانيه.. ولما تفقدت شواردها، وتقفيت أوابدها، صادفت جل الأبيات فى جب الخمول مقبورا، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. وحذرا من ضياعها، ودثور رقاعها، طمقت أجوس مفاوز أفكارى، وأطارد شوارد أوطارى، إلى أن ظفرت ببعضها، وقمت بقضاء فرضها: فركضت جواد أقدامى، وفوقت سنان أقلامي، وثنيت عنان البنان إلى ميدان الطروس، وأدرت من بديع المعانى ألذ الكؤوس[2]».

وهو أسلوب يدل على خصائص النثر فى هذا العصر، وعلى استهلاك المحاولات البديعية لمعانيه.

يحتوى ديوان ابن زكرى على فنون عديدة من المدح والغزل.

وفى شعره من الأوزان الأندلسية قصرها وخفتها وروحها، وأطرف ما فى ديوانه، محكمة الحب، وقاضى الغرام. والأدوار التى يمر بها العاشق الولهان[3]، يقول:

أيها الداعى إلى السلوان دع من لا يجيب
لا تسلنى كيف حالى بين واش ورقيب
أنا لا أهتف بالشكوى إلى غير الطبيب

(١) كلمة زكرى مكتوبة فى الديوان بالذال لا بالزاى.
(٢) صـ ٢ ديوان ابن زكرى ـ القاهرة ١٣١٠ هـ.
(٣) ١٧٠ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتى.

وقد قرظ ديوانه الشيخ الأديب عبدالله المغراوى المصراتى.

ولابن زكرى مدائح فى السيد المهدى السنوسى، ومنظومات فى تعليم السلاح، والدعوة إلى حب التجنيد، وفى الوعظ والتوسل. وعلى الجملة فهو شاعر عصره، وشيخ شعراء ليبيا كما يدل على ذلك ديوان شعره؛ وقد قلد الأندلسيين وجاراهم فى فن الموشحة، وعارض ابن سهل ولسان الدين بن الخطيب، ويقول عنه أحمد رفيق المهدوى: إنه يشبه البهاء زهير وعفيف الدين التلمسانى والشاب الظريف[1]، وكان يرى فخرا تفوقه على الموشحين الأندلسيين[2]. وابن زكرى حلقة بين شعراء الصنعة وشعراء الطبع، وكان يكثر في شعره من ألوان البديع ولكنه يجيء به سمحا غير متكلف[3]، ويعد نقطة الالتقاء بين الشعر القديم والنهضة الشعرية الحديثة التى كان من طلائعها.

وكان الشارف يقدم ابن زكرى على كل شعراء عصره، ويقول: إن شعره كان رقيقاً، وكان صديقاً لى، ولى معه أمسيات طيبة[4].

ومن شعر ابن زكرى:

قوت روحى هواك بل قوت ذاتي	وحياتى وهل سواك حياتى؟
إن علمى بآي حسنك يتلو	كل حين على الورى معجزاتى
يا نبى الجمال أصبح دمعى	مرسلاً فى هواك بالبينات
ينذر العاشقين نارا تلظى	فى فؤاد وقودها عبراتي
ونواحي يريك طوفان نوح	إنما فاض من لظى زفراتي
أغرقت عبرتى منامى ولكن	سهادى باق بقيد الحياة
لا تسلني عما سواك فلا أعـ	ـرف إلا هواك فى الكائنات

---

(١) ٢٠٧ الشعر والشعراء في ليبيا، نقلاً عن مجلة ليبيا المصورة من مقال لأحمد رفيق المهدوى.

(٢) العدد الرابع من السنة الأولى من مجلة ليبيا من مقال لكامل الهوني.

(٣) ٢٤٧ الشعر والشعراء لعفيفى.

(٤) ١٥٤ لمحات أدبية عن ليبيا.

وله أرجوزة في الوعظ تبلغ ستة واربعين بيتا، منها:

وظائف الإنسان فى دنياه أن يعبد الله وأن يخشاه
وأن يكون راضيا بما قضى ولم يكن لحكمه معترضا
واعلم بأن العلم نور وهدى والجهل لا يأتى بخير أبدا
والزهد فى العلم من الحرمان والمرء بالقلب وباللسان
من لم تهذبه فنون الوقت لا زال ملحوظا بعين المقت
والبحث عن طبائع الزمان من الضروريات للإنسان
وعزة المؤمن رأس المال فلا تهن نفسك بالسؤال
وتبتغى من فضله تعالى رزقا هنيئا طيبا حلالا
وأقرب الناس إلى الحرمان من قطع الأيام بالأماني
فانهض بخير حسب الاستطاعه ونعم كنز المؤمن القناعه
والقصد فى العيش من التدبير والمال لا يبقى مع التبذير
كما تدين فى الورى تدان ومن أهان غيره يهان

ويقول عن المصراتى: إنه شاعر من طراز المدرسة القديمة حافظ على الإطار التقليدى والمنهج الكلاسيكى وتلبس فى شعره ظلالاً من أشعار الأندلس مع رقة وقصر نفس وأكثر أشعاره فى الغزل والحب ووصف الجمال[1].

ويمتاز شعر ابن زكرى بروح غنائية طيبة، يقول:

أنت روحى وراحتى وحياتى ووجودى ومسمعى وعيانى
أنا من حبك الغنى ولكنى فقير لحسنك الفتان
أسر الروح والنهى بصفات أبدعت خلقها يد الرحمن
وجهه من شقائق البدر لكن خده من شقائق النعمان[2]

---

(١) ١٦٥ - ١٧١ لمحات أدبية عن ليبيا، وقد كتب المصراتى عنه فصلاً فى كتابه (أعلام من طرابلس).

(٢) ٥ و٦ ديوان ابن زكري.

ويقول:

أغـرك صـبرى وفـرط ودادى فـعـرضـتـنى لـلأسى والسـهـاد
إلام تـطيـل جـفـاك وأشـقـى بـعـين الـرقيـب وعـذل الأعـادى
فـلو زار طيـفـك بـاب الجـفـون لـصـادف فيـه رقيب السـهـاد[1]

ولابن زكرى مدائح كثيرة، مدح الشيخ ابن الحبيب حين هجرته من تونس[2]، ومدح الشيخ عبد الرحمن البوصيرى مقرظا رسالته فى البيان[3].
وقد مدح ابن زكري السلطان عبد الحميد، ومدح الإمام المهدي السنوسي بقصيدة دالية، منها:

يا خير مهـدى وأفضـل من هـدى فى آخـر الـزمـان العبـاد وأرشـدا
يـا خـير من يـدعـو لسنـة جـده وأجمـل من قـرأ الكـتـاب وأسنـدا
لـو لم يـكـن غـير القرابة شاهد لكفـى فكيف وقد هدى بك من هدى
شرف عـلى شرف وفـخـر خـالـد وبـقـاء مجـد لـن يـزال مسرمـدا
تـرك الـزمـان لأهـله متـقـدمـا يـسعـى إلى نـيـل المنى، متـجـردا
هـجـر المنـام وطـيـبـه فـكـأنمـا جعـل الليالى للعبـادة مـوعـدا[4]

ومن أسرته اليوم السيد مصطفى بن زكرى وزير الصحة فى وزارة السيد محمود المنتصر رئيس مجلس الوزراء السابق فى المملكة الليبية.

ويقول ابن زكرى:

رتـب تقـاصر عـن بـلوغ مـرامهـا فـهـم البـليـغ فـلن يمـد لهـا يـدا
والعجـز عن تلك المراتب شـاهـد أن المـقـام أجـل مـن أن يحـمـدا[5]

---

(١) ٢٨ المرجع.
(٢) ٢٠ ديوان ابن زكري.
(٣) ٣١ المرجع.
(٤) ١١ صـ و١٢ ديوان ابن زكري.
(٥) راجع أيضاً ٨٥ السنوسي الكبير للأشهب.

ومن قصيدة «قصة المستهام»:

روح الروح واسقني بمدام ... وأدر ذكر قصة المستهام
كنت فى أول الوجود أرى الوجـ ... ـد من المستحيل فى الأوهام
وتماديت فى ضلالى وقد جا ... ء نذير الهوى بدين الغرام
وبدت للوجود من فلك الغر ... ة شمس الضحى وبدر التمام
فدعتني إلى البراز جنود ... عودتنى بالنصر بين الأنام

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة[1].

ومن شعر ابن زكرى الدينى:

لا يسرنك ابتسام أمانيـ ... ـك ولا تستفزك البأساء
واصطبر واعتبر بحزم أولى العز ... م إذا عز فى المصاب العزاء
أقبل اليَسر يقتفى أثر العسـ ... ـر، وللكرب شدة ورخاء
ليت شعرى من يقرض الله قرضا ... حسنا كيف أجره والجزاء
فدع الكف واستلم راحة الرا ... حة واقنع بما قضاه القضاء
واتق الله حيثما كنت فالله ... رقيب إن غابت الرقباء
عالم الغيب والشهادة هل تعـ ... ـزب عن علم ربك الأشياء
فسل الله حيث يدعو إلى جنـ ... ـة عدن بفضله من يشاء
جنة عرضها السموات والأر ... ض ورزق الله لا يعتريه فناء[2]

وقد قرظ ديوان ابن زكرى شعرا الأديب الشيخ عبدالله المغراوى المصراتى الطرابلسى الأزهرى، والشيخ أحمد المسعودى الصيدى الطرابلسى الأزهرى، والشيخ سالم بن المبروك المسعودي الورشفانى الطرابلسى الأزهرى؟

---

(١) من ديوان ابن زكري ونقلها عفيفي في كتابه صـ ٢٤٩ الشعر والشعراء في ليبيا.

(٢) صـ ٨ و٧ ديوان ابن زكري.

القسم الثاني

تمهيد

يبدأ الأدب الليبي الحديث وجوده بقيام الدعوة السنوسية[1] فى ليبيا على يدي محمد بن على السنوسى.

وقد وقف السنوسيون فى وجه دولة عظيمة كدولة إيطاليا ثلاث عشرة سنة، ولولاهم كانت إيطاليا سيدة لطرابلس وبرقة منذ أول شهر من غاراتها عليهما، ويذكر الناس أن الطليان قدروا لتدويخ طرابلس وبرقة كلهما مدة خمسة عشر يوما. من أول نزولهم. وأن قوادا من الانجليز المحنكين فى حروب المستعمرات والبوادى، قالوا إن الطليان أفرطوا فى التفاؤل بظنهم الاستيلاء على ليبيا فى ١٥ يوما وهذا الغزو يحتاج إلى ثلاثة شهور، فلينظر الإنسان كيف أن المدة التى قدرها أركان الحرب فى إيطاليا ١٥ يوماً، وقدرها أركان الحرب فى انكلترا ثلاثة أشهر تطاولت ثلاث عشرة سنة كاملة. والحرب اليوم هى كما كانت فى بدايتها. وكل هذا بفضل السنوسية ولا سيما أحمد الشريف.

وللأمير شكيب أرسلان همزية عصماء فى تعداد مآثر وصفات السيد مُحمد المهدى السنوسى ومنها:

هل ترى ينتهى إليه الثناء	سيد ينتهى إليه السناء
وتؤدى له البلاغة حقا	ويوفى أخباره الإنشاء
ويجلى القريض صورة معناه	ولو بالشعرى أتى الشعراء
قد كفانا وصفه أنه المهدى	مذ قد تجلت الأسماء

(١) ٦٢ و٦٣ السنوسية دين ودولة ـ محمد فؤاد شكرى، ١٢ السنوسى الكبير للأشهب.

نجل قطب قد كان فى الشرق والغرب سراجا بنوره يستضاء
هو بحر الشريعة ابن السنوسى الذى عنه سارت الأنباء
جمع العلم والولاية فأتم به العالمون والأولياء
لا يرى العلم فى سوى العمل الصالح فالعلم آلة ووعاء
بت ما بين مطلع الشمس والمغرب رشدا ضاءت به الأرجاء
الهمام المهدى والسيد الصادع بالحق والسحاب الرواء
يملأ العين هيبة وجلالا وهو مع ذا بلحظه اغضاء
أشبه الناس بالنبى ومن يشبه أباه فليس منه اعتداء
نشر الدين فى بلاد السوادين وقد عمها به الاهتداء
وبأسيافه طرابلس الغرب أجيرت وبرقة الحمراء
فأسال القرو والجغابيب والكفرة ينطق عمرانها والنماء
واسأل الواح كلها كيف عاشت بالسنوسى تلكم الصحراء
ليس يخشى الافرنج غير السنوسى وما هم فى خوفه أغبياء
عرفوا قدره وبعد مراميه فأشادت بفضله الأعداء
كم غدت من قواه ترجف رعبا دولة ملء أنفها الكبرياء
رد أزر الإسلام صلباً سوياً بعد أن كان شفه الإنحناء
وأعاد الإسلام غضاً كما كان عليه أسلافه القدماء
لم يقم مثله لإرشاد خلق ذلك الحق ليس فيه مراء

الفصـــل الاول

اعلام الأدباء والشعراء
في نهاية العهد العثماني

عبد الرحيم المغبوب البرقي

من تلامذة محمد على السنوسى وكان وثيق الصلة به منذ ١٨٤٢ بعد عـودته من تـونس وإقامتـه فى بنيغازى مـوطنه فى شهـر رمضان ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢) يلقى فيها دروسه، ثم تبع الإمام فى جميع تنقلاته فى برقة ومصر والحجاز؛ وهو من شعراء الحركة السنوسيـة، اتصل بـالإمام السنوسى عام ١٢٥٨ هـ، فأوفده فى مهمة إلى الآستانة، وتولى التدريس بزاوية الجغبوب، وكان علامة أديباً فاضلاً، وشاعراً ممتازاً؛ ومن تلاميذه الشيخ فالح الظاهرى الحجازى الذى ترجم لأستاذه فى كتابه «حسن الوفا لإخوان الصفا».

ولما توفى الإمام السنوسى رثاه بقصيدة جاء فيها:

مـا بـال عينـك لا بـالـدمـع تكتحــل	ودمـعهــا لا يــزال الـيــوم يـنهـمــل
كــأنمــا سملت بــالشــوك أو كحلت	من الغضــا بشــواظ كــلا يشتـعــل
والــوجـه أسفــع والأعضــاء نـاحلة	والـقلب فى شرك الأحــزان مختـبــل

وهي طويلة. وتوفى الشاعر عام ١٣٠٥ هـ[1].

(١) ١٦٨ أعلام ليبيا، ١٣١ - ١٣٣ السنوسى الكبير للأشهب، وراجع عنه ٤٨ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

عمران بن بركة

(١٢١١ - ١٣١٠ هـ)

وهو شريف حسنى علامة شهر بالصلاح والفضل.

اجتمع بالسنوسي عام ١٢٣٨ هـ حينما مر بطرابلس، ثم استدعاه الإمام إلى برقة عام ١٢٥٧ هـ، فلحق به بالزاوية البيضاء، وتولى التدريس فيها، وفى زاوية الجغبوب.

تتلمذ عليه السيد المهدى السنوسى، وأخوه السيد الشريف؛ وفالح الظاهرى، ومحمد بن سيف بن مقرب، وغيرهم من كبار الإخوان السنوسيين.

وكان موضع ثقة الإمام وإخوانه، وهو جد السيد أحمد الشريف لأمه، وتوفى في الجغبوب عام ١٣١٠ هـ[١].

مقرب أبو سيف

(١٣١٥ هـ: ١٨٩٦ م)

عالم فاضل من أجلّ علماء الإخوان السنوسيين وأدبائهم، درس على الإمام السنوسى بزاوية البيضاء والجغبوب، وتولى التدريس فى الجغبوب، وانتفع به خلق كثير، وكان يلقب شاعر الحضرة السنوسية.

ومن شعره فى وداع السيد المهدى السنوسى (١٢٦٠ - ١٣٢٠ هـ) لما سافر من الجغبوب إلى الكفرة في شوال عام ١٣١٢ هـ:

همـوا هيجوا يـوم النوى بـرح أشجانى   وهـاديهـم لمـا تـرنـم أشـجـانى

---

(١) ٢٣٩ أعلام ليبيا.

وهـم سـلبـوا لـبّـي وألـبس بـينهـم ... رداء الـردى جسمى وأثـواب أحــزانى
وهم غـادروا جسمى لقى بعد مهجـة ... جـرى ذوبها من بحـر مـدمعى القـانى
فــوالله لا أنسى عــشـيــة ودعــوا ... فــأودعتهم صــبرى وودعت سـلوانى
وضــاعــف أحــزانى مــواقـف جمـة ... وبــرح بى فقــدان صحبى وأضنــانى

وهى طويلة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً، يظهر فيها أسفه لفراق أستاذه السيد المهدى السنوسى[١].

وهي كما ذكرنا فى وداع الإمام المهدى، وقد تحول من الجغبوب إلى الكفرة[٢]. وله كذلك قصيدة قالها بمناسبة إنشاء زاوية التاج (الكفرة) على يدى الإمام السيد المهدى وذلك عام ١٣١٣ هـ[٣].

ويقول فيها يمدح المهدي، متحدثاً عن البدو وأثر الدعوة السنوسية فيهم[٤]:

فكم من حريم قد أباحوا، وأجحفوا ... بمــال غنى لا يخافون عاديا
فــأرشـدهم المــرشـد من حــل بينهم ... فــلا زال مـهــديـا ولا زال هــاديــا
وكـم بــدوى في الـفــلاة بــنــوقــه ... يبــول عـلى الأعقــاب أشعث حـافيـا

(١) ٣٤٥ و٣٤٦ أعلام ليبيا، وراجع أيضاً بعضاً منها فى صـ ٥٤ السنوسى الكبير للأشهب، ٤٩ الحياة الأدبية في ليبيا للحاجرى.
(٢) ٥٨٠ و٥٨١ و٥٨٣ برقة العربية للأشهب.
(٣) ٤٠ السنوسى الكبير- وبهذه المناسبة فان الزوايا فى عهد الامام الأكبر بلغت ٥٢ زاوية، وأنشأ الامام المهدى ٥٥ زاوية أخرى (٣٤ - ٤١ السنوسى الكبير).
(٤) ٥٠ السنوسية دين ودولة محمد فؤاد شكري - ١٩٤٨ القاهـرة، ٥٨ - ٥٨٢ برقـة العربيـة للأشهب، ٢٠ و٥١ السنوسى الكبير للأشهب.

وتلفـــاه فى مهـــد الضـــلالـة هـــاويـــا فـــأصبـح نجـــما فى الهـدايـــة عـــاليـــا
وكم من جهول أسـود اللون خلقــه كســـاه لبـــاس العلم أبيض صـــافيـــا

ولأبى سيف قصيدة يهنئ فيها الإمام المهدى بمولد الإدريس (١٣٠٧ : ١٨٩٠)، ومنها:

هنئت بـالكوكـب الدرى إذ ســطعـــا وأرج الأفق والأرجاء وارتفعا
وغـصـت لــلدر بـحـــرا لجــه عــظما وصـغـت لـلفظ نــظما حسـنـــه جمعـــا
شنفت أســماعنـــا يـــا خـــير مبتـكـــر للشعـــر بـلغـــك الله المنـــا جمـعـــا[1]

ويقول أبو سيف يرثى السيد الشريف السنوسى عام ١٣١٣ هـ:

سرنـــا بـنعـشـــك خضـــع الأعـنـــاق ســـيرا دويـــن الـعـــدو والإعـــنـــاق
يـــا خـــير محـــمـــول لأعـــلى جـنـــة ولحـــورهـــا يـــلقـــيـنـــه بـعـنـــاق
لـــو كـــان يفـــدى الميت بـــادر كلنـــا نـــفـــديـــك بـــالآجـــال والأرزاق
شرفت يـــا جغبـــوب حقـــا بـــالـــذى أعـــلى منـــارك فى الـــزمـــان البـــاقـى
ردت إلـيـــك وجـــوه آمـــال الـــورى عـــطشى لـــورد نـــوالـــك الـــدفـــاق[2]

وعندما مات السيد محمد بن عبدالله التوانى أحد الإخوان السنوسيين رثاه بقصيدة طويلة[3]، وكذلك رثى السيد عمران بن بركة الفيتورى بقصيدة طويلة عندما توفى عام ١٣١٠ هـ[4]. ويذكر الطيب الأشهب أن أبا سيف توفى عام ١٣١٤ هـ[5] لا عام ١٣١٥ هـ.

وكان السيد أبو سيف مقرباً من العلماء المحققين، ومن خيرة رجال السنوسية، درس فى البيضاء وجغبوب، فكان فى طليعة العلماء، ومن أبرز

---

(١) راجع القصيدة فى ٣٥١ برقة العربية للأشهب.
(٢) راجع القصيدة كلها فى ٢٢٤ و٢٢٥ برقة العربية للأشهب.
(٣) ٥١ السنوسى الكبير للأشهب.
(٤) ٦٠ المرجع.
(٥) ٦٨ المرجع.

الشعراء، وكبار رجال الإخوان، ولقب بشاعر الحضرة السنوسية، توفى عام ١٣١٥ هـ، وصلى عليه الإمام المهدى السنوسى[١].

فالح الظاهرى

كان علامة جليل القدر، التحق بالسيد محمد بن على السنوسى نحو عام ١٨٤٣ وتتلمذ عليه، وتولى التدريس فى الجغبوب، وكان شاعراً مجيداً، ومن الأدباء المعروفين، كما كان موضع احترام السيد المهدي بعد والده الامام السنوسى، ومحل تقدير جميع رجال السنوسية، وسافر إلى الحجاز والآستانة ثم عاد إلى الحجاز إلى أن أدركه الموت عام ١٣٢٨ هـ، وله شعر كثير، وبعض المؤلفات[٢]؛ وكان فى كل حدث من أحداث السنوسيين يقول الشعر، مات السيد محمد بن عبدالله التواتى من أعلام الإخوان السنوسيين فرثاه فالح بقصيدة مطلعها:

على مثل من أوقاته حلية الدهر   بصالح أعمال دموعك فلتجرى[٣]

وله شعر كثير[٤]. وكان من أبرز العلماء علماً وطلاقة وسعة فهم، وفى طليعة المدرسين بالمعهد الجغبوبى، وقام بزيارة الآستانة مندوباً عن الإمام الأكبر، كما زارها فى عهد السلطان عبد الحميد، ثم زار الهند[٥]، وتوفى بالحجاز عام ١٣٢٧ هـ.

وفى مولد الإدريس (١٠ من رجب ١٣٠٧ ـ ١٨٩٠) نظم الشاعر

---

(١) راجع كتاب برقة العربية للأشهب.
(٢) ١٥٠ برقة العربية للأشهب.
(٣) المرجع صـ ١٤٢ و١٤٣ و٥٩ السنوسى الكبير للأشهب.
(٤) ٥٧٧ و٥٧٨ برقة العربية، ٦٢ ـ ٦٤ السنوسى الكبير للأشهب.
(٥) ٦١ و٦٢ السنوسى الكبير للأشهب.

فالح الظاهرى قصيدة، طويلة مهنئاً، جاء فيها:

لاح فى أفق بنى الزهرا كوكب الأفراح والبشرى
إن للدهر لدى يدا ليس إقرارى بها سرا
بغلام اليمن كان له منكم طول البقا ذخرا
وبلغتم فيه بغيتكم فى ظلال عيشة خضرا
ودواعى البشر لا برحت تنتحى ناديكم الدهرا[1]

والشيخ فالح الظاهرى هو الذى كتب مقدمة كتاب «المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب» تأليف تلميذه أحمد النائب الأنصارى[2]، وفى هذه المقدمة يتجلى لنا أسلوب الشيخ فالح الظاهرى، الذى هو أسلوب النثر الفنى في عصره، المملوء بالسجع.. وفى هذه المقدمة يذكر لنا الشيخ فالح أنه اجتمع بالإمام محمد بن على السنوسى فى المدينة المنورة عام ١٢٦٨ هـ ولازمه، ورحل معه إلى ليبيا عام ١٢٧١ هـ، وأنه كان مقربا إلى الإمام.

ومعظم شعر فالح قد ضاع شأنه فى ذلك شأن سواه من آثار هذه المرحلة وما بقى منه يدل على شاعرية أصيلة صادقة وقدرة على الصياغة الشعرية العربية الجزلة[3]. ومن قصيدة له فى الحنين بعث بها من الحجاز:

سرى طيفكم ليلا فيا تاه فى المسرى على بعد ما بين (الجغابيب) والحمرا
عجبت له أنى اهتدى لى وبيننا مهامه ينبو الوهم عن جعلها مسرى
أأحبابنا والله ما غير النوى ودادى ولا أخلت بلادى لكم ذكرا
أهش لريح الجر بياء إذا سرت وإن أضرمت فى القلب من ناركم جمرا

(١) راجع القصيدة فى ٣٥٠ و٣٥١ برقة العربية.
(٢) صـ ٥ ـ ٧ المنهل العذب نشر مكتبة الفرجاني.
(٣) راجع ٤٥ الحياة الأدبية فى ليبيا ـ الحاجري.

محمد السنى

السيد محمد عبدالله السنى هو من سنار بالسودان، تتلمذ على الإمام أحمد بن إدريس، وتعرف بالإمام الأكبر محمد بن على السنوسى والتحق بالسنوسية عام ١٢٤٩ هـ، وعهد إليه بالتدريس، ثم ولاه مشيخة زاوية مزدة، وبها توفى(١)، وله قصيدة فى وصف الجغبوب(٢)، وفى قصيدة أخرى يصف الإخوان السنوسيين ودعوتهم(٣).

وله قصيدة عصماء مدح بها المهدى(٤)، ومن قصيدة أخرى له فى مدح المهدى(٥):

إمام الهدى نافى الردى قاهر العدى	فديتك عجل قد أضر بنا الجهل
تجد من بنى الإسلام أخلص عصبة	جحاجيح أبطال إذا جادلوا جلوا
ليوث إذا ما أحجم القوم أقدموا	فجل على الأعداء من بأسهم نكل
هم القوم إن قالوا فثق بمقالهم	إذا سمحوا سحوا، وإن فاللوا فلوا
وإن عطفوا بعد القراع إلى الحمى	رأيت وجوه القوم بالبشر تنهل
بهم أصبح الدين الحنيفى راضيا	وأضحت قباب المجد محكمة تعلو

ولقد كان السنى من الشعراء المجيدين آنذاك، ويقول يتحدث عن رحلة الامام المهدى إلى الكفرة:

سل وادى جغبوب عما كان فى حقب	عليه ينبئك والأنباء تعتبر
مأوى العلوم ومأوى الطالبين لها	روض الفضائل فهو (الأزهر) النضر
نعم وسل بعده أرضا تبوأها	دارا فأمست بها الخيرات تنتشر
تأوى الوفود لها من كل ناحية	مأوى الحجيج إذا ما جاء يعتمر(٦)

(١) ٦١ السنوسى الكبير للأشهب، وراجع عنه ٥٥ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

(٢) ٥٤ السنوسى الكبير.

(٣) ٥٦ المرجع.

(٤) السنوسى الكبير للأشهب.

(٥) ٥٧ و١١٣ المرجع نفسه.

(٦) راجع القصيدة كلها فى صـ ٢١١ و٢٢٢ برقة العربية للأشهب، وفى كتاب السنوسى الكبير للأشهب.

ويقول الشاعر محمد السني يرثي السيد محمد الشريف السنوسي عام ١٣١٣ هـ:

رزء بـه ثـكـل الفضـائـل كـلهـا ولـوقـعـه وجـه الـزمـان قـطوب
تبكيك أبصار لأنك نورهـا وبصائر منكم لها تطبيب
ومعاشر أنتم ربيع قلوبهم ومعاهد أنتم لها أشبوب
وفرائض ونوافل ومحافل ومشارق ومغارب وجنوب
سافرت يا ابن الأكرمين إلى العلا وتركت أفئدة عليك تذوب
سفر به لك راحة أبدية لكن به مس القعود لغوب
وتباشرت بقدومه أهل العلا فلهم هناك به غداً تثويب
ود اللقاء له أبوه مثلما ود اللقاء ليوسف يعقوب[1]

احمد الطائفي[2]

للشاعر أحمد الطائفي قصيدة بعث بها إلى الإمام محمد بن على السنوسي، من درنة عام ١٢٦٤ هـ، وكان الإمام آنذاك فى الحجاز:

يا من نأوا عني وشط مزارهم وتجددت لبعادهم أحزاني
نار الجوى بين الجوانح أضرمت والروح فارق بعدكم جثماني
لا كان يوم البين، لا كان النوى يا ليتني أدرجت في أكفاني
حر النوى أوهى قوى نجلدى وأعل جسما طبه أعياني
وأطال سهدي والخلائق هجع وأثار وجدا كامنا بجناني
وسقى رياض الشوق يوم وداعهم بسواكب العبرات من أجفاني

(١) راجع القصيدة كاملة في ٢٢٥ ـ ٢٢٧ برقة العربية للأشهب.
(٢) كان علامة أديباً ومن رفاق الامام الأوائل وأحد المدرسين بمعهد البيضاء والمعهد الجغبوبي، تعرف بالامام عام ١٢٤٩ هـ.

فطويت حينئذ بساط مسرتي ... ونشرت بعدكمو ردا احزاني
فإليك يا مولاي أشكو علتي ... وعظيم شوق، بعضه أضناني
ومتى أفوز بنظرة تطفي الجوى ... وتزيل كرب حشاشة الولهان[1]

ومن شعره كذلك[2]:

دلال منك هجرك أم جفاء ... كلا الحالين لي فيه الوفاء
فهجر الدل محبوب وعذب ... به أهل الغرام لهم رضاء
وهجر الصد يطلبه المعنى ... ليعذب عند غايته اللقاء
وكم قاسيت هجرا من حبيب ... فكان لغاية الهجر الصفاء

على عبد الحق القوصى

كان من تلامذة الامام، ومن الشعراء، وله قصيدة يعتذر بها إلى الامام الأكبر[3].

اعلام مشهورة فى عصر الإمام وبعده

محفوظ الورفلى

كان من الاخوان السنوسيين، وكان موضع رعاية الامام، وهو عالم مجتهد، من أكبر رجالات السنوسيين وعلمائهم، استشهد فى الحرب ضد الطليان عام ١٣٤٥ هـ[4].

---

(١) راجع القصيدة كاملة في صـ ١٦٨ برقة العربية للأشهب، وراجع عن الطائفى صـ ٦٧ السنوسى الكبير للأشهب.

(٢) صـ ٤٧ الحياة الأدبية فى ليبيا ـ الحاجرى.

(٣) ١٤٩ و١٥٠ السنوسى الكبير للأشهب.

(٤) ٢٥٨ أعلام ليبيا ـ وقد ذكر من الطيب الأشهب الاخوان السنوسيين الأول وترجم لهم في كتابه «السنوسى الكبير» صـ ٥٦ ـ ٧٠

مصطفى المحجوب

هو جد السيد صفى الدين السنوسى لوالدته عرف بالصلاح والتقوى[1] وهو من مصراته، وقد تعرف على الامام الأكبر عام ١٢٥٧ هـ فى طرابلس، والتحق بالزاوية البيضاء عام ١٢٥٨ هـ، وقد تولى مشيخة زاوية الطيلمون وبها توفى عام ١٣١٣ هـ، أو عام ١٣٢٣ هـ[2].

احمد بن إدريس الأشهب[3]

من تلاميذ السيد محمد الشريف، تلقى عنه الحديث والتفسير والتصوف واللغة والأدب، وتولى مشيخة بعض الزوايا كما قام بالتدريس فى معهد جغبوب، وكان شاعراً، ومن شعره قصيدة قالها بمناسبة انتقال المهدى إلى الكفرة، ومنها:

لقد أعلن الحادى بما كان فى السر　　وأخبرني عن صاحب المجد والبر
وأخبرنى عن نعته وصفاته　　وعن مثل ما يبدو على الوجه كالبدر
أقمت زمانا بالجغابيب ساعيا　　لنفع عباد الله فى السر والجهر
حثت ركاب المجد للنور والعلا　　وسرت إلى أهل السعادة والفخر

وهو والد الطيب الأشهب المؤرخ الليبى للحركة السنوسية.

احمد المقرحى[4]

من أعيان العلماء وفضلائهم تولى الافتاء بالزاوية، واتصل بالامام الأكبر

(١) ٣٤٤ أعلام ليبيا.
(٢) ٦٦ السنوسى الأكبر للأشهب.
(٣) راجع صـ ٦٠ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجري.
(٤) ١ : ١٧٧ قصة الأدب فى ليبيا، ١: ٨٠ أعلام ليبيا.

محمد بن على السنوسى فى طرابلس عام ١٢٥٧ هـ، وانتقل معه إلى برقة، وصار من خواص أصحابه، وتوفى عام ١٢٩٣ هـ، حيث دفن بمقبرة رويفع الأنصارى.

احمد بن يوسف

من تلامذة الإمام الأكبر محمد بن على السنوسى، وكان على جانب كبير من العلم، وهو جد الملك إدريس لأمه ـ توفي عام ١٢٩٤ هـ[1].

محمد الأزهرى

كان يضرب بعلمه المثل، اتصل بالإمام الأكبر محمد بن على السنوسى، وكان يلقبه بالأزهرى لعلمه وإن لم يكن قد ذهب إلى الأزهر ولا تلقى ثقافته فيه، وقد أخذ عن محمد بن منيع (١٣٣٠ هـ)، وتوفى بعد عام ١٣١٥ هـ[2].

احمد النائب الأنصارى الطرابلسى

سبق ذكره في الجزء الأول[3]، وهو صاحب كتابي: «المنهل العذب»، و«نفحات النسرين والريحان».

تتلمذ على الشيخ فالح الظاهرى الذى قدم له كتابه «المنهل العذب»، وكان قد التقى به في الآستانة، وصار يقص عن أستاذه الظاهرى تاريخ السيد الإمام محمد بن على السنوسي؛ وله مدائح فى الإمام، وكان قد التقى به وتعرف إلى فضله وعلمه وأفاد منه.

---

(١) راجع ١ : ٥٤ أعلام ليبيا، ١ : ١٧٧ قصة الأدب فى ليبيا.

(٢) ١ : ١٨٢ قصة الأدب فى ليبيا.

(٣) ١ : ١٩٧ قصة الأدب فى ليبيا العربية.

وتوفى عام ١٣٣٥ هـ: ١٩١٤ م، وميلاده عام ١٢٦٤ هـ: ١٨٤٦ م.

احمد بن يوسف بن شتوان[١]

اجتمع بالإمام السنوسى فى برقة واستفاد من علمه، وعاش فى الآستانة آخر حياته، وتوفى بها عام ١٣٠٥ هـ: عام ١٨١٥ م، وكان من كبار الأدباء والشعراء في عصره، كما اجتمع ابن شتوان بالإمام محمد بن على فى طرابلس مرة.

مصطفى بن زكرى

سبقت ترجمته[٢]، وكان شاعراً موهوباً وله مدائح فى السيد المهدى السنوسى، وتوفى عام ١٩١٨ ومولده عام ١٨٥٣ م.

---

(١) ١: ٢٠١ المرجع.
(٢) ١٩٩ قصة الأدب فى ليبيا العربية.

الفصـــل الـثـــاني

بناء الدولة الحديثة في ليبيا[1]

في ضحى يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ـ وبالقاعة الكبرى في «سرايا المنار العامرة» الجامعة الليبية الآن ـ بمدينة بنيغازى الـزاهرة، وقف الإدريس يعلن للعالم قاطبة أن ليبيا، نتيجة لجهادها، وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة، الصادر فى الحادى والعشرين من نوفمبر ١٩٤٩ م قد أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، فدوى نداء الإدريس المفدى فى الآفاق واستقبلته الأمة بمزيد الإعجـاب، وبارك الأشقـاء والأحرار الشرفـاء فى كل مكـان كفـاح الليبيين، وهكذا أعلن العاهل المحبوب وثيقة استقلال بلاده المكافحة، فوضع بذلك نهاية لعهد ملىء بالمآسى والأتراح والآلام، وبداية لعهد آخر زاهر باسم مشرق، وفتح صفحة ناصعة فى تاريخ ليبيا فأسس دولة وكياناً، دولة عربية مسلمة أفريقية، تتربع على شواطئ البحر المتوسط، وتسهم بدورها الإيجابى الفعال في بناء الحضارة.

وكان هذا الإعلان ضربة أليمة لأولئك الذين كانوا يحيكون ضد ليبيا المؤامرات، وكان (يوم الاستقلال) حدثاً رائعاً وفرحة كبرى لهذا الشعب الذى ذاق الأمرين، وضحى بكل مرتخص وغال فى سبيل حريته واستقلاله.

هذا ولقد شارك الشعراء الليبييون فى فرحة الشعب بعيد الاستقلال، وكـان فى طليعتهم طيب الذكـر شاعـر الوطن الكبـير المرحـوم أحمـد رفيق

---

(١) عن برقة الجديدة ١٩٦٥/١٢/٢١ من مقال لجبريل الحاسى.

المهدوى، فحيا «اليوم الأغر» بقصيدة عصماء تضم خمسين بيتاً من الشعر الرصين منها قوله:

عيد عليه مهابة وجلال عيد وحسبك أنه استقلال
يوم عليه من السعادة بهجة وعليه من نور السرور جمال
يوم سعيد فيه نالت أمة ملكا تمجد ذكره الأجيال
واستقبل التاريخ مظهر دولة فأهل فى برج السعود هلال

ومن شعر أحد الشعراء العرب الأشقاء قوله:

لك المجد يا ليبيا فأنت جديرة بأن ترفعى رأس العروبة عاليا

وكفاح ليبيا مفصل من سنة ١٩١١ م حين هب الشعب العربى الليبى فى وجه الاحتلال الإيطالى يصد كيد الغزاة وصمد سنوات طويلة فى معركة التحرير وقدم على مذبح الحرية المقدسة ألوف الضحايا، والتحم مع الأعداء فى معارك عديدة، وألحق بهم الخسائر الفادحة فى الأرواح والممتلكات، وضحى بالنفس والنفيس فى سبيل أن يحيا العزة والحرية والكرامة، ولما استشهد البطل الشهيد عمر المختار عام ١٩٣١ خضعت البلاد ـ بصورة مؤقتة ـ للاستعمار وارتكب المستعمر من الفظائع الشيء الكثير، مما يندى له جبين الإنسانية، وزج الأحرار فى غياهب السجون، ووراء أسلاك المعتقلات، ولما اندلع لهيب نار الحرب العالمية الثانية، خاض شعب ليبيا غمارها إلى جانب الحلفاء بقيادة الإدريس المعظم وتحت راية «الجيش السنوسى».

وقررت الأمم المتحدة الاعتراف باستقلال ليبيا فى يوم النصر ـ ٢١ نوفمبر ـ من سنة ١٩٤٩ م؛ وتشكل المجلس الاستشارى الدولى للإشراف على نقل السلطات من الإدارات العسكرية (الأجنبية) إلى حكومة ليبية مؤقتة، وتم وضع الدستور الليبى من قبل الهيئة التأسيسية ـ أو جمعية الستين ـ وأعلن الاستقلال فى ٢٤ ديسمبر من عام ١٩٥١ م، وانضمت ليبيا إلى الجامعة العربية، والمنظمات الدولية فيما بعد، وأخذت تسير فى طريق النهضة والبناء بخطوات وئيدة، وقد شاءت العناية الإلهية أن تمن عليها بخيرات أرضها،

فتفجرت ينابيع البترول، لتبعث الرخاء والرفاهية والازدهار فى ربوع هذا الوطن العربى، ولتعوض شعبه الطيب ما افتقده إبان سنوات الكفاح والجفاف، وقد استغلت ثروته فى تدعيم نهضته فى مختلف قطاعات الحياة: التعليمية، والصحية، والزراعية، وغيرها من المشروعات والمخططات النافعة، وأنشئت الجامعتان الليبية والإسلامية وكليتا الدراسات الفنية العليا، والمعلمين العالية، وأرسلت البعثات الطلابية إلى الخارج، وفتحت المعاهد الدراسية المختلفة فى طول البلاد وعرضها، وتأسس الجيش وسلح، ودعمت قوة الأمن العام، ونهضت الزراعة، والصناعة، وشقت الطرق وفتحت مختلف المشاريع فى شتى أنحاء المملكة الناهضة، واشتركت البلاد فى مختلف المؤتمرات الإقليمية والعربية والعالمية، وأسهمت بدورها فى أعمالها وكانت لها مواقفها فى مؤتمرات القمة العربية بالقاهرة والإسكندرية والدار البيضاء، ومؤتمر دول عدم الانحياز، ومؤتمرات منظمة الوحدة الأفريقية فى أديس أبابا وأكرا، إلى غير ذلك من المؤتمرات فى الشرق والغرب:

أمة تنشئ الحياة وتبنى كبناء الأبوة الأمجاد

وبعد أكثر من عشر سنوات من تجربة (النظام الاتحادى ـ الفيدرالى) عدل الدستور مرتين: الأولى كخطوة أولى، وبموجبه آلت العديد من الاختصاصات إلى الحكومة المركزية، واستحدث نظام المجالس الإدارية ثم عدل الدستور للمرة الثانية، وبهذا التعديل الآخر ألغى النظام الولائى، وأعلنت الوحدة الكاملة الشاملة في ٢٦ أبريل سنة ١٩٦٣ م.

وهكذا تحققت أمنية شعب ليبيا فى وحدة اندماجية تامة، وحددت الاختصاصات، وتلاشى ـ إلى غير رجعة ـ نظام الإقليمية البغيض، وصارت ليبيا دولة موحدة، وقد تحقق بذلك ما أشار إليه رفيق فى قوله:

تعديل دستورنا فرض يحتمه ما قد وجدناه فيه غير متفق

وفعلاً عدل الدستور، وأصبحت الوحدة حقيقة واقعة، وسارت الأمور بعد ذلك على خير ما يرام، فصدر قانون الإدارة المحلية، وقانون الخدمة

المدنية، وبرز إلى الوجود مشروع إدريس للإسكان، وعدل قانون البترول بما يضمن للشعب حقوقه كاملة غير منقوصة، ووضع حداً للتلاعب بمقدراته، وحرص على حسن استغلال ثروته الوطنية، لتسهم فى رفاهية الشعب وازدهاره، وتقف ليبيا العربية موقفاً مشرفاً من قضية فلسطين وغيرها من القضايا العربية. كموقفها الرائع من مشكلة روديسيا، وتضامنها مع مقررات مؤتمر منظمة الوحدة الأفريقية.

وهكذا تم بناء الدولة الحديثة فى ليبيا بفضل الإدريس وتوجيهه، وبفضل مثابرة الشعب وتصميمه على النضال من أجل حريته ومستقبله.

الزوايا السنوسية

«ركز الإمام رضى الله عنه وسائل عمله فى (الحجاز) بإنشاء أولى المراكز الإصلاحية هناك وهى زاوية (أبى قبيس) ثم ألحق هذا المركز بمراكز إصلاحية أخرى فى مختلف البلاد الحجازية، وأقام عليها من تلاميذه الأفاضل من يقوم مقامه فى أداء هذه الرسالة. ووصل إلى ليبيا فبنى بها أولى المراكز الإصلاحية (الزاوية البيضاء) أى زاوية البيضاء، ثم باشر فى إنشاء عدد كبير من هذه المراكز فى برقة وفزان وطرابلس.. وكان في هذه الأثناء مهتماً بإصلاح حال المسلمين على أوسع ما يمكن.

ولقد جاء فى أحد كتبه إلى حاكم (برقة) العثمانى ـ محمد صالح باشا: «رتبنا لكل واحد ـ وكان يعنى الزوايا ـ خليفة يقوم فيها بما ذكر من الجمعة وتعليم القرآن ودرس العلم، ودلالة الخلق على دينهم وعودتهم إلى ربهم.. إلى أن قال: وبذلك تبتهج الأرض حولها بأنواع الأشجار ويكثر بها السكان، لكثرة الثمار، وتنتشر العمارة وتتسع الإدارة».

ويفسر الإمام معنى الزاوية فيقول فى كتاب كان قد بعث به إلى حاكم فزان العثمانى مصطفى باشا: «والزاوية فى الحقيقة هى بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده».

ويقول أيضاً: «والزاوية إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر بها البلاد ويحصل بها النفع لأهل الحاضرة والبادية لأنها ما أسست إلا لقراءة القرآن ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان». وفي فقرة أخرى من كتاب له ـ رضي الله عنه ـ كان قد بعث به إلى والى طرابلس العثماني وكان المشير محمد أمين باشا قال فيه:

«. . . وأما نحن فقد ألفنا ما اعتمدناه ورضيت به نفوسنا فنزيد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة، ونفوس سكانها مستقرة ليحصل المقصود منها ويدوم من تعلم العلم وتعليمه، وإقراء القرآن وتفهيمه، وإقامة شعائر الدين للوافدين عليها والمقيمين بها».

والزوايا السنوسية بقدر ما تهتم بالعلوم النظرية والدراسة العملية من أمور الدنيا تهتم أيضاً بالتربية الروحية ورياضة النفس، تبعدها عن الرذائل المادية وتقربها إلى عالم الروح والصفاء.

وقد اهتمت الزوايا السنوسية بالشئون العامة كالصناعة والزراعة وتنظيم الأعمال ولم تهمل هذه النواحي أو تترك شأنها، والدين يحث على العمل ويرغب فيه. والله يحب الإنسان المحترف ويكره الخامل العاطل.

فأخذت الزوايا السنوسية على عاتقها مهمة التوجيه والإشراف على الصناعة والزراعة لتسد حاجة البلاد ولا تكون عالة على الغير، وقد تفنن الإخوان السنوسيون في الصناعة المعروفة في زمنهم. . . وعندما بدأ الغزو الإيطالي للبلاد رفع الإخوان راية الجهاد مستعملين الآلات الحربية التي صنعوها بأيديهم.

زاوية البيضاء

اجتمع لمنطقة الزاوية البيضاء الكثير من مقومات العمران. فتوسطها للجبل الأخضر أكسبها خصوبة تربة وطيب مناخ وعذوبة ماء. مما كان حافزاً لتجمع القبائل حولها، وتنافسهم على حيازتها. ومر الإمام محمد بن على

السنوسى بهذه الناحية أثناء طوافه فى البلاد الإسلامية، فلمس بنفسه حاجة أهلها إلى التعليم الدينى حتى ينصلح حالهم.

فألقى عصا التسيار بينهم، وشرع فى تأسيس زاويته الأولى بالأراضى الليبية عام ١٢٥٧ هـ ومن ثم أطلق عليها (الزاوية الأم).

وتوفر الإخوان المصاحبون للإمام على البناء، فابتنوا مسجداً لإقامة الشعائر الدينية وألحقوا به الخلاوى للطلاب ومقرأة للقرآن. ومسكناً لإمام الزاوية.

وألحق الإمام بالزاوية (معهداً علمياً) يتعلم فيه الكبار العلم ويحفظ الصغار القرآن؛ وأصبحت الزاوية حرماً آمناً يحتمى بحماه الضعفاء، ويلجأ إلى عدالته المتقاضون وفى ساحته تفض الخصومات، وكان لهذا النجاح الذى حققته الزاوية البيضاء أثره البليغ في نفوس الناس جميعاً، فانتشر خبر الامام وعمت الدعوة السنوسية القطر الليبى، وتوافد الأهالى يبدون استعدادهم لانشاء الزوايا ووقف أملاكهم على عمارتها والانفاق عليها.

وظلت الزاوية البيضاء مركزاً رئيسياً للدعوة السنوسية، إلى أن توجه الامام نحو الأراضى الحجازية لتفقد زواياه، هناك، فانتقلت القيادة إلى زاوية (أبى قبيس) بانتقال الامام إليها. وفى عام ١٢٧٠ انتقلت القيادة إلى زاوية (العزيات) ثم استقرت أخيراً عام ١٢٧٣ هـ فى زاوية الجغبوب.

ولما هاجم الايطاليون الأراضى الليبية، وجدوا المقاومة العنيفة المستميتة تطلع عليهم من الزوايا السنوسية. وإن هى إلا قواعد حربية، يتمركز فيها الاخوان، ويتزودون منها بالرجال والعتاد، فصبوا عليها جام غضبهم واختصوها بالتخريب والتدمير، وغيروا معالمها، واتخذوا منها استحكامات حربية لجيوشهم.

وكان نصيب (الزاوية الأم) من هذا الافساد أن لحق بها ما لحق أخواتها، فجعلوا فناء المسجد والخلاوى مربطاً للخيول والبغال، ومصلى

المسجد مخزناً لعلفها، وهدموا المعهد، وظلت الزوايا السنوسية مهملة طيلة احتلال الايطاليين.

ولما تم إجلاؤهم عن الأراضى الليبية، وحصلت البلاد على الاستقلال التام، توجهت نية الملك إدريس إلى تجديد الزوايا وبعث النشاط فيها، حتى تعاود مهمتها فى التوجيه والاصلاح، واختص (أم الزوايا) بمزيد من الرعاية، فجدد معهدها الدينى، وشاده على النظم الهندسية الحديثة، وألحق به قسماً داخلياً للطلاب، ودوراً للمعلمين.

وبعد أن انتزعت البلاد استقلالها، اتجه عاهل المملكة الليبية المتحدة محمد الادريس الأول إلى رعاية آثار جده الامام السيد محمد بن على السنوسى.

فجعل من الزاوية الأم فى البيضاء نواة لجامعة إسلامية كبيرة، وفى يوم الأحد الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ. الموافق (٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٥٢ م) تفضل الادريس فى احتفال كبير، بافتتاح المعهد الدينى، وأطلق عليه اسم الامام الأكبر تخليداً لذكراه.

وتولت إدراته والاشراف عليه نظارة المعارف من لدن افتتاحه حتى عام ١٩٥٥ م. حيث صدر مرسوم ملكى بمقتضاه أصبح المعهد مستقلاً فى إدارته، وميزانيته، تحت إشراف مجلسه الأعلى برئاسة شيخ المعهد.

وفى عام ١٩٥٦ م صدر قرار يخول له فتح فروع فى الولايات الثلاث.

وفى يناير ١٩٥٧ م. ضم إلى إدارته معهد سيدى عبد السلام الأسمر بزليتن، وكذلك ضم إلى إدارته أيضاً معهد أحمد باشا بطرابلس.

وفى ١٠ يونيو ١٩٦٠ م افتتح معهد سبها الفرعى بولاية فزان.

وسار المعهد متخذاً سبيله نحو التطور بخطى واسعة تتسم بالجرأة والتقدم، ففى العام (١٩٦١ م) تم افتتاح معهد غريان بمدينة غريان، من

ولاية طرابلس، كما تم افتتاح معهد الزاوية الغربية بطرابلس أيضاً، ومعهد درنة بولاية برقة.

والفروع الجديدة تنتشر فى شتى أنحاء المملكة، وبجانبها المدارس القرآنية لتكون روافد تغذيها بالطلاب من حفظة القرآن الكريم، وقد بلغ مجموع الطلاب المنتسبين فى مختلف الفروع بما فيهم طلاب المدارس القرآنية نحوا من ٧٥٠٠ طالب.

وبذلك، حقق هذا المعهد تقدماً ملحوظاً فى نشاطه التعليمى فى مراحله المختلفة، مما جعله فى مصاف المعاهد الدينية الكبرى ذات الصبغة الجامعية.

وكان لا بد من اتخاذ خطوة كبرى ترفع من شأن هذه المعاهد وتوسع من آفاقها المختلفة وتعمل على تعميم رسالتها لتكون مناراً هادياً فى خدمة الإسلام والمسلمين، ومصدر إشعاع قوى باهر، فكانت الخطوة المباركة هى إعادة تنظيمه فى ضوء الظروف الجديدة بتحويله إلى جامعة إسلامية واحدة، لها نفس المهام والأغراض ودعم أقسامها المختلفة حتى تنهض برسالتها السامية، فى نشر الثقافة الإسلامية، وإحياء العلوم الدينية. والعمل على توثيق الروابط العلمية والثقافية مع الجامعات والهيئات العلمية والإسلامية.

ويصف الأمير شكيب أرسلان الزوايا السنوسية والواجبات المنوطة بكل زاوية وصف العليم الخبير، فيقول رحمه الله: الزاوية فيها مقدم هو القيم عليها وهو الذى يتولى أمور القبيلة. ويفصل الخصومات بينها. ويبلغ الأوامر الصادرة من السيد السنوسى، ويليه وكيل الدخل والخرج وإليه النظر فى زراعة الأرض وجميع الأمور الاقتصادية. ومن عادتهم أن على كل فرد من أفراد القبيلة أن يتبرع بحراثة يوم، وحصاد يوم ودراسة يوم فى أرض الزاوية، فلذلك يسهل عمران الزاوية بدون نفقة كبيرة. ثم هناك الشيخ الذى يقيم الصلاة فى مسجد الزاوية، ويعلم أحداث القبيلة القراءة والكتابة، ويعقد فى القبيلة عقود النكاح. ويصلى على الجنائز الخ. . والزوايا السنوسية هى الملاجئ الوحيدة فى الصحراء للمسافرين والتائهين والواردين

والشاردين.. ولا يوجد مساكن مبنية بالحجر غيرها وقد سرنا فى طريقنا إلى جهاد ليبيا نحو شهر من ظاهر اسكندرية عند منتهى الخط الحديدي حيث زاوية سيدى هارون القناشي إلى موطن الحرب بسهل الفيض أمام مدينة بنيغازى. فكنا بعد كل مهلة ثلاث ساعات أو أكثر نجد زاوية سنوسية[1]؛ هذا عدا زوايا كثيرة ليست مصاقبة للطريق السلطانى. فإن لكل قبيلة زاوية هى مرجعها فى الدين والدنيا وإذا تعددت فروع القبيلة كالعبيدات مثلاً فلكل فخذ منها زاوية. فلعائلة منصور زاوية. ولعائلة مريم زاوية، ولعائلة جازية زاوية وللبناين زاوية وللعواكلة زاوية. وهلم جرا. وإن الغريب أو السابل أو الفقير المعتر لينزل بزاوية من هذه الزوايا فيقيم ما يشاء. ويتضيف ما يشاء. ولا يسأله أحد عن شيء، وأغلب هذه الزوايا يختار لها أجمل البقاع وأخصب الأرضين وفيها الآبار التى لا تنزح من كثرة مائها. وفى الجبل الأخضر هى بجانب عيون جارية. وأنهر صافية كزاوية مارة وزاوية مرتوبة وزاوية أم الرزم بقرب درنة وزاوية شحات فى مدينة سيرينا القديمة الخ... وأينما حل السنوسية عمروا وثمروا.. ووجدت الأرض اهتزت وربت. وأنبتت من كل زوج بهيج، وقل إن مررت بزاوية ليس لها بستان أو بساتين فيها من كل أنواع الفواكه والثمار. وأصناف البقول والخضرة. يزيد قيمتها مصادفة الانسان لها فى تلك البقاع القاصية عن العمران المحفوفة بالفلوات. وقد قيدت فى دفتر عندى يحتوى معلومات كثيرة على برقة أسماء نحو ١٢٠ زاوية سنوسية فى تلك الديار وما جاورها إلى السودان وليس ذلك العدد هو كل ما عندهم من الزوايا.

مدرسة جغبوب وأثرها الروحى

ظهر[2] أثر مدرسة الجغبوب جلياً واضحاً فى مرافق الحياة الاجتماعية

---

(١) شكيب أرسلان والقضية الليبية لمحمد رجب الزائدى ص ١٨ ـ طبعة ١٩٦٤، مكتبة الوحدة العربية لصاحبها حسن على الخراز بالبيضاء.

(٢) عن كتاب أصدرته الجامعة الإسلامية عن نشاطها.

والسياسية والعلمية والدينية حيث أحدثت فى ربوع هذه البلاد نهضة شاملة وكانت بمثابة القيادة العليا والمركز الروحى الذى أحال تلك الصحارى الجدباء إلى واحات غناء عامرة بالسكان والرواد تضيء فيها مصابيح المعرفة وقد قضت على روح التنافر والعداء المستحكم الذى كان سائداً بين تلك القبائل ويظهر فى ضراوة دموية كثيراً ما تندلع لأتفه الأسباب وتبدلت تلك الطباع الجافية الغليظة ولانت شكيمة القبائل وهدأ روعها وامتد شعاعها الوضاء متغلغلاً فى أواسط إفريقيا يغمر أحراشها المظلمة وينتشل قبائلها التائهة فى مهامه الضلال من براثن الوثنية إلى حظيرة الإسلام.

ومن آثار حركة الجغبوب الروحية هذه ما يلى:

١ ـ غرست فى نفوس طلابها وروادها القيم الفردية والجماعية للحرية الانسانية فى أسمى معانيها لأن الإسلام فى جوهره يحارب الاستبداد والاستغلال وإيذاء الانسان لأخيه الإنسان، ولقد رأت هذه الدعوة ما يعانيه الأرقاء من نير العبودية وفظاعة النخاسين فاشترت جموعاً كثيرة من هؤلاء «العبيد» وأعتقتهم فأصبحوا فى ظلال هذه الدعوة أحراراً كرماء وقد كان لهم بعد عتقهم أثر ملحوظ فى نشر هذه التعاليم التى غذاهم بها الإمام رضى الله عنه كما ضربوا بسهم وافر فى النهضة العمرانية والاقتصادية فأصلحوا الأراضى وأقاموا البناء وتفننوا فى الصناعات اليدوية.

٢ ـ كما كانت مدرسة الجغبوب إلى جانب رسالتها الفكرية والاجتماعية بمثابة مدرسة حربية يمارس فيها المواطنون ضروب التدريب العسكري كالرماية وركوب الخيل، واستعمال مختلف أنواع الأسلحة ومعرفة طرق تركيبها وإنتاج الذخيرة الحية استعداداً للمفاجآت التى كان يخشى مغبتها الإمام رضي الله عنه، وقد أثبتت الحوادث صدق حدس الامام وصائب آرائه، وكان لهذه الاستعدادات الفضل فيما أحرزه الجندى الليبى من انتصارات باهرة فى الحروب التى خاضها ضد قوى البغى والعدوان.

٣ ـ ولم تنس هذه المدرسة ما يجب عليها نحو المرأة المسلمة فقد أولت

حقوقها العطف والرعاية وعملت على إنقاذها من مهاوى الجهل المطبق والنزعات البدائية، فكانت المرأة السنوسية تتلقى دينها إلى جانب تحفيظها القرآن الكريم، ولعل من الحوافز التى دفعت الإمام إلى عنايته البالغة بالمرأة ما كانت تغمره به عمته الفاضلة أثناء نشأته العلمية من توجيه وإرشاد.

٤ ـ وتبعاً لهذه الحركات الاصلاحية أصبحت الجغبوب كعبة للزوار والرواد ومركزاً هاماً لالتقاء القوافل الذاهبة والآيبة فقد خلق منها موقعها الاستراتيجى حلقة اتصال لطريقين مهمين أحدهما لقوافل رواد شمال غربى أفريقيا والآخر تجارى يربط سواحل البحر الأبيض المتوسط بالواحات الداخلية المنتشرة فى جوف الصحراء وكان لبعدها عن المناطق الساحلية، أن تفادت مطامع أصحاب النفوذ وعزت عن متناول يدهم وأضحى جانبها محترماً مهاباً عن الجميع حتى إن قطاع الطرق ولصوص القوافل استحالوا إلى حماة لها أدلاء مرشدين، وأصبح الفرد يرود تلك الفيافى آمناً مطمئناً لا يخاف أهوال الطريق أو عناء السفر.

٥ ـ عملت مدرسة الجغبوب على تكوين الأسرة الصالحة وشجعت على الاكثار منها، وكان الاخوان السنوسيون إذا أقدم شاب منهم على الزواج تفانوا فى خدمته وأسهموا فى تركيز دعائم البيت الهنىء له.

٦ ـ غرست فى الطلاب روح البحث والتنقيب وجوب الأقطار للاطلاع ونقل المخطوطات والوثائق الهامة، كما حببت إليهم الانتاج والتأليف حتى أصبحت مكتبتها زاخرة بأنفس ما أنتجه العقل الاسلامى فى ذلك الوقت مما جعلها تضاهى أندر المكتبات فى الشرق، ولكن الاستعمار الايطالي البغيض أغاظه أن تظل هذه المنارة الفكرية ترسل نورها فى قلب الصحراء فدهمها فى يوم ٧ فبراير عام ١٩٢٦ وعاث فيها نهباً وإحراقاً محاولاً القضاء على رسالتها ونفوذها النظرى والتنظيمى ولكن شاء الله أن تصمد هذه المدرسة المباركة للأعاصير والعواصف لم ينل من كيانها كيد الكائدين ولم يثنها عن أداء رسالتها وعيد الغاصبين. . . وظلت ثابتة الدعائم ويرقد تحت ظلها الوارف مؤسسها

صاحب الدعوة رضي الله عنه تدوى فى أرجاء ضريحه الطاهر أصوات مليئة بالرنين المقدس مفعمة بروح الايمان.

المعهد الأسمرى

أول معهد فى المملكة الليبية، وكان يعرف بزاوية الشيخ أسسه العارف بالله سيدي عبد السلام الأسمر سنة ٩٧١ هـ فى مدينة زليتن، أوقف عليه أملاكه وجهوده، واقتفى سيرته أولاده وأحفاده من بعده والغرض من إنشائه أن يكون مسجداً جامعاً يؤدى الناس فيه الصلاة، ويحفظ الصبيان القرآن الكريم، ويتلقى الطلبة العلم. وكان له الفضل فى تغذية البلاد بالعلماء والقضاة الشرعيين، وطريقة الدراسة فيه على نمط القسم العام بالأزهر الشريف، حيث يختار الطالب شيخه، ويدرس العلم الذى يهواه لذات العلم.

ويقوم بالتدريس فيه علماء من خريجيه أو من العلماء الوافدين. وتجرى الأرزاق على طلابه وعلمائه من ريع أوقافه وكان لعلمائه وطلابه مواقف وطنية تتسم بالجرأة والفداء، حين صمدوا للغزو الايطالى، وقاوموا فرض الجنسية الايطالية على الوطنيين، وتعرض هذا المعهد أثناء الغزو الايطالى للتخريب، فانتهك الإيطاليون قدسيته، وحرقوا مكتبته، واضطهدوا علماءه، ولكنه استمر فى أداء مهمته الدينية والوطنية، ولم يفلح الايطاليون فى تغيير برامجه ومناهجه لصمود أهله وعلمائه وتم انضمام هذا المعهد إلى جامعة السيد محمد بن على السنوسي الاسلامية فى يناير ١٩٥٧ م. وبذلك دخل المعهد الأسمرى فى طور جديد، يتسم بطابع المعاهد الدينية التابعة لجامعة السيد محمد بن على السنوسي الاسلامية، من حيث المناهج والادارة.

وبفضل رعاية المسئولين، تمت به المنشآت المدرسية الحديثة، وألحق به قسم داخلى، ينعم فيه الطلاب بمزايا كثيرة.

والمعهد الأسمرى يتكون من ثلاثة أقسام: ابتدائى وإعدادى وثانوى،

ويه مدرسة للقرآن الكريم.

وللمعهد نشاط عام ناجح تحدثت عنه الصحف. ويتمثل فى مجالات الثقافة والاجتماع والرياضة والكشافة. ويقوم الطلاب بتحرير صحيفة حائطية نصف شهرية، مزودة بالرسوم والصور، وأخرى شهرية تبرز نشاطهم وتنمى هواياتهم. كما أن فريق التمثيل بالمعهد يعتبر الأول من نوعه بالمعاهد الدينية بالجامعة. ومسرحياته تدور حوادثها حول الشخصيات الدينية، والمعانى الاسلامية، يتخللها الترويح البرىء.

معهد احمد باشا

أنشأ هذا المعهد أحمد باشا (القره مللي) الحاكم التركى الأصل (١٧١١ ـ ١٧٤٥) وكان يطلق عليه (كلية أحمد باشا القره مللى) وظلت الدراسة تسير فيه على النظام القديم، كما هو الشأن بالنسبة لكثير من المعاهد الأهلية العلمية فى الأقطار الاسلامية آنذاك، فالمناهج المتبعة عبارة عن كتب معينة تمثل مستويات الطلبة، كل يدرس ما يلائم استعداده الفطرى، ويوائم حصيلته من المعارف والعلوم ولم يكن المعهد فى وضعه السابق يمنح شهادات رسمية للطلاب الذين يتمون دراستهم فيه. وفى سنة ١٩٥٠ م، أدخل عليه شيء من التنظيم، فقد استبدلت الدراسة بالمعهد على شكل حلقات، بالمقاعد المدرسية المعروفة، وقسمت سنوات التعليم إلى مرحلتين: ابتدائية وثانوية.

وفى شهر يناير ١٩٥٧ م، تم رسمياً انضمام هذا المعهد إلى معهد السيد محمد بن على السنوسى فى البيضاء (جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية) الآن. وأصبح بعد انضوائه يحمل اسم (معهد أحمد باشا الديني) بدلاً من «كلية أحمد باشا القره مللي، وسرعان ما بدأ المعهد ينمو نمواً سريعاً مطرداً، تبعاً لمختلف فروع معهد السيد محمد بن على السنوسى، وبعد شهور قليلة من انضمامه تم نقله من مقره الصغير (بسوق المشير) إلى مقره الحالى بمنطقة (الظهرة) وألحق به قسم داخلى يتألف من ٢٣ (عنبراً) للنوم مزودة بالأسرة والبسط والأغطية. لايواء الطلبة، وتوفير الغذاء اللازم لهم، وتقديم

خدمات مختلفة مما يتيح لهم التفرغ للدراسة والتحصيل.

وقفز معهد أحمد باشا الديني قفزة كبرى، فى الأعوام القليلة التالية، منذ انتظم فى سلك «جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية»، ولم تكن تلك القفزة مقصورة على الجانب الدارسي فحسب، بل إنها شملت كذلك الجهاز الادارى، الذى أصبح يتمتع بقدر كبير من الخبرة والكفاية.

جامعة محمد بن على السنوسى الإسلامية

تقوم فى العالم العربى اليوم جامعات إسلامية سامقة، بعض منها أنشئ منذ قرون طويلة: كجامعة الأزهر (٣٦١ هـ: ٩٧٢ م)، وجامعة القرويين (٢٤٥ هـ: ٨٥٦ م) وجامعة الزيتونة، وجامعة النجف الأشرف؛ والبعض الآخر قام منذ أمد قصير: كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة أم درمان الإسلامية، وجامعة السيد محمد بن على السنوسى؛ عدا كليات الشريعة التى أنشئت فى بعض العواصم العربية منذ أمد قصير: ككلية الشريعة فى بغداد، وفى الرياض، وفى مكة المكرمة، وفى دمشق، وفى عمان.

وتنتسب جامعة محمد بن على السنوسى البيضاء بالمملكة الليبية إلى عميد الأسرة السنوسية العلوية، الإمام محمد بن على السنوسى.

وكان محمد بن على رائداً من رواد الإصلاح الدينى فى القرن الثالث عشر الهجرى، وصاحب دعوة من دعوات التجديد الإسلامى فى العصر الحديث؛ وقد ولد في مدينة «مستغانم» بالجزائر في يوم الإثنين ١٢ من ربيع الأول عام ١٢٠٢ هـ: ٢٢ من ديسمبر ١٧٨٧ م، ونشأ في بيت علم ودين، وتوفى والده شاباً بعد عامين من ميلاد ابنه محمد بن على، فكفلته عمته السيدة فاطمة، وهى من فضليات النساء فى عشيرتها، غزارة علم، وقوة دين، وسماحة خلق. وحفظ القرآن الكريم، ثم أخذ يدرس علوم الشريعة واللغة والتصوف والمذاهب الإسلامية وسواها من ألوان الثقافة الدينية الذائعة فى عصره؛ ثم بدأ يطوف بالعالم الإسلامى، ويقابل علماءه ومفكريه، وخلال

ذلك تمكن من الاطلاع على الأحوال العامة والخاصة للشعوب الإسلامية، ومن التعرف إلى المصلحين من أعلام الإسلام وحملة رسالته.

ولم يكن أحب إلى قلبه من السعى فى جمع كلمة المسلمين، وتقوية أواصر المحبة والتعاون بينهم؛ وقد ذهب إلى أن ذلك لا يتحقق إلا عن طريق المؤتمرات الإسلامية، واجتماع علماء المسلمين وذوى الرأى فيهم من حين إلى آخر للتشاور فى مختلف الشئون، ووضع الحلول العملية لمشكلاتهم على ضوء أحكام الشريعة السمحاء.

وكان يرى أن العالم الاسلامى لا يزال مفتقراً إلى مرشد حقيقى يكون هدفه سوق المسلمين أجمع إلى غاية واحدة، ونحو عرض واحد، وكان همه تربية أجيال جديدة من الشباب الاسلامى تربية دينية وروحية صافية، حتى تستطيع أن تبني بلادها. ولذلك أنشأ عشرات الزوايا التى كان يعلم الناس فيها أصول الدين وأحكامه وآدابه وأخلاقه. ومن أولى هذه الزوايا الزاوية البيضاء (أو الزاوية الأم)، وقد أنشأها في شوال ١٢٥٨ هـ - ديسمبر ١٨٤٢م. ثم أنشأ زاوية فى جغبوب عام ١٨٥٦، كان لها أثرها في التوجيه الدينى، واختار جغبوب مركزاً رئيسياً للدعوة السنوسية، عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦م وأسس بها معهداً علمياً ينتسب إليه المتخرجون من كتاتيب الزوايا، ليدرسوا فيه العلم ويتدارسوه، وتخرج منه الكثير من العلماء والشعراء وحفظة القرآن الكريم، وألحق به مكتبة حافلة بالكتب العربية المطبوعة والمخطوطة، وتوفى الإمام يوم الأربعاء التاسع من صفر ١٢٧٧ هـ: السابع من سبتمبر ١٨٥٩ م تاركاً وراءه دعوة إسلامية يرعاها أبناؤه وأحفاده، وثروة علمية فى مؤلفاته الكثيرة التي خلفها، ومنها: المسائل العشر، إيقاظ الوسنان فى العمل بالحديث والقرآن، الدرر السنية فى أخبار السلالة السنوسية، الشموس الشارقة، وغيرها.

ثم صارت الزاوية البيضاء نواة لجامعة اسلامية كبيرة، باضافة المعاهد الموجودة إليها وكان لا بد بعد ذلك من اتخاذ خطوة جديدة لرفع شأن هذه المعاهد، وتوسيع نطاقها وتعميم رسالتها، فأعيد تنظيمها، وصدر بذلك

مرسوم ملكى بتاريخ ١٩ من جمادى الأولى ١٣٨١ هـ: ٢٩ من أكتوبر ١٩٦١، حيث تضمن إعادة تنظيم المعاهد الدينية تحت لواء جامعة إسلامية، يكون نواتها معهد السيد محمد بن على السنوسى الدينى فى البيضاء، الذي هو امتداد لجامعة الجغبوب العتيدة، وضمت المعاهد والمدارس والأقسام التابعة لهذا المعهد إلى الجامعة الجديدة، التى أطلق عليها اسم «جامعة السيد محمد بن على السنوسى الاسلامية» وأريد لها أن تساير ركب التقدم العلمى، وتحقق نجاح النهضة الدينية فى هذا البلد الاسلامى العريق، كما جاء فى خطاب العرش عام ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م، واختيرت مدينة البيضاء مقراً لها، وهى مدينة صغيرة هادئة يتسع عمرانها اتساعاً كبيراً بمرور الأيام.

وقد عين للجامعة شيخ هو المسئول الأول فيها والمشرف على إدارتها، وكان أول شيخ تولى رياستها هو فضيلة الشيخ منصور المحجوب، وثانى شيخ لها هو الشيخ الحالى الشيخ عبد الحميد الديبانى، واختير الشيخ سليمان الزوبى وكيلاً لها، ثم فضيلة الشيخ محمد جوان من بعده.

وبمقتضى قانون إنشاء الجامعة أنشئت كليات ثلاث: الشريعة وأصول الدين واللغة العربية، وتولى عمادة هذه الكليات علماء ليبيون متخرجون من الأزهر الشريف، وهم: الشيخ محمد جوان، والشيخ مصطفى التريكى، والشيخ إبراهيم رفيدة. وأنشئت في الجامعة إدارة للوعظ، ومعهد للبحوث الاسلامية، ومعهد للخطوط العربية، ومعهد للقراءات، ومعاهد للبنات، والكثير من المدارس القرآنية؛ وفي عام ١٩٦٦ صدر مرسوم بإنشاء هيئة كبار العلماء، ومرسوم آخر بإنشاء أقسام للدراسات العليا تابعة لهذه الجامعة الإسلامية على أن يكون مقرها مدينة الجغبوب.

وأنشئت مجلة إسلامية تنطق باسم هذه الجامعة، وهى «مجلة الهدى الاسلامى» التى أشرف عليها الأستاذ الشيخ مصطفى التريكى ولتعدد مسئولياته اختير عالم أزهرى معروف للإشراف عليها وهو الشيخ محمد أمين هلال، وقد صدر العدد الأول من المجلة فى شهر رجب ١٣٨١ هـ ديسمبر ١٩٦١ م.

وقد ندب وعين للتدريس فيها طائفة من العلماء الليبيين ومن صفوة علماء وأساتذة جامعة الأزهر الشريف ومعاهده.

وزودت الجامعة بمكتبة عامة ضخمة، أضيف إليها ما بقى من مكتبة الامام محمد بن على السنوسى التى كانت فى الجغبوب، ثم نقلت منها وأضيفت إلى مصلحة الأوقاف، وسميت بمكتبة الأوقاف، ثم نقلت كقسم من أقسام مكتبة الجامعة الاسلامية، وتضم حوالى ثلاث آلاف كتاب ما بين مخطوط ومطبوع.

وأنشئت إدارات مختلفة فى الجامعة، تتولى مختلف شئونها وشتى ألوان النشاط فيها، ومنها إدارة التخطيط، وإدارة الاتصال بالعالم الاسلامي.

ويفد كل عام على كليات ومعاهد هذه الجامعة مئات الطلاب من مختلف أنحاء العالم الاسلامي للدراسة فيها، ويتخرج منهم سنوياً عدد كبير من كليات الجامعة ومن معهد البعوث الإسلامية فيها.

الجامعة الليبية

فى بدء العام الجامعى ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ عاد طلبة الجامعة الليبية إلى جامعتهم، ودخل طلبة جدد بوجوه مشرقة، تنضح أملاً فى مستقبل ثقافى كبير.

وبهذه المناسبة(١) عقد مدير الجامعة الليبية مصطفى بعيو مؤتمراً صحفياً في مقر الجامة ببنيغازى. تحدث فيه إلى مندوبى الصحافة والإذاعة بينما جلس برفقته أعضاء هيئة التدريس بالجامعة. واستهل المؤتمر ببيان عن التعليم الجامعى في ليبيا، وعن كل ما أنجزته الجامعة الليبية، وما قطعته من شأو طويل فى طريق التقدم والنجاح. وتحدث عن مرحلة البداية التى مرت بها الجامعة وكيف أن هيئة تدريسها لم تكن تتجاوز ستة أساتذة وأنها اليوم بلغت

---

(١) راجع مجلة المعرفة ١٩٦٤/١١/٢٠

١٠٨ مدرسين، وهم وإن كانوا يمثلون عدة جنسيات وبلاد مختلفة، إلا أنهم يتفقون جميعاً في خدمة العلوم والمعارف الإنسانية.

ابتدأت الجامعة الليبية بكلية الآداب والتربية ثم أنشئت كلية التجارة والاقتصاد، ثم كلية العلوم، وأخيراً كلية الحقوق. وتستعد إدارة الجامعة لافتتاح كلية الزراعة لسد حاجة البلاد فى هذا الحقل.

وأول دفعة التحقت بالجامعة كان عدد أفرادها ٣٢ طالباً؛ وكان عدد أفراد أول دفعة تخرجت في الجامعة الليبية ٣١ طالباً، وقد بلغ عدد خريجى الجامعة الليبية حتى أكتوبر ١٩٦٤ : ٥٦٧ طالباً.

وكان عدد طلاب الجامعة الليبية فى عام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ هو ١١٤٥ طالباً وينتظر أن يصل هذا العدد إلى حوالى ١٥٠٠ طالباً عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م.

وعينت الجامعة الليبية ٦٠ معيداً بالجامعة، وبعضهم سافروا إلى الخارج للتخصص والعودة ليكونوا نواة صالحة لأسرة التعليم الليبية بالجامعة.

وتضم الجامعة الآن مكتبتين إحداهما ببنيغازى والأخرى فى كلية العلوم بطرابلس. وكلاهما تحتويان على عدد كبير من الكتب العلمية والمراجع، وتضم مكتبة بنيغازى وحدها ٤٣٦٠٧ كتاباً.

وقد سعت الجامعة الليبية إلى تنفيذ مشروع المكتبة الخاصة لكل طالب، فاستجلبت الكتب وباعتها للطلاب بأثمانها وعلى أقساط، وتحملت إدارة الجامعة نفقات شحنها ونقلها.

كما قامت الجامعة الليبية بنشر عدة مؤلفات لعدد كبير من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

واهتمت الجامعة الليبية بحياة الطلاب المدرسية، وخصصت قسماً داخلياً للذين يرغبون في الإقامة بالقسم الداخلي؛ وعلى الرغم من أن نظام الانتساب بالنسبة للطلبة الذين يتابعون حياتهم العملية بينها يشتركون آخر

العام فى امتحانات الجامعة، قد منعته كثير من الجامعات الحديثة، إلا أن الجامعة الليبية حرصت على الأخذ به لتتيح لكل راغب الفرصة لمتابعة دراسته العالية.

وتعمل الجامعة الليبية على إتاحة الفرصة لأبنائها للاتصال الخارجى فهى تنظم كل عام رحلات علمية للمتفوقين من طلابها إلى مختلف بلدان العالم، كما تشترك الجامعة الليبية فى مختلف الحلقات والمؤتمرات الجامعية.

وتقوم الجامعة الليبية بدعوة أساتذة من مختلف جامعات العالم لإلقاء المحاضرات على طلاب الجامعة، بغية التعريف بالجامعة، وإتاحة الفرصة للطلاب للاحتكاك بنوع جديد من الثقافة والاتصال العلمى.

أشهر الصحف والمجلات فى ليبيا

فى القرن العشرين

يمكننا إجمالاً أن نذكر أهم الصحف والمجلات التى ظهرت في ليبيا منذ أول القرن العشرين حتى اليوم، لما لها من آثار أدبية كثيرة. ولأنها كانت مناراً من منارات النهضة والتقدم، وهي هذه:

١ ـ الكشاف التى ظهرت عام ١٩٠٨، وصاحبها هو محمد الأنصارى.
٢ ـ العصر الجديد ظهرت عام ١٩١٠، وصاحبها محمد البارودى.
٣ ـ المرصاد وقد ظهرت عام ١٩١٠، وصاحبها الفساطوى.
٤ ـ الرقيب العتيد، ظهرت عام ١٩١٠، وصاحبها نديم بن موسى.
٥ ـ اللواء الطرابلسى، ظهرت عام ١٩١٩.
٦ ـ العدل لصاحبها عبدالله عريبى وقد ظهرت عام ١٩١٩
٧ ـ الوطن ظهرت عام ١٩٢٠
٨ ـ الوقت ظهرت عام ١٩٢٠
٩ ـ الذكرى ظهرت عام ١٩٣٢

١٠ ـ بريد برقة ظهرت عام ١٩٢٥
١١ ـ ليبيا المصورة وصاحبها هو عمر فخرى المحيشى، وقد ظهرت عام ١٩٣٥
١٢ ـ الوطن، ظهرت عام ١٩٤٣
١٣ ـ برقة الأسبوعية، ظهرت عام ١٩٤٣
١٤ ـ طرابلس الغرب ظهرت عام ١٩٤٣
١٥ ـ بنيغازى ظهرت عام ١٩٤٣
١٦ ـ عمر المختار ظهرت عام ١٩٤٣
١٧ ـ الأخبار ظهرت عام ١٩٤٤
١٨ ـ برقة الجديدة ظهرت عام ١٩٤٥
١٩ ـ المرآة ظهرت عام ١٩٤٦
٢٠ ـ الفجر الليبى ظهرت عام ١٩٤٧
٢١ ـ صوت الشعر ظهرت عام ١٩٤٧
٢٢ ـ الاستقلال ظهرت عام ١٩٤٨
٢٣ ـ المرصاد ظهرت عام ١٩٥٠
٢٤ ـ التاج لصاحبها الأستاذ عمر الأشهب، وقد ظهرت عام ١٩٥١
٢٥ ـ مجلة ليبيا وقد ظهرت عام ١٩٥١
٢٦ ـ الليبي ظهرت عام ١٩٥١
٢٧ ـ اللواء ظهرت عام ١٩٥٢
٢٨ ـ الدفاع ظهرت عام ١٩٥٣
٢٩ ـ الزمان ظهرت عام ١٩٥٤
٣٠ ـ طرابلس الغرب، ظهرت عام ١٩٥٤
٣١ ـ صوت المربى ظهرت عام ١٩٥٥
٣٢ ـ الأفكار ظهرت عام ١٩٥٥
٣٣ ـ الرائد ظهرت عام ١٩٥٦
٣٤ ـ الضياء ظهرت عام ١٩٥٧

٣٥ ـ مجلة ليبيا الحديثة ـ مجلة الهدى الإسلامى ـ مجلة الإذاعة ـ مجلة الكشاف.

٣٦ ـ صحف: الزمان ـ العمل ـ برقة ـ فزان ـ طرابلس ـ الحرية.

وإلى تأثير الصحف والمجلات اليوم نجد تأثير الاذاعة والنوادى الأدبية ومن أهمها: النادى الأدبى وجمعية عمر المختار.

الفصل الثالث

اعلام العلماء فى هذا العصر

- ١ -

١ - ابراهيم الفيتورى (١٣٥٣ هـ) من زليتن درس بالمعهد الأسمرى وله مشاركة في العلم[١].

٢ - أحمد بن سالم بن على بن عون (١٣٠٥ - ١٩٣٥ م) درس فى الأزهر ورجع إلى الزاوية وتولى القضاء[٢].

٣ - أحمد الرجيبى (١٣٠٣ هـ) (١٨٨٦ م - ١٩٥٤) درس فى الأزهر وتنقل بين مصر وليبيا وتولى رواق المغاربة فى الأزهر وانتخب عضواً فى مؤتمر العزيزية ومؤتمر غريان سنة ١٩٢٠[٣].

٤ - أحمد بن مفتاح (١٢٩٧ - ١٣٥٥ هـ) درس فى الأزهر ورجع إلى زليتن بلده واشتغل بالتدريس، وكان عالماً جليلاً[٤].

٥ - أحمد الفساطوى (إبريل ١٩٣٦) درس فى الأزهر، ورجع إلى وطنه عام ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م، أسندت إليه رياسة المدرسة الإسلامية العليا، واشتغل بالأدب والصحافة[٥].

---

(١) ٣ أعلام ليبيا.
(٢) ٣٢ و٣٤ المرجع نفسه.
(٣) ٤٠ و٤١ المرجع.
(٤) ٤٨ المرجع.
(٥) ٧٣ المرجع.

٦ ـ أحمد الفطيسى من علماء زليتن وله كتاب مخطوط فى تراجم علماء زليتن، توفي عام ١٩٤٢[١].

٧ ـ رحومة الصارى(١٢٨٣ ـ ١٢٦٦ هـ) من زليتن ومن العلماء والمجاهدين[٢].

٨ ـ سالم الفطيسى (١٣٤٠ هـ) من علماء زليتن المشهورين[٣].

٩ ـ سعيد المسعودى (١٢٨٦ هـ: ١٨٦٩ م ـ ١٩٥٢ م)، درس فى طرابلس والأزهر، وعين عضواً بالمحكمة العليا الشرعية عام ١٩٢٢، وكانت له أشعار وطنية ضد الاستعمار الإيطالى[٤].

١٠ ـ السنوسى بادى (١٣٠١: ١٣٥٩ هـ: ١٩٤٠)، من مصراتة عالم جليل، درس فى الأزهر وتخرج منه عام ١٣٣٢ هـ، وعاد إلى بنى غازى أيام الطليان ثم عاد إلى مصر وتوفى بها[٥].

١١ ـ الطاهر النعاس (١٣٠٧ ـ ١٣٥١ هـ) عالم جليل، درس فى الأزهر، وعاد إلى بلاده، منقطعاً للعلم[٦].

١٢ ـ عبدالله بن عبد الكافى[٧] (١٣٠٢ ـ ١٣٧٤ هـ: ١٩٥٥ م) درس فى الأزهر وشارك فى جميع العلوم وأخذ عنه الشيخ سليمان الزوبى وغيره، وهو من علماء مصراتة المتفوقين، ومات في القاهرة.

١٣ ـ على عياد (١٨٦٨ ـ ١٩٥٤)[٨] درس فى الأزهر، هاجر عام ١٩١٢ إلى لبنان فسوريا وتوفى بدمشق.

١٤ ـ على الحاجى (١٢٨٩ ـ ١٢٧٨ هـ ١٩٥٩ م)، درس فى الزيتونة وسافر إلى تركيا وكان عالماً جليلاً، تولى بعض مناصب القضاء فى بلاده[٩].

---

(١) ٧٨ المرجع.
(٢) ١١٢ و١١٣ أعلام ليبيا.
(٣) ١٢٢ المرجع.
(٤) ١٣٣ المرجع.
(٥) ١٣٠ و١٣١ المرجع.
(٦) ١٤٣ ـ ١٤٥ المرجع.
(٧) ١٩٠ و١٩١ المرجع.
(٨) ٢١٩ المرجع.
(٩) ٢٣٠ و٢٣١ المرجع.

١٥ ـ عليوة بن إبراهيم[١] (١٢٧٠ ـ ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م) درس فى الأزهر واشتغل بالتدريس والقضاء وشارك فى الجهاد.

١٦ ـ عمر الميساوى (١٩٣٠ م ـ ١٣٤٩ هـ) درس في الأزهر، ودرس فى مدرسة عثمان باشا وجامع أحمد باشا فى طرابلس، ونفى إلى إيطاليا، ولما عاد منها تولى الإفتاء في مصراتة، وشارك فى الجهاد الوطنى، وأقام فى الاسكندرية منذ عام ١٩٢٤ وتوفى فيها[٢].

١٧ ـ عمر فخرى المحيشى درس فى مدرسة فرنسية فى الاسكندرية، والتحق بمدرسة إيطالية فى بنى غازى، وسافر إلى إيطاليا لإكمال تعليمه، ولما عاد تولى وظيفة فى بنى غازى، وأنشأ جريدة البريد ثم جريدة ليبيا المصورة عام ١٩٣٥، ومات عام ١٩٤٢[٣]، ورثاه إبراهيم الأسطى عمر الشاعر.

١٨ ـ فرج الفيتورى (١٢٩٩ هـ ـ ١٩٤٦ م) درس فى الأزهر، وتولى التدريس فى المعهد الأسمرى وتوفى عام ١٩٤٦[٤].

١٩ ـ فوزى النعاس (١٨٩٨ ـ ١٩٣٨) تلقى تعليمه فى دمشق وأسهم فى الحركة الوطنية وهو في سوريا وبها توفى[٥].

٢٠ ـ محفوظ الورفلي من أكبر رجالات السنوسيين وعلمائهم وكان من أنصار عمر المختار فى حروبه ومات شهيداً فى ميدان القتال عام ١٣٤٥ هـ[٦].

٢١ ـ محمد بن أحمد بن مسعود (١٨٢ ـ ١٢٦٣ هـ) من علماء زليتن وتولى القضاء[٧].

---

(١) ٢٢١ و٢٢٢ أعلام ليبيا.
(٢) ٢٢٥ المرجع.
(٣) ٢٣٢ ـ ٢٣٥ المرجع.
(٤) ٢٤٩ و٢٥٠ المرجع.
(٥) ٢٥٤ و٢٥٥ المرجع.
(٦) ٢٥٨ المرجع.
(٧) ٢٦١ و٢٦٢ المرجع.

٢٢ ـ محمد الورفلي (١٣٤١ هـ) من العلماء درس في الأزهر وعاد عام ١٣١٧ إلى طرابلس، وتولى التدريس بزاوية عبد السلام الأسمر عام ١٣١٨ هـ[١].

٢٣ ـ محمد بن عبد السلام المصراتي العالم الأديب، رحل إلى تونس والأزهر، وكان له دراية بالأدب الطرابلسي وبالأدباء فيها وبالحوادث والتواريخ التي مرت بطرابلس، وعاد من الأزهر عام ١٣٥٠ هـ فتولى التدريس في مدرسة باشا وكذلك الخطابة والوعظ، توفي عام ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م[٢].

٢٤ ـ محمد الكبوشي من علماء زليتن درس في الأزهر ورجع إلى بلاده ١٣٢٧ هـ بعد أن نبغ في كثير من العلوم وأسندت إليه وظائف قضائية كثيرة، منها عضوية المحكمة العليا الشرعية عام ١٣٥٠ هـ وتوفي بعد ذلك بقليل[٣].

٢٥ ـ محمد أبو حواء[٤] من أكبر الإخوان السنوسيين ومن أهل العلم مات شهيداً عام ١٣٤٩.

٢٦ ـ محمد السني (١٩٢٩ هـ) من كبار الإخوان السنوسيين وعلمائهم[٥].

٢٧ ـ محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي (١٢٦٢ ـ ١٣١٣ هـ) والد السيد أحمد الشريف السنوسي وله مشاركة في جميع العلوم[٦].

٢٨ ـ محمد الفقيه حسن (١٢٨٤ ـ ١٣٦٠ هـ) ولد بطرابلس والتحق بالمدرسة الرشدية وفيها تعلم التركية، ودرس على علماء طرابلس، وتولى وظائف قضائية وشارك في الجهاد الوطني وتوفي عام ١٣٦٠ هـ بطرابلس[٧].

---

(١) ٢٦٥ و٢٦٦ أعلام ليبيا.
(٢) ٢٧٩ و٢٨٠ المرجع.
(٣) ٢٩٤ و٢٩٥ المرجع.
(٤) ٣٠٨ المرجع.
(٦) ٣١٧ و٣١٨ المرجع.
(٧) ٣٢٣ ـ ٣٢٥ أعلام ليبيا.

٢٩ ـ المختار بن حسين من علماء الزاوية درس فى الأزهر وعاد إلى بلده عام ١٩٢٠ م، وتولى وظائف قضائية كثيرة، وتوفى ١٩٤٨[١].

٣٠ ـ مفتاح بن عبدالله من علماء زليتن، درس فى الأزهر، وتولى القضاء ببلده وتوفى عام ١٣٥٢ هـ[٢].

ـ ٢ ـ

ومن الليبيين طائفة درست فى الأزهر ونبغت فى علومه وتولت التدريس فيه، ونالت شهرة ذائعة وهم كثيرون، وطائفة أخرى تخرجت من غير الأزهر، وكانت من أعلام الأدب والثقافة فى مصر، تذكر منهم على سبيل المثال:

١ ـ الشيخ الأمير المالكى المتوفى ١٢٣٢ هـ: ١٨١٧ م، وكان إماماً كبيراً وعالماً عظيماً[٣]، وعليه تخرج كثير من أعلام الطرابلسيين، وفى مقدمتهم محمد بن كامل مصطفى (١٣١٥ هـ) وغيره[٤].

٢ ـ الشيخ حسن العطار العالم الأديب الشاعر المشهور المتوفي عام ١٢٥٠ هـ: ١٨٣٤ م[٥].

٣ ـ الشيخ على الليثى الأديب الشاعر المشهور وهو من أسرة طرابلسية الأصل، وقد رحل إلى طرابلس وأقام فيها فترة، وأخذ فيها على الشيخ السنوسى والشيخ القوصى الكبير[٦]، وكان أدبه وشعره يردد فى مجالس الإمام المهدى السنوسى كثيراً.

٤ ـ عبد العزيز جاويش (١٨٧٦ ـ ١٩٢٩ م) الأديب المصلح الكبير[٧]،

---

(١) ٣٣٢ و٣٣٣ المرجع.

(٢) ٣٤٤ و٣٤٥ المرجع.

(٣) ٣٥ و٣٦: ٣ قصة الأدب فى مصر للمؤلف.

(٤) راجع صـ ١٧٨ : ١ من هذا الكتاب.

(٥) ٩٧ و٩٨: ٣ قصة الأدب فى مصر.

(٦) راجع ٣: ٩٩ ـ ١٠١ المرجع نفسه، وقد تتلمذ على الإمام فى الزاوية البيضاء وقد زار الجغبوب (٥١ السنوسى الكبير للأشهب).

(٧) راجع ٦٢ ـ ٧٩: ٥ المرجع، وقصص من التاريخ للمؤلف.

ووالده هو الشيخ خليل جاويش من جماعة بدر بمصراتة (صـ ١٥ بعض الملامح التاريخية عن ليبيا لمصطفى بعيو).

٥ ـ حمزة فتح الله اللغوى الأديب المعروف المتوفى ١٩١٨ م[1]؛ ومن المصريين كذلك طائفة من العلماء أقامت في طرابلس أو غيرها.

وقد زار جغبوب الشاعر الشيخ على الليثى، وعبدالله باشا فكرى وغيرهما من المصريين.

(١) راجع ٤٦ ـ ٥١ : ٤ قصة الأدب في مصر.

الفصـل الرابـع

متى ظهر الأدب الحديث فى ليبيا؟

- ١ -

كانت الدعوة السنوسية حركة إسلامية كبيرة تردد صداها فى كل مكان، وذاع نشاطها فى كل ركن من أركان الوطن الليبى، وعم أثرها شتى جوانب الحياة فى ليبيا العربية المسلمة؛ ولقد بدأ الأدب الليبي الحديث فى الظهور بقيامها، وإن كان الذى بدأ منه هو مقدمـاته الأولى فحسب، لأن الأذهـان كانت لا تزال بعد مشغولة بأمر الدعوة، وكان أنصارها يعملون فى كل مكان لدعم أركانها ويشغلهم هذا العبء عن الالتفات لـلأدب والعنايـة به. ثم فوجئت الدعوة باصطدام فرنسا المسلح بها فى أواسط إفريقيا، وفوجئت بعد ذلك بالغزو الاستعمارى الإيطالى المسلح الذى حاول القضاء على مقومـات الأمة، والذى سلبها حريتها وأمنها وسلامها، وأراق الدماء الطاهرة البريئة فى كل مكان فيها؛ واضطر الأحرار إلى الجهاد والنضال، واستمر هذا النضال أكثر من عشرين عاماً (١٩١١ - ١٩٣٢) حتى أمكن لإيطاليا الفاشستية بكل وسائلها البربرية القضاء على المقاومة المسلحة، ولكن المقاومة السلبية ظهرت فى شتى أنحاء الوطن الليبى الأبى واستمرت سبع سنوات (١٩٣٢ - ١٩٣٩)، وقامت الحرب العالمية الثانية، ونصب كل ليبى من نفسه جندياً يدافع عن مقدسات بلاده ويحارب إيطاليا وجيوش الاحتلال بكل ما يستطيع، وانتهت الحرب وبدأ جهـاد الليبيين يتضـاعف من اجل الاستقـلال والوحـدة. وفى ١٩٤٩ أعلن الملك إدريس الأول استقلال برقـة، وبعد ذلـك وفى الرابـع

والعشرين من ديسمبر ١٩٥١ أعلن استقلال بلاده بوحداتها الثلاث طرابلس وبرقة وفزان، وبدأ منذ ذلك الحين عصر الاستقلال، الذى يعد ذروة التاريخ الحديث فى الوطن الليبى، وبدء عصر ازدهار الأدب الليبى الحديث فى تلك البلاد.

- ٢ -

وعلى ذلك يمكننا أن نقسم هذه الفترة الطويلة التى تبدأ بقيام الحركة السنوسية وتمتد حتى اليوم إلى ثلاث فترات:

١ - الفترة الأولى منذ قيام الدعوة السنوسية (شوال ١٢٥٨ هـ - ديسمبر ١٨٤٢ م)[١] حتى انتهاء العصر العثمانى (١٣٢٩ هـ: ١٩١١ م) والأدب فى هذه الفترة لا يخرج عن نطاق الأدب الليبى فى عصر العثمانيين لأنه متأثر بالمؤثرات العامة التى تأثر بها هذا الأدب، ولأن حكم العثمانيين كان لا يزال له الصفة الشرعية فى ليبيا وكان هناك حاكم عثمانى فى برقة وآخر فى طرابلس، وأحياناً يكتفي بحاكم واحد مقره طرابلس[٢]. وإن كان النفوذ والسيادة فى شتى ربوع البلادر وخاصة الجهات الداخلية منها إنما هى لزعماء السنوسية ودعاتها. وقد تحدثنا عن الأدب الليبى حتى نهاية هذه الفترة، فلا داعى لتكرار الحديث فيه.

٢ - والفترة الثانية هى فترة نضال الأمة الليبية وجهادها المقدس ضد الغزاة الإيطاليين وتستمر هذه الفترة من بدء الغزو الإيطالى ١٣٢٩ هـ: ١٩١١ م حتى طرد الإيطاليين من الأراضى الليبية فى يناير ١٩٤٣، ثم

(١) كان هذا التاريخ هو أول نشاط الحركة السنوسية فى ليبيا، وبدئها بتأسيس الزوايا السنوسية فى ربوع هذه البلاد، ففى هذا التاريخ أنشئت زاوية البيضاء وهى أولى الزوايا السنوسية فى ليبيا.

(٢) على أن العقول لم تكن بعد قد بدأت تتمثل الأفكار السنوسية وتدخلها فى نطاق الإنتاج الأدبى، وكان زعماء السنوسية وأنصارها مشغولين، والبلاد كذلك معهم مشغولة، بشئون الدعوة، ثم بالدفاع عنها، ثم بنضال المستعمرين.

يبـدأ نضال الليبيـين الأحرار وعـلى رأسهم زعيم البلاد محمـد إدريس السنوسى من أجل إعلان الاستقلال، ويستمر هذا الكفاح حتى سبتمبر ١٩٤٩ حيث أعلن هذا البطل المقدام استقلال برقة، ولم يمض عامان اثنان حتى أعلن استقلال ليبيا بوحداتها الثلاث وذلك في ٢٤ من ديسمبر ١٩٥١، وبذلك التاريخ تنتهى الفترة الثانية.

٣ ـ والفترة الثالثة هى عهد الاستقلال وذلك من عام ١٩٥١ حتى اليوم.

- ٣ -

وإذا كنا لم نعد الأدب فى ليبيا فى الفترة الأولى داخلاً فى نطاق الأدب الليبى الحديث لأنه كان لا يزال متأثراً بكل المؤثرات التى يتأثر بها الأدب فى عصر العثمانيين، وكان حكم العثمانيين لا يزال موجوداً له الصفة الشرعية فى البلاد، وكانت البلاد مشغولة بأمور الدعوة السنوسية، ولم تكن العقول قد فرغت بعد إلى الإنتاج الأدبى متأثرة بالعوامل الجديدة فى ظلال هذه الدعوة الإسلامية الإصلاحية الكبيرة.

فإن ظهور الأدب الليبى الحديث على وجه الحقيقة، وقيامه الفعلى؛ إنما كان مع قيام حركة الكفاح المقدس ضد الغزاة الإيطاليـين عام ١٣٢٩ هـ: ١٩١١ م؛ فقد بعث هذا الكفاح الحماس في صدور الشعراء العرب فى كل مكان، فنظموا القصائد الطوال فى الحرب الطرابلسية، وتمجيد بطولة الليبيين العرب الأحرار، واستماتهم فى الدفاع عن وطنهم، ومن بين هؤلاء الشعراء: الرصافى وشوقى وحافظ ومحرم وسواهم، كما بعث كذلك الحماس فى صدور الشعراء الليبيين فأخذوا يترنمون بالشعر يمجدون فيه حريتهم ويدافعون به عن وطنهم ويؤججون به مشاعر العرب الكريمة فى كل مكان نحو ليبيا وحقها فى الحرية والشرف والإباء والكرامة وحقها على العرب في مسـاندتهم لقضيتهـا العادلة الشريفة.

وعلى ذلك فإن الأدب الليبى الحديث لم يبـدأ من عام ١٨٤٢ م إلا

جذوره الأولى النامية، أما بدؤه الحقيقى فكان عام ١٩١١ م، وهذا الأدب الذى بدأ عام ١٩١١ هو من ثمار الدعوة السنوسية، وأثر من آثارها، لأنها كانت أجل مؤثر فيه، وأظهر العوامل التى تركت سماتها وخصائصها عليه، فهذا الأدب الليبى الحديث هو صدى الدعوة السنوسية ولسان من ألسنتها، ومظهر من مظاهرها، وثمرة من ثمراتها.

الفصل الخامس

مقومات الأدب الليبي الحديث

- ١ -

تجمعت منذ أوائل القرن العشرين شتى المقومات السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية، فساندت الأدب الليبى، ودعمت أصوله، وقادته نحو القوة والازدهار، وبدأ بعد قليل التاريخ الحقيقى لمولد الأدب الليبى الحديث هذا الأدب الذي يعبر عن الشعب، يترنم بآماله، ويتمثل فيه صدى آلامه، ويغنى للحرية ويدافع عنها، ويشدو ببطولة الأبطال على أرض ليبيا العربية الحرة؛ هذا الأدب الذى تظهر فيه كل الخصائص والمميزات التى لا بد من توافرها فى أدب ينسب إلى ليبيا وينتمى إليها.

- ٢ -

وفى صدر هذه المقومات ما يلي:

١ - البواعث القومية، وهى التى بعثت الشعب الليبى كله على نضال المستعمرين، والترنم بمجد ليبيا وحريتها، وعروبتها وإسلامها، والدفاع عن شرفها وعزتها وسيادتها وحقها فى الحياة والكرامة والسؤدد والفخار[١]، ولقد عاشت ليبيا طول عصور التاريخ على الإسلام

(١) لما زار المؤرخ أرنولد توينبى ليبيا عام ١٩٦٤ خطب فى الجامعة الليبية فى بنى غازى فقال: إنه ينصح الليبيين بأن لا يكونوا متعصبين كثيراً لقوميتهم ليرتفعوا إلى مستوى الوحدة العالمية. فرد عليه مصطفى بعيو مدير الجامعة الليبية يقول: كيف نرتفع إلى مستوى الوحدة العالمية إذا كانت قوميتنا الإقليمية منقرضة أو غير موحدة (الحقيقة - عدد ١٨/٤/١٩٦٤).

والعروبة، وارتبطت بها ارتباطاً روحياً وثيقاً، مما نمى من شخصيتها وكيانها.

٢ ـ البواعث الاجتماعية وتتمثل فى المجتمع الليبى العربي المتشابه النزعات، المتقارب الأصول والعناصر، المتحد ديناً ولغة ومشاعر وآمالاً وآلاما. ولقد بلغ الوعى الاجتماعى فى ليبيا مداه فى الشعور بالمجتمع والإدراك له، وإحساس الفرد بأنه مدفوع إلى قوة الترابط الجماعية، يضم قوته الفردية إليها، ويعمل من أجل المساهمة فى قوتها؛ وهذا الوعى الاجتماعى يساند الوعى الوطنى ويذكيه؛ ويعمل على دعم كيان الأدب الحديث فى ليبيا العربية وتنميته، عمله على يقظة الأمة سياسياً واجتماعياً، ولقد دأب الشعب الليبى على العمل من أجل تعزيز كيانه الاجتماعى، يحفزه إلى ذلك الروح الدينية الإسلامية المتغلغلة فى أعماق الشعب، وتدفعه الحركة السنوسية الى ضم صفوفه، وجمع كلمته، ونبذ الخصومات القبلية والأهواء الشخصية، وإنماء روح التعاون والمحبة بين صفوفه وطبقاته وقبائله وأفراده؛ ولقد نافست المرأة والشاب الرجل فى هذه المجالات، وحمل الجميع عبء النضال الوطنى والدفاع عن حرية البلاد، مما دعم الأدب الليبى الحديث وعزز أصوله، وهذه هى «مبروكة المقسية، التى حضرت معارك زنزور[١]، وكانت تتقدم المجاهدين وتحثهم على الاستبسال فى الدفاع وقد أعجب نشأت باشا بشجاعتها فأعطاها سيفاً، فكانت تتقلده وتذهب به إلى المعركة، وسماها مراسل جريدة (بارى جرنال) جان دارك الثانية، وأثنت عليها الأديبة التركية فاطمة علية بنت جودت باشا فى مقال نشرته فى جريدة صباح التركية عام ١٩١٣[٢]، وهذه فتاة طرابلسية مجهولة تضرب المثل فى البطولة لبنات جنسها فى مقاومة الغزاة الإيطاليين والدفاع عن شرف البلاد[٣] ومواقف الأطفال

---

(١) من المعارك المشهورة التي نشبت بين المجاهدين وجيوش إيطاليا.

(٢) ٢٥٧ أعلام ليبيا.

(٣) ٢٤٩ المرجع السابق.

والشباب والنساء والرجال فى حركة الجهـاد المقدس كـان من أروع ما يتصوره العقل وفى ذروة ما يحلم به إنسان.

٣ - البواعث العقلية، فإن الفكر الليبى بدأ من أوائل القرن العشرين يتصل بالعروبة والدين والدعوة السنوسية اتصالاً وثيقاً، على الرغم من وسائل الغرب ودعاياته ومدارسه وثقافاته ومن كل ما يعمل به لغرض واحد هو صرف الفكر العربى عن ماضيه وتراثه ومقوماته الأصيلة من الدين واللغة وغيرهما. وللزوايا السنوسية فى ليبيا، ولعدم اختلاط الشعب الليبى بغيره من العناصر الأخرى اختلاطاً شديداً، أثر واضح فى ذلك، وقد قامت الجامعة الإسلامية فى ليبيا تعزز روح الثقافة والدين والتفكير في نفوس الشباب الليبى، ولها فى هذا المجال رسالتها الكبيرة الضخمة الممتدة إن شاء الله؛ ولقد تطور الفكر الليبى بمسايرة الحياة المتحضرة، وباتصـاله بشتى الثقافات، وبانتشار التعليم في بلاده، وبإنشـاء الجامعـات فيها، وبقيام الإذاعة والصحافة والأندية الأدبية وغيرها.

٤ - قيام الجامعة الإسلامية مركزاً ثقافياً إسلامياً رفيعاً فى أرض ليبيا العربية المسلمة.

٥ - قيام الجامعـة المدنيـة فى بنيغازى وطـرابلس، وتقوم فيهـا عدة كليـات كالآداب والحقوق والزراعة والطب والهندسة والتجارة وتؤدى رسالة كبيرة فى تثقيف الشباب الليبى وإعدادهم لحمل الأمانة والمسئولية الملقاة على عاتقهم.

٦ - انتشار التعليم فى ليبيا: نهض التعليم فى ليبيا نهضة كبيرة منذ قيام الزوايا السنوسية، وكان فى البلاد قبل الغزو الإيطالى المعهد الأسمرى في زليتن، والمدرسة الإسـلامية العليـا (معهد أحمـد باشـا) والمدرسـة الرشـدية فى طرابلس وكثير من المدارس الابتدائية والثانـوية والصنـاعية، وقـد أراد الاستعمار الإيطالى أن يحارب التعليم فى ليبيا حربا شعواء، فأنشأ بعض المدارس الابتدائية لغة التدريس فيها هى اللغة الإيطاليـة، ولم يتجاوز عدد التلاميذ الليبيين فيها عام ١٩٣٩ عشرة آلاف بينما بلغ عدد طلبة

الجالية الإيطالية أكثر من ستة عشر ألفاً، وكانت مواد الدراسة فى هذه المدارس ترمى إلى تأكيد الإيمان بالإمبراطورية الرومانية وأن ليبيا جزء منها، واهتمت إيطاليا بعزل ليبيا عن العالم العربي والإسلامي، فأنشأت مدرسة دينية إسلامية في طرابلس لتمنع سفر الطلاب إلى مصر وتونس، ولكن الزوايا استمرت فى أداء رسالتها وكثر سفر الشباب الليبى إلى مصر لتلقى دروسهم فى مصر وخاصة فى الأزهر، وكذلك فى تونس فى الزيتونة.

وفى عهد الاستقلال، بدأت العناية بالتعليم العام، وأنشئت المدارس والمعاهد الجديدة، وشجعت حركة البعوث العلمية، ولقى الأساتذة والطلاب ضروباً من التشجيع والرعاية.

٧ ـ المطابع وأثرها: كان مطلع القرن الخامس عشر الميلادي بدء تطور في العلم والحضارة، إذ وصل العالم فيه الى اختراع الطباعة، بعد تجارب ومحاولات عدة، سبقت الوصول إلى هذه الغاية.. فقلبت الطباعة وجه الأرض، ودفعت الحضارة دفعاً عنيفاً.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن الصينيين قد سبقوا الأمم إلى استخدام الطباعة فى إخراج كتبهم فى القرن التاسع الميلادى، ولكنها لم تنتشر عندهم إلا فى القرن العاشر.. ففى عام ٩٣٢ م التمس وزيران من امبراطور الصين أن يأمر بتصحيح بعض كتبهم وطبعها؛ وعند الصينيين كتب مطبوعة من عهد ملوكهم من عائلة (سنغ) ٩٩٠ ـ ١٢٧٩ م.. أما الطبع بالحروف المتحركة فأول من ابتكر طريقته لورنس كوستر (١٤٣٢ م)، وكان جوتنبرج الألمانى (١٤٦٨ م) عاملاً عنده، فأخذ الاختراع وادعاه لنفسه، وقيل إن أول مبتكر لذلك حنا فوست، وقيل بطرس شوفر.. وبدأ الإيطاليون باستخدام الطباعة عام ١٤٦٥ فى سوبياكو، وفى عام ١٤٦٩ م أنشئت المطابع فى باريس وميلانو والبندقية، ودخل فن الطباعة انجلترا عام ١٤٧٤ م، وأسبانيا عام ١٤٧٥ .. وفي عام ١٥٠٠ م كان فى أوربا نحو مائتى مطبعة، فالقرن الخامس عشر هو إذاً قرن الفتح العلمى باختراع الطباعة..

وأقدم المطبوعات العربية مزامير داود التي طبعت في جنوا عام ١٥١٦ م ثم التوراة ترجمة سعيد الفيومى وقد طبعت فى الآستانة عام ١٥٥١ م، وطبع الإنجيل فى روما عام ١٥٩١ م، وقانون ابن سينا فى روما عام ١٥٩٣، ثم طبع القرآن الكريم فى هامبورج عام ١٦٩٤، وصحاح الجوهري مترجماً إلى التركية فى الآستانة عام ١٧٢٩، وكتاب نجوم الفرقان عام ١٨١٢ فى كلكتا، وكتاب فتوح الشام عام ١٨٥٥، وأنشأ نابليون مطبعة عربية صغيرة فى مصر عام ١٧٩٨، ثم أنشأ محمد على مطبعة بولاق عام ١٨٢٢.

وقد بدأت الطباعة في طرابلس منذ أوائل القرن العشرين، وقامت فيها عدة مطابع عربية حاربها الاستعمار الإيطالى كما حارب اللغة العربية.. وبعد الاستقلال تعددت المطابع فى طرابلس وبنيغازى، ومنها المطبعة الليبية فى طرابلس (١٩٥٦) ومطابع السيد عبدالله عابد السنوسى فى بنى غازى، ومطابع كثيرة متعددة أخرى..

٨ - انتشار الصحافة: عرفت الصحافة عن الصينيين القدماء قبل الميلاد بألف عام، وعند الرومان قبل الميلاد بسبعة قرون؛ وظهرت الصحافة بمعناها الحديث فى أواسط القرن السادس عشر الميلادى؛ وما زال أمرها يعظم حتى صارت من أولى عناصر الحضارة، وعدت رابعة السلطات، ولها الأثر البارز فى رقى الثقافة، وتكوين الرأى العام، وتعزيز سلطان الأمة، والمجلات العلمية والأدبية من مقومات النهضة الأدبية فى كل أمة من أمم العالم...

وقد كان لقيام الصحافة فى ليبيا أثر فى نشر الثقافة ورقى النثر، وزيادة المعرفة. والأساليب العربية التى تكتب بها الصحف والمجلات خير مدرسة لتلقين الأدباء وتخريجهم. وقد عرفت ليبيا ما يربو على خمس وثلاثين صحيفة منذ أكثر من ستين عاماً أى في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وإلى بداية عهد الاستقلال من بينها عدد قليل من المجلات، فقد صدرت بطرابلس ثمانى صحف، من بينها مجلة شهرية تسمى «ثمرة الفنون» وهى مجلة أدبية أنشأها داود أفندى عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م.

ومنها جريدة الترقى التى أنشئت فى طرابلس عام ١٩٠٨[١] وشارك فى تحريرها عبد الرحمن البوصيرى وعثمان الفيزانى وأعلام الأدب فى ليبيـا؛ ثم أصدر عبدالله عريبى جريدة العدل عام ١٩١٩ فى طرابلس[٢].

وفى عام ١٩٢٠ قامت جريدة اللواء الطرابلسية ولمواقفها فى الدفاع عن حرية الشعب أغلقت هذه الجريدة عام ١٩٢٢، وأسست بعد ذلك جريدة (الوقت) لصاحبها محسن ظافر المدنى، ثم عطلت فزال آخـر أثر للصحـافة الوطنية فى ليبيا، وأنشأ عمر المحيشى جريدة البريد ثم مجلة ليبيا المصورة؛ وبعـد الاستقلال قـامت صحف ومجـلات كثـيرة تؤدى دورهـا فى النهـوض بالمجتمع الليبى وفى زيادة الوعى الفكرى بين أبناء البلاد، ومن بين الصحف التى صدرت مجلة المرآة ومجلة ليبيا وقد توقفتا، ومن الصحف اليوم: صحيفة برقة وفزان وطرابلس والحقيقة والعمل، ومن المجلات: مجلة الهدى الإسلامى التى تخرج عن الجامعة الإسلامية بالبيضاء ومجلة الإذاعة، والرواد.

٩ ـ قيـام الإذاعة: كـان الإيطاليـون قـد أنشـأوا محـطة إذاعيـة صغـيرة فى طرابلس، وقد نسفها جنودهم أثناء تقهقرهم أمام الجيش الثامن، ونسفوا أعمدة الإرسال القائمة ببلدة جنزور، وفى عام ١٩٤٧ قامت إذاعة عربية فى البلاد، وبعد الاستقلال نهضت الإذاعة الليبية وقوى إرسالها وتعددت بـرامجها وزادت تخصصـاتهـا، وهى تؤدى رسـالتهـا فى تثقيف الشعب وتوجيهه توجيهاً صالحاً مفيداً.

١٠ ـ الأندية الأدبية، وهى كثيرة فى المدارس والجامعات، ومنها النادى الثقافى الأدبى فى طرابلس، ونادى طلبة البعوث فى البيضاء، وقاعة المحاضرات فى الجامعة الليبيـة، والمركـز الثقافى المصرى فى بنيغـازى، ونظيره فى طرابلس، وغير ذلك من الأندية الأدبية الموفورة فى البلاد.

---

(١) ٢٠١ أعلام ليبيا.

(٢) ١٨٧ المرجع نفسه.

١١ ـ دور الكتب: من سنن الحضارة الإسلامية إنشاء خزائن الكتب فى كل مدينة ومسجد، وقد اشتهرت القاهرة والقيروان وطرابلس وقرطبة ودمشق ومكة والمدينة والبصرة وبغداد وشتى العواصم الإسلامية فى المشرق والمغرب بدور الكتب التى قامت فيها. وحسبنا أن نعرف أن أبا تمام عوقه البرد فى همذان، فوجد فى إحدى خزائنها ما يسر له اختيار حماسته، وكذلك أقام ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) فى مرو الشاهجان فأفاد من اثنتى عشرة خزانة بها، فى كل واحدة آلاف المجلدات، ويقول فى مقدمة كتابه المشهور «معجم البلدان»: «فكنت أرتع بها، وأقتبس من فوائدها، وأنسانى حبها كل بلد، وألهانى عن الأهل والولد، وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره، مما جمعته، فهو من تلك الخزائن. . . .».

١٢ ـ إنشاء اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب، وتخصيصها جوائز سنوية لأحدث ما ينتجه الأدباء والشعراء الليبيون، فى البحوث والدراسات، وفى الأعمال الأدبية من قصة ومسرحية وشعر ورواية طويلة وشعر.

الفصـل السـادس

الحركة الأدبية وتطورها في هذا العصر

- ١ -

يبدأ الأدب الليبى الحديث من عام ١٩١١ على وجه الحقيقة، ففى هذا العـام أفاق الأدبـاء والشعراء الليبيـون على سيل الغزو الإيـطالى البربـرى لبلادهم، وعلى معارك البطولة والشرف التى مثلها المجاهدون والأبطال منهم على أرض الوطن، وعلى قصائد أعلام الشعراء فى مصر والشام والعراق وفى كل مكان من الوطن العربى الكبـير ومن العالم الإسـلامى فى الحديث عن الحرب الطرابلسية. ووصف مواقف المجد والتاريخ والبطولة لليبيين الأحرار، كقصائد شوقي ومحرم والرافعى والكاظمى وحافظ والرصافى وإقبال وغيرهم من أئمة الشعر وقادة الحركة الأدبية فى الشرق العربى والإسلامى... فأخذ الأدباء والشعراء الليبييون يسابقون هذه الأحداث، يصفونها ويتحدثون عنها، ويعبرون عن مشاعر أمتهم وآلامها فى هذه الحقبة الحافلة بالمفاجآت...

واستمرت الحرب بين جيوش الغـزاة المسلحين بكـل أنواع الأسلحـة الحديثة وبين المجاهدين العزل من السلاح، وبدأ الاستعمار يضع قدمه على أرض الوطن الجريح، وبدأ ينشب أظفاره فى كل ميادين النهضة والتقدم في ليبيا يمزقها تمزيقاً، وبدأ ينتقم من الأبرياء فى كل مكان، ويقاوم كل مقومات الأمـة المجاهـدة، فحارب الـدين، وحارب اللغـة العربيـة، وحارب العلم والصحـافة، وحـارب كل شيء يمكن أن يـذكر الليبيـين بماضيهم وتـراثهم وبعروبتهم.. وبدأ الكثير من الأدباء والشعـراء الليبيين يهـاجرون إلى شتى بلدان الشرق العربى، إلى مصر والشام والعراق وتونس والمغرب، وإلى تركيا،

وإلى السودان؛ وبدأت الحركة الأدبية تفتر فى داخل ليبيا قليلاً قليلاً، وسرعان ما مرت الأيام وتلاحقت الأحداث، وطرد الإيطاليون من أرض ليبيا المجاهدة الحرة عام ١٩٤٣ بعد اثنين وثلاثين عاماً مملوءة بالكفاح والدماء وغالى التضحيات؛ وبدأ المهاجرون يعودون إلى بلادهم شيئاً فشيئاً، وبدأ الأمن والطمأنينة تسود البلاد؛ ومع فجر الاستقلال بدأت الحركة الأدبية فى كل مجالاتها تزحف زحفاً فى سبيل التقدم والازدهار، متأثرة بعوامل كثيرة عديدة منها:

١ ـ رقى النهضة الثقافية فى شتى بلاد الشرق العربى، وخاصة فى الجارة العربية الكبرى الشقيقة مصر.

٢ ـ تعدد المدارس والمذاهب الأدبية والشعرية فى العالم العربى فهناك التيار الكلاسيكى والرومانسى والرمزى والواقعى والسريالى والوجودى؛ وهناك مدرسة شعراء الديوان، مدرسة شعراء أبولو، وهناك مدرسة عربية أخرى تطل بمذاهبها وتياراتها على العالم العربى من بعيد، وهى مدرسة شعراء المهجر؛ وهناك أعلام الأدباء والشعراء فى كل مكان، يقرأ الليبيون أدبهم وشعرهم فى الدواوين والكتب والصحف والمجلات ويستمعون لهم فى مختلف الإذاعات والندوات؛ ومن بينهم الزهاوى والرصافى والكاظمي وبشارة الخورى وأبو ريشة وشوقى وحافظ وشكرى والعقاد ومطران والمازنى وأبو شادى وطه حسين وهيكل وأحمد أمين وزكى مبارك والزيات وعلى محمود طه وإبراهيم ناجى والشابى والتيجانى بشير وجبران وإيليا أبو ماضي وإلياس فرحات والشاعر القروى وسواهم.

وهناك المجلات الأدبية الكبرى ومن بينها «الرسالة» «والثقافة» فى مصر، و«الأديب» و«الآداب» فى لبنان وسواها.

٣ ـ البعث الجديد لتراثنا الأدبى القديم، وقد نهض هذا البعث وقوى واستحكم بفضل مصر، وجارتها فى ذلك لبنان والعراق وسوريا.

٤ ـ أثر الجامعات العربية الكبرى، وفى مقدمتها الأزهر الشريف وجامعة

محمد بن على السنوسى الإسلامية، والجامعة الليبية، وجامعة الـزيتونـة ومدرسة القرويين، وجامعات القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد والـرباط وغيرها.

٥ ـ اتصـال الأدباء فى ليبيـا بمختلف النهضات الأدبيـة فى الشرق والغـرب وتأثرهم بها.

٦ ـ رقى الدراسات الأدبية والعربية فى ليبيا، ولكلية اللغة العربية فى الجامعة الإسلامية بالبيضاء أثرها الكبير فى هذا المجال، وعميدها الشيخ إبراهيم رفيدة من أكثر الشباب الليبى اطلاعاً وأوسعهم ثقافة، وأشدهم وقوفاً على مختلف التيارات الأدبية والفكرية والإسلامية، وقد تخرج من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف.

- ٢ -

وهكذا تمتد جذور النهضة الأدبية فى ليبيا إلى أعماق ماض بعيد، فقد رافقت طـلائـع النهضـة الأولى فى الشرق العـربى، وتلقت عنـه الـدفقـات الإشعاعية التى بعثت روح الحياة فى هيكلها الجامد. وبدأت بواكير النهضة الأدبية فى المعهد الجديد تتخذ مظاهر عديدة، وأخذ الأدباء يسيرون فى تيارات النزعات التجديدية، ويواكبون تطورات النهضة الأدبية فى العالم العربى، وأخذ الشعراء ينظمون شعرهم، الجامع لجزالة القديم ورقة الحديث، والمحتوى على دقة المعنى وروعة التصوير.. حتى فى ميدان النقد والمقالة والقصة والمسرحية بدأ الأدباء الليبيون يزحفون مع أدباء مصر ولبنان وتونس وسوريا والعراق والمغرب والسودان، ولعلى مصطفى المصراتى مجموعة قصصية عنوانها «مرسال» ولغيره من أدباء الشباب الليبيين مجموعات قصصية كثيرة[١]... ومن احتفال

(١) يتحدث الأستاذ على مصطفى المصراتى عن القصة فى الأدب الليبى فيقول: مقومات القصة فى ليبيا كثيرة، وينابيع القصة والمسرحية وفيرة، فقد خلفت منها الأحداث مسرحاً لروائع القصص (راجع صـ ٧ ـ ١٣ لمحات أدبية عن ليبيا).

الشعب الليبى بالرواية والمسرح قيام فرق كثيرة للتمثيل فى سنوات قلائل، ومنها الفرقة القومية للتمثيل والموسيقى، وفرقة الاتحاد.

الأدب الليبى المعاصر

عادت ليبيا العربية الحرة إلى الظهور وإلى الإسهام فى الحقلين الثقافى والأدبى من جديد وعادت لمدنها صبغتها العربية الإسلامية مرة أخرى، وحفلت عواصمها فى الأقاليم الشرقية والجنوبية بمختلف النشاط الأدبى والعقلى، كما كانت من قبل فى مختلف عصورها الإسلامية. وأخذ المفكرون والأدباء والعلماء فيها يعملون فى سبيل إيجاد بيئة ثقافية متطورة تقف فى مستوى واحد مع شتى البيئات الثقافية فى العالم العربى.

وكان للاستقلال الوطنى الليبى، الدينى والفكرى والأدبى فى بلاده، ولغيرة المسئولين والمثقفين أثر كبير فى هذا الاتجاه الجديد وفى نموه وازدهاره.

ووقفت جامعتا ليبيا الفتيتان الجامعة الإسلامية فى البيضاء والجامعة المدنية فى بنيغازى وطرابلس تكافحان من أجل تأسيس وإنماء البيئة الثقافية الجديدة فى الوطن الليبى العظيم.

ووراء ذلك كله وقف التاريخ الليبى العريق بكل حيويته وبطولاته وإشعاعه الروحى والفكرى والأدبى يؤيد حركة البعث الجديد فى ليبيا العربية المعاصرة، تاريخ ليبيا قبل الإسلام الذى تمثله مراكز الحضارة الإغريقية فيها وبخاصة مدينة قورنى التاريخية ذات الشهرة العالمية بآثارها وحضارتها ومفكريها وفلاسفتها وعلمائها وجامعاتها، والذى تمثله مراكز الحضارة الفينيقية والرومانية فيها كذلك فى مختلف عصورها، وتاريخها بعد الإسلام فى شتى بطولاته ومواقفه وروائع آثاره وعظمة انتصاراته وذروة إبداعه وإثرائه للحضارة العربية الإسلامية، ثم تاريخها المعاصر كذلك بكل ما حققه من أعمال وما شارك فيه

من نضال وما ناله من نصر قومي رفيع على كل عوامل التخلف والاحتلال والجمود، وكانت الانتصارات الليبية فى خلال القرن العشرين على جيوش الاحتلال الإيطالى مضرب الأمثال فى كل مكان على حيوية هذا الشعب وقدرته الفائقة على الاحتفاظ بمكاسبه وحريته وعروبته ودينه، وعلى مدى تغلغل الروح الوطنى فى نفوس المواطنين وإيمانهم بربهم ودينهم ووطنهم، وحبهم للحرية التى هى جزء لا يتجزأ من حياتهم.

هذه العوامل كلها هى من مقومات الأدب الليبى المعاصر، الذى شارك فى إبداعه وعمل على ازدهاره أجيال كثيرة من أدباء ليبيا المعاصرين، شبابهم وشيوخهم على السواء.

وقد ظهرت فى هذا الأدب آثار المحاكاة للآداب العربية المتجددة فى مختلف شعوب العالم العربى وبخاصة مصر الجارة الكبرى الشقيقة لليبيا، وتأثير الأدباء والشعراء والمفكرين المصريين فى ثقافة ليبيا المعاصرة وفى شتى ألوان الأدب وفنونه فيها واضح جلى؛ وإن كان هناك تأثيرات مختلفة للأدب المهجرى وللأدب الغربى وللآداب العالمية إلا أنها ليست من الظهور والقوة بمكان كبير.

والشعر الليبى يحلق فى الجانب الغنائى والوصفى والوطنى والقومى، وقد جدت آداب اجتماعية وقصصية وتاريخية إلا أنها لا تزال فى طور النمو والتكوين، والنقد والأدب المسرحى لا يزالان فى مرحلة النمو كذلك. ومشاركة الأدباء الليبيين فى مجالات العروبة والإسلام مشاركة فعلية مؤثرة واضحة.

ومع تضافر كل العوامل الممهدة لنضهة الأدب وازدهاره وتقدمه فى هذا الإقليم العربى الكبير فإننا نتطلع إلى مستقبل عظيم مزدهر للأدب الليبى المعاصر.

ولقد حبا الله ليبيا طبيعة خلابة، فوق ما حباها به من تاريخ عريق وحضارات قديمة وآثار خالدة، والليبى على العموم يمتاز بالذكاء والمواهب

العالية والفطرة السليمة وبروح التدين العميق، وبحب البساطة، وبالقدرة الفائقة على الإبداع فى شتى مجالات الأدب والثقافة. وإذا كان ميله إلى التقليد ظاهراً، فإن هذا التقليد دائماً سلاحه إلى الأصالة والشخصية المستقلة والإبداع العقلى.

ومن كل هذه الصفات العقلية نرجو للأدباء الليبيين مستقبلاً طيباً فى خدمة آداب بلادهم خاصة والأدب العربى الجديد بصفة عامة.

وإذا كان الرخاء الكبير الذى حققه تضال الإدريس وشعبه لهذه البلاد عاملاً كبيراً مساعداً على خدمة الثقافة والأدب وعلى العمل على نموهما وازدهارهما، فإننا نرجو أن يبتعد شباب هذه البلاد عن الآثار الضارة التى يخلفها أمثال هذا الرخاء فى بعض المجتمعات الأخرى، من أمثال الكسل العقلى وترك أعباء البحث والنشاط الفكرى وعدم تحمل المسئولية الأدبية، وغير ذلك من النتائج الضارة التى تعوق نهضة الأمم وتقدمها.

ومن إلهام النضال القومى فى ليبيا المتمثل فى تصميم هذا الشعب على بناء حاضر قوى ومستقبل مزدهر، نتطلع إلى الشباب الليبى بكل مقدراته وحيويته وقوته، لأنه عدة هذا الوطن فى معركة البناء والتجديد، ولأنه دائماً الذى يبنى النهضات القومية والفكرية والأدبية ويغذيها بروحه وطموحه وقوته.

وعندما يكثر خريجو جامعات ليبيا، لا شك أنهم سوف يحملون أمانة الأدب الليبى المعاصر وسيبشرون بحياة أدبية جديدة واضحة المعالم والشخصية، ظاهرة السمات والألوان الفنية، وسوف يعملون فى مجال الإبداع الفنى والأدبى والإنسانى بكل ما فيهم من طاقات.

إن المستقبل واسع مفتوح الأبواب والمنافذ أمام الأدب الليبى الجديد، وأمام الأدباء الليبيين ذوى الميل إلى الأصالة والموهبة والحرية الفنية.

وعندما تنمو الصبغة الإنسانية والإسلامية وتستكمل شتى عناصرها ومقوماتها فى هذه البلاد، لا شك أننا سوف نرى حينئذ من المواهب فوق هذه التربة الزكية الطاهرة أضعاف أضعاف ما نحلم به اليوم.

والمستقبل قريب، وهو يتمثل فى خيوط الفجر الجديد الذى تنسجه أيدى الحاضر الحر والغد المشرق بتوجيه من الإدريس العظيم ومن جيل النضال الحر القومى المنتصر فى وطن الأحرار والتاريخ، فى ليبيا العربية المسلمة.

ونحن لا نزعم أن الأدب العربى المعاصر فى ليبيا قد بلغ كل ما نتمناه له من قوة وازدهار، فما زال أمام أدباء ليبيا الكثير من الجهود الشاقة لبلوغ مثل هذه المرحلة؛ وإلى أن يظهر من الأدباء والشعراء والنقاد طبقات جديدة من خريجى المدارس[1] والمعاهد والجامعات فى الوطن الليبى نفسه ومن خريجى جامعات الأمم العربية وأمم الغرب التي يكمل فيها الشباب الليبى تعليمه، فإن الحركة الأدبية سوف تستمر، بفضل الدفع الذاتى، وبفضل رعاية الإدريس وحكومته وشعبه للنهضة الثقافية والأدبية؛ ولكن اليوم الذي يشعر فيه الشباب الليبى بمسئوليتهم، ويسيرون فى ميدان الطموح والجد والمثابرة، ويتفرغون للأدب والشعر والدراسات العربية، هو اليوم الذي سوف تزدهر فيه الحركة الأدبية، وتؤتى أكلها الطيب.

وأعلام الأدب الليبى المعاصر[2] من أشهرهم: خليفة التليسى، وعبدالله القويرى، وفؤاد كعبازى، وعلى مصطفى المصراتى.

والنهضة الأدبية المعاصرة لا تزال تسير بخطى ثابتة نحو التقدم والازدهار معتمدة على بواعث الإحياء الأدبى الجديد فى الوطن الليبى العظيم، ويساندها كل المسئولين فى ليبيا، وبخاصة رجال الفكر والثقافة.

---

(١) يبلغ عدد الطلاب عام ١٩٦٥ فى المرحلة الابتدائية بليبيا ١٥٤٥٩٢ وعدد المدرسين فيها ٥٠٨١، وعدد طلاب المرحلة الإعدادية ١٧٥٤٨ وعدد المدرسين فيها ٩٦٤. وعدد طلاب المرحلة الثانوية ٢٥٩٩ وعدد المدرسين فيها ٣٠٠، وعدد طلاب الفنية الإعدادية ٩١٦ طالباً وطلاب الفنية الثانوية ٢٧٤ طالباً وعدد طلاب معاهد المعلمين والمعلمات ٢٤٠٧ طالباً وعدد المدرسين فيها ١٦٠ مدرساً.

(٢) راجع فى مجلة الأديب اللبنانية (عدد ديسمبر ١٩٦٦) مقالاً للأديب الأردنى عيسى الناعورى بعنوان «الحركة الأدبية في ليبيا».

الفصل السابع

بعض سمات الأدب الحديث

١ ـ اختلاف أذواق الأدباء:

لقد اختلفت أذواق الأدباء بحكم اختلاف ثقافتهم وميولهم العقلية والمؤثرات فى تكوينهم الأدبى.

«ففى مطلع[١] القرن الحالى نجد المجتمع الليبى تتنازعه ثقافتان، وتؤثر فيه حضارتان:

حضارة تركية تعود بتقاليدها الموروثة إلى القرون الوسطى وعصر النهضة، ليست هى بالعربية وإن اتسمت فى بعض ملامحها بالمظهر الإسلامى، وثقافة تركية ليست لغتها وأساليب تفكيرها بالعربية ما دامت لها ثقافاتها فى لغة التركمان وآدابها ذات المفهوم التركى الطورانى... وحضارة عربية أصيلة طابعها العروبة وروحها مستمدة من تعاليم الإسلام، وثقافة عربية لغتها وآدابها وتراثها فى لغة الضاد... وبالرغم من اختلاف الحضارتين فى جذورهما التاريخية، وتباين الثقافتين فى اتجاهاتها الفكرية، فإن تجاورهما وتمازجهما واتحادهما فى أكثر من مظهر، قد قلل من حالات القلق النفسى للمجتمع الذى ينشأ عادة من تصادم الحضارات. لقد كانت الثقافة والحضارة التركية ترتكزان فيما ترتكزان عليه على مبدأ الخلافة وهى مظهر عربى إسلامى، وكانت صوفية الاتجاه إلى حد بعيد، وهذا أيضاً هو اتجاه الحضارة والثقافة العربية فى ذاك العهد، وكانت الحضارة التركية إسلامية العقيدة

---

(١) من مقال بعنوان «أزمة الثقافة فى المجتمع الليبى الحديث» لمحمد مصطفى بازامة ـ مجلة الرواد الليبية.

والتشريع وهى فى هذا لا تختلف عن الحضارة العربية آنذاك وهذه الأسس الحضارية ـ الثقافية المشتركة ـ بين الحضارتين قللت كما سبق أن ذكرت ـ من حالات القلق النفسى للمجتمع دون أن تقضى عليها لتعدد الفروق الأخرى المتصلة بالأخلاق والمثل والتقاليد والمفاهيم وغير ذلك من شئون الفكر والحياة.

وبنهاية سنة ١٩١١ أطلت على ليبيا حضارة وثقافة ثالثة جاءتها فى ركاب الغزاة المستعمرين، ذات جذور حضارية وتاريخية مختلفة فى كل شيء عن الحضارتين والثقافتين السابقتين، ومعادية لهما فى نفس الوقت، أساسها الدينى المسيحية لا الإسلام، وثقافتها الرومانية ذات الجذور اللاتينية اليونانية لا صلة لها بتراث العرب أو الأتراك لا من حيث اللغة ولا من حيث المضمون الحضارى الثقافى العام.

واذا كان المجتمع الليبى قد قاوم التأثير الحضارى الثقافى لهؤلاء الغزاة لاقتران مجيئهما بالغزو المسلح، فإن أصحاب هذه الحضارة والثقافة الحادثتين قد عملوا على فرضهما على المجتمع الليبى مستغلين سلطانهم ونفوذهم السياسى على البلاد وأهلها.

وإذا كانت هذه الحضارة الإيطالية الحادثة قد فشلت فى القضاء على الأسس الحضارية السابقة لها فانها لم تعدم مع ذلك فجوات أو ثغرات تتسرب منها إلى بعض طبقات المجتمع، ولا سيما ناشئة جميع الطبقات. . وفى السنوات الأخيرة التى سبقت الحرب العالمية الثانية كنت تجد بين الليبيين شباباً يجيد الإيطالية أكثر مما يجيد لغة قومه، ويحاكى فى ملبسه ومأكله ومأواه وأسلوب حياته الإيطاليين ولا يرى فى لغة وثقافة آبائه، ولا فى تقاليدهم وظروف حياتهم، ما يستحق أن يحرص عليه. وكان من الممكن أن يتزايد عدد هؤلاء مع الأيام لو مد لأصحاب هذه الحضارة فى الزمن أكثر مما بقوه كسادة يحكمون البلاد.

ولقد كانت هناك فرصة كبرى لتعايش الحضارتين العربية والتركية فى

المجتمع الليبى بعامل الزمن المديد الذى امتد بضعة قرون. ولكن ليس هذا التعايش يمكن مع الحضارة ذات الجذور التاريخية الحضارية القائمة على أساس عقائدى مختلف كل الاختلاف عن الأساس العقائدى الذى قامت عليه الحضارتان التركية والعربية، وعلى دعائم ثقافية منفصلة تمام الانفصال عن الدعائم الثقافية لأى من الثقافتين السابقتين، لذلك بدأت بوادر الأزمة الثقافية قبل الحرب العالمية الثانية فى المجتمع الليبى بين الجيلين اللذين اختلفت أيديويلجية نشأة أحدهما عن الآخر.

ومع نهاية الصراع المسلح بين المحور والحلفاء فى البلاد لغير صالح الإيطاليين، انتهى الضغط الحضارى الثقافى الذى جثم على المجتمع الليبى قرابة نصف قرن من الزمان وإن ترك وراءه رواسب حضارية وثقافية لا يمكن إغفالها، وقد تراكمت هذه الرواسب الحضارية الثقافية إلى جانب الرواسب الحضارية والثقافية للحضارتين التركية والعربية؛ غير أن انحسار المد الثقافى الحضارى الإيطالى لم يمكن المجتمع من العودة للتأثر بحضارتيه السابقتين أو أحدهما. ولا ترك المجتمع الليبى في حالة فراغ كاملة ليس له من مؤثر حضارى غير رواسب الحضارات الثلاث، فقد سيطرت على أقاليم المملكة الثلاثة سلطات احتلال انجليزية وفرنسية استمر حكمها للبلاد فترة من الزمن قصيرة لم يصحب حكمهم مد حضارى فرنسى وانجليزى مؤثر لاصطباغ حكم هذه الفترة بالطابع العسكرى العازل نفسه بنظمه الصارمة عن التأثر وعن التأثير الاجتماعى المباشر. على أن ما صاحب هذا العهد من انهيار للستار الحديدى المفروض من قبل السلطات الفاشستية واتصال المجتمع الليبي مباشرة بالحضارة والثقافة العربية الحديثة التي اتخذت لها طابعاً معيناً فى مصر وآخر فى تونس وثالث في الشام ورابع فى العراق.

وهى جميعها حضارات عربية قائمة على أسس حضارية وثقافية واحدة فى جميع هذه البلدان.

وإذا كان المجتمع الليبى قد تخلى بسرعة مذهلة عن الكثير جداً من

المظاهر والمفاهيم الحضارية والثقافية التى حاولت إيطاليا الفاشستية بكل ثقل سلطانها أن تعمق جذورها بين جماعاته وأفراده طيلة فترة حكمها الدكتاتورى المستبد، وإذا أقبل الليبيون فى استجابة كلية للتأثير الحضارى الثقافى العربى الحديث، فلأن فى أصالة عرقه العربى عروبة قويت مع الصراع ضد محاولات المستعمر، ولأن المجتمع الليبى وجد فى الاستجابة لتأثير هذه الحضارة العربية بعد أن تحطم السور الحديدى المفتعل الذى أقامه الاستعمار عودة الفرع إلى أصله، والجزء إلى كله.

وإلى جانب هذه الحضارات والثقافات الأربع نجد المجتمع الليبى قد فتح ذراعيه للعالم يستقبل نماذج حضاراته المختلفة وثقافاته المتعددة، وأوفد ويوفد طليعة شبابه إلى مختلف بلدان العالم للتزود بالعلم والمعرفة العالية، وقد عاد بعض هؤلاء، وقد تأثروا بحضارات وثقافات مختلفة: إيطالية، فرنسية، انجليزية، أسبانية، أمريكية، المانية. . . الخ. وكل منهم قد درس بلغة وعاش حياة أهل البلد التى أثرت على تكوينه العقلى والاجتماعى، وهذا التأثير بكل تأكيد مغاير لما عليه بلاده وقومه. وبالرغم من قلة عدد هؤلاء نسبياً فى الأمة فإن كونهم طليعة مثقفيها، وقادة حركتها الفكرية الثقافية، جعلهم أو سيجعلهم يؤثرون فى مجتمعهم بعض التأثير.

هذه الحضارات جميعها تعاقبت وتقابلت وتعايشت أو تنافرت وعاشها المجتمع الليبى فى مدى أكثر قليلاً من نصف قرن واحد من الزمان. وجميعها باستثناء الأولى والثانية قد طرأت على البلاد وأهلها طفرة، وفرضت وجودها إما بقوة السلطان العسكرى وإما بقوة النفوذ العلمى نتيجة تكوين عقليات الناس وبمختلف وسائل التثقيف والاعلام، وتزاحمها فى جيل واحد ومجتمع واحد، دون أن تنصهر جميعاً فى حضارة واحدة مشتركة هو الذى سبب ويسبب ما بينها من تباين واختلاف فى النظرة الأخلاقية للمفاهيم الاجتماعية وأوضاع المجتمع. . هذه الأزمة الثقافية التى يعيشها مجتمعنا فى النصف الثانى من القرن العشرين. .

وقد ترك كل ذلك ظلاله على الأدب الليبى الحديث. وإن كان أثر

العربية وثقافاتها وأذواقها هو السائد فى الأدب الليبى المعاصر.

٢ ـ القلق والسأم:

وهناك سمة أدبية عامة في الأدب العالمى المعاصر، هى سمة القلق والسأم، وهذا الطابع قد ترك آثاره أيضاً فى الأدب الليبى المعاصر، حيث ظهر الطابع المتشائم المضطرب الذى تتسم به كل من القصيدة والقصة.

ولنأخذ مثلاً على ذلك سطور من قصة قصيرة لأحد الكتاب الشباب تبين لنا مدى الحيرة والضياع الذى تعبر عنه قصته «الدوامة»:

«دس أنفه وسط كتلة المتفرجين لا رغبة فى أن يعرف نتائج المباراة ولكن كى يفقد وجوده يريد أن يذوب أو يختفى... وما أن هزت الكرة إحدى الشباك حتى ثار حماس الجماهير وانقلب الهدوء إلى ضوضاء لا حدود لها.. وانتبه «منصور» إلى نفسه فترك مكانه شاقاً طريقه وسط الزحام وكأنه هارب خرج من الباب واحتضن الهدوء فى ارتياح. إنه يكره الوحدة ويكره الضوضاء فى الوقت نفسه، يرتاح فقط لمجموعة صامتة لا تتكلم. ومرة أخرى وجد نفسه وحيداً يجرى تسوقه دوامة من الوساوس باحثاً عن الصمت، وأثناء جريه رمق إحدى المركبات العامة المزدحمة بالناس فرمى ثقله كله بداخلها وكأنه يدفن نفسه، ويغطيها بالأجساد. إنه لا يعرف بالتحديد لماذا فعل ذلك، ولا يهمه المكان الذاهب إليه، إنما يريد أن ينسى وجوده».

٣ ـ ظهور المدارس الحديثة فى الأدب والشعر الليبى المعاصر:

وهذه المدارس معقدة ومنوعة من كلاسيكية وورومانسية وواقعية، ومن شعر عمودى وشعر جديد، ومن مختلف مذاهب الآداب المعاصرة فى الغرب وفى الشرق على السواء.. وسوف نعرض لذلك بالتفصيل فيما يلى من فصول.

٤ ـ اختلاف مضمون الأدب عن مضمونه فى العصور السابقة، واهتمام الأدباء الليبيين بالحياة وبمجتمعهم، وبالعمل من أجل بناء أمتهم، وإثراء الفكر فيها، وإضافة الجديد من الثقافات الإنسانية إلى ثقافة بلادهم، والاهتمام بمشكلات الإنسان الليبى والحديث عنه، والاستماع إليه.. وهذا التيار الإنساني فى الأدب حيوى وضرورى فى تقدمه وازدهاره ونهضته، يقول سارتر:

ليس هناك أشأم من الإنشاء الأدبى الذى يسمونه النثر الشعرى، وهو يتلخص فى استعمال الكلمات من أجل الأنغام المظلمة التى تصدى حولها، والتى هى مصوغة من معان مبهمة تتناقض والمفهوم الواضح... ويقول كذلك: الأدب دائماً وأبداً وظيفة اجتماعية.

الفصــل الثـامن

النثر فى الأدب الليبى الحديث

القصة فى الأدب الليبى المعاصر

عنى الأدباء الليبيون بكتابة القصـة شعراً ونثـراً، ومن كتاب القصـة النثرية: على مصطفى المصراتى، وزعيمة البارونى، وكـامل المقهـور، وأحمد العنيزى وعبد السلام شلوف؛ ومن كتاب القصة الشعرية الشاعر أحمد رفيق المهدوى.

وقد كتب الأستاذ على مصطفى المصراتى في مقدمة كتابه «لمحات أدبية عن ليبيا» يقول عن القصة فى ليبيا: إن جميع مقوماتها موجودة متوفرة لدى الأدباء الليبيين، فتاريخ ليبيا القديم وتاريخها العربى الإسلامى، وتاريخ تفوقها البحرى فى عهد أسرة القره مانللي، وتاريخ كفاحها ضد الاستعمار الإيطالى، كل ذلك مادة حية زاخرة وحافلة بموضوعات قصصية مثيرة.

وللأستاذ المصراتى مجموعته القصصية مرسال؛ وهى ذات صبغة قومية واجتماعية، وتحتوى على اثنتى عشرة قصة من بينها قصة «مرسال» التى سميت المجموعة بها، ومرسال اسم رجل ليبى مكافح منـاضل فى سبيـل العيش، وتزوج ورزق بولد سماه عنتر، وكان أمله أن يصير بطلاً شجاعاً كعنتر. وبعد أن بلغ عمر عنتر بضع سنوات مرض واشتد مرضه فذهب والده يبحث عن طبيب ليرى ابنه المريض، وأخذ يطوف فى مدينة طرابلس بـالأطباء واحـداً واحداً، فلا يلبى واحـد منهم نداء الإنسانية ولا دعوة مرسال له ليرى ابنه

المريض في كوخه، حتى لبى آخر الأمر طبيب شاب دعوته، وذهب معه فكشف عليه وكتب له (روشتة) دواء ومنحه بعض المال، وذهب مرسال ليأتى بالدواء، فوجد الصيدليات ما بين مغلقة وبين مهملة، وبين أخرى ليس بها الدواء المطلوب، إلى أن ذهب آخر الأمر لصيدلية وجد الدواء لديها لكنه ليس معه كل ثمن الدواء، فذهب إلى أصدقائه على المقاهى يبحث عنهم ليقترض من أحدهم ثمن الدواء فوجدهم سكارى، ولم يلب أحد منهم له طلباً، ففكر فى الطبيب الشاب، فذهب إليه فوجده فى السينما فانتظره حتى عاد مساء، وطلب منه أن يكمل له ثمن الدواء، ولبى الطبيب الإنسان طلبه، ومنحه باقى ثمن الدواء، فهرول مرسال إلى الصيدلية واشتراه، وجرى إلى كوخه فوجد ابنه عنتر قد فارقت روحه الحياة، وكان ذلك ليلة العيد، العيد الذى لا ينساه؛ ولعل الأستاذ المصراتى كان يقصد من ورائها تصوير حياة بعض المكافحين من أبناء الوطن الليبى، أو لعله كان يقصد من ورائها نقد أخلاق بعض الأطباء فى وطنه، أو لعله يقصدهما معاً، ولكن الأستاذ المصراتى كان يجب أن يقف وقفة طويلة بعض الشيء عند هذا الطبيب الشاب، وفى هذه القصة ما يثير التساؤل، فقد ذكر كاتب القصة أن الطبيب منح مرسال نصف جنيه لشراء الدواء، ثم ذكر أن مرسال حين ذهب إلى الصيدلية الأخيرة التى وجد عندها الدواء لم يجد فى جيبه إلا قرشين، وبعد جهد ووقت منحه الطبيب الشاب جنيهاً آخر؛ وذلك كله يدل على أنه كان فى جيب مرسال أكثر من قرشين.

وفى صدر مجموعة مرسال قصة رائعة بعنوان «غائب فى الحبشة» تحكى قصة شاب ليبى جنده الطليان للحرب في الحبشة فانضم إلى الحبشيين وحارب فى صفوفهم أعداء وطنه الإيطاليين وأسرته القوات الإيطالية وأعدمته... والقصة تصور أمه العجوز وقد جاءت إلى مقهى ومعها ظرف وورقة ووقفت أمام الكاتب وطلبت منه أن يكتب خطاباً إلى ابنها منصور فى الحبشة الذى غاب عنها عشرين عاماً دون أن يعود أو يكتب إليها خطاباً وسأل عن بقية اسم منصور فقالت له: منصور بن حليمة؛ كان أبوه من شهداء معركة الحانى بالقرب من طرابلس ضد الإيطاليين، وظلت تتحدث عن أبيه الفارس البطل

طويلاً، وسألها عن عنوانه فى الحبشة فقالت له: اكتب (بر الأحباش)... والقصة ذات مضمون وطنى رائع، وهى حقاً من أجمل قصص المجموعة.

وللأستاذ الصراق مجموعة قصصية جديدة صدرت بعنوان «حفنة من رماد».

والمصراتى من خيرة أدباء ليبيا وشبابها العاملين فى حقل الثقافة والأدب، تخرج من الأزهر الشريف، وعاد إلى بلاده مع فجر الاستقلال يسهم بروحه ونشاطه وجهده فى بناء وطنه، وشغل وظائف عدة فى الصحافة والإذاعة، وانتخب نائباً فى مجلس الأمة الليبى عدة مرات، وقد صرف أغلب وقته فى الاطلاع والقراءة والكتابة وهو كاتب منتج طرق أكثر فنون الكتابة فى الأدب والصحافة ومختلف شئون الفكر والثقافة، ويحتل فى ميدان القصة الليبية مكاناً مرموقاً، وهو ينقلنا مع ابطال قصصه الى أعماق المشكلات الشعبية فى وطنه ليبيا، بأسلوب شيق محبب، ولمحات بارعة فى الوصف والتحليل والنقد والدعوة إلى التقدم.

وله فى الترجمة الأدبية، وفى الدراسات التاريخية، وفى فن المقالة، وبخاصة المقالة الصحفية باع طويل..

ولعلى مصطفى المصراتى الكثير من المؤلفات فى الأدب، ومنها:

١ - أعلام من طرابلس.
٢ - لمحات أدبية عن ليبيا.
٣ - إبراهيم الأسطى عمر.
٤ - جحا فى ليبيا.
٥ - صحافة ليبيا فى نصف قرن.
٦ - غومه فارس الصحراء.
٧ - كفاح صحفى - أبو قشة وجريدته فى طرابلس الغرب.
٨ - أسد بن الفرات: فاتح صقلية.
٩ - قنديل ومولد.

١٠ ـ دراسة فى الأدب الشعبى.
١١ ـ المجتمع الليبى من خلال أمثاله الشعبية.
١٢ ـ مرسال وقصص ليبية أخرى.
١٣ ـ أحمد الشارف.
١٤ ـ ابن حمديس الصقلى.
١٥ ـ ابن غلبون المؤرخ.

وسوى ذلك من المؤلفات.

ومن القصص الجديدة التى ظهرت فى ليبيا أخيراً: المجموعة القصصية «البحر لا ماء فيه» لأحمد إبراهيم الفقيه وفى صدرها كلمة عن القصة الليبية للأستاذ كامل المقهور جاء فيها أن القصة الليبية كانت أقرب الأشكال الأدبية مواكبة للنهضة الثقافية العربية وأكثرها تمثيلاً للوجه الثقافى لهذا الشعب، مما جعلها تتبوأ هذه المكانة التى تحتلها.

وظهرت مجموعة قصصية أخرى بعنوان الجدار للأديب يوسف الشريف.

وللكاتبة الأديبة القصصية «زعيمة سليمان البارونى»، بنت الزعيم الوطنى الخالد «سليمان البارونى» مجموعة قصصية جميلة عنوانها «القصص القومى» كتبتها عام ١٩٥٣، ونشرت بعضها فى جريدة «طرابلس الغرب»، ومجلة «صوت المربى»، ومجلة «هنا طرابلس الغرب»، ثم نشرتها عام ١٩٥٨، حيث طبعت فى المطبعة العالمية بالقاهرة، وتحتوى على إحدى عشرة قصة ذات مضامين قومية وتاريخية واجتماعية، وقصتها «قدسية الأمومة» رائعة حقاً، وتصور قصة امرأة ليبية اسمها «سليمة» مات زوجها الشاب وترك طفلاً صغيراً اسمه «ميلود»، ورعته أمه حتى كبر وتزوج وأنجب أولاداً ثم ظهر عقوقه لأمه، فخرجت أمه إلى غابة بعيدة عن القرية «قرية أفطرس» فى طرابلس الغرب، وتعلق بها حفيدها، وحاولت أن يعود إلى أبيه وأمه فرفض، وقادها الطريق إلى غابة معشوشبة وكان الفصل صيفاً، فجلست وأكلت هى

وحفيدها بعض تمرات كانت معها وشربت من كوز صغير أتت به معهـا، وظلت على ذلك، ونفد التمر ونفد الماء، فتضرعت إلى الله، حتى وهبها عين ماء، ورزقها تمراً، وأخذت تعبد الله وتنسج على مغزلها الصغير، وعثر الرعاة بالطفل فى المكان، فأخبر أباه الذي كان يبحث عنه وعن أمه فأسرع إليهما، ورفضت أن تعود معه، وبنى لها هو وأهله حجرة مشمسة، وأتوا لها ببعض معزات، وظلت تعبد الله، وأهل القرية يزورونها فيجدون عندها الخير والبركة والتقوى، وهى تكرم الوافدين، وتطعم المسافـرين، وتبارك خـطواتهم حتى لقبوها «أم القِرَب» لسماحة طبعها وجودها، ومرض حفيدها ومات، فحزنت لموته، وتوفيت بعده بقليل، وأصبح ضريحها مزاراً، وبنى الناس عليها مسجد أم القرب الشهير.

هذه هى صور وألوان من القصة النثرية فى الأدب الليبى المعـاصر، نكتفى بها فى هذا المقام...

فنون أخرى للنثر

النقد ـ الدراسات الأدبية ـ المسرحية ـ المقالة

تعددت ألوان النثر الأدبي الحديث فى ليبيا فشملت فيما تناولته: النقد، والدراسات الأدبية، والمسرحية، والمقالة.

أما المسرحية فقد كتبها الأدباء الليبيون نثراً، كما رأيناهم أيضاً كتبـوا العديد من المسرحيات الشعرية.. والمسرحية النثرية لصعوبتها قليلة فى الأدب الليبى، وقد أدى إلى نشوئها، قيام المسرح الليبى، ووجود الإذاعة، وعـما قريب يوجد التليفزيون أيضاً، وكانت المسرحيات المترجمة عن الاداب الاوربية والمسرحيات التي أخذت عن الآداب العربية المعاصرة هى السائدة فى ليبيا، ثم بدأ الأدباء الليبيون يكتبون المسرحيات، ومن بينهم: عبد ربـه الغناى. وكان قد درس الفن المسرحى فى المعهد المسرحى العالى فى القاهرة، متتلمذاً على دريني خشبة وغيره من أساتذته.

وكذلك غيره من أدباء ليبيا المعاصرين.

والدراسات الأدبيـة والنقد من أعـلامها الأديب الليبى الكبـير **خليفة** التليسى فى دراسته «رفيق شاعر الوطن»، وفى دراستـه الأخرى عن جـبران والشابى، ومن الأعلام فى هذا الباب أيضاً الليبى على مصطفى المصراتى، وقد نبغ أيضاً فى فن النقد وتحقيق التراث.

وأما الدراسات العلمية والتحقيق فمن أعلامه فى ليبيا كذلك: مصطفى بعيو، والشيخ طاهر الزاوى، وقد ولد عام ١٨٩٠م فى الحرشا إحدى قرى الزاوية بطرابلس، والتحق بالأزهر الشريف بعد سن العشرين عام ١٩١٢، ثم رجع إلى بلاده عام ١٩١٩، واشترك فى الجهاد الوطنى ثم رأى أن لا بد له من الهجرة ثانية، فعاد إلى مصر عام ١٩٢٤، ونال شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٢٨، ونال الجنسية المصرية عام ١٩٤٠، ووظف فى وزارة الأوقاف المصرية فى العام نفسه. وقد ألف كتباً كثيرة عن بلاده منها: كتاب أعلام ليبيا، وتاريخ الفتح العربى فى ليبيا. وقد قام الزاوى بنشر الجزء الثانى من كتاب «المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب» من تأليف أحمد النائب الأنصارى، فأسدى بذلك فضلاً على المكتبة الأدبية والتاريخية الليبية.

وله كتاب مختار القاموس وهو فى ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح وقد نشر فى القاهرة فى أربعة مجلدات.

وقد شرح وحقق تخميس الإمام الصوفى البهلول لقصيدة الإمام عياض فى التصوف.

وأما فن المقالة فقد ذاع فى ليبيا ونبغ فيه الكتاب، وتنوعت المقالة من مقالة صحفية وسياسية ودينية ومقالة وصفية إلى ما سوى ذلك.

ونحن نرجو أن ينهض البحث الأدبى ويزدهر، ويقوم شباب الجامعات الليبية بأعبائه، ولهم من تشجيع الدولة ورعايتها النصيب الموفور، فضلاً عن أن لهم فى مكتبة الأوقاف فى طرابلس وفى المكتبة الحكومية فى طرابلس أيضاً. وفى مخطوطات مكتبة جامعة السيد محمـد بن على السنـوسى الإسلاميـة فى

البيضاء، مدداً يعينهم على البحث؛ وفى هذه المكتبات وفى دار الكتب المصرية ومكتبات استامبول بتركيا، ومكتبات القيروان وتونس وفاس ودمشق وبغداد، نفائس المخطوطـات التى تفيد فى البحث عن مـاض وحاضر ليبيـا العلمي والثقافى والأدبى.

ويقول على مصطفى المصراتى من حديث له[1]: «فى ليبيا بوادر حركة أدبية ومعالم نشاط فكرى من مختلف أنواع العطاء. ويتمثل هذا النشاط فى أقلام شابة ومجموعة من العاملين فى مجالات الإبداع الفنى، فهنـاك القصة والدراسة العلمية والنقد الأدبى والشعر بجناحيـه القديم المحـافظ والحديث المنطلق. والمطابع تخرج على الدوام إنتاجاً ليبياً فيه عطاء وإبداع، وفيـه ما يحرك أقلام النقاد أيضاً».

فمن القصاصين المبدعين: بشير الهاشمى وكامل المقهور وأحمد الفقيـه وغيرهم، ومن النقاد والأدباء الموضوعيين: خليفة التليسى وله دراسات نقدية تعتبر من أهم المراجع فى الأدب المعاصر مثل كتابـه عن «جبران والشـابى» وكتابه عن «رفيق المهدوى شاعر الوطن الليبى» وترجماته عن الأدب الإيطالى. ومن الشعراء الشباب المعاصرين: راشد الزبير السنوسى وخالد زغبية وعلى الرقيعى الذي توفى منذ عامين وعلى صدقى عبد القادر. ومن، الكتـاب: القويرى، ولا ننسى أديباً وفناناً يكتب الآن من أوروبا، وهو يطوف بها منذ سنوات، هو رجب النيهوم. وكذلك الكاتب على فهمى خشيم الذي أخرج الآن كتاباً مترجماً عن ليبيا يتحدث فيه عن هيرودتس أبى التاريخ، كما ترجم «حسناء قورينا» وله كتاب أيضاً عن المعتزلة. وهناك فؤاد الكعبازى الذى تغلب عليه صبغة الفن والشعر الغربى».

«وهنا لا نريد حصر الأسماء فهى كثيرة متوفرة، إنما نريد أن نأخذ منها دلالة على الاتجاه نحو خلق حركة أدبية تعوض ما فات الوطن الليبى تحت وطأة الاستعمار الغادر؛ فليبيا بعد استقلالها ونيل حريتها أخذت تعوض ما

(١) مجلة الإذاعة الليبية ١٩٦٨.

فات، وتقطع شوطاً طيباً فى الميدان الأدبى ولعل الصحافة الأدبية فى ليبيا، ومنها مجلة (الرواد) والدراسات التى يتقدم بها الجامعيون الشبـاب، وهديـر المطابع فى بيروت التى تخرج لنا كتباً قيمة بأقلام ليبية. كل هذا يصور لنا جانباً من هذه الحركة الثقافية؛ فضلاً عن نشاط اللجنة العليا لرعاية الآداب والفنون التى تتبع وزارة الثقافة والإعلام الليبية، وهذه اللجنة ترعى وتشجع المواهب والملكات الأدبية والفنية وترصد الجوائز، وتقيم المسابقات والمهرجانات الأدبية والشعرية».

الفصل التاسع

من أعلام الأدباء الليبيين فى هذا العصر
إسماعيل كمالى[1]

١٨٨٢ - ١٩٣٦

ولد فى مدينة الخمس شرقى طرابلس، ودرس فى مدرسة إيطالية بها فى العهد العثمانى، وبعد الاحتلال سافر إلى تركيا، واشترك فى المفاوضات بين إيطاليا والمجاهدين عام ١٩١٩بعد أن عاد إلى بلاده، وتولى إدارة الأوقاف، وأشرف على المدارس القرآنية، وأولى مدرسة أحمد باشا عناية، واختير عضواً فى مجلس بلدية طرابلس، وبفضله أنشئ مكتب العرفات لتعليم العلوم العربية والإسلامية عام ١٩٢١، وكان عضواً فى إدارة المدرسة الإسلامية العليا التى أنشئت لتكون نواة أزهر جديد فى ليبيا، وكان كمستشار للإدارة الإيطالية فى ليبيا، وعنى بالمكتبة العامة، وكتب فى تاريخ ليبيا كتباً قيمة، منها كتاب فى تاريخ قبائل طرابلس، وآخر فى تاريخ الأسرة القره مانلية.

جدد كثيراً من مساجد طرابلس، وعنى بتحسين المدارس القرآنية وشجع مدرسيها حتى يحافظ النشء على الكتاب الكريم[1]، وكان لكلية أحمد باشا الدينية نصيب من عنايته[2]، وبفضله قامت الجمعية الخيرية وآزرها[3].

---

(١) ٨٢ - ٨٤ أعلام ليبيا، ١٤٥ وما بعدها لمحات أدبية عن ليبيا للأستاذ على مصطفى المصراتى.
(٢) ١٤٦ لمحات.
(٣) ١٤٧ المرجع.

وهو فوق ذلك أديب له مطالعات فى الأدب العربي القديم، اختصر كتاب وفيات الأعيان ولخص تراجم منه[1].

عبد الرحمن البوصيرى

١٢٥٨ هـ - ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥)

علامة أديب، محدث أصولي فقيه، ولد فى غدامس، وتلقى فيها العلم، ثم رحل مع والده إلى طرابلس يستزيد فيها من المعرفة عام ١٢٧٨ هـ، رحل إلى مصر وتونس والآستانة للتجارة وطلب العلم واقتناء الكتب، وألف مؤلفات كثيرة فى البلاغة والأصول والحديث، وتخرج على يديه كثير من العلماء والأدباء، وفى عام ١٣٠٣ هـ عين فى الحكومة وتقلب فى وظائفها، وكافح الاستعمار. وتدرج فى مناصب القضاء، وكانت له مساع حميدة هو ومفتى طرابلس الشيخ عمر المسلاتى (١٩٢٣) المفتى فى تكوين معهد أحمد باشا، توفى بطرابلس فى ١٣٥٤ : ١٩٣٥[2].

وقد تأثر بأستاذه الشيخ طرابلسى الأزهرى محمد كامل بن مصطفى (١٣١٥ هـ) أستاذ العصر، وصاحب الآراء الفقهية والمحاضرات القيمة وقد أخذ عنه كذلك أحمد الشارف وأحمد الفقيه حسن (١٣٠٤ هـ) الشاعران وغيرهما من جلة علماء العصر.

وكان أخوه الصحفى محمد البوصيرى مديراً للأوقاف، وكان الشيخ عبد الرحمن يكتب فى جريدة الترقى التى كان يصدرها أخوه محمد، ومن شعره فى التنديد بالإستعمار الإيطالى:

الأرض للرحمن يورثها لمن ... قد شاء؛ والله القدير الوارث
فلحكمة قهر العباد بحكمة ... سفها يقاومه الغبى الرافث

---

(١) ١٤٨ المرجع.

(٢) راجع كتاب أعلام ليبيا للزاوى، ١٥٧ - ١٦٤ لمحات ادبية عن ليبيا لعلى مصطفى المصراتى

ورثى الشاعر أحمد رفيق المهدوى صديق الشيخ عبد الرحمن البوصيرى بقصيدة طويلة مثبتة فى ديوان رفيق، وذلك عام ١٩٣٥. ويقول فيها:

عظيم فقدنا فيه للعلم (مالكاً) وللحكم فاروق الزمان ويحياه[١]
يرى الجاه فى التقوى فيعلو تواضعاً ويشرق بشراً وجهه حين تلقاه
عليه سلام الله يوم وفاته ويوم يرى الفردوس، فى البعث مأواه
ألا أيها الشيخ الجليل وقد سرت إلى الملأ الأعلى بك الروح أعلاه
سل الله للباقين خلفك رحمة تفرج ما هم فيه، يرحمك الله[٢]

محمد ناجى

١٨٧٦ - ١٩٥٦

أديب مشهور وهو عربى صميم، ولد فى طرابلس، وتلقى تعليمه بها، وتقلب فى وظائف كثيرة، وقام بنشاط سياسى كبير مع بعض مواطنيه من أمثال الشيخ محمد البوصيرى، وعلى عياد، وعثمان القيزالى، واتخذوا من جريدة الترقى منتدى أديباً لهم، وكذلك مقراً لشؤونهم السياسية. وبعد الغزو الإيطالى هاجر إلى تركيا ثم انتقل إلى حلب، وبقى فى دمشق إلى أن توفى فى ٧ مايو ١٩٥٦م.

العيساوى بو خنجر

١٢٩٥ - ١٣٨١ هـ (١٩٦١م)

عربى صميم، وشريف ينتمى لبيت النبوة، ونابغة النسابين فى ليبيا،

---

(١) مالك بن أنس (١٧٩ هـ)، والفاروق عمر بن الخطاب، ويحيى بن أكثم (٢٤٣ هـ).. أعلام مشهورة.

(٢) ٨٨ - ٩٠ ديوان رفيق.

وأحد العالمين بأيام العرب فيها، يقص عليك من أخبار القبائل العربية فى ليبيا ما لا يعرفه أحد، وكان يعرف القبائل واحدة واحدة، ومن تنتمى إليه، ومن تستنجد به فى حروبها، ومواطنها ومرابعها، وأين تتجمع وأين تنتجع، وقائعها وأسبابها ونتائجها، وما قيل فيها من شعر؛ كما كان يحفظ الكثير من الأمثال الطرابلسية، ويعرف مضربها وموردها. . وشارك فى الجهاد، ثم هاجر إلى مصر عام ١٩٢٤، وعاد إلى وطنه عام ١٩٤٦، وظل فيه حتى مات ودفن بطرابلس[١].

محمد الطيب الأشهب

٢٢ من ديسمبر ١٩٠٩ - ١٩٦١

ولد فى النوفلية ببرقة وحفظ القرآن، وهاجر إلى مصر، وتوفى والده عام ١٩٢٤، فكافح ابنه فى سبيل الحياة كفاحاً مريراً، وكانت أسرته من أعرق الأسر المجاهدة، ومن الإخوان السنوسيين المناضلين، وقد خلد ذكر بعض شخصياتها فى كتابيه «برقة العربية»، و«السنوسى الكبير».

وفى عهد الاستقلال عمل ملحقاً صحفياً فى السفارة الليبية بالقاهرة. . وبروح المؤرخ الأمين كتب تاريخ بلاده فى كتب مشهورة، منها - عدا الكتابين السابقين - كتابه: «المهدى السنوسى»، وكتابه الآخر: «إدريس السنوسى».

وله شعر وطني ذكره فى كتابه برقة العربية، وذكر له محمد صادق عفيفى بعض النماذج الشعرية فى كتابه «الشعر والشعراء فى ليبيا»[٢]، وهو شاعر مقل. . . ومن شعره: «إخلاص قلبى»، و«صفارة الخطر[٣]»، ومن قصائده: ليلى البدوية.

---

(١) ٢٤٢ - ٢٤٤ أعلام ليبيا.

(٢) صـ ١٧٨ - ١٧٩ أعلام ليبيا.

(٣) ٩٩ المرجع نفسه.

مختارات

نصوص من النثر الليبى الحديث

- ١ -

رسالة من البطل الشهيد عمر المختار إلى الأمير شكيب أرسلان:

كان لجهود الأمير شكيب أرسلان (١٨٦٩ - ١٩٤٦) فى الدفاع عن حقوق الليبيين والتنديد بالاضطهاد والمظالم التى وقعت عليهم وإعلام الناس بالبربرية التي اتصف بها الطليان عند احتلالهم وقعها الحسن وكانت محل رضاء تام من المرحوم الشهيد عمر المختار (١٨٦٢ - ١٩٣١) الذى كاتب الأمير يشكر به خدماته ويثنى على مواقفه المحمودة من قضية الحق والعدل.

وهذه رسالة من عمر المختار إلى الأمير شكيب:

إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى المجاهد الأمير الخطير أخينا فى الله وزميلنا فى سبيل الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله، بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته. قد قرأنا ما دبجه يراعكم السيال عن فظائع الطليان وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار. فإنى وعموم إخوانى المجاهدين.. نقدم لسامى مقامكم خالص الشكر، وعظيم الممنونية فكل ما ذكرتموه عما اقترفته أيدى الإيطاليين هو قليل من كثير، وقد اقتصدتم واحتطتم كثيراً ولو يذكر للعالم كل ما يقع من الإيطاليين لا توجد أذن تصغى لما يروى من استحالة وقوعه، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح. وإننا فى الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون وعلى

الله فى نصرنا متوكلون وقد قال الله تعالى: وكان حقاً علينا نصر المؤمنين.
وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... فى ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٤٩ هـ.

- ٢ -

دمعة حائرة

خواطر شتى جالت بنفسي وأنا أمتطى الطائرة برفقة سادة أجلاء، هم رسل الجامعة الإسلامية إلى تلك الأرجاء الإسلامية شاءت الأقدار أن يستقر بعضها ما وراء النهر بروسيا، ونهر الطونة بيوغوسلافيا.

ورجعت بى الذاكرة إلى قرون خلت وانقضت هى وأهلها، فكأنها وكأنهم أحلام وكنت أحياناً تراودنى روح سارة يشعر بها الحبيب القادم على حبيبه؛ فهو يقيس الزمن بالدقائق متعجلاً هذا اللقاء، يستدرك بـه النقص فيتمه ويتناول السر فيعلنه، ويلمس المقيد فيطلقه، ويلقى الجمال فيظهـره، ويرفع الحياة درجة فى المعنى.

أحياناً تهب بى عاصفة وجدانية نحو الحبيب الذى لن أراه ولم أتمتـع بنجواه. وإنما هى أحداث طال عليها الزمان وأمست فى زوايا النسيان، وكأن أصحابها تضيق الأرض عن أنفاسها وتتفزع الأفلاك من هيبتهم، وإليهم تشد الرحال إذ كانوا ملتقى الآمال ومشكاة الأمر إذا انبهم الليل وضل بالنـاس الطريق[1].

ومن كان يظن أن هذه الأحداث الصامتة كانت فى غابر الأعوام تنطق فتستزل العصم وتسمع الصم، وتحكم فتصيب المحز وتتطامن لها الرقاب. ومن كان يظن أن هؤلاء المقيدين فى التراب المنقطعين عن الجيران إلى يوم البعث لم يتركوا مكاناً فى الأرض إلا طرقوه ولا إقليماً بعيداً إلا زاروه، ولم يسمعوا عن رجل عنده أثارة من علم يمت إلى الدين إلا طاروا إليه، فأنضوا الراحلة وقطعوا السابلة وتسـاوى لديهم الليـل والقفار والبحـار. ربما كـان

(١) الهدى الإسلامى عدد رمضان وشوال ١٣٨٤ هـ - مقال للأستاذ أبو بكر الفقهى.

أحدهم يعمل الشهر عقيب الشهر بعيداً عن بلده وولده فى سبيل العثور على كلمة يتلقفها أو حصيلة من علوم الدين يجمعها.

وهبطت الطائرة.. فتلقتنا أخوة فوق أخوة النسب يتخذ المسلمون فيها صلة بالحياة، وتنتقل دنياهم بهذه الصلة إلى مرحلة تعلو بالمعانى النفسية فوق نوازع المادة ومشاكل الحياة، وتجد فى القلوب مواضع مهيأة للإحتراق تنفذ إليها الأشعة الروحانية وتتساقط منها المعانى.. ووقفت أمام هذه الرفات البالية فتهيبت الموقف وكأن هذه الرفات التحمت وسرت فيها الروح؛ وأطل علينا أصحابها من جانب القبر مرحبين، أو كأننا رجعنا إلى عصور هؤلاء فشاهدنا جلال العلم وهيبة الورع ودخلنا هذا المقام الذي تزل فيه الأقدام وكان لها بحق: أمام البخارى ودقته والشاشي وعفته، والخوارزمى وبلاغته، «وجار الله وكشافه» والبيضاوى وفلسفته، وابن سينا وإشارته.

وكأنما رجت بى الأرض رجا.. إذ أصاب هذا الموقف مواقع الشعور وأثار مكامن الخيال، آخذاً بوزن تاركاً بوزن: لتأخذ النفس كما تشاء وتترك...

يالله.. نحن وفد الجامعة الإسلامية بالديار الليبية قدمنا عليكم حاجين مزاركم داعين لكم بالرحمة كفاء ما قدمتم للأجيال الإسلامية من مبرات طوقتم به كل عنق، وأرشدتم به كل ضال، وقمتم نحو الدين والوطن واللغة بكل بلاغ.. فلا تأسوا ولا تحزنوا حيث تقطعت بخلفكم الوشائج وقضت قسوة الأقدار أن اقتطعت هذه البلاد عن سالف تاريخها. فحكمها من لا يدين بدعوة نبيكم التي أخلصتم لها وذهبتم فى سبيلها. وصار أحفادكم على غير ما عهدتم.. مما لا يحمده خبره ولا ينطبع أثره. حناناً ومعذرة إلى ربكم.. فقد صار الجيل غير الجيل الذي عرفتم من قبل، والذي اندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء.

وما هى... حتى اخضرت الدنيا وترامى ظلالها على حدود السند والهند، وما وراء النهر وما خلفه، وما بين ذلك.

حناناً ومعذرة إذ لم ندرك كما أدركتم صبابة من هذا السر الإلهى الذى ينبعث من النفس الخالصة، فلا يبالى المسلم موتاً ولا حياة ولا يبالى ضيقاً ولا رحباً ولا على أى جنب يصرع ما دام على مدرجة من دينه وهدى نبيه..

ولم يكن موضع دهشتنا حين قرأنا تاريخكم فى هذه الحملات التى واجهتم بها الروم وطغيان التعصب وكيد البابوية وكلب القسطنطينية، فلكم قدم صدق فى الدفاع عن حوزته والتضحية فى سبيل نصرته.

- ٣ -

وهذا مثل للدراسة الأدبية والنقدية، كتب خالد زغبية الشاعر فى مجلة الرواد عدد أبريل ١٩٦٥ مقالاً بعنوان «دراسات فى الشعر الليبى المعاصر» جاء فيه:

بعد الحرب العالمية الثانية حدث ازدهار فى ميدان الأدب بفنونه المختلفة؛ كانت هذه الفترة مرحلة خصب وحيوية وحركة، وكان النشاط الثقافى العام صدى لهذه الحيوية التى أخذت تنساب فى رفق ولين إلى قلب المجتمع الهامد وبثت فى وصاله الحياة والنشاط، فكانت المحاضرات والندوات تعقد فى النوادى، والمعارك الأدبية تدور على صفحات الجرائد، والمجلات، يقوم بها أدباء الطليعة فى شتى قضايا الأدب، ولقد طرحت على صعيد الجدل كثير من المشكلات الاجتماعية التى كانت تشغل بال المواطن الليبى آنذاك مثل قضية (المرأة والمجتمع) و (الفن والحياة) و (الاستعمار) و (البطالة) و (حركة التجديد فى الشعر الليبى)؛ وكانت هذه القضايا الأدبية انعكاساً للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التى كانت تسود المجتمع الليبى آنذاك. كان لهذه المرحلة روادها من الشعراء والأدباء والكتاب، وكانت الفنون الأدبية المزدهرة على الترتيب هي: الشعر والقصة، والمقالة والبحث، غير أن فن الشعر كان ولا يزال أكثر ازدهاراً من غيره من الفنون، ربما يرجع هذا إلى الوضع الراهن للمجتمع، فقد يحدث أن يزدهر فن الشعر، ويتقدم الفنون

الأخرى فى البلدان التى تعانى تأخراً اقتصادياً. . أما فن المقالة فقد كان ولا يزال مزدهراً، وذلك لأنـه يتناول حيـاة الفرد اليـومية واهتـماماتـه السياسيـة والاقتصادية والاجتماعية. والحديث عن فن القصة كالحديث عن فن المقالة تقريباً، ولو أنه يختلف فى أنه فن صعب المراس، لأنه يحتاج إلى موهبة تسندها ثقافة واسعة، ومران متصل وتجربة دائمة، غير أن فن القصة، أخـذ يترك مكانه لفن المقالة وربما كان ذلك لأن قصاصينا آثروا كتابة المقال لسهولته، وقد يكون للظروف الاجتماعية أثر كبير فى ذلك. . . أما فن البحث فقد كان فى المرتبة الأخيرة من هذه الفنـون، وكانت مـوضوعـات البحث هي الفن والاقتصاد، والاجتماع، غير أن أكثر هذه الموضوعات لم تبحث بحثـاً علمياً مـوضوعيـاً؛ والنادر منهـا كان يبحث فى حـدود المقاييس العلميـة والشروط المـوضوعيـة للبحث العلمى الصحيح؛ إن لهـذه الفنون رواداً من الـدرجـة الأولى؛ وسأقدم نماذج لرواد هذه الفنون من أدبائنا المعـاصرين أعتقد أنهم يمثلون خصائص مشتركة لتيار واحد من تيارات الأدب المتضاربة، ألا وهو تيار المدرسة الواقعية الجديدة.

وقد برز فى ميدانها فى الشعر: حسن صـالح، والمـطماطى والرقيعى، وعـلى صدقى عبـد القادر؛ وفى ميـدان القصة طـالب الـرويعى، والمقهـور والقـويرى والـدلنسى ومفتـاح السيـد وأحمـد العنيـزى؛ وفى ميـدان البحث والدراسة الأدبية التليسى والمصراتى، وكان هؤلاء بارزون أيضاً فى فن المقالة بألوانها المختلفة. كانت فترة الاحتلال مرحلة مزدحمة بالقضايا السياسية الهامة، كقضيتى الوحدة والاستقلال وغيرهما، وكان لهذه المرحلة شعراء عبروا عنهـا بإخلاص، غير أن طريقتهم التعبيرية، كان يثقلها التقرير والوصف، ويحد من فعاليتها، الخطابة والافتعال، والتقرير كان دائماً طابعاً للمدرسة الكلاسيكية.

ثم ظهر الشعراء: حسن صالح والمطماطى والرقيعى، وقد برزوا فى فترة زمنية واحدة وكانوا الرواد الأوائل لحـركة التجـديد فى الشعـر الليبى، وهم يعاصرون الشعراء من رواد المدرسة الواقعية الجديدة فى الشرق العربى، فعلى هؤلاء تتلمذ شعراؤنا الشبان؛ ثم ما لبثوا أن استقلوا تدريجياً، وأصبحوا رواداً

لشعرنا الليبى المعاصر. لقد عبروا عن واقعهم الاجتماعى الذى يتميز بطابع خاص، إنه البيئة الليبية بملامحها وقسماتها، فحسن صالح هو شاعر الضياع لقصيدته الشهيرة درب الضياع، ومحمد المطماطى هو شاعر الأمل...

القسم الثالث

تصـــديـــر

- ١ -

هذا هو القسم الثالث من كتاب «قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامي إلى اليوم»؛ وفيه حديث طويل عن الشعر الليبى الحديث وأعلامه، وعن الآداب العربية فى دول الشمال الإفريقى المتصلة بليبيا بصلات وثيقة من الدين والعروبة والدم والجوار والثقافة والآمال والآلام المشتركة، لما بينها وبين الأدب الليبى الحديث من عوامل التأثر والتأثير؛ وفى آخر هذا الجزء تذييل تحدثت فيه عن الأدب العربى فى السودان وعن الثقافة العربية في صقلية.

وبنهاية هذا القسم ينتهى هذا الكتاب الذى أفضت فى القسم الأول منه في الحديث عن الأدب العربي القديم في ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية الحكم العثمانى، وفي القسم الثاني تحدثت عن الأدب الليبى الحديث والمعاصر، وعن مقوماته وعوامل ازدهاره، وعن تطوره وأعلامه، وعن فنون النثر الأدبى الحديث ونماذجه.

والكتاب يعد موسوعة كبيرة فى كل ما يتصل بتاريخ الفكر والثقافة والأدب فى ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى اليوم، ويعد كذلك جديداً فى بابه وموضوعاته ودراساته؛ إذ لم يتناول الأدب الليبي القديم والحديث بالدراسة على هذا النمط المنهجى أحد من قبل، ومن ثم فإن هذا الكتاب يعد رائداً فى هذه الدراسات والبحوث.

ولا يعلم إلا الله مدى الجهد الذى بذلته فى جمع مادة هذا الكتاب من مختلف المصادر القديمة والحديثة المطبوعة والمخطوطة ومن مختلف الصحف والمجلات الليبية والعربية؛ ثم مدى ما بذلت من جهد فى تبويب هذه المادة وترتيبها وصياغتها، ولا مقدار ما أنفقته من وقت فى مراجعة الكتاب وإعداده للطبع، وفى مراجعته وهو ماثل للطبع؛ حتى خرج على هذه الصورة المشرفة، وأتمنى أن يجد فيه القارىء العربى بعامة والليبى بخاصة كل ما يتطلع إلى أن يجده فيه من آراء ودراسات ومنهج وتراجم وتصوير.

- ٢ -

وهذا الكتاب ثمرة رحلتى العلمية إلى أرض ليبيا العربية المسلمة، التى امتدت ثلاث سنوات (١٩٦٣ - ١٩٦٦)، والتي عكفت فيها على كتابته؛ ثم راجعت مادته فى ليبيا والقاهرة، ثم استخرت الله فى طبعه ونشره لتعم الفائدة منه، وليكون مرجعاً فى أيدى القارئين والدارسين للآداب العربية وحركة مسيرتها فى الأمم العربية خلال العصور القديمة والحديثة على السواء.

وقد خففت عنى أعباء هذا البحث وكتابته عدة أمور:

الأول: أنى إنما أقصد بما أكتب وجه الله خالصاً، ووجه العلم والثقافة والمعرفة وحدها؛ وهدفى من ذلك، وهو ما أتوجه إلى الله دائماً بأن يوفقنى لبلوغه، أن أضيف جديداً إلى الثقافة العربية فى قديمها وحديثها وتليدها وطريفها، ينتفع به طلاب العلم، أينما كانوا، وحيثما وجدوا، وينتفع به القارئ فى كل وقت وزمان، ولا يتجهم له وجه المتخصصين والعلماء فى كل فروع الآداب والنقد والدراسات التاريخية المنهجية لعصور الأدب العربى ومراحل تطوره.

والثانى: أنى أكمل بهذا الكتاب سلسلة بدأت الكتابة فيها منذ عشرين سنة أو يزيد، وظهر منها عدة كتب لى، من بينها: قصة الأدب فى مصر، قصة الأدب فى الحجاز، قصة الأدب فى الأندلس، الحياة الأدبية فى العصر

الجاهلى، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، الحياة الأدبية فى عصر بنى أمية، الحياة الأدبية فى العصر العباسى، الحياة الأدبية فى العصر العباسى الثانى، الحياة الأدبية بعد سقوط بغداد، قصة الأدب المعاصر، دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه.. وبجانب ذلك ظهرت لى بالاشتراك كتب عدة عن عصور الأدب العربى، ومن بينها: الأدب العربى وتاريخه فى العصر الأموى والعصر العباسى الأول بالإشتراك مع الأستاذ إبراهيم رفيدة، والأدب العربى وتاريخه (٤ أجزاء)، وهو بالاشتراك مع بعض الأساتذة، والأدب العربى بين الجاهلية والإسلام، والأدب العربى فى ظلال الأمويين والعباسيين وهما بالاشتراك مع الأستاذين حسن جاد وعبد الحميد المسلوت، والأدب العربى فى الأندلس بالاشتراك مع الأستاذ حسن جاد، ومن تاريخ الأدب العربى بالاشتراك مع الأستاذ النواوى؛ وبالإضافة إلى ذلك ظهرت لى عدة كتب أخرى فى تراجم أدبية قديمة وحديثة، وفى النصوص الأدبية، وفى دراسات عن الأدب والشعر، ومن بينها: البناء الفنى للقصيدة العربية، الشعر والتجديد، مع الشعراء المعاصرين، رائد الشعر الحديث، دراسات فى الأدب والنقد، فصول من الثقافة المعاصرة، أبو عثمان الجاحظ، وسواها.

وأحمد الله على أن وفقنى إلى كتابة هذه السلسلة ونشرها، وهى سلسلة تعد أوسع دائرة معارف صدرت فى تاريخ الثقافة العربية عن آدابنا القديمة والحديثة على السواء.

أما الأمر الثالث من هذه الأمور: فهو أن شعب ليبيا العظيم قد عشت معه بروحى ووجدانى فترة ليست بالطويلة، وليست كذلك بالقصيرة؛ وأدركت كيف أن الاستعمار الأوربى قد عاق مسيرته الفكرية والأدبية قرناً من الزمان، ومع ذلك صمد أمام الأحداث وجيوش الاحتلال صمود الأبطال، وابتسم فى وجه الخطوب ابتسامة المؤمن الصابر المستمسك بعقيدته وعروبته ورجولته، حتى كتب الله له النصر، وأجزل له الأجر، وساعده فى مسيرته نحو البناء والتجديد والإنشاء؛ ووهبه قائداً محنكاً يناضل من أجله، ويوجه دائماً دفة سفينته إلى شاطىء الأمن والسلام والرفاهية، ويفكر فى حاضره ويعمل من

أجل مستقبله، مستلهماً ماضي بلاده التليد، وسيرة آبائه العطرة.

ومن أجل ذلك كله كتبت هذا الكتاب، وتحملت ما تحملت من أعباء فى سبيل إتمامه ونشره؛ مما يدركه القارىء العادى من هـوامشه التى ذيلتها ببعض المراجع، ومن ثبت المصادر الذى يجده القارىء فى آخر هذا الجزء.

وأخيراً فإنى أحمد الله على ما أنعم به علىَّ من فضل، وعلى أن أعاننى على إظهار هذا الكتاب ليكون بين يدى القارئ العربى في كل مكان بهذه الصورة؛ وعلى ما منحنى إياه من سداد وتوفيق وخير.

والله ولى التوفيق، وهو الملهم إلى الرشاد والسداد، والهادى دائماً وأبداً إلى سواء السبيل.

وما توفيقي إلا بالله.

المؤلف

الباب الاول

الشعر الليبى الحديث

الفصـــل الاول

صور من الشعر الليبى الحديث

- ١ -

يقول أحمد رفيق المهدوى الشاعر فى محمد بن على السنوسى بمناسبة الذكرى المئوية لوفاته عام ١٩٥٦ م:

خـلدوا ذكـرى إمـام المـصـلحـين ... سـيـد المجـتـهـديـن الـعـارفـين
الإمـام ابـن الـسـنـوسى الـذى ... فـاق صـنـف الـعـلماء الـعـاملين
كـانَ فـذاً مـا عـلمـنـا مـثـلـه ... جـاء بـعـد الخلفـاء الـراشـديـن
عـبـقـرى قـد تـسـامـى لـلعـلا ... بـجـلال الـعـلم والـديـن المـتـين
وبـإصـلاح نـرى آثـاره ... لم تـزل نهـدى عـلى مـر الـسـنـين
نشر الـديـن بـعـزم صـارم ... وجـهـاد كـجـهـاد المـرسـلين
وهـدى قـومـا عـلى غـير هـدى ... بـين جـهـل وضـلال عـائـشـين
فى صحارى يـلفـح الـقـيظ بهـا ... كشـواظ النـار فيهـا الـسـاكـنين
وبـلاد فى غـمار مـطـبـق ... بـظلام الـبـؤس والـضـيـم المشـين
عـمـهـا ديـنـا ودنـيـا فـغـدا ... أهـلهـا مـن عـلماء المـسـلمين
وبـنى فـيـهـا زوايـا أصـبـحـت ... مـنـهـلا عـذبـا لـورد الـظامئـين
ومـنـارات تـشـع الـعـلم مـن ... قـابس عـن نـور رب الـعـالمين
بـالـتـآلـيـف التى من فـيـضـهـا ... سلسبيـل المنهـل الـصـافى المعـين
وشـفـاء الـصـدر من ريـن الهـوى ... وبـإيـقـاظ لـوسـنـان مـبـين

وشروح لعلوم وضحت ما عصى من مشكلات الأولين
كتب لو طبعت أو جمعت كلها جازت حدود الأربعين

- ٢ -

تقع مدينة درنة شرقى بنيغازى، وتبعد عنها بحوالى ٣٠٠ كيلومتراً وهى تطل على البحر الأبيض المتوسط من جهة الشمال وتكاد تحيط بها الجبال من كل مكان، وبين الوديان والحقول والحدائق ذات الرائحة الطيبة ترى سكانها يعيشون وينعمون، كما تشتهر مدينة درنة بالنخيل الجميل وأشجار الموز ذات العراجين الصفراء؛ سميت مدينة درنة فى الزمن الماضى بدرة البحر الأبيض المتوسط الذى يضمها بحنان، وحولها توجد مقبرة الصحابة التى تضم رفات أبطال الفتح الإسلامى، وسكان درنة عام ١٩٤٥ أربعة عشر ألفاً وهم وفق آخر تعداد (١٩٦٤) أربعة وثمانون ألفا.

وفى درنة الجميلة يقول الشاعر أحمد رفيق المهدوى قصيدته التى نظمها عام ١٩٣٥، وهى هذه:

قلت لما رأيت (درنة)، ما هذا! تباركت، أحسن الخالقينا
إن هذا، فضل من الله، يؤتيه لمن يرتضى من الشاكرينا
هذه (درنة) التى كل ما فيها، سرور لأعين الناظرينا!
فى حماها، رأيت، دار كرام وكناسا، جنة، وعرينا!
أصدق القول، إن أردت لها وصفا، وظنى أنى من المنصفينا
مثل الجنة، التى وعد الله ثوابا، عباده المتقينا!
حوت الطيبات، من نعم المنعم، والطيبات للطيبينا!
تحت جناتها، تفجرت الأنهار: تجرى، فقلت (إن الذينا)[1]

(١) إشارة للآية الكريمة: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ليهديهم ربهم بإيمانهم، تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم﴾

أى صـوب يمت صـادفت ظـلا ومـروجـا خضرا، وماء معينـا
يـعبق الـورد، فى نسـائـمهـا وهـى رخـاء، يـزاحم الـيـاسـمـينـا
وإذا مـا تـنهـد الـفـل فى الـلـيـل، أعـارت أنـفـاسـه الـنسرينـا!
ذكـرتنى الـطيـور، وهى تـغنى (قـد قنعنـا بحبـه ورضينـا)[1]
فى ظـلال، تحت العـراش، وقـد حفت شـمالا، من حـولنـا، ويمينـا
إن لـلطير فى الأصـائـل ألحـان شـجـى، تهـيـج الـعـاشـقـيـنـا!
درت حـول الحـدائق الغلب أرتـا د جمال الـربيـع أمشى الهـويـنـا[2]
وتـأمـلت فى الـريـاض، وفى الـزهـر، بعـين (الخـليـل) فى الآفلينا[3]
فـتـيـقـنـت قـانـعـا بـدلـيـل كيف كـان الإنسـان مـاء وطينـا
خـلق الله كـل حـى مـن المـاء فـلم لا يـصـح ذلـك فـيـنـا؟
كـل زوج فـصيـلـة صـارت الأجـنـاس شـتى فـأيـدت (داروينـا)
وعلونا عـلى يـفـاع، فـلاحـت بـاسقـات النخيـل، تهـتز لينـا!
تحت خضر الجـريـد، صفـر العـراجـين، لهـا منـظر يسر الحـزينـا!
خضرة المـوز، والنخيـل، تليهـا زرقـة البحـر فـالجبـال يمينـا!
منـظر البحـر، من علو، يثير الشعـر فى النفس، والغـرام الـدفينـا!
ضمهـا البحر، من شـمال، فكانت كـاعبـاً، ضمهـا المشوق حنينـا!
يعـطف المـوج، كـالمقبـل للسـاحـل فى سرعـة، ويـرتـد حـينـا!
وتجلت لـنـا، بـدائـع صـنـع الله، تـدعـو لـربهـا المؤمـنـيـنـا!
قلت: آمنت بـالبـديـع، كـما آمن مـوسى الكـليم، فى طـور سينـا
وتـذكـرت، عنـد ذلـك، فـرعـون، وقـد قـال قـولـة الجـاهلينـا!
زاغ فـرعـون! حـينـما شـاهـد الأنهار تجـرى مـن تحتـه والـسفـينـا
غـلبت نـفـسـه عـلى الـعقـل، والـنفس إلى طبـعـهـا تمـيـل يـقـينـا

(١) من قصيدة مطلعها:
كم بعثنـا مـع الـنسـيم سـلامـا لـلحبـيب الجـمـيـل، حـيث أقـامـا
(٢) الغلب: العظيمة.
(٣) الخليل: نبى الله إبراهيم الخليل.

كـل شخص، مهما تثقف عقـلا سـوف تلقـاه للطبـاع رهينـا!
زرت (جبانـة الصحـابـة) فـاستحضرت ذكـرى أسـلافنـا الأولينـا[1]
وتمثلتهم، وقـد جـاوزوا مصر، إلى أرض بـرقـة زاحـفـيـنـا
وبـدا لي عمـرو، يقـود السرايـا تقتفيـه جحـافـل الفـاتحينـا[2]
وتـذكـرت، طـارق بـن زيـاد وابن سرح، وعقبـة، الخالـدينا[3]
وتـراءى رويـفـع، وزهـير في ليـوث الأنصار والتـابعينا[4]
وأمـامي، أرى ضريـح أبي منصـور، العـدل، خـيرة الحـاكمينـا[5]
ذكـر تـلك العـصـور ذكـرني مجـد أنـاس كـانـوا لنـا صـالحينـا
شيعـوا الشمس، للغـروب، إلى فـاس، وراحـوا للهنـد مستقبلينـا
أورثـونـا مجـدا تـليـدا أضعـنـاه، وزدنـا عـليـه عـارا وشـينـا!
ظلت بـين القبـور، أنـظر في غمض جفـوني وقـد طـويت السنينـا!
لست كـالـزائـريـن، يتلون آيـات الكتـاب الحكيم لـلميـتيـنـا
هـاهـنـا عـبرة، ومـوعـظة، تبعث معنى الحيـاة في الـذاكـرينـا!
وتـلفـت لـلرفـاق، فـألفـيـت رفـاقـي عـن حـالـتي غـافـليـنـا
سـألـوني، وقـد رأوا مـا دهى عقـلي، فـكـان الجـواب مني أنينـا!
قلت: سـيروا، إن الحيـاة لسـير كتب النجـح فيـه للسـابقينـا!
أمـر الله، بـالـسيـاحـة في الأرض، لـنـزداد بـالـعيـان يقـيـنـا!
ولـقـد زدت، بـالـسيـاحـة في درنـة، علـما بهـا ودرسـا ثـمينـا!

---

(١) جبانة الصحابة: مقبرة عرفت بهذا الإسم، لوجود رفات قادة الفتح الإسلامي فيها ممن استشهدوا عند فتح درنة.

(٢) عمرو: عمرو بن العاص.

(٣) طارق بن زياد: فاتح الأندلس - ابن سرح: عبدالله بن أبي سرح أحد القواد الفاتحين وأخو عثمان بن عفان لأمه. عقبة بن نافع صحابي وقائد من قواد الفتح.

(٤) رويفع: رويفع بن ثابت الأنصاري، المدفون بمدينة البيضاء بالجبل الأخضر ببرقة. زهير هو زهير بن قيس: صحابي ممن استشهدوا في درنة.

(٥) أبو منصور أحد الولاة من الصحابة ممن استشهدوا أيضاً في درنة.

ساموني، يا أهل درنة، ماكان لساني، لما رأيت مبينا
فاشكروا ربكم، لكم بلدة طيبة، واسعدوا بها آمنينا
عوذوها، بقل أعوذ برب الناس، من شر أعين الحاسدينا![1]

وفي درنة كذلك يقول الشاعر الهادى الصغير بن عرفة:

هب النسيم مضمخ النـ	ـسمات من ند وطيب
والجو مجلو الصحيـ	ـفة مثل مغفور الذنوب
والطير أمت وكرها	والشمس مالت للغروب
ومروج برقة تحتفى	بالركب فى حشد مهيب
والركب يدأب ضاربا	بين السباسب والسهوب
ما زال ينهب بالخطا	فى يقظة الحذر الأريب
حتى اعتلى هضبات در	نة وانيا كالمستريب
وأطل من أعلى الذرى	يرنو إلى المهوى الرهيب
ثم انثنى مستبشرا	وغدا يلوح بالقضيب
ويصيح: يا قوم انظروا	يا قوم للعجب العجيب
ومررت ثم بمعبد	وبشاطئ ضح رحيب
وبمكمن نـاء ومر	عى للعروبة غير موب
سيروا فرادى واهبطوا	عوجوا لمنحدر قريب
هيا نؤسس درنة	فى ذلك السهل الخصيب

بين الربا والظل والنسمات والماء العذوب[2]

(١) القصيدة فى ديوان رفيق ص ٤١ ـ ٤٥، وفى ص ٣٤ ـ ٢٦ من كتاب برقة العربية أمس واليوم لمحمد الطيب الأشهب.
(٢) ٢٥٠ و٢٥١ الشعر والشعراء فى ليبيا.

بنيغازى الخالدة

للشاعر أحمد رفيق المهدوى (١٨٩٨ - ١٩٦١)، وهى قصيدة بعث بها من جيحان فى فبراير ١٩٢٦ إلى أحد أصدقائه:

بعد السلام، وتقديم احترامـاتي، … أهديك يا سيدي موسى[1] تحياتي

وأشتكي حر أشواقي إليك، فقد … أذكاه فى خاطري بعد المسافات

فارقتكم، وفؤادي ما يفارقكم … قيدتموه بأسباب وثيقات!

أهل الوداد، وحبى للبلاد، هما … أسباب تعذيب قلبي واشتياقاتي

تركت موطن آبائي، على مضض … مما تجرعت، من هم وويلات!

والله، ما باختياري أن أفارقه … لو لم ينغصه حكم الظالم العاتي

إنى لأذكر يوم البين إذ هملت … مدامعي فوق خدي مستهلات

وقد تحيرت فى أمرين، مافتئا، … ينكدان حياتى فى مناجاتي

حب يجاذبنى قلبي، وتدفعني … نفس تربت على حب المساواة

لم ترض عزة نفسى بالمقام على … ضيم الأعادي، وأرباب الجهالات

خرجت من وطني مثل الطريد فما … ودعت خلا ولا أدركت ثاراتي!

يا لهف نفسي! على تلك الربوع، بها … ربيع عيشي قد ولى وإن اتي

ما كان أقصره عمرا وأسرعه … مرا، كذلك أوقات المسرات!

إذا تذكرت أيام الربيع، وقد … كسا الروابي بألوان النباتات

(١) موسى: هو الشيخ موسى بن أحمد البرعصي ولد سنة ١٢٨٨ هـ: ١٨٧١ م فى بنيغازى، وبعد دراسته الأولية أرسله والده لمعهد جغبوب ولما أتم دراسته الدينية، عاد إلى بنيغازى وتولى عدة وظائف، وأخيراً احترف المحاماة الشرعية في ١٩١٥ م وتوفى ١٩٤٠ م. وكان أديباً، شاعراً ظريفاً لم تفارقه فكاهاته حتى آخر حياته. وكانت صلته بالشاعر وثيقة، تجمعهما حرفة الأدب. ولرفيق معه مساجلات لطيفة.

وفتح النور أفواها معطرة ... سكرت من نفح هاتيك (الفويهات)[1]

معاهد، لبلادى، كنت آلفها، ... خلفت وأسفي فيها لباناتي!

واذكر بها (البركة)[2] الفيحاء زينها ... وقت الغروب وهبات النسيمات

إذ كنت أقصدها، والنفس ناجية ... وخاطرى سالم من كل آفاتي

إلى بني عامر[3] أهل السماح لهم ... بي انشراح وبشرى فى زياراتي

إني لأمدح أحبابى لحبهم ... إذ ما مدحت امرأ من أجل حاجاتى

أقضي سويعات أنس في مرابعهم ... معززا، يالدهرى! من سويعات

معاهد، لبلادي؛ كنت آلفها، ... خلفت وأسفي فيها لباناتي!

واذكر بجليانة[4] الحمام، إن له ... ذكرى تحرك مكنون الصبابات

فيه الجمال، تجلى غير محتشم ... يسبي النهى، فى تثن والتفاتات

ينث[5] أسرار ما تخفى المآزر من ... خلف الظباء وقدام الظبيات

لا بوركت حلل الصيف التى فتنت ... بما وشت من بدور بين هالات

ما خلف الصيف، غير الحر فى كبدي ... ولا الملاح سوى مر أدكارات!

غيد، سهام الهوى منها مفوقة ... كل القلوب لها صرعى إصابات

يجرحن أفئدة النظار فى لعب ... ولا قصاص، على تلك الجراحات

دع ذكر جليانة الغراء، إن لها ... عن الغرام طويلات الروايات

معاهد لبلادي، كنت آلفها، ... خلفت وأسفي فيها لباناتى!

وقهوة الشط[6]، ما أحلى الجلوس بها ... بين الأحبة، فى تلك العشيات

---

(١) الفويهات: ضاحية جميلة من ضواحى بنيغازى الجهة الجنوبية منها تمتاز ببساتينها النضرة وجمالها الطبيعى.

(٢) البركة: جنوب بنيغازى تليها إلى الفويهات منطقة جبلية تمتاز بجفاف هوائها.

(٣) بنى عامر: عائلة ابن عامر كانت للشاعر علاقة ود بها.

(٤) جليانا: أحد شواطئ بنيغازى الغربية الجميلة، كان للشاعر فيه ذكريات أنس وطرب، وفى جليانة أقام الإيطاليون نصباً تذكارياً لقتلاهم فى المعركة التى دارت رحاها أثناء احتلال جيوشهم لبنيغازى (١٩١١). ولشاعرنا قصائد حول ما يرمز إليه هذا النصب.

(٥) ينث: يفشى.

(٦) قهوة الشط: مقهى فى بنيغازى على شاطئ البحر شمالاً يقع على يسار القادم من شارع عصهان (فى نهايته). كان المكان المفضل للشاعر حيث يقضى مع أصحابه أكثر الوقت وقد زال المقهى ولم يبق منه سوى ذكريات الشاعر فى قصائده.

إذا جلسنا تجاه الغرب، ننظر فى صاف من الماء، ألوان السحابات
ومدت الشمس، فوق اليم عسجدها وشنف السمع، تكرار المويجات
نمتع الطرف فى بحر، وفى شفق حتى تمر جميلات الفتيات
وللظباء سنوح عن ميامننا وعن شمائلنا، تمضى زرافات
معاهد، لبلادى، كنت آلفها، خلفت وأأسفى فيها لباناتى!
واذكر جنان المحيشى[1] حين يجمعنا مع (الحبيبين[2]) ليلا فى مسرات
تظل أرواحنا، بالراح رائحة تميل لكن على وفق النغيمات
(زمارنا) بارع، فاقت براعته كادت براعته، تأتى بآيات!
يوقع اللحن، موزونا، فيسلبنا ألبابنا، بين تصفيق وصيحات!
هنالك العيش، مخضرا جوانبه ظل، وريف، وأرض ذات خيرات
تغافل الدهر عنا، فينة، فلتت عادت علينا بأنواع الأذيات!
ذقنا بأعقابها مر الحياة وما شق المرائر من تلك المرارات!
أغرى الزمان بنا أعداؤنا، فسعوا لزجنا فى مهاو، من غيابات!
تأثرتنى عيون القوم، ترصدنى تحصى خطاى، فتحصيها خطيئاتى
وما جنيت! سوى إنكار منكرهم بمذودى فتغالوا فى معاداتى
أعانهم كل نذل، من بنى وطنى بما يبلغ عنى من وشايات
وتلك شنشنة[3]، صار اللئام بها مقدمين على أهل البيوتات
يجلهم قومنا باللشقاء! وهم أدنى لعمرى من قدر الحشيرات
قوم على ما بهم، من عيب أنفسهم (عرج، وعور، وطرش) أهل آفات!
بمثلهم يستفيد الغاصبون لنا فيقدمون على فعل الشناعات
ونحن قوم، بحمد الله، فى نعم، ليل بغير صباح، فى ضلالات!
العلم فينا، حديث عن مثالبنا والدين فينا، نسيج من خرافات!

---

(١) جنان المحيشى: بستان تملكه عائلة المحيشى الشهيرة، كان متعة من المتع بأزهاره وثماره بين الشرق والجنوب من بنيغازى (على مسافة ١٠ كيلومترات). وللشاعر فيه ذكريات.
(٢) الحبيبين: كلمة اصطلاحية دارجة تطلق على المغنى ومعاونيه.
(٣) شنشنة: طبيعة أو عادة.

دارت عليه زوايا السوء فالتصقت ... به الإهانات من زور الكرامات

فضائح! يفرح المستعمرون بها ... إذا رأوا أنها فى الاعتقادات

يسرهم، أننا مثل البهائم، أو ... أقل مرتبة؛ مثل الجمادات

أهمُّ أسلحة المستعمرين إذا ... سادوا على أمة نشر الجهالات!

ويعد تفريق ذات البين، يتبعه ... قهر، وإفساد أخلاق، وعادات

أنظر ـ تجد يا رعاك الله ـ حالتنا ... كما يود الأعادى فى ارتباكات

فالحر، إن لم يمت، مما يرى، كمدا ... ويل له من حياة الاحتقارات!

ذاك الذى لم تطق نفسى، فطوح بى ... إلى مرام قصيات بعيدات!

فررت بالنفس، لا من أجل عيشتها ... لكن مخافة إلحاق الإهانات!

حتى استجرت، ولكن كنت من نكدى ... كالمستجير بعمرو فى الملمات[1]

عجبت للطالع المنحوس! يتبعنى ... أنى ذهبت؛ أتانى بالإساءات

ما جئت مملكة إلا تملكنى ... خوف، وأدركنى حيف الحكومات

خلقت حرا، فما فوق البسيطة من ... أعنو له غير جبار السماوات

كرهت أن يتولى إمرتى بشر ... أو أن أكون أميرا فى الإمارات

لم أدر، هل تلك منى الفوضوية؟ أم ... هى الممالك جارت فى السياسات!

بلى، رأى ما رأى، (شيخ المعرة)[2]، إذ ... سب الأنام ونادى بالشكايات

توارث الناس فعل الشر، فانعكست ... آراؤهم فى القضايا والقياسات

قيل الحياة بهذا الكون معركة! ... يفنى بها الضعف بين الاعتراكات!

فاستعمل القوة الإنسان عن طمع ... لنيل نفع، فعادت بالمضرات

ما أثمرت غير بغض، لا منافسة ... فى الخير! تأتى بعمران وخيرات!

لاطب عندي لداء الاجتماع سوى ... حب يمحص أسباب العداوات!

---

(١) إشارة للبيت القديم المشهور الذى سرى مسرى المثل:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبالرغم من مضى مدة على إقامة الشاعر فى تركيا فقد وفد إليها فى ١٩٣٥/٦/٥ إلا أن الإقامة لم تطب له. ونرى أن الشاعر يسجل بعد مرور عام على وصوله إلى تركيا، تبرمه بالحياة فيها.

(٢) شيخ المعرة: أبو العلاء المعرى الشاعر الفيلسوف الضرير رهين المحبسين توفى عام ٤٤٩ هـ.

الناس كالناس، والدنيا معاشرة بالعرف؛ لا أمر خدام وسادات!

- ٥ -

وهذا سليمان البارونى الذى يعد أسبق الشعراء المخضرمين إلى التغنى بمجد ليبيا والدعوة إلى حبها وفدائها يقول مودعا الوطن؛ وهو يرى أن كل بلد يظله الإسلام دار مقام له.

وداعا يا ديار العز حتى يعود إليك فى أهنا نهار. .
فهمّوا وأصدقوا فالصدق فيكم عريق واحفظوا حق الديار
وإلا فالوداع وكل قطر به الإسلام يصلح للقرار

- ٦ -

وقال أيضاً وقد آلى على نفسه ألا يحلق شعر رأسه إلا بعد تطهير الوطن من أرجاس الإيطاليين، وقد ظل طيلة حياته كلها منذ هذا القسم شريداً ثائراً على الاستعمار مؤمنا بوطنه حتى لقى ربه فى بومباى فى الهند سنة ١٩٤٠ م:

هذا هو الشعر الذى شهد الحروب الهائلات
آليت أن يبقى إلى أن يعبر الجند «القناة»
لنرى الغزاة على صفا ف النيل تفتك بالبغاة
ونرى «طرابلس» العزيـ ـزة فى ليال باهرات
تختال فى برد الهنا بالانتصار على الطغاة. .
إذ ذاك يحلق بين أفوا ج الأعاظم والغزاة. .
أو هكذا يبقى إذا لم ننتصر حتى المات

- ٧ -

وقال أحمد الشارف فى «الحرب الطرابلسية»:

أتمتد فينا مطامع قوم لقد ملأوا الأرض إفكا مبينا

وجاءت صحائفهم كذباب   يزيد الورى كل يوم طنينا
وقالوا وما غرنا قولهم: أبى أن يكون التوحش فينا
أيا من يجرون أسطولهم   ألينا بآلافهم والمئينا
فما ضرنا أن حللتم شطوطاً   إذا شط ما كنتم قاصدينا
فكم فى «طرابلس الغرب» ليث   يصون البلاد ويحمى العرينا
وما زاد صرخ المدافع إلا   زئيراً لأشبالها الضائرينا

- ٨ -

وقال أحمد الفقيه حسن فى سنة ١٣٥٤: ١٩٣٤ بعنوان «وطنى»:

وطنى بحبك لا أزال متيما   وأرى العقيدة فيك والتوحيدا
أضحى طلاع القلب حبك لا أرى   فيه المزيد إذا أردت مزيدا
إنى أمرؤ أرعى طرابلس التى   عطفت على من القديم وليدا
بلد ولدت به وأول تربة   فيها لبست من الشباب جديدا
أملت على فكرى بدائع حسنه   قولا به حليت منه الجيدا
لا غرو أن نمقت شعرى باسمه   وغدوت فيه البلبل الغريدا
ونظمت من حر الكلام قصائداً   تبقى على مر الزمان نشيدا
أشدو بذكر محاسن الوطن الذي   أشتاق يوماً أن أراه سعيداً
واحر أشواقى ليوم لم ازل   فيه أؤمل ان يكون العيدا
يوم ينال الشعب فيه مرامه   ويكون سعى المخلصين حميدا

- ٩ -

وقال أحمد قنابة شاعر الوحدة الليبية:

أفديك يا وطنى ومثلك يفتدى   بالروح من شر الجهالة والعدا
إن لم أصنك وأفتحم فيك الردى   وطنى فلست فتى على نهج الهدى

أى السماء تظلنى أى التراب يقلنى
أى النفوس تجلنى إن ضاع تفكيرى سدى
أهوى رباك ولحن طيرك إن شدا يستنهض الوادى فيشجيه الصدى

- ١٠ -

الكتاب[١]؛ قصيدة من نظم الشاعر إبراهيم الأسطى عمر:

أى شيء فى حياة المرء أغلى من كتاب
يصقل الذهن ويهديـ ـك إلى نهج الصواب
ويسليك إذا ما كنت يوما فى اكتئاب
أو يسرى عنك غما بفكاهات عذاب
إنه أنفع فى الوحـ ـدة من لغو الصحاب
ليتنى أنفقت فى صحـ ـبته كل شبابى
آه قد ضيعت عمرى بين لهو وشراب
بين غيداء وحورا ء وخود وكعاب
وعزوف عن حياة الجد فى جو التصابى
ورقيبى سجل القو ل وفعلى فى كتابى[٢]
آه ماذا فى كتابى يوم حشرى
مامصيرى بعدحشرى لست أدرى
إن يكن فى الدهر والحشـ ـر كتابى بيمينى
يا لحظى فلقد فز ت بدنياى ودينى
وإذا نادى منادى الـ بعث يا أهل اليمين
قلت: «هاؤم إقرأوا هـ ـذا حسابى وديونى
فيه ما قدمت فى دنـ ـياى من فعل ثمين

(١) ١١٦ - ١١٨ شاعر من ليبيا للمصراتى.
(٢) كلمة (سجل) وردت فى كتاب الأستاذ المصراتى عن الشاعر (يسجل) وعليها لا يستقيم وزن البيت.

فينادي! أدخلوه في ظلال وعيون
في نسيم الخلد ما يطـ ـلب من حور وعين
ليتني قدمت ما يسـ ـعفني أو ما يقيني
حيرة الحشر، وطلقـ ـت شكوكي وظنوني
آه لو جاء كتابي بشمالي ما الذي يجري؟ ولكن أنا مالي
أنا إن ضاقت بي الدنيا وهد الهم صدري
لا أبالي الهم مادا م كتابي طوع أمري
فيه ما يمنع أمثا لي من نظم ونثر
وبحسبي أنني أحـ ـيا به في كل عصر
يا غذاء الروح لا تبـ ـعد[1] عنها قيد شبر
عيشتي دون كتاب لا تساوي ربع ظفر
هو أستاذي الذي علـ ـمني الشدو بشعري
حلني من كل قيد غل أعمالي وفكري
فغدوت اليوم كالطا ئر في سري وجهري
لا أبالي الغيم والرعـ ـد، ولا الخاطف يسري
أنا حر في نشيدي وغنائي وغنائي وحده فيه عزائي

- ١١ -

أحمد رفيق المهدوي في الحنين إلى الوطن:

كادت تطير بأضلعي أشواقي يوم الفراق فهل يكون تلاقي
ودعته والله يعلم أنني ودعت راحة قلبي الخفاق
لو كان قبل اليوم يوم قيامة كان الفراق قيامة العشاق
وطني من الإيمان حبك ليس لي من عليك، وأنت ذو استحقاق[2]

(١) بالرفع لصحة الوزن وإن كان السكون على أن لا ناهية هو ما يقتضيه المعنى، ولكن عليه لا يستقيم وزن الشعر.
(٢) ٥٣٢ برقة العربية.

- ١٢ -

ومن قصيدة أخرى له:

يـا أيهـا الـوطن المقـدس عنـدنـا	شـوق إليـك فكيف حـالـك بعـدنـا
كـنـا بـأرضـك لا نـريـد تحـولا	عنهـا ولا نـرضى سـواهـا مـوطنـا
في عـيشـة لـو لم تـكـن ممـزوجـة	بـالـذل كـانت مـا ألـذ وأحسنـا
عفنـا رفـاه العيش فيـك مـع العـدا	وأبى لنـا شمـم النـفـوس وعـزنـا
قـالـوا لـنـا جئنـا نمـدن أرضـكم	أيـن التـمـدن والـذي قـالـوا لنـا
هـدمـوا من الأخـلاق في أوطـاننـا	أضعـاف مـا شـادوه فيهـا من بنـا[١]

- ١٣ -

ليبيا جناح العروبة للشاعر علي صدقي عبد القادر:

لـك يـا ليبيـا الفتـاة
تـرقص الآن الحـيـاة
في ركـاب الـذكـريـات
ها هي الأنجم في عرسك تبدو باسمات
اسمعي الحجـر الـصلد يغني لـلفـلاة
وانظري الأشجار جذلى في اخضرار راقصات
وارفعي رأسك لا تأسي[٢] على ما كـان فات
ذلك الماضي انقضى فاتخذي منه عظات
قد رسوت الآن يا (ليبيا) على شط النجاة
فاضحكي للحاضر الزاهي تضاحكك الغداة

---

(١) ٥٣٢ برقة العربية.

(٢) أي لا تحزني.

- ١٤ -

أحمد الفقيه حسن من قصيدته «شكوى واستنهاض»:

ذكـر الـفـتى آثـاره مـن بـعـده	وأجـلها نـفـعـا يـدوم بـقـاء
لا فضـل لـلإنسـان فى الـدنيـا إذا	لم يسع حـتى يـبـلغ الجـوزاء
فـالسعي من سنن الـوجـود ولم يزل	ذو الجـد يـلقى الـرتبـة الـعـليـاء
دع مـا يـقـال عن الحـظوظ فـإنـه	قـول غـدا عـنـد الـلبـيب هـراء
كم خـامـل نسـب الخمـول لحـظه	من بعـد مـا اتخـذ الخمـول كسـاء
عـمـل الـرجـال الـعـاملين مخلد	في كـل عصر سـيرة وضـاء
لـو كان فى الـدعة النجاح لما سعت	أمـم تـألـق نـجـمـهـا وأضـاء
هـل آن لـلشرق الـنهـوض كـغـيره	حـتى يحـقـق بـالـنهـوض رجـاء
الاتحـاد لـكـل شـعـب قـوة	وبـه يـنـال الـعـزة الـقـعـسـاء
لـولاه مـا سـادت بـسـلطان لهـا	دول وشـادت فى الـبـلاد بـنـاء
واحـر أشـواقـي إلى يـوم أرى	لـلشرق فـيـه زعـامـة ومـضـاء
يـوم بـه الشرقي يـرفـع رأسـه	ويـنـال فيـه من الـعـلا مـا شـاء
يسـعـى إلى مـا قـد سعـت آبـاؤه	حـتى يـبـذ بـسـعـيـه الآبـاء
ويحـقـق الأمـل الـبـعـيـد بهـمـة	لا تشتـكي نـصـبـاً ولا أعـيـاء

- ١٥ -

إرادة الشعب: للشاعر أحمد رفيق المهدوى:

لـلشعـب فى هـذا الـزمـان إرادة	تملي الحقـوق وتفـرض الأحكـامـا
عـصفت بسيـطرة الملوك ولم تـدع	لـتحـكـم المـتـجـبريـن دوامـا
صـارت أمـور النـاس شـورى بينهم	لا يمـلك الـبـاغـي لهـم إرغـامـا
فى سـيرة «الـدتشي» و«هـتلر» عـبرة	لمـن استـبـد وسـفـه الأحـلامـا
وإذا استـبـد الـفـرد بـين جمـاعـة	كـانـوا ـ وإن سعـدوا بـه ـ أنعـامـا

- ١٦ -

تركت موطن آبائي: للشاعر رفيق المهدوي:

فارقتكم وفؤادي لا يفارقكم قيدتموه بأسباب وثيقات
أهل الوداد، وحبي للبلاد هما: أسباب تعذيب قلبي واشتياقاتي
تركت موطن آبائي على مضض مما تجرعت من هم وويلات
والله ما باختياري أن أفارقه لو لم ينغصه حكم الظالم العاتي
إني لأذكر يوم البين إذ هملت مدامعي فوق خدي مستهلات
وقد تحيرت في أمرين ما فتئا ينكدان حياتي في مناجاتي
لم ترض عزة نفسي بالمقام على ضيم الأعادي، وأرباب الجهالات
خرجت من وطني مثل الطريد فما ودعت خلا ولا أدركت ثاراتي

- ١٧ -

حنين غريب لأوطانه: للشاعر أحمد رفيق المهدوي ـ نظمها عام ١٩٣٩:

يا من، على البعد، نهواه، ويهوانا لشد ما شفنا شوق، فأضنانا
ذكرى عهود الهوى، باتت تساورنا يا من يبلغ للأحباب شكوانا
إنا بحكم الهوى، صرنا، ولا عجب، نزيد ذكراً، لمن يزداد نسيانا!
ما أنصفتنا الليالي، في قوى تركت جسما هنا، وهناك القلب ولهانا!
قلب أضر به حب الوفاء، فما أخل بالعهد، في حب، ولا خانا
واف؛ على البعد، لا النسيان خامره ولا استطاع على الأيام، سلوانا!
واها! لذكرى حبيب، كلما سنحت كأنما قدحت، في الجأش نيرانا!
ذكرى، تمثل في ريعان نضرته عصر الشباب، وإخوانا وأوطانا!
أما الشباب، وما كان الشباب لنا إلا على رغم أنف الدهر، طغيانا
كان الجنون، وما أحلى الجنون به ما لذة العيش، إلا فيه، إذ كانا

كأنه سكرة (طارت)، فأعقبها
صحو، أجد لنا، لا كان، أحزانا[1]

وما عرفنا له، في حال نشوتنا
قدرا، وكم جحد الكفران إحسانا!

يا حسرتا! ما تمتعنا برونقه
إذ كان، كالزهر، رفافا وريانا!

كأنه نعمة، من بعد ما ذهبت
ذقنا لها حسرة، حرى، وفقدانا!

لم يبق، من طيب لذات الشباب، سوى
ذكرى، تمازجها الآلام أحيانا!

وكيف! يلتذ بالأحلام، من ذهبت
بالصبح عنه. فبات الدهر يقظانا!

ورب إخوان صدق، كان يجمعنا
لهم إخاء، صفا سرا، وإعلانا

كانت مودتهم، قربى، ورؤيتهم
تجلو عن القلب، من دنياه مارانا[2]

ما سرنا، بعد ما ولت شبيبتنا
إلا صداقة من بالصدق صافانا

وفي الصداقة، عن فقد الصبا، عوض
إن الصديق شقيق، عز أو هانا!

ما في الحياة، من اللذات، أمتع من
صافى مودة عقل، حاز رجحانا!

لله، أيامنا، والشمل مجتمع
في ظل عيش، على الأيام أطغانا!

حتى خرجنا، عن الأوطان، من بطر
بنا، جزانا به الأحباب هجرانا

أنا على الهجر، ما ننفك، نذكرهم
فهل على بالهم، يجرون ذكرانا؟

ما خيم الليل، إلا بات، يقلقنا
شوق، إذا رقد السهار ناجانا!

نحن شوقا، إلى أوطاننا، فإذا
تبسم البارق الغربي، أبكانا[3]

ومن سوانا، جدير بالبكاء على
ذكرى (الفويهات)(والبركا)(وجليانا)[4]

معاهد، حبها، لو لم يكن شغفا
بما لها من جمال، كان إيمانا

قد طوحتنا الليالى، عن مواطننا
يا ويح كل غريب! قدره هانا،

لاعز، إلا لشاو، في مواطنه
إن الغريب مهان، أينما كانا

---

(١) سكرة طارت: استعمال دارج بمعنى أنه صحا مما كان فيه.
(٢) ران: غطى.
(٣) البارق الغربي: البرق مع الريح التي تهب على منطقة بنيغازى غرباً في زمن الشتاء، كثيراً ما تكون ممطرة بغزارة وهذا يذكره بوطنه الواقع غرب البلاد التي يقيم فيها.
(٤) الفويهات، البركة وجليانا أماكن ببنيغازى ذكرت سابقاً.

(مـا أقـدر الله أن يـدنى عـلى شحط سكـان برقـة، من سكان جيحـانا)[1]
(عين الـزمـان أصـابتنـا، فلا نـظرت وعـذبت بصنوف الهجـر ألـوانـا)

- ١٨ -

وداع: للشاعر أحمد رفيق المهدوى كتبها فى وداع وطنه وهو منفى عام ١٩٣٦ ميمماً وجهه شطر تركيا:

رحيـلى عنـك، عـز عـلى جـدا وداعـاً! أيهـا الـوطـن المـفـدى!
وداع مـفـارق، بـالـرغـم شـاءت لـه الأقـدار، نيـل العيش، كـدا!
وخـير مـن رفـاه الـعـيش، كـد إذا أنـا عـشـت، حـرا مسـتـبـدا!
سـأرحـل، عنـك، يـا وطنى، وإنى لأعـلم، أنـنى قـد جئـت إدا!
ولـكـنى، أطـعـت إبـاء نـفس أبـت لمـرادهـا فى الـكـون حـدا!
عـلو النفس، إن عـظمـت، شـقاء يـلذ، لمـن إلى الجـد اسـتـعـدا!
إذا رزق الـفـتى، نـفـسـا عـزوفـا تهـاون بـالخـطوب، وزاد جـدا
طـلبت الـعز فى وطـنى، مـقيـما فـأوسـعـنى زمـان الـسـوء، ردا
سـأركـب عـزمـة، حـذّاء، أمضى أقـدّ بهـا حجـاب الغيب قـدا!
أبـلغـهـا، وراء الـسـعـى، عـذرا لنجـح، صـد عنهـا، أو تصـدى!
سـواء عـاد بـعـد الجـهـد سـاع بـفـوز، أم سـعـى حـتى تـردى
فـلم أر راضـيـا بـالـعـيش، إلا ضـعيـفـا، أو من الجبن استمـدا!
ويـا وطنى، هجـرتـك، لا لـبغض ولا أنى مـنـحـت سـواك، ودا
فـلا والله، مـا هـاجـرت حـتى جـهـدت، ولم أجـد من ذاك بـدا!
يقـول: لى الصـديق، أرح ركـابـا فـإنـك واجـد أربـا، وجـدا
يـكـلفـنى، لأبـلغ، مـن حـطام غـنى، أرضى بـه لـيـدىَّ، قـدا!
فـقـلت لـطالـب الإحسـان قـيـدا قبـول القيـد، من شيم العبـدا!

---

(١) البيتان للعباس بن الأحنف الشاعر العباسى المشهور وأصل الشطرة فى البيت الأول «سكان دجلة من سكان جيحانا» عن الأغانى جـ ٨.

هـداك الله، كيـف تـطيـب نفسي | وفي عـنـقـي، أرى لـلأسر قـدا
تعفف، ليس غير الله، يعطي | بلا من، ولا شكر يؤدى!
ويا وطني، نبا بي، عنك، حب | وأحيانا يكون الحب صدا!
وقد يأتي الغيور بما يراه | خلي، من جوى، للعقل ضدا
فلست ألام؛ في تركي حبيبا | أرى في حبه، الأعداء ندا!
ويا وطني، وداعا! من محب | تحير رأيه، أخذا وردا
وداعا، لا أظن له لقاء | فوا أسفا؛ إذا ما البين جدا
أناديه، وقد زمت ركابي | وهد البين ركن الصبر، هدا
وجاشت، تخنق العبرات صوتي | وداعا! أيها الوطن المفدى!

وكلمة (جدا) في مطلع القصيدة عامية مبتذلة للغاية.

- ١٩ -

رفيق المهدوي يرثي شهداء «آل جعودة»[1]:

أهاجت أسى في القلب فاجعة الغدر | فبت ولي بين الجوانح كالجمر
تؤرقني ذكرى فراق أحبة | هم الشهداء الخالدون على الدهر
قضوا في دفاع عن حمى العرض إنهم | أسود تواصوا في المنية بالصبر
هنيئاً لكم في الفخر آل (جعودة) | مناقبكم كادت تجل عن الأجر
أشارككم في الصيت لست مؤبنا | ولا مادحا لكن مدحت بكم شعري
ستبقى لكم في كل قلب مكانة | وتذكركم أوطانكم ساعة العسر
سنحفظ للطليان حقداً مؤبداً | إلى الحشر ما دمنا، وفي الحشر والنشر

(١) اغتال الإيطاليون في أثناء الحرب العالمية الثانية هذه الأسرة المجاهدة، فهاجموها في عقر دارها واستأصلوها، ولم ينج منها غير طفل رضيع أصيب آنذاك بجراح برئ منها بعد قليل. وظل الشهداء صرعى لا يجرؤ أحد على دفنهم خوفاً من بطش الجيش الإيطالي بالعزل من السلاح.

بشير السعداوى المجاهد الليبى يقول:

قـالـوا: نحن إلى البـلاد وأهـلهـا	فـأجبتـهـم هـى بـغـيتى ومـرادى
تـالله لم أشـغـف بـغـير طـلالهـا	ولا منيتى مـالـت لـغـير بـلادى
فى حب هـاتيـك الـديـار وأهلهـا	ذابـت حشـاشـة مـهجتى وفـؤادى
مـذ غـردت بـالبين أغـربـة النـوى	مـن بيننـا مـاذقـت طعـم رقـادى
أمسى سميرى فى الدجا بدر السما	والـبـدر جسـم لا يجيـب منـادى
فـلطالمـا نـاديت فى غسق الـدجى	حبى فـتـذهـب صيحتى فى وادى
لهفى عـلى تـلك الـديـار وأهلهـا	قـوم لهـم فى المكـرمـات أيـادى[1]

ومن قصيدة المجاهد الكبير بشير السعداوى قالها تضمينا لقصيدة الطغرائى:

يـا حادى الـركب حث السير فى عجل	نحو المواطن بـين السهـل والجبـل
لا تيـأسى يـا ربـوع العز وانتـظرى	فـإن دولتهـم من أنـقص الـدول[2]

وكان المجاهد الكبير بشير السعداوى ١٣٠١ (١٨٨٤) - ١٧ يناير ١٩٥٧ م أديباً شاعراً، وقد ولد فى مدينة الخمس، وقرأ القرآن فى زاوية السنوسية فى سرت، وتعلم فى المدرسة الرشدية بالخمس وتخرج منها عام ١٩٠٤ م (١٣٢٢ هـ). وتولى وظائف كثيرة؛ فى صدر شبابه؛ واشترك مع المجاهدين ضد الاستعمار الإيطالى، ثم هاجر إلى تركيا عام ١٩١٣ وتولى فيها وظائف كثيرة، وعاد إلى طرابلس عام ١٩٢٠، فكان عضواً فى الحكومة الوطنية فى طرابلس؛ ثم ممثلاً لها لدى حكومة برقة؛ ثم هاجر إلى مصر ١٩٢٣؛ فبيروت؛ فدمشق فالحجاز؛ وقاد النشاط الوطنى لتحرير بلاده من خارج ليبيا ست سنوات (١٩٤٤ - ١٩٥٠) وأخيراً هاجر من طرابلس عام

---

(١) راجع ص ٥٣١ برقة العربية للأشهب.

(٢) راجع ٥٣١ برقة العربية للأشهب.

١٩٥٢ إلى الشام حيث تقيم أسرته[١] وتوفى هناك فى أوائل عام ١٩٥٧ م.

- ٢١ -

محمد بشير المغيربى يرثى[٢] رحومة الصارى[٣] (١٢٧٣ - ١٣٠٦ هـ):

قد كان مشيك فى الحياة على هدى   فانعم فقد بلغ المسير بك المدى
قد عشت متخذا وجودك فى الدنا   سببا لإدراك الخلود وموردا
تقضى النهار مفكراً ومذكراً   وتظل ليلك ساجداً متهجدا
لم تعرف التسعون منك سوى امرئ   ماامد قط لغير طاهرة يدا
هذا مقامك فى الخلود ففز به   وانعم فقد بلغ المسير بك المدى

كما كان هناك نشيد للعلم نظمه الشاعر محمد بشير المغيربى شاعر الشباب عام ١٩٤٣ ليردده جيش التحرير[٤].

- ٢٢ -

يلوموننا: للشاعر محمد ميلاد مبارك خريج الأزهر الشريف عام ١٩٣٧:

دعوت فهل من سامع لدعائيا   وناديت هل لبى الشباب ندائيا
أيحيا غريب الدار فى الدار سيدا   ونحيا عبيدا بينه ومواليا
يقولون: إن البغى ولى زمانه   وأضحى معين القوم عذبا وصافيا

---

(١) ٩١ - ٩٣ أعلام ليبيا.
(٢) ١١٤ أعلام ليبيا.
(٣) لرحومة الصارى منظومات كثيرة منها نظم رسالة الدردير فى علم البيان وسماه «دلالة الحيران على تحفة الإخوان» (١١٣ أعلام ليبيا).
(٤) ٣٣٨ برقة العربية للأشهب.

وأصبح أمر الشعب للشعب خالصا   وأصبح صوت الحق كالرعد داويا[1]
فيا ليت شعرى ما لعيني لا ترى   مخازى ذاك العهد إلا مخازيا[2]

- ٢٣ -

السعادة: للشاعر محمود محمد المنتصر:

نشدتك بين الربا والنجود   ودون الوجود وخلف الوجود
أفي الكون أنت أم الكون فيك   أم البحث عنك سيفنى الجهود
نشدتك بين بديع الزهور   ونور الخدود وصافى الورود
ترى أين أنت؟ أنجم حواك   أم النجم يرجو إليك الصعود
دنوت دنوت، فكنت المنى   وخلتك حولى ظنون الحسود
وبنت فكنت شقاء النفوس   وأي شقاء كنحس الجدود[3]

- ٢٤ -

حكاية: للشاعر يحيى توفيق وفيها روح التقليد لعمر بن أبن ربيعة:

وحيد مع الذكرى مع الليل والفكر   وطيف لليلى راح يدنو مع الفجر
أقول له يا طيف كيف تركتها   أفي الشوق مثلى أم تراها سلت ذكرى
لئن نسيت حبى فلست على النوى   بناس ليالى الحب ما عشت من عمرى
وعادت بى الذكرى ليوم خصامنا   وقد قابلتني فى الطريق مع العصر
تسير وتربيها وكنت هجرتها   زمانا فلم تسأل ولم تدر ما عذرى
فلما رأتني أعرضت وتجهمت   لتخفى الذي كانت تعانيه من هجرى

---

(١) (داويا) كلمة مستعملة كثيراً وهى خطأ وصحتها (مدويا)، ولكن لا يستقيم بها وزن البيت.
(٢) راجع ٢٤٢ و٢٤٣ الشعر والشعراء فى ليبيا.
(٣) راجع ٢٤٤ و٢٤٥ الشعر والشعراء فى ليبيا.

فقلت لها لما رأيت صدودها ... لقد عيل يا أختاه فى صدكم صبرى
ألم تدركى أنى لحسنك عابد ... وحبك فى روحي يزيد ويستشرى
فقالت لتربيها وقد راح طرفها ... يذوب على طرفى كلاماً عن الغدر
فتابعتها حيناً أسير وراءها ... حثيثاً أناجيها بما قلت من شعرى
أذكرها الماضى لعل فؤادها ... يلين ويصفو بعد ما كان من أمرى
فلما وصلنا الحى غاب رفاقها ... فراحت على مهل وتختال فى السير
فحاذيتها أشكو الهوى فتبسمت ... وبان الذى تخفى عن الناس من سر
وقالت وقد طال العتاب هجرتنا ... بلا سبب يدعو إلى الصد والهجر
فقلت لها مهلا ولا تظلمينى ... فقد كدت من دائي أسير الى قبرى
فلما غلبت الداء أسرعت لاهثا ... إليك أجوب الدرب فى وقدة الظهر
نسيت إبائي بل نسيت كرامتى ... وأمسيت من شوقى كمن غاب فى سكر
فقالت بشوق قد حسبتك خنتنى ... وكادت لفرط الشوق تبكى على صدرى
فودعتها عند الغروب لنلتقى ... على حذر بالليل فى داخل القصر
فلما أجن الليل غادرت منزلى ... أسير بلا عقل وأسرع فى سيرى
وحمت حيال القصر أرقب خلسة ... منافذه عبر الدجى آخذا حذرى
وأيقنت أن الدار قد نام أهلها ... فقمت إلى الأسوار أجتاز في يسر
وأوغلت فى البستان أمشى إلى الهوى ... كمجنون حب راح يسعى بلا فكر
فلو أن شخصا قد رآني صدفة ... لخمن اني مفلس ضاق بالفقر
وراقبتها والنور فى الخدر مسرج ... وموعدنا أن تطفىء النور فى الخدر
فلما تلاشى النور رحت بلهفة ... أسير خلال الزرع فى خفة النمر
أحاذر نشوانا وفى القلب سكرة ... ألذ على الوجدان من سكرة الخمر
واقبلت نحو الخدر ثم ولجته ... لا لقى التى أودعتها طائعاً عمرى
وعانقتها والطهر يحرس حبنا ... عناق محب تاق للجيد والثغر
وقبلتها أحنو عليها كأنني ... أقبل ركن البيت أو تربة القبر
تسائلني همساً وقد راح كفها ... يهيم على وجهى وينساب فى شعرى
أتعلم أنى فى فراقك لم أنم ... وكنت أقوم الليل أبكى إلى الفجر
فقلت لها حالى كحالك فى النوى ... سهاد وحرمان كمثل الذى تدرى

حبيبان كنا فى وفاق وألفة | كطيرين فى عش يعيشان فى ستر
وفارقتها فجرا وفارقت عندها | فؤادى، وكم يشقى الهوى خالى الفكر
وفاجأنى كلب الحراسة رابضا | فلما رآنى قام ينبح فى إثرى
فعدت إلى ليلى ألوذ بخدرها | أخاف من الحراس أن يفضحوا أمرى
فقالت تخبأ تحت ستر أريكتى | ولا تتحرك... ثم فى غاية المكر
دنت تسأل الحراس ماذا أصابهم | فقالوا :لصوص قد أغاروا على القصر
فأغلقت الأبواب تظهر خوفها | وعادت إلى حضنى فوسدتها صدرى
وجاء أبوها باحثا ومفتشا | ومر علينا يطرق الباب فى ذعر
فقالت بضيق من؟ فرد مطمئنا | ألم تلحظى شيئا وهل أنت فى خير
فقالت بخير يا أبى وتثاءبت | ليحسبها نومى تتمتم بالشكر
وأمضيت اياما سجينا بخدرها | وما أعذب السجن المؤبد فى الخدر
تسامرنى ليلا إذا نام أهلها | فنسهر فى نجوى ونمرح فى بشر
وتطعمنى إن جعت بعض طعامها | وتلبسنى من بعض أثوابها الخضر
فلما نسوا أمرى تسللت خارجا | أغافل كلب الزرع فى موقفى الوعر
ومرت بنا الأيام نرتع فى الهوى | ولم نحسب الأيام تجنح للغدر
فلما رمانى الدهر بالبين لم اجد | سوى الدمع والذكرى وطيف لها يغرى
فيا رب إن كان الفراق مقدرا | علينا فداو القلب يا رب بالصبر
ويا رب إن الموت فى الحب راحة | فلا تحرم المحروم من راحة القبر

- ٢٥ -

جاء الربيع: للشاعر أحمد رفيق المهدوى:

جاء الربيع فقم بنا يا صاح | نلق الزمان يمر بالأفراح
فى موكب لبس الزمان شبابه | واختال منه بميعة ومراح
عرس زهت فيه الطبيعة فاكتست | حلل النبات البارض الفواح[1]

---

(١) البارض: أول ما تخرج الأرض من نبت صغير.

أيامه حور حسان أقبلت ... تهدى عروس الراح للأرواح
فانهض لها ودع الخمول وهاتها ... صهباء تحكى نكهة التفاح
مثلوجة جاءت تفور كأنها ... لهب أذيب ففاض فى الأقداح
جاشت بنشوتها، كذلك فعلها ... فى النفس حين تجيش بالأفراح
(خفت فكادت أن تطير بكأسها ... وكذا الجسوم تخف بالأرواح)(1)
روح السرور إذا سرت نفحاتها ... فى الروح زالت غمة الأتراح
لا (فضة ذهب) بل الحلب الذى ... (في يوم عرس من خدود ملاح)(2)
إنى على الافلاس لا اختار عن ... خد المليح، وثغره الوضاح
فاشرب على وجه الربيع فقد رنا ... متبسماً عن نرجس، وأقاح
والورد ينشر فى الصباح روائحا ... صاحت تسوحد فالق الاصباح
والفل فتح فى المساء ثغوره ... يتلو بديع لطائف الفتاح
وكأن أزهار المروج تناهبت ... قوس الغمام لحليـة ووشاح
جمعت من الألوان حين تفرقت ... من كل غض أزهر لماح
وعلى التلال مطارف من سندس ... خضر ترف على النهار الضاحى(3)
والشمس ترسل في الشعاع حرارة ... عرض النسيم لجدها بمزاح
مزج الندى بعبير حوذان الربا ... فجرى بطيب ساحر نفاح(4)
يا صاح قم لاق الربيع بنزهة ... فى فتية غر الوجوه صباح
لك من شمائلهم ربيع زهره ... أدب يفيض كفيضهم بسماح
فى روضة غناء غرد طيرها ... فوق الغصون مصفقا بجناح
وتمايلت أفنانها فكأنها ... طربت لشدو البلبل الصداح
فى قرب جابية لدفقة دلوها ... صوت كصوت الفحل بين لقاح(5)

---

(١) هذا البيت لأحد المغاربة.
(٢) إشارة إلى قول حافظ: من خدود الملاح فى يوم عرس. وفضة ذهب: إشارة إلى بيت شوقى المشهور.
(٣) مطارف: جمع مطرف، وهي أردية مربعة من خز.
(٤) حوذان: نبات طيب الطعم زهره أحمر.
(٥) الجابية: الحوض الضخم.

ولها خرير مسرع متمهل يحكى دوى النحل فى الاجباح[1]
جمت بذوب الماس فهى كصفحة المرآة من عذب المذاق قراح
يجرى إلى الريحان حف بمجلس فى ظل غصن الخوخ والتفاح
حيث الوسائد والطنافس جمة جمعت وسائل راحة المرتاح
فاعقد هنالك جلسة علنية واحكم بتزييف ادعاء اللاحى
لا تستمع إلا لشاد مطرب حلو الترنم ليس بالصياح
مترفق النغمات تسمع بينها للعود أنة عاشق ملتاح
فكأن بالموزون من ألحانه تتحرك الأوتار لا بالراح
يا صاحبى بدد همومك إنها صدأ العقول وعلة الأرواح
متع شبابك بالربيع فإنه عيد الزهور يمر بالأفراح
كالعرس فاقتبل السرور فربما عادت أغانى العرس رجع نواح[2]
لا بأس من طرب الكريم ولهوه مترفعا عن سبة وجناح
فاخلط ـ ببعض المزح جدك واعتصم إن جئت فعلا سيئا ـ بصلاح
وكن ابن وقتك طيبا متمردا لكن لغير (غباوة ووقاح)
إنى ليعجبنى الفتى متجبرا كتجبر (الحجاج) والسفاح[3]
يختال فى بعض الغرور بعزة فى نفسه وبهمة وطماح
زمن الشباب ربيع عمرك فاجتهد فى أن يكون وسيلة لنجاح
فمن الخمول ربيع عمر ينقضى فى غير جد للعلا وكفاح

وقد عارض رفيق بها قصيدة «الربيع» لأمير الشعراء أحمد شوقى التى يقول منها:

آذار أقبل قم بنا يا صاح حى الربيع حديقة الأرواح

(١) الاجباح: جمع جبح، وهى خلية النحل.
(٢) هذا الشطر لشوقى.
(٣) الحجاج: أحد الولاة الأمويين، والسفاح: أول الخلفاء العباسيين.

واجمع ندامى الظرف تحت لوائه ... وانشر بساحته بساط الراح
صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها ... فالصفو ليس على المدى بمتاح
واجلس بضاحكة الرياض مصفقا ... لتجاوب الأوتار والأقداح
وأستأنسن من السقاة برفقة ... غر كأمثال النجوم صباح
رقت كندمان الملوك خلالهم ... وتجملوا بمروءة وسماح
واجعل صبوحك فى البكور سليلة ... للمنجبين: الكرم والتفاح[1]
مهما فضضت دنانها فاستضحكت ... ملئ المكان سنى وطيب نفاح
تطغى فإن ذكرت كريم أصولها ... خلعت على النشوان حلية صاحى
(فرعون) خبأها ليوم فتوحه ... وأعد منها قربة (لفتاح)[2]
ما بين شاد: فى المجالس أيكه ... ومحجبات الأيك فى الأدواح
غرد على أوتاره يوحى إلى ... غرد على أغصانه صداح
بيض القلانس فى سواد جلابب ... حلين بالأطواق والأوضاح
رتلن فى أوراقهن ملاحنا ... كالراهبات صبيحة الافصاح
يخطرن بين أرائك ومنابر ... فى هيكل من سندس فياح
ملك النبات، فكل أرض داره ... تلقاه بالاعراس والأفراح
منشورة أعلامه من أحمر ... قان وأبيض فى الربى لماح
لبست لمقدمه الخمائل وشيها ... ومرحن فى كنف له وجناح
يغشى المنازل من لواحظ نرجس ... آنا وآنا من ثغور أقاح[3]
ورءوس (منثور) خفضن لعزه ... تيجانهن عواطر الأرواح
الورد فى سرر الغصون مفتح ... متقابل يثنى على الفتاح
ضاحى المواكب فى الرياض مميز ... دون الزهور بشوكة وسلاح
مر النسيم بصفحتيه مقبلا ... مر الشفاه على خدود ملاح
هتك الردى من حسنه وبهائه ... بالليل ما نسجت يد الإصباح

(١) الصبوح: ما اصطبح به من الشراب
(٢) فتاح: أحد آلهة قدماء المصريين.
(٣) أقاح: نبات له زهر أبيض.

ينبيك مصرعه وكل زائل أن الحياة كغدوة ورواح
ويقائق النسرين فى أغصانها كالدر ركب فى صدور رماح[1]
والياسمين لطيفه ونقيه كسريرة المتنزه المسماح
متألق خلل الغصون كأنه فى بلجة الأذان ضوء صباح[2]
(والجلنار) دم على أوراقه قانى الحروف كخاتم السفاح
وكأن محزون البنفسج ثاكل يلقى القضاء بخشية وصلاح
وعلى الخواطر رقة وكآبة كخواطر الشعراء فى الأتراح
والسرو فى الحبر السوابغ كاشف عن ساقه كمليحة مفراح
والنخل ممشوق القدود معصب متزين بمناطق ووشاح
كبنات فرعون شهدن مواكبا تحت (المراوح) فى نهار ضاح
وترى الفضاء كحائط من مرمر نضدت عليه بدائع الألواح
الغيم فيه كالنعام: بدينة بركت، وأخرى حلقت بجناح
والشمس أبهى من عروس برقعت يوم الزفاف بعسجد وضاح
والماء بالوادى يخال مساربا من زنبق أو ملقيات صفاح[3]
بعثت له شمس النهار أشعة كانت حلى (النيلوفر) للسباح
يزهو على ورق الغصون نثيرها زهو الجواهر فى بطون الراح
وجرت سواق كالنوادب بالقرى رعن الشجى بأنة ونواح
الشاكيات وما عرفن صبابة الباكيات بمدمع سحاح
من كل بادية الضلوع غليلة والماء فى أحشائها ملواح[4]
تبكى إذا ونيت وتضحك إن هفت كالعيس بين تنشط ورزاح[5]
هى فى السلاسل والغلول وجارها أعمى ينوء بنيره الفداح
إنى لأذكر بالربيع وحسنه عهد الشباب وطرفة الممراح[4]

(١) يقائق: جمع يقق وهو شديد البياض والنسرين ورد أبيض عطرى.
(٢) البلجة: آخر الليل عند انصداع الفجر.
(٣) صفاح: واحدة صفح وهو عرض السيف.
(٤) الملواح: هو السريع العطش.
(٥) رزحت الناقة: ألقت نفسها اعياء وهزالا.
(٦) الطرف: الكريم من الخيل.

هـل كـان إلا زهـرة كـزهـوره عـجـل الفنـاء لهـا بغـير جنـاح

وقصيدة شوقى مشهورة وقد عارضها كثير من الشعراء، وتشتمل على الأغراض الآتية:

١ - تحية الربيع والدعوة إلى شرب الراح فيه ووصف الاجتماع بالندامى والسقاة ووصف أخلاقهم الكريمة ووصف الراح ومجالسها وقدمها كأن فرعون قد خبأها ليشربها يوم انتصاراته، وليقدم منها قرباناً للإله فتاح (البيت الأول إلى العاشر).
٢ - وصف الطيور وتغريدها على الأغصان والرياض وتنقلها بين الأدواح والأفنان (١١ - ١٥).
٣ - وصف الربيع بأنه ملك النبات ووصف تفتح الأزهار والورود والأشجار فيه (١٦ - ٣٤).
٤ - وصف روعة الأفق وجمال الجو وترقرق المياه فى الجداول والأنهار وجريان السواقى فى المزارع بصوت يشبه صوت النوادب فى القرى الخ (٣٥ - ٤٥).
٥ - ختم القصيدة بتحية الربيع ووصف حسنه وتشبيهه بعهد الشباب (٤٦ - ٤٧).

أما قصيدة المهدوى التى عارض بها قصيدة شوقى فتشتمل على الأغراض الآتية:

١ - وصف الزمان وأعراس الطبيعة فى الربيع (١ - ٤).
٢ - وصف الخمر والدعوة إلى شربها فى الربيع وأنه لا يعدل بها شيئا إلا رضاب ثغر حبيبه الوضاح (٥ - ١١).
٣ - تفتح الأزهار والورود والرياحين فى الربيع (١٢ - ١٩).
٤ - وصف نزهة فى الربيع مع إخوان كرام فى روضة غناء والاستماع لصوت مغن جميل فيها (٢٠ - ٣٢).

٥ - الدعوة إلى انتهاز الربيع فرصة لتضييع الهموم والأحزان (٣٣ - ٤٢).

وتتشابه القصيدتان:

١ - فى الوزن والقافية وإعرابها.
٢ - فى بعض الأوزان كتحية الربيع ووصف جماله واعتدال الجو فيه، وتفتح الأزهار وشرب الراح فى ظلاله.
٣ - ووصف شوقى للساقية يشبه وصف المهدوى للدلو.
٤ - كما تتشابه القصيدتان فى كثير من المعانى والألفاظ والأساليب كقول شوقى:

أذار أقبل قم بنا يا صاح

وقول المهدوى:

جاء الربيع فقم بنا يا صاح

وكقول شوقى فى إخوانه:

غر كأمثال النجوم صباح

وقول المهدوى:

فى فتية غر الوجوه صباح

وتختلف القصيدتان فيما يلي:

١ - فى قصيدة المهدوى زيادة أغراض ليست فى قصيدة شوقى كوصف نزهة فى الربيع وكالدعوة إلى انتهاز الربيع فرصة لتبديد الهموم والأحزان.
٢ - وفى قصيدة شوقى زيادة معان ليست فى قصيدة المهدوى كوصفه للطيور وتغريدها على الأغصان فى الربيع، وكوصفه لقدم الخمر وأنها معتقة من عهد الفرعون.
٣ - وشوقى أعذب لفظاً وأعلى خيالاً وأرق أسلوباً، وأكثر معانى وأفسح شاعرية؛ والمهدوى معارض ومقلد لشوقى.

والربيع زهر وعطر وسحر.

فى دفئه الجميل، وشمسه المشرقة، وابتسامته العذبة، وفى هدوئه وصفائه وخضرته ومائه، وفى إقباله وجماله، ما أغرى الشعراء بالكلام، وألهمهم روائع القصيد... ولا عجب فى ذلك فالطبيعة فى كل زمان ومكان هى المثابة لروح الإلهام فى الشعر، وهى الموحية للشاعر بالكثير من ألوان الخيال والصور والمشاعر والخواطر والمعانى والآثار الأدبية. فالطبيعة تبحث - كما يقول شبلنج الألمانى - فى الرجل عن صورتها، والرجل يبحث فى الطبيعة عن صورته، والشاعر فى قلب الحقل يهتز - كما يقول ميستول - كما يهتز صدى الصوت؛ وقد افتتن الشعراء بالطبيعة وصوروها فى شتى مشاهدها صوراً تجمع غالباً بين صدق الأداء، وحرارة الإحساس، فما بالنا بالربيع وهو قصة كمال الطبيعة وجمالها.

وفى الشعر العربى القديم نجد شعراء يغنون فى شعرهم للطبيعة، ويحفل شعرهم بصورها، كأبى تمام والبحترى وابن الرومى وابن المعتز والصنوبرى وابن وكيع التنيسى وابن حمديس الصقلى وابن خفاجة وسواهم، وقد وصف الشعراء القدامى الربيع وجماله فى قصائدهم، وتعد من أجملها قصيدة أبى تمام التى يقول فيها:

يا صاحبى تقصيا نظريكما	تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهاراً مشمسا قد شابه	زهر الربى فكأنما هو مقمر

وكان لآذار مهرجان دائم عند العباسيين.

وكما تحدث الشعراء العباسيون والشعراء فى الغرب مثل وردزورث، وشيلى وهاردى، وموزال، وهوجو، ولامرتين، فى وصف الطبيعة والربيع والأزهار والريف، تحدث شعراؤنا المعاصرون من أمثال: أبى شادى ومطران وشكرى وعلى محمود طه والهمشرى والشابى وأبى ماضى وسواهم؛ وتغنوا بالربيع وجماله، والربيع دائماً يثير الشعراء، ويوقظ مشاعرهم، ويلهمهم روائع الآيات فى كل بيئة وعصر. ومن ثم نجد الربيع ماثلاً فى الشعر المعاصر،

بكل فتنته وروعته وسحره وحيويته، وإشراقه وخضرته.

ولافتنان الشعراء بالربيع سمى الكثير منهم دواوينهم به، فهذا ديوان: أطياف الربيع للدكتور أحمد زكى أبو شادى، الذى طبع عام ١٩٣٣، وهذا ديوان الربيع للشاعر المهجرى الكبير إلياس فرحات، المطبوع فى سان باولو عام ١٩٥٤، وللشاعر العربى طاهر زمخشرى ديوان أحلام الربيع، وديوان أنفاس الربيع، وللشاعر كمال نشأت ديوان «ماذا يقول الربيع».

ويصور أمير الشعراء أحمد شوقى الربيع بمهرجان للجمال والصفو والصبوح والزهور، فى قصيدته الطويلة «الربيع ووادى النيل»[١]:

آذار أقبل قم بنا يا صاح   حى الربيع حديقه الأرواح

ويسير على نهج أمير الشعراء الشاعر الليبى أحمد رفيق المهدوى (١٨٩٨ - ١٩٦١) فنظم قصيدته (جاء الربيع)[٢] التى عارض بها قصيدة شوقى.

وفى هذا الإطار الفنى والتصور الجميل للربيع يحيى الشاعر محمود غنيم الربيع عيد الطبيعة، ويذكر أنه أجل ملهميه بالشعر، فيقول من قصيدته «موكب الربيع»[٣]:

حى الربيع وحى عطر نسيمه   والثم جبين الصبح فى آذار
عيد الطبيعة يحتفى وحش الفلا   بحلوله، والطير فى الأوكار
إنى لترهف فى الربيع مشاعرى   ويدق حسى دقة الأوتار
ويزيد فيه بالجمال تدلهى   وأنا امرؤ حب الجمال شعارى
متع فؤادك بالربيع فإنه   لحن الزمان وبسمة الأقدار
إن الربيع هو الحياة وسحرها   لولاه لم نحرص على الأعمار

(١) جـ ٢ صـ ٢٣ الشوقيات ط ١٩٤٨ - شركة فن الطباعة.
(٢) جـ ١ صـ ١٠٧ ديوان رفيق - مطبعة الرسالة ١٩٥٩ بالقاهرة.
(٣) صـ ٢٨٠ - ديوان غنيم - مطبعة دار المعارف بالقاهرة.

ويخالف الدكتور أحمد زكى أبو شادى هذا المنهج الوصفى فى الحديث عن الربيع فيقول من قصيدته «ميلاد الربيع»:

أمن العواصف والدموع هذى الملاحة للربيع؟
هذى الأشعة جسدت فى كل حسن تستطيع
يا عين ما النبع الذى غمر الجمال به الربيع؟
جاءت به حور الجنا ن وحاذرت ألا يضيع
أحلى التحايا للربيـ ـع حياة مايوحى الربيع[1]

ويعلل الشاعر المهجرى الكبير إلياس فرحات حبه للربيع هذا التعليل الجميل فيقول من قصيدته «حب الربيع»[2]:

أحب الربيع وأيامه وأهوى لياليه الضاحكات
فإن الربيع شباب الزمان وإن الشباب ربيع الحياة

وفى أشعار الزهاوى[3] وحافظ جميل[4] وعلى محمود طه والهمشرى أوصاف جميلة للربيع؛ ويجيء عبد القادر رشيد الناصرى بنغمة حلوة فى وصف الربيع فيقول من قصيدته «فى ارتقاب الربيع»[5].

الربيع الربيع ملء ضلوعى صلوات.. إلى ارتقاب الربيع
كلما مر طيفه فى خيالى ظمئت مهجتى وجاعت ضلوعى
لا أرانى أعيش حتى أراه ومضات فى الخاطر المفجوع
موكبا إثر موكب تزرع السحـ ر يداه مفاتننا فى الربوع
نافخا نايه بوشى الروابى بضروب من الجمال الوديع

---

(١) صـ ١٠ أطياف الربيع ط ١٩٣٣ م.
(٢) صـ ٢٢٨ ديوان الربيع ـ إلياس فرحات ـ سان باولو ١٩٥٤ م.
(٣) جـ ١ صـ ٤١ ديوان الزهاوى ـ طبع القاهرة ـ قصيدة الربيع والعطور.
(٤) ٢٢٧ نبض الوجدان ط ١٩٥٧ بغداد ـ مطبعة الرابطة ـ قصيدة حسناء الربيع.
(٥) صـ ١٨٦ جـ ٢ ديوان الناصرى تحقيق الأستاذين هلال ناجى وعبدالله الجبورى.

كلما افتر ثغره سكر الور — د غنى الهزار فوق الفروع
وجرى الجدول الكسول يناغى — بالهوى العف ظامئات الزروع
سائليني عن الربيع فإنى — أنا أدرى بسحر معنى الربيع
فى دمى منه شعلة تكسب الشعـ — ـر عبيرا من قلبى المصدوع
وتحيل الحياة جنة شوق — يرتوى زهرها بفيض دموعى

وهكذا عبر الشاعر العربى المعاصر عن الربيع فى شعره تعبيراً يتناول حينا مظاهره وألوان الجمال الذى أودعه، وحينا آخر سره وحقيقته وجوهره، وحيناً ثالثاً مشاعر الإنسان وعواطفه وحبه ولهوه فيه، وحيناً رابعاً وقف مبهوراً يتأمله دون أن يدرى ما يقول. . . وما أجمل ما يقول الشاعر العربى القديم ابن المعتز (٢٤٧ ـ ١٩٦ هـ) فى وصفه:

حبذا آذار شهرا — فيه للنور انتشار
ينقص الليل إذا جا — ء ويمتد النهار
نقشه آس، ونسر — ين وورد وبهار
وعلى الأرض اخضرار — واصفرار واحمرار

وليس من قصدنا فى هذا الحديث أن نضع كل هؤلاء فى منازلهم الأدبية، ولا أن نوازن بينهم موازنة تكشف عن الفاضل والمفضول، ولكنا نستعرض هنا مناهجهم وطرقهم الفنية فى الحديث عن الربيع، وجماله وسحره وروعته، وذلك ما إليه قصدت، وما عنه تحدثت.

الفصـل الثـاني

كفاح ليبيا وبطولاتها

فى شعر الشعراء العرب المعاصرين

مجد الشعراء العرب المعاصرون بطولة الشعب الليبى وكفاحه من أجل حرية بلاده واستقلالها فى قصائدهم وشعرهم. وسنذكر هنا صوراً مما قاله شعراء العروبة فى هذا المضمار.

١ ـ يقول أمير الشعراء شوقى ـ حين ثار عرب ليبيا لما غزا الطليان بلادهم وتصدوا لرد المستعمرين فهو يعتز بشجاعتهم ويشيد ببأسهم ويكبر جهدهم فى سبيل حريتهم وحرماتهم، وهو يستقبل عام ١٣٣٠ هـ:

وبجاهدين هناك عند معسكر ... ومن المهابة بين ألف معسكر
موفين للأوطان بين حياضها ... لا يسمحون بها وبين الكوثر
عرب على دين الأبوة فى الوغى ... لا يطعنون القرن ما لم ينذر
ألفوا مصاحبة السيوف وعودوا ... أخذ المعاقل بالعنا المتشجر
يمشون من تحت القذائف نحوها ... لا يسألون عن السعير الممطر
فى أعين البارى وفوق يمينه ... جرحى نجلهم كجرحى خيبر
من كل ميمون الضماد كأنما ... دم أهل بدر فيه أو دم حيدر
جذلان هينة عليه جراحه ... وجراحه فى قلب كل غضنفر
ضمدت بأهداب الجفون وطالما ... ضمدت بأعراف الجياد الضمر
عواده يتمسحون بثوبه ... كالوفد مسح بالحطيم الأطهر

٢ ـ ويقول حافظ إبراهيم فى الحرب الإيطالية الطرابلسية من قصيدة طويلة:

خبروا (فكتور) عنا أنه	أدهش العالم حربا ونظاما
أدهش العالم لما أن رأى	جيشه يسبق فى الجرى النعاما
لم يقف بالبر إلا ريثما	يسلم الأرواح أو يلقى الزماما
ما لهم (والنصر من عاداتهم!!)	لزموا الساحل خوفا واعتصاما
إيه يا (فيزوف) نم عنهم فقد	نفضت إفريقيا عنها اللثاما
فهى بركان لهم سخره	مالك الملك جزاء وانتقاما[1]

٣ ـ ويقول مصطفى صادق الرافعى فى جهاد ليبيا الحرة للغزاة:

من الصواعق لا يبقى ولا يذر	إذا انتضاه لأهل النقمة القدر
يرمى به الله رجما لا يقوم له	هام الشياطين إلا ريث ينحدر
فى حده من شعاع الموت بارقة	يموت من هولها فى الضربة النظر
سيف تجرده الدنيا لمن جحدوا	بأس الأوائل حتى يشهد الأخر
فكلما بلى التاريخ جدده	وكلما كاد ينسى أهله ادكروا
سيف الطبيعة تنقض الطبيعة فى	آثاره وبها من غيظها زور
جاءوا إلينا سوادا كالدجى فبدا	من بيض أسيافنا خلف الدجى السحر[2]

٤ ـ الحرب الطرابلسية من شعر فؤاد الخطيب باشا فيها:

هل تحجمون وحبل الدين منصرم	أم تجزعون وفيكم ذلك الشمم
إخوانكم يا بنى الإنسان تسألكم	عطفا وإن تبخلوا فالله منتقم
لا تجعلوا القول عونا فى الخطوب لكم	أين الفعال وماذا تنفع الكلم
يا صاحب السيف والآجال واحدة	أسرع إلى السيف لازلت بك القدم

(١) راجع القصيدة كلها فى ٣٣٤، ٣٣٥ برقة العربية للأشهب.

(٢) راجع القصيدة كلها فى ديوان الرافعى، وفى ٣٣٦، ٣٣٧ برقة العربية.

يـا صـاحب المـال والأمـوال بـائـدة بـادر إلى البـذل لاضـاقت بـك النعم
لا تـطلبـوا من بنى الـطليان صـالحـة إن الـرزيـة فى أرجـائـهـم عـمـم
آلـوا عـلى انـفسـهم ألا تجـاورهـم إلا الـبراكـين والـنـيران والحـمـم
هـل يذكـرون وقد سـال البنـان نـدى منـا عليهـم أم الـذكـرى لهـا ألم
قـالـوا الحضـارة والـدنيـا تكـذبهم والعـدل ينكرهم والفضـل والكـرم[1]

٥ - ويقول الرصافى فى الحرب الطرابلسية من قصيدة طويلة:

يعـز علينـا أهـل بـرقـة أنكـم تـدور عليكم بـالـدمـاء رحى الحـرب
وأنـا إذا مـا تـستـغيثـون لم نـجـد إليكم عـلى بعـد المسـافـة من درب
وقـد عـلم الأعـداء أن سـيـوفنـا تململ فى الأغـماد شـوقـا إلى الضرب
ويـأهـل بنيغـازى سـلام فقـد قضت صـوارمكم حق المـواطن فى الـذب
حميتـم حمى الأوطـان بـالمـوت دونها وذاك بمـا فـيكـم لهن مـن الحـب
ومـن مبـلغ عنـا (السـنـوسى) أنـه يمـد لهـذا الصـدع منـه يـد الـدأب[2]

٦ - ويقول أحمد محرم فى الحرب الليبية[3] من قصيدة طويلة:

رويـدا بـنى رومـا فللحـرب فـتيـة تهيـج الـظبى أصـواتهـم واللهـازم
معمـون فيهـا مخـولـون إذا اعـتروا نمتهـم قـريش فى الحفـاظ وهـاشـم
ألست تـرى ذؤبـان رومـا ومـالهـم من الحتف فى بـطحـاء بـرقـة عـاصـم

٧ - وفى الحرب الطرابلسية يقول الشاعر أحمد الكاشف من قصيدة طويلة عصماء:

يـا أخت مصر وفى حشـاهـا جمـرة لـبيـك حتى يكـتـفـى الـداعـونـا
بـعثـت إلـيـك بـزادهـا وتـود لـو بـعثـت إليـك الجـنـد مبـتـدريـنـا
والـنيـل لـو مـلكت أعنتـه جـرى خـلف الـقـلوب مـودة وحـنـيـنـا

(١) ٣٣١، و٣٣٢ برقة العربية للأشهب.
(٢) ٣٢٩ - ٣٢١ برقة العربية للأشهب.
(٣) الجزء الثاني من ديوان محرم، ٣٣٩ برقة العربية للأشهب.

يـا آل رومـة تـطلبـون أمـانـيـا   ختـالـة أم تـطلبـون مـنـونـا؟
جئـتـم تجـرون الحـديـد ورحـتـم   بحـديـدكم فى اليم مـغلوبـيـنـا[1]

٨ ـ ويقول الشاعر حسن القاياتى فى الحرب الليبية:

يـعـز عـلى الإسـلام أشـلاء جمـة   رمـاهـا ببلواهـا الـزمـان فلم يعـد
أحـل بـقلبى لـوعـة كـل سـيـد   بـبرقـة لا يـنـفـك يـقـتـله وغـد
أفى الـرق أن يغتـال فى المهـد راضـع   يكـاد من الإشفـاق يبكى لـه المهـد
عـلى مثل صرعى الحـرب تنهل أدمـع   ويـرمى الأسى فى كل صـدر فيتقد[2]

٩ ـ شاعر عربى فى الحرب الطرابلسية:

حـيـا الإلـه بـبرقـة الأبـطالا   خـذلـوا العـدو وأوسعـوه نـكـالا
أسـد إذا دعـت الـوغى أبنـاءهـا   نـفـروا خفافاً لـلوغـى وثـقـالا
دول الـسـلام عـلى الـسـلام تحيـة   إن كـان تـأويـل الـسـلام نـزالا
فى أي ديـن أو كـتـاب مـنـزل   فيـه أتى قـتـل الـنـفـوس حـلالا
ابنى طـرابلس حـفـظتم مـلككـم   يـوم الـنـزال وصـغـتـم الأعـمالا
بيضتمـو وجـه الحـمى ومـلأتمـو   عـين الـعـبـاد مـهـابـة وجـلالا
تيهـوا عـلى الـدنيا فخـارا واسبقـوا   يـوم الـفـخـار وجـرروا الأذيـالا
قـد خلد التـاريـخ ذكـر فعـالكم   إن الـزمـان يخـلد الأفـعـالا[3]

١٠ ـ وفى الحرب الليبية نظم كل الشعراء العرب وخاصة شعراء مصر قصائد بليغة، منهم محمد صبرى (السربونى فيما بعد)، ومحمود عماد، وحمزة الفقى الجهينى، ومحمد بك أبو شادى، وغيرهم[4].

---

(١) راجع القصيدة فى ٣٢٧ ـ ٣٢٩ برقة العربية للأشهب.
(٢) راجع القصيدة فى ٣٣٩ و٣٤٠ برقة العربية للأشهب.
(٣) راجع القصيدة فى ٣٣٢ ـ ٣٣٤ برقة العربية للأشهب.
(٤) راجع ٣٤٠ ـ ٣٤٣ برقة العربية للأشهب.

١١ ـ أحمد محرم يرثى الإمام أحمد السنوسى الذى توفى فى ١١ مارس ١٩٣٣ بالحجاز:

هتف النعى فما ملكت بيانى ... ليت النعى إلى الإمام نعانى
فزع الحطيم، وراع يثرب عاصف ... للموت ضج لهوله الحرمان
سهم أصاب المسلمين، وجال فى ... كبد الهدى وحشاشة الإيمان
ذهب الإمام يقيم حائط دينه ... ويراه أنفع ما يقيم البانى
ذهب المجاهد يشترى لبلاده ... عز الحياة بأشرف الأثمان

١٢ ـ ويتحدث الشاعر حسين محمد الأحلافى فى قصيدة له عن جهاد السيد أحمد الشريف السنوسى للإيطاليين فى أوائل الغزو[1].

ويصف الشاعر عبد الله بن إدريس جهاد الشريف للإيطاليين، ويعدد المعارك التى دارت بينه وبين الإيطاليين فى ليبيا كلها[2].

ولما مات الشريف أحمد فى ١١ مارس ١٩٣٣ بالحجاز رثاه عبد القادر المجددى الأفغانى نزيل الحجاز بقصيدة بليغة[3].

١٣ ـ جغبوب الحزينة، رثاها الشاعر السودانى صالح عبد القادر بعد احتلال إيطاليا عام ١٩٣١ فقال:

لا مرحبا بك أيهذا العام ... عام به تتجدد الآلام
ماذا كتبت لمصر بعد الفصل فى ... جغبوب ليلة زلزل الأهرام
فى ساعة نشر الوزير بيانه ... وتبجحت روما ودار الجام
جغبوب علك آخر المأساة عل ... عيون (صدقى) عن سواك تنام
عل الحوادث عند فصلك تنتهى ... فيكف عن سوداننا المستام

(١) راجع صـ ٢٧٠ و٢٧١ برقة العربية للأشهب، وراجع عن الشاعر صـ ١٦٨ من كتاب «الشعر والشعراء فى ليبيا» لعفيفى.
(٢) ٢٩٥ و٢٩٦ و٢٩٧ المرجع نفسه.
(٣) ٣٢٦ و٣٢٧ المرجع نفسه.

فعليك يا جغبوب ألف تحية وعلى شهيدك رحمة وسلام
وعلى قداستك العفا قد داسها (إسماعيل) لا استحيا ولا استعصام
حرم على (إسماعيل) هانت ليت إسماعيل يدرى كم بكى الإسلام[1]

١٤ ـ شاعر يرثى جغبوب بمناسبة ذكرى احتلالها:

إنى تذكرت والدنيا مولية عهدا مجيدا وإخوانا وأخدانا
وكم تذكرت والأوهام تلعب بى عهدا به واحة الجغبوب مأوانا
كأنها جنة بالحسن قد ملئت حورا حسانا وولدانا وغلمانا
نار، ونار من الذكرى مؤججة يا ساعة الذكر كم أذكيت نيرانا
جغبوب كنت لنا المأوى إذا نزلت بنا الشدائد فى الحالين ترعانا
وكنت مفخرة الإسلام فى زمن حتى رفعت له بالعز عمدانا
عهدى بذاك الحمى والشمل مجتمع وغادة الحى أهواها وتهوانا
حيث السعادة قد جرت ذوائبها تختال تيها بنا يا طيب ما كانا
وحيث كنا وكان الفخر همتنا والفضل شيمتنا والعلم مغزانا
وحيث كان هناك المجد أظهر من شمس الظهيرة فى الآفاق مزدانا
بانت سعاد، وبان الحى أجمعه يا جيرة الحى ما للحى قد بانا
ما للأحبة قد شطت منازلهم وما لدهر الصفا ولى فأشقانا
قف بى على الطلل البالى لأندبه ولنبك للرسم إن الدهر قد خانا
مرابع طالما حج الحجيج لها والدهر يممها شوقا وتحنانا
والعيس قد حثها الحادى فأطربها إلى حمى حبه قد صار إيمانا
فى ذمة الله ما قد مر من زمن به لبست مروط الفخر ألوانا
سقيا لذاك الحمى شؤبوب وابله عفوا وجودا ورضوانا وغفرانا[2]

١٥ ـ شوقى يرثى الزعيم البطل عمر المختار:

---

(١) راجع صـ٥٣ السنوسى الكبير للأشهب، وإسماعيل صدقى الوزير المصرى المعروف.
(٢) راجع صـ ١٩٥ برقة العربية للأشهب.

كان الزعيم المجاهد البطل عمر المختار من أبطال ليبيا الذين دافعوا عنها بقلوبهم وأرواحهم (١٢٨٧ هـ: ١٨٦٠ م)[1] - ٤ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ (١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١).

وقد ولد ببرقة، وتعلم فى الجغبوب، واشترك مع السنوسيين فى البناء والإصلاح والتجديد؛ ومنذ أكتوبر ١٩١١ م وهو يحمل علم الجهاد ضد البرابرة الغزاة، فخاض مئات المعارك مع الإيطاليين، وبقى فى الجبل الأخضر عشرين سنة ينازل الطليان ويصلى جيوشهم نار الهزائم.

وظل يحمل لواء الجهاد حتى أسره الإيطاليون وأعدموه شنقا فى بنى غازى بعد محاكمة صورية قصيرة[2]، وقد قبض على المختار من ١٩٣١/٩/١١، وأعدم فى ٤ جمادى الأولى ١٣٥٠ هـ (١٦ سبتمبر ١٩٣١ م).

وقد بدأ عمر المختار معاركه عام ١٩١١ ضد الإيطاليين حين ضربوا موانئ برقة بمدافعهم وأحتلوا طبرق فى ١٤ أكتوبر ١٩١١، وبعدها درنة فى ١٧ أكتوبر وبنيغازى فى ١٩ أكتوبر.

وظل مع مجاهدى السنوسية يواجهون الإيطاليين المغيرين؛ ويشتبكون معهم فى معارك ضارية خلال تسعة أشهر إلى أن سلمت تركيا البلاد الليبية إلى إيطاليا فى ١٢ يوليو ١٩١٢ م.

واجتاز الحدود الليبية المصرية عام ١٩٢٣ وقابل السيد إدريس السنوسى الذى كان يقيم آنذاك فى مصر وعاد بعدها إلى برقة لمواصلة الجهاد، واستطاعت إيطاليا الضغط على مصر بواسطة بريطانيا لإدخال جغبوب فى الحدود البرقاوية، لتتمكن من حصار الجبل الأخضر الذى يعسكر فيه عمر

---

(١) ذكر الدكتور فؤاد شكرى أن ميلاده كان عام ١٢٧٩ : ١٨٦٢ - راجع كتابه «السنوسية دين ودولة».

(٢) ٢٣٦ و٢٣٧ أعلام ليبيا.

المختار وأعدوا حملة عسكرية كبيرة لدخول جغبوب التى كان أهلها قد رحلوا عنها فاحتلوها فى ٨ فبراير ١٩٢٦ وحاولوا إغراء عمر المختار بالجاه ولكنه رفض وواصل الجهاد.

وقد أصدر نداءه المشهور فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٩ الذى بين فيه خداع الإيطاليين ونقضهم لعهودهم حتى لا يدب الوهن فى قلوب رجاله، فقد قال فيه: «ليعلم كل مجاهد أن الحكومة الإيطالية إنما تريد بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر ثمارنا ليتم لها الغلبة علينا واغتصاب كل حق لنا، ولكنهم بحمد الله لن يوفقوا إلى شىء من ذلك، إن إيطاليا ترمى إلى القضاء على حركتنا القومية وهيهات أن يصل الطليان إلى غرضهم ما دامت لنا قلوب تعرف أن سبيل الحرية يبذل فيه كل مرتخص وغال».

وقد ظل يقاوم حتى بعد سقوط واحة ـ الكفرة ـ وـ فزان ـ وكانتا قاعدتى النضال ضد الطليان إلى أن أسر فى مجموعة من المجاهدين بالقرب من قرية «سلوق» حيث نقل فى مركب حربى إلى بنى غازى، ولم يسلم عمر المختار نفسه بل قاتل حتى نفذت ذخيرته، وقتل جميع من بقى معه من رجاله كما قتل حصانه ووقع عليه..

ورثى شعراء العروبة الشهيد عمر المختار، ومنهم شوقى وحافظ ومطران ومحمود أبو رقيقة التونسى وسواهم.

وهذه قصيدة قالها أمير الشعراء أحمد شوقى فى رثاء عمر المختار بعد شنقه:

ركزوا رفاتك فى الرمال لواء	يستنهض الوادى صباح مساء
يا ويحهم، نصبوا مناراً من دم	توحى إلى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة فى غد	بين الشعوب مودة وإخاء؟
جرح يصيح على المدى، وضحية	تتلمس الحرية الحمراء
يا أيها السيف المجرد بالفلا	يكسو السيوف على الزمان مضاء
تلك الصحارى غمد كل مهند	أبلى فأحسن فى العدو بلاء

وقبور موتى من شباب أمية ... وكهولهم لم يبرحوا أحياء
لو لاذ بالجوزاء منهم معقل ... دخلوا على أبراجها الجوزاء
فتحوا الشمال: سهوله وجباله ... وتوغلوا فاستعمروا الخضراء
وبنوا حضارتهم، فطاول ركنها ... (دار السلام) و(جلق) الشماء
خيرت فاخترت المبيت على الطوى ... لم تبن جاهاً أو تلم ثراء
إن البطولة أن تموت من الظما ... ليس البطولة أن تعب الماء
إفريقيا مهد الأسود ولحدها ... ضجت عليك أراجلا ونساء
والمسلمون على اختلاف ديارهم ... لا يملكون مع المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم ... يبكون زيد الخيل والخنساء
فى ذمة الله الكريم وحفظه ... جسد ببرقة وسد الصحراء
لم تبق منه رحى الوقائع أعظما ... تبلى ولم تبق الرماح ذماء
كرفات نسر، أو بقية ضيغم ... باتا وراء السافيات هباء
بطل البداوة لم يكن يغزو على ... «تنك» ولم يك يركب الأجواء
لكن أخو خيل، حمى صهواتها ... وأدار من أعرافها الهيجاء
لبى قضاء الأرض أمس بمهجة ... لم تخش إلا للسماء قضاء
وافاه مرفوع الجبين كأنه ... (سقراط) جر إلى القضاء رداء
شيخ تمالك سنه، لم ينفجر ... كالطفل من خوف العقاب بكاء
وأخو أمور عاش فى سرائها ... فتغيرت، فتوقع الضراء
الأسد تزأر فى الحديد، ولن ترى ... فى السجن ضرغاماً بكى استخذاء
وأتى الأسير يجر ثقل حديده ... أسد يجرر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم ينؤ ... ومشت بهيكله السنون فناء
(تسعون) لو ركبت مناكب شاهق ... لترجلت هضباته إعياء
خفيت عن القاضي وفات نصيبها ... من رفق جند قادة نبلاء
والسن تعطف قلب كل مهذب ... عرف الجدود وأدرك الآباء
دفعوا إلى الجلاد أغلب ماجداً ... يأسو الجراح ويطلق الأسراء
ويشاطر الأقران ذخر سلاحه ... ويصف حول خوانه الأعداء
وتخيروا الحبل المهين منية ... لليث يلفظ حوله الحوباء

حرموا المهات على الصوارم والقنا — من كان يعطى الطعنة النجلاء
إنى رأيت يد الحضارة أولعت — بالحق هدماً تارة، وبناء
شرعت حقوق الناس فى أوطانهم — إلا أباة الضيم والضعفاء
يا أيها الشعب القريب، أسامع — فأصوغ فى عمر الشهيد رثاء؟
أم ألجمت فاك الخطوب وحرمت — أذنيك حين تخاطب الإصغاء؟
ذهب الزعيم وأنت باق خالد — فانقذ رجالك واختر الزعماء
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى — واحمل على فتيانك الأعباء

١٦ ـ وقال بشير المغيربى فى ذكرى عمر المختار:

ذكرى تطل من الخلود — كالبدر فى ليل الوجود
ملأت قلوب المؤمنـ — ـين بروعة الماضى المجيد
أيام كان الليث — يزأر فى مفازات وبيد
يحمى العرين من الذين — غزوه فى الجمع العديد

١٧ ـ وقال الأمين أبو حامد فى ذكراه:

من فى البطولة كالمختار معجزة — خاض المعامع فى جهد الثمانينا
وكان واجبه ما فوق طاقته — لكنه آثر الإيمان والدينا
حتى إذا وافت الحرباء ساعتها — تأرجت روحه فى الخلد نسرينا

١٨ ـ وقال ناصر عبد الفتاح:

أى ذكرى كيومك المشرق — يا شهيد العلا ورمز الخلود
أنت مختار كل شهم ابى — أنت مختار كل ند عنيد

١٩ ـ وقال سليمان تربح:

أكرم به (عمر المختار) من بطل — حين التحية يهدى نفحها ولده
إن البطولة فى تفسيرنا نسب — يحيى الجدود ويعلى شأنه الحفده

وهؤلاء الشعراء الأربعة ليبيون.

الفصـل الثـالث

الشعر الليبى المعاصر

ازدهرت الحركة الأدبية فى ليبيا، وازدهر معها الشعر، بل إنه كان أكثر فنون الأدب انتشاراً وذيوعاً وازدهاراً فى هذا الـوطن العربى الكبـير. . وقد مهدت لنهضة الشعر عوامل كثيرة أسلفنا أكثرها، وهى تختلف بين عـوامل سياسية واجتماعية ووطنية وثقافية وأدبية؛ ومن أظهر العوامل ما لقيه الشعر والشعراء من التشجيع والرعاية فى عهد الإدريس الزاهر، مما يعد امتـداداً لروح الإمام محمد بن على السنوسى والإمام المهـدى[1] السنوسى فى تقـدير الشعر وتشجيع الشعراء، والعمل على ازدهار الحركة الشعرية فى البلاد، فهذا هو الإدريس يقول عن إبراهيم الأسطى عمر حين وفاته عام ١٩٥٠ : «فقدنا سيفا من سيوف الوطن[2]» ويأمر بطبع ديوان أحمد رفيق المهدوى بعد وفاته عام ١٩٦١ ، وتقوم فى البيضاء كلية اللغة العربية كما قامت فى بنغازى كلية الآداب بتوجيهه.

وكان من العوامل الكبيرة التى نهضت بالشعر روح البطولة والتضحية والفداء التى تمثلت على أرض ليبيا الحرة فى صور ناطقة[3] هزت الشعـراء

---

(١) كان الإمام المهدى قد أمر بجمع شعر الشعراء الليبيين السنوسيين فى عهده فى موسوعة خطية سميت باسم سفينة الإخوان، وكان منها نسخ خطية فى كل الزوايا، ولكن هذه المجموعة النفيسة قد فقدت (راجع ٥٦٩ برقة العربية للأشهب).

(٢) ٥٨ شاعر من ليبيا (إبراهيم الأسطى عمر) للمصراق.

(٣) يقول اللواء محمد صالح حرب من مقالة له: لقد علمت ليبيا العالم العربى كيف يجاهد، =

وأنطقتهم بروائع النغم والقصيد.

ولما أرسل الإدريس وفدا إلى البلاد عام ١٩٤٣ رحبت به برقة أعظم ترحيب[١]، وأنشد الشعراء القصائد الطوال فى استقباله.

وفى مبايعة الإدريس بالإمارة نظم الشعراء القصائد البليغة[٢].

والدعوة السنوسية منذ قيامها جد حريصة على الشعر والشعراء، تتخذ من الشعر سلاحاً من أسلحتها.

وقد كان للمجاهدين القدامى عام ١٩١١ نشيد[٣]. كما كان لجيش التحرير عام ١٩٤٣ نشيد خاص بهم.

كثر الشعراء المجددون فى ليبيا فى العصر الحاضر، وصاروا جيلاً جديداً بعد جيل ابن زكرى والبارونى وأمثالها، وهل ننسى أحمد الشارف وأحمد رفيق المهدوى وإبراهيم الأسطى عمر وأضرابهم من الشعراء الذين كافحوا العقبات والمشقات الكثيرة[٤]، والذين برزوا فى ميدان الشعر[٥] ونالوا إعجاب الناس؛ والمبرزون المكثرون كثيرون، وستأتى صور من شعرهم، وهناك كذلك مجودون

= ويقول الشاعر الليبى أحمد الفقيه حسن:

ضحت هنا ليبيا وقد أضحى بها   مثل البطولة فى البرية يضرب

وإذا كانت الجزائر بلد المليون شهيد فإن ليبيا هى بلد المليونين من الشهداء أو يزيد.

(١) ٥٥٢ - ٥٥٧ برقة العربية للأشهب.

(٢) ٤٢٩ برقة العربية للأشهب.

(٣) ٣٣٨ برقة العربية للأشهب.

(٤) فى مقدمتها: الاستعمار الإيطالى المدمر الذى حرم البلاد لذة العلم، وأبعدها عن مناهله وحرمها من المشاركة فى الفنون والعلوم العصرية، ومنع الكتب والمجلات العربية عن أبنائها، وعزل البلاد عن العالم العربى عزلاً شديداً، كما يقول السيد خليل القلال سفير ليبيا الأسبق فى مصر فى محاضرة له عام ١٩٤٣، ومنها كذلك انهيار النهضة الأدبية ومقومات الأدب والشعر فى عهد الحكم الإيطالى للبلاد.

(٥) يقول الأستاذ التليسى فى العدد ٥٥ من جريدة الليبى: إن البلاد عقمت عن أن تلد شاعراً مبرزاً، ولم يعد ثراها ينبت إلا الأقزام من الشعراء... ولسنا مع الأستاذ التليسى فى ذلك، وإنما يدل ذلك على طموح ورغبة ملحة فى زيادة إثمار الحركة الأدبية ونشاطها.

مبرزون ولكنهم مقلون من مثل بشير المغيربى والهادى عزقة وعبد المجيد المنتصر.

ويعلل الباحثون ما قد يلاحظ من قلة الإنتاج الشعرى عما يراد منه بأن الثقافة الأدبية خاصة والثقافة فى إطلاقها عامة ما تزال فى دور النمو، وبقلة دور النشر وقلة المطابع والمكتبات العامة والأندية أيضاً، وبتهيب الشاعر الليبى من نشر شعره خوفا من تعقب القراء والنقاد، حتى ليقول الشاعر الليبى الكبير أحمد رفيق المهدوى: أعرف صديقاً شاباً أتاه الله ذوقاً سليماً، وأسلوباً حسناً، ولكن لم يكن يجسر على نشر شىء من كتابته خوف الانتقاد، ولما عرض على كتاباته حاولت معه نشر بعضها فلم يقبل إلا أن تكون باسم مستعار، فسألته عن السبب، فقال: أخاف الناس والنقد، ولكنى نشرت له شيئاً من غير علمه وبغير توقيعه، فسر بذلك، وتشجع على متابعة نشر كتاباته، وها هو ذا اليوم من كتابنا المعدودين، وتبشر كتابته بمستقبل زاهر[١].

والشعر الليبى المعاصر يمتاز بالأصالة[٢]، والمحافظة فى جملته على عمود الشعر العربى، فهو شعر عربي من حيث الفكرة، والمعنى والخيال والأسلوب، فأفكاره ومعانيه عربية، وأخيلته عربية، وأسلوبه عربى.. وهو كلاسيكى النزعة محافظ على روح الشعر كما ورثها من بشار وأبى تمام والبحترى والمتنبى وشوقى وحافظ والرصافى والزهاوى والجارم والأسمر ومحمود غنيم وغيرهم من الشعراء.

وقد تأثر الشعراء الليبيون بمدارس الشعر المعاصرة، ومن بينها مدرسة شوقى وحافظ، ومدرسة شعراء الديوان، ومدرسة أبولو، ومدرسة شعراء المهجر.

وقد تأثر الشعراء الليبيون بالثقافات العالمية، كما تأثر بعضهم ممن يعرفون الإيطالية بالثقافة الإيطالية.

---

(١) مجلة ليبيا المصورة العدد الثالث من السنة الثالثة.

(٢) راجع ٣٨ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

وتظهر أثر الثقافات الجديدة عند بعض الشعراء الليبيين، فهـذا فؤاد الكعبازى يترجم عن الإيطالية أنشودة «البحر الأبيض المتوسط، لفيديريكو[1]:

يـابحر، يـامتـوسط، أنت لى، كـدمى
فى شراييني، نسـائمـك كـأنـفـاسى
غـفـواتـك كـنـعـاسى

ويقول أحمد قنابة مترجماً عن «هال سيبيان» قصيدته «انهيار روما»:

أتســأل عن بنت الحضـارة مـالهـا	رأت صرح رومـا وهـو يهـوى فهـالهـا
رويـدك لا تـرتب لمـا قـد جـرى لهـا	فـكـل بـلاء نـالهـا مـن رجـالهـا
فهم ألبسـوهـا الخـزى بعـد هـزيـمة	بـأثيـوبيـا قـد كـابـد الشعب نـارهـا
ولا تنس أخـرى حين يـذكـر كـل مـا	جـرى فى صحـارى ليبيـا ورمـالهـا[2]

ويقول شاعر مترجماً عن الإيطالية قصيدة «وداع العام»:

لاقيت ذا الـعــام فى دهليـزنـا أمس	شيخـا ضئيـلا كمبعـوث من الـرمس
عــلى عصـاه يـدب العـام مكتئبـا	مـقـوسـا كـهـلال هـل مـن خمس
متـأهبـا[3] لـرحيـل لا رجـوع لــه	والـثلج يـعـلوه حـتى قـمـة الـرأس

ويقول أحمد الفقيه حسن مترجما قصيدة «كل شخص له واجب»:

لـلطفـل مـدرسـة وللـ	ـفـلاح حـقـل مخصب
وأخـو الصنـاعـة قـام فى	حـانـوتـه يـتـسـبـب
وكـذلـك الـراعى لــه	فى كـل مـرج مـطلب
ولقـد غـدا الجنـدى تحـ	ـت سـلاحـه يـترقـب

وترجمت القصص والمسرحيات والملاحم الإيطالية إلى العربية، فنشرت صحف ليبيا الكثير منها، وخاصة «الكوميديا الإلهية» لدانتى.

---

(١) جريدة طرابلس الغرب ١٩٥٢/٧/٢ م.
(٢) اتخذ الهاء قافية وهى لا تصلح هنا قافية، بل يجب أن يكون ما قبلها هو القافية.
(٣) هذا خطأ فى الوزن الشعرى إذ استعمل متفاعلن بدلا من مستفعلن.

وأسلوب الشعر الليبى تغلب عليه الجزالة كما نلمسه فى شعر الشارف، وقد أخذ الشعراء يميلون إلى السهولة والوضوح، واعتنق بعضهم مذهب الرقة والعذوبة فى الألفاظ والأساليب.

وكان ابن زكرى والباروني والحصادى والمسعودى وعبد السلام عمران وحسين الأحلاقى تجيء المحسنات البديعية فى شعرهم كثيراً، ولكنها غير متكلفة بل تجيء فى شعرهم عفو الخاطر، ولكن الطبقة التى جاءت من بعد هؤلاء نفرت من المحسنات؛ فهذا رفيق المهدوى يقول: أما استعمال الجناس وأنواع البديع والاعتناء بالمحسنات فذلك كان المستحسن المطلوب فى زمان ابن زكرى.

ويرد رفيق على الشعراء الذين قلدوا أسلوب المهجرين فى مقالة له عنوانها «المتجبرنون»، وكان رأيه فى جبران أنه أفاد من الإنجليزية وبتأثيرها كان ابتكاره وحرية رأيه، مع طرافة الموضوع وجدته عنده. ويرى رفيق أن ذلك أضعف من أسلوب جبران وأخل[1] بلغته، ولذلك كان رفيق يربأ بشعراء وأدباء وطنه أن ينقلوا عن جبران دون تصرف، وإن كان لا بد من التقليد فهو يحيلهم إلى أسلوب طه حسين والزيات، وأحمد أمين والمنفلوطى[1].

والشاعر الليبى يستمد تشبيهاته واستعاراته وأخيلته من صور البيئة الطبيعية والاجتماعية، مما نلحظه بوضوح فى قصيدة المهدوى (الموسوية) التى بلغت نحو الثلاثمئة بيت، وقصيدة الأمين أبو حامد «ملاحم الأبطال فى ليبيا».. وقد دعا رفيق إلى التجديد فى الوزن والقافية، ونظم قصيدة على وزن مبتكر، وهى «قلب الشاعر والجمال» ومطلعها:

كالنحلة فى الروضة تعبث بالنوار

ونقده الشعراء ومنهم الشاعر موسى البرعصى، وكان رفيق يدعو إلى

(١) ٥٥ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

التحرر من الوزن ومن القافية، ولما قال من حديث له نشر فى مجلة طرابلس الغرب إنه «على خط مستقيم ضد من يحطم الأوزان والقوافى» سئل: كيف توفق بين هذا وبين رأيك فى قصيدتك «أما آن» التى دعوت فيها للتحرر من الوزن والقافية، فأجاب بأنى أقصد أن القافية تمل ولا يجب أن يتقيد بها الشاعر فى قصيدته من ألفها إلى يائها.

أما ألفاظ الشعر فقد دخلتها عن طريق العدوى بعض الألفاظ الإيطالية، فهذا الشاعر إبراهيم الهونى يقول:

إن مر بالناس ذو الأموال قيل له وهو القبيح، لأجل المال، : بليتو[1]
أو مر بالناس ذو فقر يقال له وهو الطويل، لأجل الفقر، : كورتيتو[2]

ويقول الشاعر على صدقى عبد القادر:

وجنود من نعام لا جنود من رجال
يستغيثون بماما ميسا[3] فى يوم النضال

ويقول المهدوى:

أنسيت حين وقفت للمرآة تنظر باختيال
وأتت لتسخر منك وهي تقول: بيللو نوفتشى[4] مالى

ويقول يوسف الفيلالى:

ها هو الصيف «فتشيون[5]» وأنا «صن بوفيرينو»[6]

(١) تصغير جميل باللغة الإيطالية.
(٢) أى قصير.
(٣) معنى الكلمة بالإيطالية: يا أخى.
(٤) أى يا جميل.
(٥) أى قريب.
(٦) أى وأنا فقير.

وإن كان الشعراء عامة قد نفروا من اللغة الإيطالية لغة الغزاة.

وقد أخذ يوسف الفيلالى من الأسلوب الإيطالى بعض الخصائص وتأثر بالمعانى الإيطالية فى شعره الشعبى[1]، وهناك شبه بين بعض قصائده وأشعار بترارك الشاعر الإيطالى[2].

وعلى الجملة فألفاظ الشاعر الليبى تمتاز بالبساطة والسهولة عند كثير من الشعراء، يقول رشاد الهونى من قصيدته «عناق»:

تعانقنا:

وفى أعماق أعماق الهـوى ماتت مآسينا
وغـطانا رداء الليـل فـاتسعت روابينـا
وغرد فى الدجى قلبى تحف به أمانينـا
وقبل دمعها دمعى فصغنا منه حـادينا
وحـين الفجر مـر بنا تبسم وجهـه فينا
وعشناها سويعات تسـاوى كل ماضينا

اغراض الشعر الليبى المعاصر

نظم الشاعر الليبى قصائده متناولة مختلف أغراض الشعر وفنونه من فخر وهجاء ومدح ورثاء ووصف ونسيب وغير ذلك. وأكثر أغراض الشعر هى الأغـراض القديمـة المعروفـة؛ وإن كان أمثـال الشعراء: المهـدوى وإبراهيم الأسطى عمر، وعلى صدقى، وسواهم قد مالوا إلى التجديد والابتكار، وإلى الأغراض الجديدة الشعرية.

---

(١) مجلة الأفكار عدد (٧) من مقال لراسم قدرى.

(٢) ٥ قصة الأدب فى العالم.

الحب والغزل

ونماذج الغزل والنسيب كثيرة فى الشعر الليبى، يقول الشاعر الهونى يخاطب الليل ويناجيه:

فعد يا ليل ويحك للأنام ... فما أحلاك فى حلل الظلام
وما أبهى جمالك فى هدوء ... يسود الكون من بعد الخصام
كستك طبيعة الأشياء لوناً ... يدل على السكينة والسلام
ويحلو فيك يا ليل اجتماع ... تسود ربوعه لغة الغرام

ويقول رفيق فى الغزل من قصيدته «لذة العذاب»:

ابتسم، واعبس، ودعني ... بين خوف، وحياء
وارض، واغضب، وابتدع فى الـ ... ـهجر، اسباب الجفاء
لا تواصلني، وأطمعني ... ولا تقطع رجائى!
وتداركني بعطف ... حيث يشتد بلائى!
وأذوق الحب، ممزو ... جاً بسعد وشقاء
ربما، لذ عذاب ... لنفوس الشعراء!

ومن قصيدة «ذكرى» لرفيق:

فى سكون الليل، فى ضوء القمر ... فى ليالى الصيف، ما أحلى السمر!
يا حبيبى، قم بنا، نحلم فى ... يقظة، بالحب فى ظل الشجر!
قم بنا نسكر من خمر الهوى ... فى نسيم الفل، فى وقت السحر
نسمات، كلما مرت بنا ... نقلت عنا لأنفاس الزهر
فإذا هبت مع الصبح لها ... نفحة، فهى وشايات الخبر!
لا تصدق قولهم، فيما مضى ... بسمات الزهر من دمع المطر!
إنما باحت بنجوانا، التى ... بلغتها، من نسيمات السحر!
يا حبيبى، كل شيء، حولنا ... باسم، يغبطنا حتى الحجر!

ما ترى البدر، بنا، مبتهجاً؟ يتلقانا، ببشر، فى خفر[١]
يا له الليلة! ما أجمله كيف عن عينى إلى الآن، استتر!
أترى زاد على معتاده أم هو الحب تجلى فى البصر!
فأرانا غير ما كنا نرى فظننا أننا فوق البشر!
إن من آمن بالحب، رأى ما خفى، عمن تولى وكفر!
بلغ الحب بنا مرتبة بعدها، لم يبق للحب وطر!
ما على من نال ما نلنا، إذا هو ـ يا، سلمك الله ـ انتحر!
يا حبيبي، وانظر البركة قد عكس الماء، بها، ضوء القمر
فبدت مجلوة، نحسبها ملئت من زئبق فيها استقر
أتظن البدر فيها إذ بدا عبثاً، مستجلباً منا النظر[٢]
إنما أهدي لذكرى حبنا من غوالى رسمه، إحدى الصور!
فلتكن، ذكرى، لنا، مسعدة كلما جارت تصاريف القدر
ولتكن ليلتنا، فى عمرنا ليلة القدر، إلى الفجر الأغر!

الشعر الوطنى

هو أهم جوانب الشعر الليبى المعاصر، وأشهر أغراضه[٣]، فقد شغل الشعراء الليبيون بمعركة الدفاع عن بلادهم، وبنضال المستعمرين من أجل حقوق وطنهم وحرية أمنهم، وتغنى الشعراء بالحرية، فلأحمد الفقيه حسن قصيدته «الحرية» ولسليمان تربح قصيدته «عروس أحلامى» ويعنى بها الحرية، وقد مضت صور كثيرة لهذا الجانب من جوانب الشعر.

ونظم الشعراء الليبيون الشعر فى الحنين إلى الوطن فى أثناء هجرتهم إلى العالم العربي فراراً من وجه الغزاة الإيطاليين البرابرة.

---

(١) خفر: حياء.

(٢) عبثا: لاعبا.

(٣) راجع فى مجلة ـ الرواد الليبية ـ العدد الأول ـ نوفمبر ١٩٦٤ مقالاً بقلم محمد الشاوش بعنوان «الوطنية فى الشعر الليبى».

ولرفيق قصيدته «حنيناً يا بلادى» وقد كتبها الشاعر عام ١٩٢٦ بعد عام من هجرته إلى تركيا:

تكامل حول، منذ فارقت أوطانى	فما نلت فى أثنائه، غير أحزان
نوى قذف، زمت ركابى، ولم تزل	تقلقل بى حتى أتت أرض جيحان[1]
فألقت عصا التسيار فى شر بقعة	تألب فى أرجائها شر سكان[2]
تركت بلادى، إذ شعرت بأننى	سألقى صغاراً، منه يأنف وجدانى[3]
وسرت لأرض غير أرضى، مؤملاً	لعز، فكانا فى المصيبة سيان
فيا خيبة المسعى، إلى غير موئل	من النجح مشفوع بأعظم خسران[4]
فقدت بلادى، وهي عندى عزيزة	ولم ألق ما أملت فى بلد ثانى
كأنى غراب البين، ضيع مشيه	ولم يكتسب مشى الحمام بإتقان[5]
حنيناً وشوقاً يا بلادى، فإننى	وإن طال عنك العهد لست بخوان
فما كان بعدى عنك، إلا ترفعاً	عن الضيم، لا بغضاً ولا قصد هجران
وإنى لأكمى فى الجوانح لوعة	لحبك، يوريها على البعد تحنانى[6]
إذا خفف الدمع الأسى، فمدامعى	لها وقدة، زادت أساى وأشجانى
كما كان عذب الماء فى الجير منشئاً	على خصر فيه، حرارة نيران[7]

وللشعراء الليبيين فى الدعوة إلى الكفاح والنضال وفى الوطنية وفى الحديث عن الشهداء والمجاهدين، وفى وصف المعارك والحروب القومية، وفى مدح الأبطال والفخر ببطولاتهم، الكثير من القصائد البليغة المعبرة..

---

(١) جيحان بلد بآسيا الصغرى «من ولاية أدنة بتركيا» نوى قذف زمت الخ : أى أبعدتنى عن مكانى حتى جيحان، قذف بعيدة. زمت: شدت.

(٢) التسيار: السير. تألب: تغلب. ألقت العصا؛ استقرت.

(٣) صغارا: مذلة.

(٤) موئلا: مرجعا.

(٥) يشبه الشاعر نفسه فى خيبة أمله بالغراب الذى أراد تغيير مشيته وتقليد الحمام فى ذلك. ففشل فيما أراد، وكذلك الشاعر.

(٦) أكمى: أخفى. يوريها: يوقدها. تحنان: حنين.

(٧) خصر: برد.

ولهم في الدعوة إلى حرية بلادهم واستقلالها الآيات البينات.

ولقد ظلوا يواصلون كفاحهم من أجل آمال الوطن فى السيادة والعزة والاستقلال والحرية، حتى أعلن الإدريس العظيم فى ٢٤ من ديسمبر ١٩٥١ على شعبه: إنه نتيجة لجهادنا، وتنفيذاً لقرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢١ من نوفمبر ١٩٥١، وقد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة، ونعلن رسمياً أن ليبيا منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، ونتخذ لنفسنا من الآن فصاعداً لقب ملك المملكة الليبية المتحدة، ونشعر بأعظم الإغتباط لبداية العمل بدستور البلاد، وعلينا جميعاً أن نحتفظ بما قد اكتسبنا بثمن غال، وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة، وإننا فى هذه الساعة نحيى أبطالنا، ونحيى العلم المقدس، والجهاد والاتحاد، وتراث الأجداد»[1].

وفى هذا اليوم العظيم قال الشاعر أحمد رفيق المهدوى قصيدته:

عيد عليه مهابة وجلال ... عيد، وحسبك أنه استقلال
يوم سعيد فيه نالت أمة ... ملكاً تمجد ذكره الأجيال

وقال أحمد الفقيه حسن قصيدته:

بنى ليبيا قد أثمر اليوم سعيكمو ... وصرح باستقلالكم غير معجم
قد اعترفت بعد التنافس بينكم ... به دول أظفارها لم تقلم

وقال الشاعر معتيق قصيدته:

ذكرى تردد فى الوجود صداها ... عم البلاد ضياؤها فكساها

وقال عبد الباسط الدلال:

أيها العيد لقد ذكرتنا ... بالذى مر فجسمت رؤانا
وبعثت المجد من مرقده ... ينشد العالم أنغام علانا

---

(١) جريدة برقة الجديدة السنة السابعة ـ ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ العدد ١٥٦٨.

وقال محمد أحمد الطبولى:

نسعى بكل تضامن وتضافر ... فى نيلنا استقلالنا، ونشيد

وقال منير البرعصى:

يوم على صدر الفخار وسام ... سعدت بمشرق فخره الأعوام

وقال محمد الهنقارى:

لما تقرر الاستقلال سابقنا ... دمع السرور من الآماق ينحدر
ما أحمل النصلا، ما أحلى مذاقته ... يا حبذا النصر أو أيامه الغرر

وقال سليمان نعامة البارونى:

حقق بالاستقلال كل تقدم ... واجعل للإستقلال يوماً عيدا
واجعل ليومك ذاك ذكراً خالداً ... واجعل لنفسك عدة وعتيدا

ويقول رفيق فى الوطنية من قصيدته «وطنى وحبيبى» وقد نظمها الشاعر أحمد رفيق المهدوى عام ١٩٣٨:

لم أكن، يوم خروجى ... من بلادى، بمصيب
عجباً لى، ولتركى ... وطناً، فيه حبيبى!

وطناً فيه أناسى
وبه مسقط راسى
لست ما عشت بناسى
لذة العيش الخصيب!
بين أهل، وقريب
وصديق، وحبيب

لم أكن، يوم خروجى ... من بلادى، بمصيب
عجباً لى، ولتركى ... وطناً، فيه حبيبى!

عجباً لى، يا بلادى

كيف ضيعت رشـــادى
لم أوفق فى اجتـهــادى!
حــين فــارقت حمــاك
وتــوطــنــت ســواك
بـان لى قـدر الغـريب!
لم أكن، يــوم خــروجى مــن بــلادى، بمـصـيـب
عـجبــاً لى، ولــتركــى وطـنــاً، فيـه حـبيبي!
إن من عــاش غـريبـا
عــاش لا شـك كئيبـا
وإذا كــان اديـبـا
عـاش مجهولاً مضـاعا!
ينفق العمــر التيــاعــا
بــين حــزن ونـحيب
لم أكن، يــوم خــروجى مــن بــلادى، بمـصـيب
عـجبــاً لى، ولــتركــى وطـنــاً، فيــه حبيبى!
لم تــزدنى، ذكــريــاتى
غــيرسـح الـعــبرات
يــا! لهـول الحسـرات
حــين آوى لــفــراشى
تلهب الأشواق جــاشى
كـفــراش فى لهيــب!
لم أكن، يــوم خــروجى مــن بــلادى، بمـصـيب
عـجبــاً لى، ولــتركــى وطـنــاً فيـه حـبيبي!
أتــرى! يــذكــر ودى
أم سلا، حبى ، لبعدى!
ورأى فى النـاس بعـدى

من لـه، مثل ولـوعى!
فى هـــواه، وخضـوعى
ووفــائــى، لحـبـيـبـى
لم أكن، يـــوم خـــروجى   مـــن بـــلادى، بمـصـيـب
عـجـبــاً لى، ولـــتركـــى   وطـنـــاً، فيـــه حـبيـبى!

العروبة فى الشعر الليبى المعاصر

وقد تناول الشعراء الليبيون كل أحداث العرب والعروبة فى شعرهم، فتحدثوا عن الجامعة العربية، ورأوها الأمل الذى يدنيهم من الحرية، وتحدث رفيق المهدوى عن مأساة فلسطين فى قصيدته «أعياد الشرق»، وكذلك الشاعر منير البرعصى فى قصيدته «ليلة القدر». وللشاعر سليمان تربح مجموعة من الشعر فى مأساة فلسطين سماها الفلسطينيات، وكذلك كتب عن فلسطين الشاعر أحمد الفقيه حسن قصيدة له عنوانها فلسطين.

وكذلك تناولوا أحداث الوطن العربى فى شعرهم، كتونس والجزائر، يقول الشاعر على صدقى عبد القادر:

ثرأخى العربى، أيها المغربى، أنت حر أبى
تـونس الآن تـدعـو لسفـك الـدمـاء
دم من دنســوا ثـراهــا الـدخــلاء
دم جنـــد فـــرنســا العـــدا اللقـــطاء
إنهم كـــالخـفـــافيش عـــنـــد المســـاء
فـــوق نـــيران تـــونس تـغـــدو هبـــاء

وقال المنقارى من قصيدة له عنوانها «دم ونار».

إيـــه   يـــا   نـــار   اشـــعـــلى

انطلقى في المرجل
واصل من شئت من المستعمرين
بين أحرار الجزائر
كل أواب وصابر
سوف نجنى ثمرات النصر قسرا
سوف نصلى دابر الغاصب جمرا

وقال الرقيعى من قصيدته «ثورة المغرب»:

صرخة الأحرار من مراكش شب لظاها
فاستعر يا لهب الأحقاد فى جرح أساها

ونظموا القصائد فى أحداث سوريا ولبنان القومية وغيرهما..

ويقول قنابة بمناسبة جلاء المستعمرين عن أرض مصر قصيدته:

أرض الكنانة أرض لن يدنسها   من بعد ذا اليوم جيش المستبدينا

ويقول على صدقى:

زلزلوه، أنزلوه، حولوه
علم المحتل عن هذى الديار
علم العادى الذى فى الشرق جار
إذ عليه العربى الحر ثار
وانبرى يلقى به عرض البحار

ويفتخر الشعراء الليبيون بالعرب والعروبة وبالمشرق، كثيراً فى شعرهم وقد ترنموا بالأخوة العربية وبأمجاد العرب والمسلمين فى كل مكان.

ومن شعر الشارف العربى فى وحدة صفوف العرب قوله[1]:

---

(١) صـ ٧١ و٧٣ و٧٤ أحمد الشارف للمصراق.

بتنا على ظمأ وفينا المنهل وحى النبوة والكتاب المنزل
والداء منا والطبيب أمامنا يصف الدواء لنا ونحن نعطل
والخلف أصبح من سلاح عدونا وبه يؤسر من يشاء ويقتل
والجهل من أقوى أدلة خصمنا ماذا يكون جوابنا إذ نسأل
تأبى العروبة أن يكون لشعبها وطن يقاس به اليتيم المهمل
يا أيها العرب الكرام ومن لهم شرف العروبة والمقام الأكمل
إن الروابط بينكم سيرى لها أثر يسجله الزمان المقبل
أثر مدى الأيام ينشر ذكره ويذاع فى كل البلاد وينقل
يقف الخطيب به ويهتف شاعر ويقوم فيه مصور وممثل

ومن شعراء ليبيا أحمد فؤاد شنيب، وقد أوفد فى بعثة علمية إلى أوروبا لدراسة علم النفس، وله ديوان شعر مخطوط، وكان يعمل سكرتيراً لوزير المعارف فى ليبيا(1)، وله قصيدة عنوانها «تحية الأخوة العربية»(2).

الطبيعة فى شعر الليبى المعاصر

الطبيعة فى ليبيا تبدو كأروع ما تكون الطبيعة سحراً وجمالاً وفتنة؛ تتبدى روعتها فى الجبل الأخضر الأشم ومدنه: درنة، الشحات، سوسه، البيضاء، المرج، كما تتبدى فى طبرق وبنيغازى فى سحرها وجمالها العظيم العبقرى. . وتتبدى لك فى طرابلس وما حواليها من مدن أثرية مثل لبدة وسبراتة وزليتن وغيرها، وفى فزان حيث صحاريها الواسعة الممتدة الأطراف.

وقد وقف الشاعر الليبى أمام الطبيعة فى بلاده مفتوناً مشدوهاً، مأخوذاً بعظمتها وجلالها وسحرها، وأنطقتهم هذه الطبيعة الملهمة أجل الأيات والقصائد، وحسبك وصف درنة أو جليانة(3) لرفيق المهدوى، ووصف الديب

---

(1) راجع ١٦٤ الشعر والشعراء فى ليبيا ، حيث ذكر له بعض الصور الشعرية.
(2) مجلة القلم الجديد العدد الحادى عشر صـ ٥.
(3) موقع على الشاطئ الغربى فى بنيغازى يقصده المصطافون للاستحمام، وسمى باسم ابنة السفير البريطانى ـ الذى كان يمثل بلاده فى ليبيا عام ١٥٨٠ ـ التى ماتت ودفنت هناك (٨١ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى).

للبحر، ووصف تربح «رأس الهلال» بالجبل الأخضر ببرقة، ووصف الهادى عرفة درنة وغير ذلك من روائع القصائد فى وصف الطبيعة.

وفوق صخور حمام كليوباترا على شاطئ سوسة الجميل كتبت هذه القصيدة عام١٩٦٥، وهى بعنوان «الشباب».

إن الشباب منحت سر مراحه ... سر الحياة، وزهرة العمر
الق السنا، وندى الصباح ... وفتنة الدنيا، ونضرة باسم الزهر
السحر كان السحر فى نسماته ... وشذى الربيع، ويقظة الفجر
هو كل طاقات الصبا، وضياؤه ... وهو الجمال، وصفوة الدهر
كل الحسان تتيه فى أفوافه ... وشذاه يفغمهن بالعطر
القوة الممراح فى أعطافه ... وبه نعيش، نعيش فى وفر
والنور يضحك من ثنايا بشره ... وخياله يغنى عن الشعر
هو مارد منطلق من قمقم ... وكأنما هو عاصف البحر
كل البطولة والمنى والتضحيا ... ت له، وكل عواطف الخير
أين الشباب وأين منى سحره ... قد مر، مر كطائف السحر
ذكراه فى خلدى وأحلامى، وأجـ ... ـفانى تؤرقها رؤى الذكر
ولى وخلف لى الهموم وعشت أبـ ... ـكي للذى قد فات من أمري
أقتات ماضي الذكريات، وحاضرى ... متدثر بمواكب العمر
والأفق يرنو من بعيد حالما ... حيث التقاء التبر بالتبر

القصة الشعرية

أفردت مجلة «صوت المربى» العدد السابع من أعدادها للقصة الليبية. والقصص النثرية فى الأدب الليبى كثيرة، أما القصص الشعرية فتمثلها قصة رفيق الشعرية التى سماها قصة «غيث الصغير» التى يتحدث فيها عن قصة غلام يتيم دون التاسعة اسمه غيث، أدخل الملجأ بسبب يتمه، وزار الوالى الإيطالى الملجأ ذات يوم فتبدت له شخصية غيث النادرة، فأراد أن يختبر

ذكاءه فمنحه مائة قرش وسأله كيف ينفقها فأجابه بأنه سيشتري بها سلاحاً لينتقم لأبيه، فاغتاله الوالى الإيطالى بدس السم له فى طعامه، وهى قصة مشهورة وقعت حوادثها فى الآبار إحدى مدن برقة.

وللهادى عرفة قصة «الراعى»، ولأحمد الفقيه حسن قصة «اللئيم»، ولإبراهيم الهونى قصة رمزية هى قصته «حديث السمكة»؛ وقصة خيالية هى قصته «رحلة آدم السماوية» وقصة «رحلة الموت».

وللشاعر على صدقى عبد القادر قصة شعرية هى «دماء على رمال الهانى»[1].

(١) منطقة تبعد عن طرابلس بنحو ميلين من الجهة الشرقية، وشهدت فى يوم الاثنين ٢٣ أكتوبر ١٩١١ معركة من معارك البطولة ضد الغزاة.

الفصـل الـرابـع

أشهر الشعراء فى هذا العصر
سليمان البارونى

١٨٧٠ - ١٩٤٠

- ١ -

دع الـطـمـع المـذمـوم لا تغـتـرر بمـا ... تـراه كـأحـلام عـلى فـرش المهـد
محـال، محـال، أن تـدنس روضـة ... عليهـا لـواء حف بـالنصر والحمـد
نصـول إذا حـان الـدفـاع، ولا نـرى ... جـزاء من المولى سـوى جنـة الخلد
نحب اللقا، لا نبغض الطعن، إن يكن ... نـضـالاً عـن الأوطان والدين والمجد
هنيئـاً لمـن أمسى صريعـاً مجـاهـداً ... لـه حلة بـالأرجـوان، عـلى الجـرد
فيـا مغـرمـا فينـا تـقـدم لفـتيـة ... تـرى الموت فـوزاً فى مصـادمـة الضـد
وأمـا سليمـى لا سبيـل لـوصلهـا ... ولـو تجعل الجـوزاء منـطقـة الغمـد[1]

هكذا كان ينظم سليمان البارونى الشعر دفاعاً عن وطنه الذى عـاش من أجله، وقد كان بعض الصحفيين الإيطاليين كتب نحو عام ١٩١٠م مقالاً فى جريدة إيطالية ينادى فيه بضرورة إحتلال إيطاليـا لطرابلس، فـرد عليه البـارونى بهذه القصيـدة الوطنيـة الرائعـة، التى تهكم فيهـا بـالإستعـماريـين

(١) من قصيدة طويلة تجدها فى ديوان البارونى في ص ٥٢ - ٥٦.

الإيطاليين ومنطقهم الكاذب، وأعلن فيها تصميم الشعب الليبى على الدفاع عن حرياته، وعلى استعذاب الشهادة فى سبيل استقلاله وكرامته، وأعلن أن لا سبيل إلى وصل سليمى، ويقصد بها طرابلس المحبوبة، لأن دون الوصول إليها أبطالاً يعرفون كيف يذودون عن وطنه وعنها.

وبهذه الروح الكبيرة كان يكتب البارونى شعره ومقالاته، التى جعلت منه زعيماً وطنياً كبيراً فى أمته العريقة فى المجد والتاريخ، وجعلت منه كذلك شيخ الكتاب والشعراء فى عصره.

- ٢ -

وقد عاش البارونى سبعين عاماً، قضى أربعين عاماً منها فى ظلال الخلافة العثمانية التى كانت تبسط نفوذها وسلطانها على العالم الإسلامى، ومنه ليبيا بأقاليمها الثلاثة، ولكن النفوذ الحقيقى كان فى عهد البارونى للدعوة السنوسية الروحية الكبرى التى دعا إليها الأمام محمد بن على السنوسى الكبير «١٢٠٢ هـ - ١٧٨٧م: ١٢٧٧ هـ - ١٨٥٩» الذى نادى بفتح باب الاجتهاد، وبتنقية الإسلام مما علق به من منكرات، وبوحدة المسلمين وارتباطهم الوثيق فى ظلال الدين، وباتخاذ المثل الأعلى لكل مسلم من حياة الرسول الأعظم وتعاليمه السمحة الكريمة، ودعا إلى العلم والمعرفة، وإلى أخوة المسلمين وتعاطفهم، وخلفه فى حمل أعباء الدعوة وقيادتها ابنه الأكبر السيد محمد المهدى السنوسى من عام ١٨٥٩ حتى عام ١٩٠٢م، ثم السيد أحمد الشريف، فالسيد محمد إدريس السنوسى «ملك ليبيا الحالى العظيم»..

وقضى البارونى الثلاثين عاماً الأخيرة من حياته فى ظلال النضال الوطنى الليبى ضد جيوش الغزو الإيطالى، وهو نضال أكسب الأمة العربية والإسلامية مجداً وفخراً وزهواً، بما سطره المجاهدون فيه على أرض ليبيا العربية من آيات البطولة والإقدام والتضحية والاستبسال فى الدفاع عن حياض الوطن المقدس، وكان يشارك أبناء ليبيا فى هذا النضال الخالد مجاهدون من العالمين:

العربي والإسلامي، وبخاصة من مصر وتركيا دولة الخلافة الإسلامية آنذاك.

وكانت زعامة هذا النضال قد أسندت إلى الإدريس، فتولاها بحنكة ودراية وتجربة كبيرة، وقاد ليبيا من نصر إلى نصر، ومن معركة إلى معركة وكسب عطف الرأى العام العربي والإسلامي والعالمي على قضية بلاده.

- ٣ -

وفى عصر البارونى الأول كانت طرابلس تموج بمختلف الثقافات: العربية والتركية والإيطالية، وكانت أجيال من الشباب الليبى تتخرج على هذه الثقافات.

ومع سيادة اللغة التركية فى ظلال الحكم العثمانى، واتخاذها لغة رسمية فى الدواوين وفى شؤون السياسة، إلا أن اللغة العربية بسطت نفوذها وسلطانها الفعلى على جميع أنحاء ليبيا بتأثير عناية الشعب الليبى بها، لأنها لغة الدين والمعاهد التى أنشأها أثرياء الشعب. وكان للدعوة السنوسية الأثر الكبير فى الحفاظ على العربية والاهتمام بها.. وقد نهض الشعر والأدب نهضة كبيرة، لقوة ممارسة الشعراء والأدباء للعلوم العربية والأدبية، ولتعدد ثقافاتهم ورحلاتهم فى طلب العلم والأدب إلى الأزهر فى مصر، وإلى الزيتونة فى تونس، وإلى مختلف المدن الليبية، وإلى حلقات العلم فى الشرق العربى، وفى بلاد المغرب العربى، وإلى استامبول كذلك عاصمة الخلافة الإسلامية، وفى طرابلس كان السراة ورجالات ليبيا يشجعون الأدب والثقافة عن طيب نفس وسخاء كبيرين، وفى الحقبة التى تلت الحكم العثمانى وشغلت الأمة الليبية كلها بالكفاح والنضال والدفاع عن حرية الوطن ضد الغزاة المستعمرين، زاد حرص الشعب الليبى على اللغة العربية، واهتمامه بالثقافة الإسلامية، وبالأدب العربى، ببواعث الدين والقومية والوطنية، وبتأثير الرغبة فى هزيمة الثقافة الإيطالية الوافدة، التى كانت تمثل آنذاك غزواً فكرياً متعاوناً مع الغزو السياسى والعسكرى.

وفى ظلال هذه الأحداث الكبيرة فى تاريخ ليبيا العربية ولد ونشأ وعاش شاعرنا الكبير سليمان البارونى، بل تأثر بكل ذلك. ووعاه فى عقله الكبير وذهنه اللماح. ونفسه الواعية الطموح.

وقد عاصر البارونى جيلاً كبيراً من العلماء والأدباء والشعراء فى بلاده. ومنهم: محمد كامل بن مصطفى «١٢٤٤ ـ ١٣١٥ هـ» ومحمد بن منيع «المتوفى بعد عام ١٢٣٠ هـ» والطاهر بن محمد «١٢٨٣ ـ ١٣٢٨ هـ» ومحمد بن منصور (١٣٠٣ ـ ١٣٤٧ هـ) وأحمد بن يوسف شتوان «المتوفى فى استانبول فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى» ومصطفى بن زكرى «١٨٥٣ ـ ١٩١٨» وعمر المسلاتى «١٨٤٨ ـ ١٣٠٣» ومحمد الأزهرى «١٣١٥ هـ» وأحمد الفقيه حسن «١٢٥٩ ـ ١٣٠٤ هـ) وأحمد الشارف «١٨٦٤ ـ ١٩٥٩» وغيرهم.

كما عاصر البارونى كذلك أعلام النهضة الفكرية والأدبية فى مصر والعالم العربى وفى مقدمتهم؛ جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والبارونى وشوقى وحافظ وإسماعيل صبرى والزهاوى والرصافى والكاظمى وشكيب إرسلان أمير البيان وأحمد زكى باشا شيخ العروبة والمويلحى والمنفلوطى، وسواهم..

ـ ٤ ـ

ويضاف إلى منابع هذه الثقافة الأصيلة التى أخذ عنها البارونى منبع آخر، هو أسرته، ووالده الشيخ عبد الله البارونى من أسرة البارونى المشهورة، وموطنها جبل نفوسة.

وقد تلقى البارونى الثقافة فى موطنه الأول حيث ولد ونشأ، ولما كبر تعلق بمبادىء الحرية فكان موضع مراقبة فى (فساطو) من الوالى العثمانى.

وغادر فساطو إلى طرابلس يتتلمذ على علمائها وحلقاتها العلمية، وندواتها الأدبية؛ ثم إلى الأزهر الشريف عام ١٣١٠ هـ؛ ثم إلى طرابلس، ورحل إلى تاهرت بالجزائر قبيل نهاية القرن التاسع عشر بقليل؛ وكانت بيئة

للأباضية فيها شأن كبير، وجلس فى حلقات علمائها من الأباضية، ونظم قصيدة[1] رثى فيها مجد تاهرت القديم، وذلك عام ١٣١٦ هـ: ١٨٩٩، وهو فى الثلاثين من عمره، وفى تاهرت تتلمذ على إمام الأباضية الشيخ محمد بن يوسف الميزابى.

وكان بين البارونى وشاعر الجزائر الكبير فى عصره الشيخ عاشور صداقة ومودة[2]؛ وكذلك بينه وبين عالم الجزائر الكبير الشيخ عبد القادر الجزائرى[3]، وفى طريقه إلى تاهرت وطريق عودته منها مر بتونس وأقام فيها فترة قصيرة، واتصل بعلمائها وأدبائها؛ واشترك فى حلقاتها العلمية والأدبية، وزار الزيتونة وجالس علماءها.

وعاد إلى طرابلس عام ١٣١٦ هـ، وكان يختلف فيها إلى المدرسة المسماة بمدرسة البارونى وفيها يقول:

عمرت ربوعك بالعلوم وأزهرت   كالأزهر المعمور ذى الصيت البعيد
فيك الدروس تنوعت، وترنم الـ   ـحفاظ فى الأسحار بالذكر الحميد

وألف هناك كتابه «الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الأباضية»

وفي عام ١٣٢٤ هـ: ١٩٠٦م هاجر البارونى من طرابلس إلى مصر، وودعها بقصيدة رائية يقول فى آخرها فى طموح كبير؛ وحرص جليل على أن تستعيد طرابلس نهضتها ويقظتها:

ألا يا قوم قد نمتم طويلاً   وهمتم بالجهالة فى البرارى
فهل من يقظة تشفى غليلا   وتمحو ما استوى من طول عار

وسافر معه شقيقه الشيخ يحيى البارونى الذي التحق بالأزهر الشريف، وأخ ثالث له أيضاً.

وفى مصر، أو القاهرة، على وجه الدقة، تردد البارونى على حلقات

(١) راجعها فى ديوان البارونى صـ ١٠٠.
(٢) صـ ١٣٠ المرجع نفسه.
(٣) صـ ١١٥ المرجع نفسه.

الأزهر العلمية، واتصل بالزعيم الوطنى مصطفى كامل، وبالحزب الوطنى الذى أنشأه هذا الزعيم الكبير؛ كما اتصل بكبار أدباء مصر وشعرائها وعلمائها؛ من أمثال. المنفلوطى وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبرى، وإمام العبد والشيخ طنطاوى جوهرى، والشيخ حسين الرفاعى المحلاوى الأستاذ بالأزهر، وغيرهم. وكان يحضر اجتماعات مصطفى كامل؛ وندوات حافظ إبراهيم، ومجالس المنفلوطى[1]. . . وزاد نشاطه فى القاهرة، فأسس مطبعة فى شارع الحبانية المتفرع من شارع محمد علىّ ـ شارع القلعة حاليا ـ واشترك معه فيها أخوه يحيى، وأخ ثالث إسمه أحمد، وسماها «مطبعة الأزهار البارونية» وفي هذه المطبعة طبع القسم الثانى من كتابه «الأزهار الرياضية» وطبع ديوانه عام ١٣٢٦ هـ: ١٩٠٩م.

وكان البارونى يشارك فى حفلات الحزب الوطنى ويجالس زعماءه وكتابه. ولما توفى مصطفى كامل عام ١٩٠٨ رثاه بمرثية بليغة.

وفي القاهرة أصدر البارونى من مطبعته جريدته «الأسد الإسلامى» التى دافع فيها عن الإسلام والشعوب الإسلامية ووحدة العالم الإسلامى؛ وعن الخلافة العثمانية، دفاعاً مجيداً، وظهر العدد الأول منها فى ١٢ من أغسطس عام ١٩٠٧م. . .

وفي عام ١٩١٠م اختير البارونى عضواً فى مجلس المبعوثان التركى ـ مجلس النواب ـ عن طرابلس، فمثل بلاده فيه خير تمثيل وأصدقه وأشرفه. .

ـ ٥ ـ

وفي ٢٩ من شهر سبتمبر عام ١٩١١ ـ ١٣٢٩ هـ وقع الغزو الإستعمارى الإيطالى للوطن الليبى الحر المستقل، فهاجم الأسطول الإيطالى درنة وطرابلس وبنى غازى وطبرق والخمس، وقاد البارونى حركة الجهاد فى

---

(١) لمحات أدبية عن ليبيا للأستاذ على مصطفى المصراتى.

بلاده والتجأ إلى جبل نفوسة عام ١٩١٢، ولما هزمه الإيطاليون عام ١٩١٣ لجأ إلى تونس، ومنها سافر إلى تركيا، وعاد عام ١٩١٦ إلى طرابلس، واختير عضواً فى الحكومة الطرابلسية الجديدة عام ١٩١٨، وفى عام ١٩٢٢ ثبت الإيطاليون مركزهم فى البلاد، وتحولت الحرب إلى حرب عصابات ، فهاجر البارونى إلى العراق، ومنها إلى عمان من إمارات الخليج العربى، ثم سافر إلى بومباى، وتوفى فيها فى مايو عام ١٩٤٠[١] وترك ذكراً خالداً، ومجداً لا يبلى على مر الأجيال والعصور.

- ٦ -

شارك البارونى فى كل ميدان، وفى كل مجال ونهل من معين مختلف الثقافات؛ وطاف بأنحاء العالم العربى والإسلامى، وتعددت مواهبه وجوانب نبوغه؛ وشارك فى السياسة والوطنية، وفى الثقافة والعلم والصحافة والأدب والشعر وتفوق فيها جميعاً.

وقد سافر إلى الحجاز مراراً، وخبر أحوال العالم العربى والإسلامى، وكسب تجارب طويلة؛ وكان يتأثر بمبادئ جمال الدين الأفغانى والامام محمد عبده، ويؤمن مثلهما بالجامعة الإسلامية الكبرى وكتب يقول: إن لكلمة «الجامعة الإسلامية» معنى فى الوجود كان، واندثر، وسيعود، أو لم يكن من قبل وسيكون، وما اخطأت أوربا فى تفسير هذه الجملة بهذا المعنى الذى توهمته، لأنه هو المعنى الحقيقى الذى وضعت له؛ ويا ليته يصح، فيسعد الزمان والمكان وأهلهما»[٢]. وهو فى ذلك يتابع خطى أستاذه الروحى (جمال الدين الأفغانى) الذى كان من أكبر الدعاة إلى الجامعة الإسلامية، وكان

(١) يذكر الأستاذ على مصطفى المصراتى فى كتبه «لمحات أدبية عن ليبيا» أنه توفى فى مايو عام ١٩٤١م.

(٢) جريدة «الأسد الاسلامى» العدد الأول - ١٢ أغسطس ١٩٠٧م.

يذهب دائماً إلى أن الأمم الإسلامية قد وحدتهم دعوة الإسلام وجمعتهم جامعة الدين، وهى جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى، وتلغى الفروق، فيكون جميع المسلمين بها إخواناً[1].

وكان البارونى يشارك فى أفكاره الإسلامية الزعيم الروحى الكبير السيد أحمد الشريف الذى كان مؤمناً أشد الإيمان بالجامعة الإسلامية، وظل طول حياته على صلة وثيقة بتركيا والخلافة العثمانية[2].

وطالما دافع البارونى عن الإسلام والشعوب الإسلامية والعربية بقلمه وشعره..

- ٧ -

ويشتمل ديوان البارونى على مختلف الأغراض من شعر المدح والمناسبات وشعر الرثاء، وشعر الإجتماع والوطنية والشعر الدينى.

وفيه مدائح كثيرة للخليفة العثمانى السلطان عبد الحميد، وللخديوى عباس باشا الثانى فى مصر، ولوالى طرابلس العثماني، ولغيرهم من أعلام عصره.

وقد قرظ الديوان الشاعر إسماعيل صبرى، وإمام العبد، والشيخ أحمد الفساطوى الطرابلسى الأزهرى وهو صحفى مشهور، والشيخ طنطاوى جوهرى، والشيخ حسين الرفاعى المحلاوى من أساتذة الأزهر، وشقيق البارونى الشيخ يحيى البارونى الأزهرى، وغيرهم؛ ومن شعر البارونى الدينى:

الله أعظم هكذا الإسلام من قبل أمر

(١) راجع مجلة الشهر القاهرية عدد ٩ - ١١ - ١٩٥٨م.
(٢) ٣٣٧ الطريق إلى مكة - محمد الأسد.

لكن جهلنا وانتحلنا الزهد فاشتد الخطر
ما ساد هذا الدين إلا بالمهند ذى الفقر

ويقول فى رثاء الزعيم مصطفى كامل من قصيدة طويلة ألقاها فى ذكرى الأربعين:

ما كنت تعهد أن مصر بشعبها تهتز يوم الأربعين حنانا
ما كنت تعهد أن حبك كامن فى كل صدر يا عظيم رجانا
لكن لمشهدك العظيم تسارعوا خيلاً ورجلاً، عزة لحمانا

وشعر البارونى خفيف الوزن سهل القافية، جميل المنزع، فيه روح شعرى موهوب. . وكان مدرسة كبيرة فى الشعر الليبى الحديث، وهو على أية حال من أوائل الذين أسهموا فى النهضة الشعرية الحديثة فى ليبيا، إن لم يكن أولها على الإطلاق، وهو فى أثره فى حركة التجديد الشعرى يشبه البارودى شيخ الشعراء على الإطلاق.

ولما دخل الإيطاليون بلاده أطلق البارونى لحيته وعاهد الله ألا يحلقها ما دام العدو جاثماً فى أرض الوطن، ونظم فى ذلك قصيدته المشهورة «نداء مجاهد» التى يقول فيها:

هذا هو الشعر الذى شهد الحروب الهائلات
وعليه أمطرت القنا بل كالصواعق نازلات
خاض المواقع لا يهاب على الجياد الصافنات
حبا بتطهير المواطن من بنى الإيطاليات
آليت أن يبقى إلى أن يعبر الجند القناة[1]
لنرى الغزاة على ضفاف النيل تفتك بالغزاة[2]
ونرى طرابلس العزيزة فى ليال باهرات

(١) يشير إلى الجند التركى الذى كان يريد الشاعر أن يعبروا قناة السويس فى طريقهم إلى بلاده لتحرير مصر وليبيا من المستعمرين.
(٢) يريد بالغزاة الأولين الجيش التركى.

ولقد بر الباروني بقسمه، ووفى بنذره، وظل طليق اللحية، يرسلها، إلى أن تتحرر بلاده من الدخلاء والمستعمرين.

وقبل فجر النصر بأعوام معدودات مات الباروني مشرداً في بومباي، وتلا ذلك أحداث جسام في تاريخ ليبيا المكافحة المناضلة، إنتهت بإعلان الإدريس استقلال البلاد وحريتها، وبدأ البناء من جديد للوطن الليبي العظيم، واستقرت روح الباروني في مثواها، واطمأنت في مرقدها لأن بلاده نالت حريتها، ولأن الأمل الذي عاش الباروني من أجله قد تحقق على يدي سيد البلاد الإدريس المفدى، ولو كان الأجل قد تأخر بالباروني قليلاً ليشهد فجر الحرية في بلاده، ومؤذن النصر يؤذن باستقلالها، لدخل طرابلس، وهو يقبل تراب الوطن العزيز الذي رواه الشهداء بدمائهم وأرواحهم، ولحلق لحيته براً بقسمه العظيم.

إن الباروني جدير أن تقام له التماثيل، وتكتب باسمه أعظم الميادين في بلاده.. إنه زعيم وطني ورائد نهضة ثقافية وأدبية، ومجاهد عاش ومات من أجل بلاده، فسلام عليه في الخالدين[1].

ومن آل الباروني الشاعر أبو الربيع سليمان الباروني (١٨٩٦ - . .)[2] وكان يعجب بشوقي وحافظ ومحرم ومحمود غنيم وبابن هانئ، وسليمان نعامة الباروني (١٩١٣ -)[3] الذي درس في الزيتونة، وكان الفضل في ميوله الأدبية للأديب التونسي محمد العربي الكبادي، وكان يعجب بالمتنبي إعجاباً كبيراً.

وللباروني قصيدة رثى فيها مجد تاهرت القديم[4] وقد نظمها عام ١٣١٦ - ١٨٩٩م.

---

(١) راجع عن الباروني: ١٢٧ - ١٢٩ أعلام ليبيا للزاوي، ٦٧ - ١٠٤ لمحات أدبية عن ليبيا للمصراتي، ٢٠٨ - ٢١١ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

(٢) ٢٠٦ - ٢٠٧ الشعر والشعراء في ليبيا.

(٣) ٢١٢ و ٢١٣ المرجع السابق.

(٤) صـ ١٠٠ ديوان الباروني.

وكان بين البارونى وشاعر الجزائر الكبير فى عصره الشيخ عاشور صداقة ومودة[١]، وكذلك بين عالم الجزائر الكبير الشيخ عبد القادر[٢].

وكان البارونى موضع مراقبة - فى فساطو من الوالى العثمانى[٣]، ولما هاجر من طرابلس إلى مصر عام ١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦، ودع طرابلس بقصيدة رائية.

وقد طاف البارونى بالجزائر وتونس وليبيا ومصر والحجاز وتركيا ثم عمان، وخبر أحوال العالم الإسلامى، وكسب تجارب طويلة.

إبراهيم الأسطى عمر[٤]

١٩٠٧ - ١٩٥٠

شاعر مبرز مشهور، ولد بدرنة إحدى مدن برقة الجميلة، وهى ميناء بحرى صغير؛ ونشأ يتيماً فقيراً عاملاً، وأحب العلم فكان ينتهز أوقات فراغه للدراسات والمطالعة؛ وعين كاتباً فى المحاكم الشرعية، ولكنه فر من وجه الاستعمار الإيطالى فخرج مهاجراً عام ١٩٣٨ إلى مصر والشام والعراق، فأفادته هذه الهجرة كثيراً من التجارب والثقافات وعرف أدباء وشعراء العالم العربى وقرأ لهم، ونظم الشعر فى سبك حسن، ورصانة أسلوب، وجودة

---

(١) ١٠٣ المرجع.

(٢) ١١٥ المرجع.

(٣) راجع صـ ١٧ - ٣٣ ديوان البارونى.

(٤) راجع ١٠ - ١٣ أعلام ليبيا، ١٩ - ٢١ مجلة القلم الجديد (تموز ١٩٥٣)، ١٣٥ - ١٤٤ لمحات أدبية عن ليبيا للأستاذ المصراتى، وكتاب شاعر من ليبيا (إبراهيم الأسطى عمر) بقلم على مصطفى المصراتى - نشر مكتبة الشرق بطرابلس الغرب ٢٤٢ صفحة من القطع المتوسط طبع عام ١٩٥٧، ١٤٨ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى، و١٤١ وما بعدها الحياة الأدبية فى ليبيا.

معنى، وخصب خيال، وعاد إلى مصر فاشترك فى جيش التحرير الليبى الذى أنشئ عام ١٩٤٣، ورجع إلى وطنه، وشاهد تباشير عصر الاستقلال، وتولى القضاء فى المرج على أثر مسابقة قضائية تفوق فيها، ومن أشهر قصائده قصيدته التى أرسلها إلى المستر «بلت» مندوب الأمم المتحدة فى ليبيا ونادى فيها بوحدة ليبيا ومنها:

يريد الشعب وحدته، ففيها كرامته، ولا يرضى انقساما

ومات فى ٢٦ سبتمبر ١٩٥٠ غريقاً فى البحر.

ومن شعره:

بالله يا قلبى أحنى من عذاب الذكريات
وارحم بقية هيكل كالآل أضحى فى الفلاة
لو لم يئنّ من العذاب لما رأته المبصرات
أخشى عليه من الوقوع لدى هبوب السافيات
جسم كلا جسم وقلب خافق طول الحياة
إن مرت الذكرى عليه حسبت داخله قطاة

ويقول فى وصف الحياة[1]:

قمت مذعوراً من النوم على صوت ينادى
يا إلهى من ترى هذا الذى صد رقادى
ما الذى يرجوه منى من ضلال أو رشاد
وأنا الأعمى وسيرى فوق أشواك القتاد
وتجلى الصوت فى سمعى غريب النبرات
جاء من فوقى ومن تحتى ومن كل الجهات
فيه لطف فيه عنف فيه حزم وأناة
قال هب نفسك ميتاً ثم قل لى ما الحياة
قلت آلام وأحزان ويأس وشرور

---

(١) راجع القصيدة فى صـ ٧٤ ـ ٧٦ من كتاب شاعر من ليبيا وعنوان القصيدة «ما الحياة».

وشقاء وضلال وجنون وغرور
وأكاذيب وظلم وسخافات وزور
وختام الفصل لا أدرى إلى أين المصير

وقصيدته «نشيد النصر» عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية المشهورة ومطلعها:

هتف الجندى من أعماقه: خلوا السلاح
يا رفاق الحرب، هيا نحتسى أكواب راح
نخب نصر قد ربحناه بصبر وكفاح

وله شعر فى الوصف والغزل والهجاء والسياسة، ومن قصيدته «الطائر السجين»[1]:

أيها المسجون فى ضيق القفص صادحاً من لوعة طول النهار
ردد الألحان من مر الغصص وبكى فى لحنه بعد الديار
ذكر الغصن تثنى
وأليفاً يتغنى
وهو فى السجن معنى
فبكى وجدا وأنَّ
وتمنى
والأمانى ما أحيلاها، خيال يتلاشى مثل أحلام المنام
لو صحا فى روضة والغصن مال من نسيم بين ضوء وظلام
ومضى يصدح فى دنيا الجمال بين أغصان وخلان كرام
ناصحا يروى لهم بعض القصص ما به هدى وذكرى واعتبار
ضاق ذرعا بالأمانى
وهو فى نفس المكان
ويعانى ما يعانى
فرآنى

(١) صـ١٤٨ ـ ١٥٠ شاعر من ليبيا.

شارد اللب إليه ناظرا قال ملتاعا: ألا تسعفنى
قلت: لو كنت قوياً قادراً لم تذق يا طير مر المحن
ولبدلت النظام الجائرا ولما استخذى فقير لغنى
ولكان الشر فى الدنيا نقص ولكان العدل للخلق شعار
رزقنا يقسم فينا بالحصص لاغنى، لا فقير، لا شرار

هكذا تصفو الحياة
لجميع الكائنات
وتزول السيئات
سعينا فى الحسنات
للمهات

غير أنى أيها الطير الكئيب عاجز مثلك مغلول اليدين
فى بلادى بين أهلى كالغريب وأنا الحر، ولو تدرى، سجين
عد بدعواك إلى المولى الرقيب من إذا شاء فما شاء يكون
وارتقب فالحظ فى الدنيا فرص ربما جاءت على غير انتظار
واترك اليأس وغرد فى القفص وتناساه فللعسر يسار

آه لو يدرى مقالى
لشجاه اليوم حالى
غير أنى بخيالى
فى رشادى أو ضلالى
لا أبالى

أيها الإنسان ما ذنب الطيور تودع الأقفاص؟ هل كانت جناة

وقد رمز بالطائر السجين إلى شعبه أيام الاحتلال الايطالى البغيض؛ وقد نظمها فى يناير عام ١٩٤٤ . . ومن شعره كذلك قصيدته «السعادة» التى يقول فيها:

لا تسلنى فأنا أجهل مدلول السعاده

غــير لـفظ مــالــه معـنى ولا إفــاده
ربما توجد فى الفردوس لكن بـالشهاده
إن مـا حبب للصـوفى إيثـار الـزهـاده
علمه أن ليس فى الدنيا سعيد بالإراده
آه لـو كـان أبــوكم ذا دهـاء وقيــاده
لم يـذق ماذاق حتى نـال بالخلد مـراده
غره إبليس بالخلد وعنه قد أحـاده
فعصى مولاه ليت الحكم قد كـان الإباده
ليس عندى غير هذا لا ترم حتى زياده
سل إذا شئت دراويش الطريقه
قــد تجـد فيهم جــوابــاً للسؤال[1]
فــهــو أدرى بهــا مـنى حــقـيــقــه
إذ لهـم شــوق بتـصــديـق المحــال
أوفسل عنها أخا الأجواء قد يحيـا سعيد
بجنـاح وفضـاء وحبـوب من حصيـد
همـه التغـريـد لا يعـرف معنى للقيـود
ليس يغـتر بـوعـد لا ولا يخشى وعيـد
مـاله مـال، ففى المال شقـاء للوجـود
مـاله نـطق فإن النـطق بالجهـل يزيـد
ماله علم وهل فى العلم من شىء حميد
إنـه خـال من الهم ومن «كـاد يكيـد»
سله قــد ينبيـك مــا معنى السعــاده
ويــوافــيــك بــنص أو دلــيــل

(١) لفظ (تجد) بإسكان الدال للوزن. وهو خطأ نحوى.

قـد يـراهـا فى فـجـور أو عـبـاده
فليقل ما شـاء. . . فهى المستحيل[1]

والقصيدة نظمها الشاعر فى ٨ مارس عام ١٩٤٤، وفيها نجد أن أصداء لفلسفة الشاعر المصرى محمود أبو الوفا صاحب القصيدتين المشهورتين: النشيد وعنوان النشيد.. ولقد كانت حياة الشاعر كلها قصيدة مضطربة الأوزان وإن كات رائعة المعنى، واستطاع هذا العامل الكادح أن يكون شاعر مبدعاً، اشتغل بناء وحمالاً وفراشاً[2].

ومن شعره الرائع:

قيـل: صمتـا، فقلت: لست بميت ... إنمـا الـصـمـت مـيـزة الجـهاد
إن مـعـنى الحـيـاة قـول وفـعـل ... وهـى رمـز مـقـدس لـلجـهـاد
لا أطيق الـسكـوت مـادام قـلبى ... خـافـقـاً واللسـان يـروى مـرادى
إنمـا الـبـلبـل المـغـرد يـشـدو ... أينـما كـان فى الـربى، فى الـوهـاد
مـا أظـن الأقفـاص مـهـما ادلهمـت ... تمـنـع الـطير لـذة الإنـشـاد
إنمـا الـرزق والمـعـيـشـة والمـو ... ت جمـيـعـاً بـأمـر رب الـعـبـاد

وفى هذه القصيدة أثر لفلسفة المعرى ولقصيدته المشهورة:

غـير مجـد فى مـلتى واعـتـقـادى ... نـوح بـاك ولا تـرنـم شـادى

وكان شاعره المحبب إلى نفسه هو أبو العلاء، وأخذ يقلده فى اللزوميات لا فى البناء والهيكل ولكن فى بعض الظلال وجوانب من التـأثر بـالفكرة وخاصة من ناحية الحيرة والتشاؤم والشك والتساؤل والتردد والإلحاح فى معرفة كنه هذا الوجود وحقيقة الإنسان[3]، وكان للمعرى وكذلك للخيام تأثيرهما فى

(١) راجع القصيدة فى صـ١٠٧ ـ ١٠٨ شاعر من ليبيا.
(٢) ١٣٧ لمحات أدبية عن ليبيا.
(٣) ٦٣ شاعر من ليبيا للمصراتى.

نفسه وفى بعض قصائده، من مثل «رهين المحبسين»، و«سر الجمال»، و«ما الحياة»، و«السعادة»[1].

ورثى إبراهيم الأسطى عمر الشاعر الصحفى الليبى عمر فخرى المحيشى بقصيدة منها:

ذكراك تبقى مدى الأيام يا «عمر» ... ما دام للناس سمع أو لهم بصر
يا غارسا فى شباب الجيل نزعته ... سقيا لغرسك ها قد أثمر الشجر
يا رسولا أفدنا من رسالته ... كيف الجهاد إذا ما أظلم الخطر
أحييت فينا شعورا كاد يقتله ... حكم الطغاة، فلا عادوا ولا ظفروا

وقوله «يا رسولا» فيه من المبالغة الشديدة ما فيه.

ومن آثاره: مذكرات مخطوطة، وديوانه المخطوط[2]، وكان قد عاهد نفسه أن لا يتزوج حتى تستقل بلاده وتتحرر، كما عاهد سليمان البارونى الله أن لا يلحق لحيته حتى يتحرر وطنه.

عزف الشاعر عن الزواج وعن أكل اللحوم، وظل نباتياً فترة طويلة من حياته كما كان المعرى من قبل[3].

وكان منذ عام ١٩٢٦ عزوفاً عن اللحم يكتفى بالبقول والخضراوات والفواكه[4]. . . ولم يبدأ بنشر شيء من شعره إلا نحو عام ١٩٤٤[5] بعد أن نضج واستوى شعره، فنشر له «مسرحية قيس ولبنى»، ثم ديوانه الذى رثى به زوجته[6]، وقد عاش فقيراً بائساً، مثل عبد الحميد الديب ومحمد عبد المعطى الهمشرى وصالح الشرنوبى فى مصر، ومصطفى خريف بتونس،

---

(١) ٦٤ المرجع.
(٢) ١٤٣ لمحات أدبية عن ليبيا.
(٣) راجع ١٣٥ شاعر من ليبيا وما بعدها إلى صفحة ١٣٨.
(٤) ٤٧ شاعر من ليبيا.
(٥) ٥٠ المرجع.
(٦) ٥١ المرجع.

وإبراهيم الأسطى عمر ويوسف الفلالى بليبيا[1]، وخرج من الوظيفة عام ١٩٤٨، وصار منذ ذلك الوقت شاعر الشعب[2]، وفاز عن دائرة درنة بعضوية البرلمان البرقاوى[3]، وفى رابع يوم عيد الأضحى عام ١٩٥٠ غرق وهو يستحم فى مياه درنة، ويقول المصراتى: إن ذلك كان فى أوائل سبتمبر عام ١٩٤٩[4]، مع أن المصراتى ذكر فى أول الكتاب أن وفاته عام ١٩٥٠ وهو ما قاله الذين كتبوا عن الشاعر؛ وشيعت جنازته فى درنة بين بكاء الشعب وأنينه، وقال الإدريس فيه: وأنا أعرف وطنية إبراهيم من يوم أن كان فى الجيش عند الكيلو رقم ٩ وقد فقدنا اليوم سيفاً من سيوف الوطن.

وفى قصيدته «الطائر السجين»[5] يبدو فيها أثر للمنفلوطى، ويبدو أن الشاعر قرأ كتبه وتأثر به تأثراً كبيراً.

ويصور الأستاذ المصراتى[6]: نشأة الشاعر الأولى، وكيف عمل طفلاً صغيراً بائعاً لحزم الحطب، ثم فراشاً فى الجمرك؛ ثم عاملاً صغيراً فى بعض المحلات التجارية، ثم ساعياً فى المحكمة، وكيف[7] كان تواقاً إلى العلم يطلبه مع أبناء ليبيا العائدين من الأزهر أو من إيطاليا، وتردد على مسجد درنة يستمع إلى حلقات العلم فيه، ثم[8] درس اللغة والنحو والصرف على الشيخ عبد الكريم عزوزة قاضى محكمة درنة، وكانت هذه الدروس فى منزل القاضى ويحضرها نخبة من الشباب، وتقدم[9] لامتحان المعلمين فى طرابلس عام ١٩٣٥ وكان من أوائل الناجحين، وبدأ[10] ينظم الشعر وتفتحت

---

(١) ٥٢ المرجع.
(٢) راجع صـ ٥٥ و ٥٦ المرجع.
(٣) ٥٦ المرجع.
(٤) ٥٨ المرجع؛ ووفاة الشاعر كانت فى ٢٦ سبتمبر.
(٥) ١٤٨ - ١٥٠ المرجع.
(٦) راجع ١٦ و ١٧ شاعر من ليبيا.
(٧) ١٨ المرجع.
(٨) ٢١ المرجع.
(٩) ٢٣ و ٢٤ المرجع.
(١٠) ٢٤ المرجع.

شاعريته، وفى[1] عام ١٩٣٨ سافر إلى مصر فسوريا والعراق وشرقى الأردن وفلسطين، وعمل فى مختلف الأعمال وظل مغترباً ثلاث سنوات، وكان[2] يراسل فيها أصدقاءه فى كل مكان؛ راسل أحمد رفيق المهدوى بقصيدة فيها لوعة وحنين للوطن.

ثم قدم إلى مصر وانخرط فى جيش التحرير[3] وكان آنذاك فى الخامسة والثلاثين[4] ومكث فى الجيش حوالى ثلاث سنوات[5] وتوفيت والدته عام ١٩٤١ [6] وهو فى الجندية يدافع عن وطنه، وخرج من الجيش مشرداً إلى القاهرة حيث استقال فى أواخر عام ١٩٤٢ [7] وأقام فى القاهرة بشارع القصر العينى مع ثلة من مواطنيه، يتردد على الأزهر والمكتبات العامة وعمل فى الجيش البريطانى فى بعثة دراسية من القيادة البريطانية ثلاثة أشهر فى مدينة القدس [8] ، حيث عمل فى مكاتب الاستعلامات وفى إذاعة القدس. ثم استقال وعاد إلى القاهرة فليبيا[9]، وعين إبراهيم مديراً لمكتب الاستعلامات ومكث بهذه الوظيفة زهاء عام ثم استقال[10]، وعمل قاضياً أهلياً وعمل فى الميدان الوطنى، ورأس جمعية عمر المختار فى درنة[11]، ولمع نجمه شاعراً يعزف على قيثارة الحرية، ويشدو بلحن الحرية، ويدعو إلى الوحدة[12].

---

(١) ٢٦ المرجع.
(٢) ٢٨ و ٢٩ المرجع.
(٣) ٣٠ المرجع.
(٤) ٣١ المرجع.
(٥) ٣٢ المرجع.
(٦) ٢٢ المرجع.
(٧) ٣٥ المرجع.
(٨) ٣٦ و ٣٧ المرجع.
(٩) ٣٧ شاعر من ليبيا.
(١٠) ٣٨ المرجع.
(١١) ٣٩ المرجع.
(١٢) ٤٠ المرجع.

وقد ألهبت شاعريته عوامل كثيرة[1]، منها العاطفة الدينية، والوطنية الصادقة المتغلغلة في نفسه، ومطالعاته كتب الأدب ودواوين الشعراء وخاصة المعرى والمتنبى والخيام والرصافى وجبران وأبى ماضى، وأدباء المهجر ومدرسة أبولو ومجلة الرسالة للزيات ومجلة أبولو لأبى شادى، وكتب شكيب أرسلان، وشعر الزهاوى والرافعى، وكان يجتمع فى ندوة أدبية فى درنة مع زميله الأديب عبد الكريم جبريل.

وإلى جانب ذلك لا تنسى أثر الطبيعة فى الجبل الأخضر فى نفسه، وأثر رحلاته، وبؤسه، وحياته وحياة شعبه، فى تفتح شاعريته، وفى نضوج ملكته وموهبته الشعرية..

كان إبراهيم من شعراء المدرسة الحديثة، من حيث الإطار الفنى المتزن ومن حيث الواقعية المعبرة، وكذلك هو من شعراء الوحدة الفنية فى القصيدة، كان ذا أصالة فنية، وصاحب رسالة وهدف[2]؛ ويمتاز شعره بإجادة السبك وغزارة الفكرة وخصب الخيال وقوة العاطفة وثراء اللغة[3].

ومن قصائده: من أسرار النفس[4]، وقد نظمها فى القاهرة فى ٦ إبريل ١٩٤٣، ومن أسرار الجمال[5] وقد نظمها فى ١٤ أبريل ١٩٤٣ ومطلعها:

أنت سر حل فى روحى وجسمى وخيالى
أنت نور شع فى عينى وسمعى ومقالى
أنت من أنت؟ أجيبى أنت عن هذا السؤال

وفيها نغمات من الشابى.. ومن قصائده «الكتاب»[6] وهى من قصائده

(١) راجع ٥٩ ـ ٦٤ المرجع.
(٢) راجع ٦٥ ـ ٧٢ المرجع.
(٣) ١٤٨ الشعر والشعراء فى ليبيا.
(٤) ٨٤ ـ ٨٦ شاعر من ليبيا للمصراتى.
(٥) ٩٨ ـ ١٠٠ المرجع.
(٦) ١١٦ ـ ١١٨ المرجع.

الجميلة نظمها فى أكتوبر ١٩٤٣، وقد سبقت؛ وقصيدة «رهين المحبسين»[١] وفيها يخاطب أبا العلاء يطلب إليه أن يحدثه عن الحياة والموت، ويتحدث فى هذه القصيدة عن رسالته «رسالة الغفران»، ويحدث أبا العلاء عن الحرب وتدميرها، عن العلم وما وصل إليه من جور وسفك للحياة وهدم لصروح الحضارة، وكذلك من قصائده قصيدته «البلبل والوكر»[٢] وقد نظمها فى وادى النطرون بمصر فى السابع والعشرين من رمضان ١٣٦٠ (١٩٤١) عندما كان جندياً فى الجيش، ومنها قصيدته «الجندى فى ميدان القتال»[٣] وقد نظمها فى درنة فى مايو ١٩٤٤، و«نشيد النصر»[٤] وقد نظمها فى درنة عام ١٩٤٧ فى مسابقة شعرية أقامتها هيئة الإذاعة البريطانية.

ومن شعره السياسى قصيدته «عودة القائد»[٥] وقد أهداها إلى الإدريس بعد عودته إلى بلاده، وكذلك قصيدته «تحية الإدريس»[٦]، وقصيدته «نبأ» التى استبشر فيها بإعلان هيئة الأمم المتحدة لحق ليبيا فى تقرير المصير، وقد نظمها فى يناير ١٩٤٧، وقصيدته «إلى مندوب هيئة الأمم المتحدة بليبيا»[٧]، وهى خطاب شعرى مفتوح، وقصيدته «الله أكبر»[٨]، التى فى حفل اقامه اهل درنة فى ذكرى تأسيس الجامعة العربية، وقصيدة «تحية الوطن»[٩] التى نظمها تحية لجريدة الوطن الأسبوعية بمناسبة صدورها فى بنى غازى، وقد نظمها فى يناير ١٩٤٧، وقصيدته «إلى رفيق المهدوى»[١٠] يحييه لدعوته فى شعره إلى وحدة الشعب الليبى، وكان المهدوى صديقاً حميماً للشاعر، وقصيدته «حول

(١) ١٣١ - ١٣٣ المرجع.
(٢) ١٥٩ - ١٦٢ المرجع.
(٣) ١٦٩ - ١٧١ شاعر من ليبا للمصراتى.
(٤) ١٧٨ - ١٨٠ المرجع.
(٥) ١٩٠ و١٩١ المرجع.
(٦) ١٩٢ - ١٩٤ المرجع.
(٧) ١٩٦ ١٩٩ شاعر من ليبيا.
(٨) ٢٠٠ و ٢٠١ المرجع.
(٩) ٢٠٢ و ٢٠٣ المرجع.
(١٠) ٢٠٤ و ٢٠٥ المرجع.

الوحدة»[1] و«يا من يغالط فى الحقائق»[2] و«لا أبالى»[3] وقد نظمها فى فبراير ١٩٤٧، وقصيدته «صحت وعودك»[4] التى نظمها فى مارس ١٩٤٧م...

ولما مات صديقه وأستاذه عبد الكريم عزوز قاضى مدينة درنة رثاه بقصيدة جميلة عنوانها «أنت حى» ومطلعها:

أنت حى فى قلوب العارفينا   لم تمت ذكراك على مر السنينا[5]

وكذلك رثى عمر المحيشى صاحب مجلة «ليبيا المصرية» ومن أعلام الصحافة الحديثة فى ليبيا[6]، وكذلك له فى الهجاء قصيدته «دفاع»[7] التى نظمها فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٤٩ فى صورة دفاع عن أحد الحكام وهى دفاع مغزاه التهكم والسخرية؛ وكذلك من أهاجيه قصيدته «وداع»[8] التى يودع فيها أحد رؤساء الوزارات بعد استقالته.

ولما مات الشاعر رثاه الشاعر عبد الغنى البشتى فقال:

قالوا: طواك البحر، قلت: وهل ترى   للدر منزلة سوى الدأماء
هو من كرائمها فعاد لأصله   عافى الرغام وسافى البيداء
فدعوه روحاً سابحاً لا تلحدوا   جثمانه فى مهمه غبراء
فالدر موطنه البحار وإن يبن   عنها ففوق ترائب الحسناء[9]

---

(١) ٢٠٩ و ٢٠١ المرجع.
(٢) ٢١١ و٢١٢ المرجع.
(٣) ٢١٤ و٢٥ المرجع.
(٤) ٢١٧ المرجع.
(٥) ٢٢٦ - ٢٢٨ المرجع.
(٦) راجع كتاب «صحافيون من ليبيا للمصراتى».
(٧) ٢٣٦ - ١٣٨ شاعر من ليبيا.
(٨) ٢٤٠ و٢٤١ شاعر من ليبيا.
(٩) للأستاذ على مصطفى المصراتى كتاب عن الشاعر إبراهيم الأسطى عمر عنوانه «شاعر من ليبيا».

أحمد الشارف[1]

١٨٧٢ ـ ١١ أغسطس ١٩٥٩

أحمد بن علي الشارف قاض وشاعر كبير، ولد في زليتن أو في ساحل الأحامد من قبيلة أولاد يحيى من العمايم، وحفظ القرآن بالعهد الأسمرى، ودرس العلوم في زاوية الفطيسى بزليتن، وأخذ عن أستاذ عصره محمد كامل مصطفى، وتولى عام ١٩٠٦ الخطابة والتدريس بمسجد بنى مسلم بمسلاتة، ثم القضاء الشرعى فى تاورغة والقربولى، واضطهده الإيطاليون فهاجر إلى غريان حيث المجاهدون، وفى عام ١٩١٩ عين قاضياً بسرت، ثم عضواً بالمحكمة العليا الشرعية فى طرابلس عام ١٩٢٢، ورئيساً لها عام ١٩٤٣، ثم أحيل إلى التقاعد.

كان شاعراً كبيراً ملهماً، ولقب شاعر ليبيا، وشيخ الشعراء، وكان مكفوفاً يقول فى شعره:

لا تظهروا أسفاً، ولا تأسوا على ... ما نابنى يا قوم من عدم النظر
لى أسوة بأئمة فضلاء قد ... كان العلماء أصابهم زمن الكبر
قد جاءت البشرى لمن صبروا على ... ما نابهم والله يجزى من صبر
وفضيلة الإنسان راجحة إلى ... نور البصيرة لا إلى نور البصر

ويقول الشارف إنه تأثر بإبن الفارض والبرعى[2]، ومن أوائل شعره قصيدة رثى فيها مفتى طرابلس محمد كامل بن مصطفى (١٣١٥ هـ)[3].

ومن أوائل شعره كذلك قصيدته إلى صديقه أحمد الزدام عندما كان

(١) ٦٩ ـ ٧١ أعلام ليبيا، ديوان أحمد الشارف نشر الأستاذ المصراتى، ١٥١ ـ ١٥٦ لمحات أدبية عن ليبيا، ١٩٠ ـ ١٩٤ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى، الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.
(٢) ١٥٣ لمحات أدبية عن ليبيا.
(٣) ١٥٥ لمحات أدبية عن ليبيا.

الزدام مقيماً فى تونس[1]، ويذكر المصراتى بيتين من أول قصيدة نظمها وهو فى بلدته «زليتن»[2].

وقد عاش الشارف فى عصر قلت فيه الثقافة الأدبية، فالكتب قليلة، وحركة الأدب ضعيفة، إلا بعض الندوات الأدبية فى منازل بعض أعيان طرابلس، وفى بعض المحافل الأسبوعية.. وقد تركت الزوايا الدينية أثراً ملموساً فى البلاد، وانتشرت الدراسة بالمعاهد العلمية، من مثل: المعهد الأسمرى فى زليتن، وزاوية أحمد زروق بمصراته، وزاوية الدوكالى بمسلاتة وكلية أحمد باشا القره مانلى وكلية عثمان باشا بطرابلس، والزوايا السنوسية وخاصة فى البيضاء والجغبوب؛ وهذه الزوايا أدت دوراً كبيراً فى المحيط العلمى والأدبى، وحفظت اللغة العربية وآدابها.. ولم تكن هنا مجلات أدبية فى بدء حياة الشارف.. وكان لشعر ابن الفارض والبرعى وأحمد البهلول الطرابلسى ذيوع كبير؛ وقد عاصر الشارف ابن زكرى وشتوان وسليمان البارونى وأحمد الزدام والازميرى والشيخ الفطيسى ورحومة الصارى.

وفى حياة الشارف كانت مدرسة البارودى وشوقى وحافظ وكذلك الكاظمى وعبد المطلب، والرصافى والزهاوى، لها دور كبير.

ولم تكن هناك حركة علمية، فليس هناك مؤلفات أو مؤلفون، ما عدا فتاوى محمد كامل بن مصطفى، وكتاب الأحكام الشرعية لمحمد بن عامر المحامى.

وبدأ الشارف بحفظ الشعر وروايته وتذوقه، ثم أخذ ينظمه منذ أواخر القرن التاسع عشر، إلهاماً وفطرة.

---

(١) ٢٧ أحمد الشارف للمصراتى ط بيروت ١٩٦٣م.

(٢) صـ ٣١ المرجع، وتبعد مدينة زليتن عن طرابلس بنحو ١٥٧ ك م وترتفع عن سطح البحر بنحو ١٨ متراً، ويقول المؤرخ الطرابلسى أحمد ضياء الدين المنتصر: إن هذا الإسم بربرى، وضبطه «بضليتن»، وكان علماً على قبيلة من زنانة، ثم أطلق على هذا الموضع الذى نزلت فيه هذه القبيلة.

وكان يجد فى حلقات الصوفية ما يغذى شاعريته ويدفعه إلى حب الشعر.

وعكف على الأغانى والبيان والتبيين وديوان المتنبى، وديوان ابن زيدون.

ونبغ فى معرفة آراء سحنون وابن عرفة وخليل والدردير والعدوى وزروق، وقد أثرت فيه روحه الفقهية فكان شاعراً فقيهاً، يقول الشارف:

لا شك أن حياتى كان معظمها نقل وحفظ لما فى الفقه من كتب
تخصيص وصفى بقرض الشعر تغطية لما عرفت به من سالف الحقب
والشعر من أدبى والشعر مكتسبى فينبغى الجمع بين الفقه والادب[1]

والشارف من أبرز شعراء عصره فى ليبيا، وقد ظهرت مواهبه الشعرية منذ صباه، وفى شعره مسحة من القديم وزخرف من الجديد، ويعد من أضراب الرصافى والكاظمى.

وقد نشر شعره فى صحف الترق عام ١٩٠٨، والعصر الجديد، والمرصاد والرقيب، واللواء الطرابلسى عام ١٩٢٠، والرقيب العتيد، وليبيا المصورة، وطرابلس الغرب.

وقد ظل ينظم الشعر منذ أوائل هذا القرن إلى أن توفاه الله، وكان يسير على عمود الشعر العربى ويكره ما سمى بعد بالشعر الجديد.

وكان معجباً بعزيز أباظة من بين الشعراء المعاصرين.

وكان الشاعر أحمد الشارف يقدم ابن زكرى على كل شعراء عصره. ويقول: إن شعره كان رقيقاً وكان صديقاً لى، وكانت لى معه أمسيات طيبة، وكانت هناك اجتماعات أدبية ودينية، فتحت بأحمد الزدام من وجهاء المنطقة

---

(١) ٤٤ الشارف للمصراتى.

الشرقية، وختمت بأحمد ضياء الدين المنتصر من أعيان مصراتة، فقد كان لهذين الرجلين فضل كبير على المجالس الأدبية والندوات العلمية والتاريخية، وكانت هذه الندوات تشجع الأدب والفن والشعر[1].

وكان شعر الشارف أعز شيء لديه، وينزل ديوانه من قلبه منزلة الأكباد والأحفاد، وكان يكنى أبا العباس الشارف، ويلقب أيضاً: شاعر القطرين أى برقة وطرابلس[2]، وكان يرى أن شوقى وحافظ هما دعامتا الشعر. ولا يقدم على أحمد رفيق المهدوى أحداً من الشعراء المعاصرين فى ليبيا، أما فى مصر فالشاعر عزيز أباظة لرقته وميله إلى المسرحيات الشعرية وإحيائه للقصة العربية القديمة فى شعر جميل[3].

تزوج من ابنة عمه وهو يكاد يقارب العشرين، ثم تزوج عام ١٩٠٠ من أخرى، وأعقب بنتين وولدا وكف آخر حياته، وكان يقول:

ثلاثة قد أحاطت بى مع الكبر فقد الوصال وفقد السمع والبصر
لم يبق فى القلب ما يدعو لتسلية كآية الصبر والإيمان بالقدر

وعاش يعتز بعروبة وطنه حتى ليقول من قصيدته «أمة ومجد»[4]:

لا غرو أن يدعى الليبى أن له ما للعروبة من مجد ومن حسب
لديه من لغة القرآن معجزة تلوح كالدر والياقوت والذهب
عزم لديه وإيمان وتضحية يوم اللقاء بلا خوف ولا رهب

وفيها يقول معتزاً بقيام «الجامعة العربية»:

والشرق يهتف بالذكرى لجامعة فى مصر فى أمة الإسلام فى العرب

وقد يكون هذا البيت قد قصد منه الجامعة الأزهرية لأثرها الإسلامى

(١) صـ ١٥٤ لمحات أدبية عن ليبيا.
(٢) ١٥٥ المرجع.
(٣) ١٥٦ المرجع.
(٤) صـ ٩٠ الشارف للمصراتى.

الكبير وتنويهه بها فى مناسبات أخرى وإن كانت القصيدة لا تفسر لنا مراد الشاعر؛ وشاهد الشاعر يوم استقلال وطنه وبلاده فنظم قصيدته «استقلال وملك ودولة»[1] التى يقول فيها:

عنــايــة الله مــازالت تــسـير بكـم ... إلى الأمــام بــلا خـوف ولا رهــب
فليبيــا اليــوم بــاستقــلالهــا منحت ... مــا تستحق مـن الألقــاب والــرتـب
ولـيـبـيــا الـيــوم ممــا زادهــا شرفــاً ... أن بــايعت ملكاً من أشرف العــرب
فــرع تـكــون من أصــل لــه نـسب ... لخـير أم سـمـت فـضــلاً وخـير أب
فليهنــأ الشعب بــاستقــلال دولـتــه ... وليحى مــا فيـه من مجـد ومن حسب

ومن قصيدته «طرابلس ـ برقة ـ فزان»[2] داعياً إلى الوحدة بينها:

قــد طـالمــا قلت فى شعـرى وفى أدبى ... يــا أخت بـرقـة[3] فى مجد وفى حسب
شـقـيـقـتــان لـكــل مـنـهــا عـقـب ... والمـجـد من عـقب يسرى إلى عـقب
أختــان كــونتــا جيــلاً قــد انتقلت ... لــه النجــابــة مـن آبــائــه النـجب
ولـيـبـيــا تجـمــع الأخـتــين واحــدة ... لا فــرق إلا بــوضــع الإسم واللقب
ومـن أشــار إلى تفـكـيــك وحــدتهــا ... بــأى حــال مـن الأحــوال لم يصـب
إن قلت: فــزان لــلأختــين ثــالثــة ... قــد قلت حقـاً ومــا فى الحق من ريب
لكــل أخت مـع الأخــرى مــردتهــا ... قــديمــة لم تــزل من ســالف الحقب

وهذه القصيدة[4] من أروع قصائده.

نظم فى المدائح النبوية والشعر الصوفى وفى الوطنية والعروبة وفى الغزل والوصف والدعابة والإخوانيات، ولم يترك نوعاً من ضروب الشعر إلا نظم فيه، وإن كان قد ضاع أكثر شعره[5]، وكان يهذب شعره وينقحه ويجوده،

---

(١) ٩٣ و ٩٤ الشارف للمصراتى.
(٢) ٩٤ و٩٥ المرجع.
(٣) يريد بها طرابلس.
(٤) ٩٤ و٩٥ الشارف للمصراتى.
(٥) رتب شعره هكذا: النبويات، الحماسة، الأمثال والحكم، الشعر القصصى، الرسائل، الغزل والتشبيب.. ويقع فى ١٥٠ قطعة تشتمل على ٢٠٤٠ بيتاً.. والكثير من شعره مفقود.

وأحياناً يرتجل الشعر، وكان يرصع قصائده بالحكمة والأمثال، ويضمنه شعر غيره فى بعض الأحيان.

والشارف يرى أن الجيش والمال والعدل عماد حياة الوطن ونهضته، يقول من قصيدته «العدل وحق الشعب»[1]:

إن سر النجاح فى قوة الجيـ ـش، وفى المال كان سر النجاح
ودوام النجاح أن يتهادى الـ ـعدل فى ظل عرشه الفياح

ويقول فى العدل وأنه حامى نهضة الأمة:

للشعب حق وحق الشعب يضمنه
عدل الولاة وصدق المستشارينا[2]

وشعر الشارف فى العزوبة والوطنية كثير[3]، ومنه قصيدته «نحن بنو تلك العروبة»[4] التى يقول فيها:

ولولا تأسينا بمصر ونيلها وجامعها الأعلى[5] لضاق بنا الصدر
إذا ما أفضنا فى حديث ممتع فأول ما يغشى مسامعنا مصر
أبى الله إلا أن يبين أنها كنانته فى أرضه ولها الفخر
يحس بآلام العروبة شعبها ويوجعها ألا يكون لها أمر
نحب من الأقطار كل شقيقة لمصر ومن فى مصر يا حبذا القطر

وقد تأثر فى هذه القصيدة بأبى فراس الحمدانى فى رائيته المشهورة.

ومن قصيدة أخرى له يقول:

---

(١) ٩٨ و ٩٩ الشارف للمصراق.
(٢) من قصيدة طويلة عنوانها «ضعتم وضعنا» ١٠٤ و ١٠٥ المرجع السابق.
(٣) ٤٩ ـ ١٠٨ الشارف للمصراق.
(٤) ٥٣ ـ ٥٦ و ٩١ و ٩٢ المرجع.
(٥) يريد به الأزهر الشريف.

أقول ولم أدع لسواى قولاً ولا لمعارض أبداً يدان
أنا العربى فى وطنى وأهلى إذا افتخر الورى نسبى كفانى[1]

ويقول من قصيدة أخرى:

عرب الحى وحى العرب مظهر المجد ومأوى الحسب
أنا من حبكم فى تعب ليتنى أجنى ثمار التعب
هذه المهجة منى اضطرمت كاضطرام الماء فوق اللهب
لا أرى لولا هواكم لا أرى فى معاناة الجوى من سبب
لى فؤاد لم يزل يصحبكم صحبة المرضىِّ والمنتخب
إن يكن لى فى حياتى أرب لم يكن إلا رضاكم أربى
ليتها آثاركم إذ كتبت كتبت يوماً بماء الذهب
جلست بالرفق فى حجر العلا كجلوس الطفل فى حجر الأب
إن ذكرناها أطالت شجنا وأثارت عبرة المنتحب
يا شبابا كلما حف بهم طلب جاءوا بصدق الطلب
هل علمتم من تقارير الهوى بعد وخط الشيب ما يصنع بى
هل يريد السير منى خببا بعد ما أصبح دون الخبب
هل ترى لى حسنا أصحبه غير ما أصحبه من كتبى
لى حياة ذهبت لذتها وتوارت بتوارى الحقب
وشباب فتك الدهر به كنت فى ريعانه ذا طرب
غير أنى بلقاكم لا أرى وحشة البائس والمغترب
همكم إن كان فى نيل العلا ليس فى همكمو من عجب
أمة عادت إلى معدنها كرم الأصل وعرق الأدب
إن يكن قوم بفضل فخروا فلنا الفخر بذياك النبى[2]

(١) ٥٦ ـ ٦١ الشارف للمصراتى.
(٢) راجع ٦٤ ـ ٦٦ الشارف للمصراتى.

ومن شعره الوطني قصيدته[1]:

وطني هو الوطن العزيز أحبه ويحبني لولا حديث وشاته

وقد مزجها بالروح العربي الشامل... ويخاطب العرب فيقول:

يا معشر الأقوام هل من نهضة وحمية يا معشر الأقوام[2]

وقصيدته الوطنية الدافقة «رضينا بحتف النفوس رضينا»[3] مشهورة وفي قصيدته «هتاف في سبيل المجد[4]»، ينتقل إلى مخاطبة الشرقي عموماً فيقول:

ابك يا شرقي مشرقا شمسه قد توارت وامزج الدمع بدم

ويقول من قصيدته «إثارة الشوق»[5].

إن صح أن فلسطينا قد انقسمت فكل قطر لنا أضحى فلسطينا
وهذه ليبيا لم نرضها وطنا ما لم يكن حكمها يجرى بأيدينا
وكيف نملك أرضاً لا نسود بها وأن نكون لهم فيها مساجينا
تأبى العروبة أن ينتابها خور وأن نكون من القوم الأذلينا
نحن الأشاوس في بدو وفي حضر وكل أرض لنا كانت ميادينا
نحيا بعز كما كنا وإن فقدت حياتنا فحياة الذكر تكفينا

وقصائده الدينية والصوفية كثيرة[6]، ومدائحه النبوية [7] مشهورة، وله كثير من الأمثال والحكم[8].

(١) ٧٥ و ٧٦ الشار للمصراتي.
(٢) راجع القصيدة كاملة في ٨١ - ٨٣ المرجع.
(٣) ٨٣ - ٨٤ المرجع.
(٤) ٨٧ و ٨٨ المرجع.
(٥) ٨٨ و ٨٩ المرجع.
(٦) ٢٦٠ - ٢٧٠ الشارف للمصراتي.
(٧) ٢٧٢ - ٢٧٧ المرجع.
(٨) ٢٨٠ - ٢٨٤ المرجع.

ومن مراثيه مرثية لشوقى وحافظ[1] وللصحفى الليبى المشهور عمر فخرى المحيشى[2] صاحب مجلة ليبيا المصورة.

وفى شعره قصائد عن المخترعات الحديثة، فله قصيدة فى الراديو[3] يقول منها:

إن للمذياع فى الناس يدا ... قربت كل بعيد فاقترب
آلة السمع وإن شئت فقل ... آلة الفن وينبوع الأدب
لا يكن فكرك فى مصدرها ... حائرا ما بين صدق وكذب

وقصيدة أخرى عنوانها «العلم والمخترعات»[4] وفيها ينوه بالطاقة الذرية.

وقد اعترف له أحمد شوقى بالشاعرية، حينما عرضت عليه قبيل حفلة مبايعته بالإمارة الشعرية بعض نماذج من الشعر الليبى، فاختار للشارف، وقال: صاحب هذه هو الشاعر حقا[5].

وله فى الوصف الشعرى قصائد كثيرة جيدة؛ وقصيدته «الصحراء والإنسان» طويلة تبلغ ٥٦ بيتاً، وقد وصف فيها الصحراء وليلة باتها فيها وصفاً دقيقاً[6]، وفى الموضوع نفسه قصيدته «شاعر فى صحراء»[7]، ويصف داراً سكنها[8]. كما يصف حياة الموظف فى قصيدة طويلة[9].

---

(١) ٢٩٠ و٢٩١ المرجع.
(٢) ٢٩٢ المرجع.
(٣) ٢٠٠ الشارف للمصراتى.
(٤) ٢٠٢ المرجع.
(٥) ١٩٢ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.
(٦) راجع القصيدة فى ٢٠٨ - ٢١٠ الشارف للمصراتى.
(٧) ٢١٤ - ٢١٧ المرجع.
(٨) ٢١٩ و٢٢٠ المرجع.
(٩) ٢٣١ - ٢٣٣ المرجع.

وله كثير من المساجلات الشعرية بينه وبين المهدوى[1] وبينه وبين الشاعر محمد عبد القادر الحصادى[2]، وبينه وبين غيرهما من الشعراء.

وفى مهرجان شوقى الذى بويع فيه بإمارة الشعر عام ١٩٢٧ بعث الشارف بقصيدة طويلة[3] منها:

ليت عهد الحبيب فى مصر أضوا ... فى لدى المنتدى وذاك النادى
حيث أمسى حديث شوقى معادا ... والحديث الشوقى أحلى معاد
أحمد الله ثم أحمد شوقى ... لا عدمت اتصاله بفؤادى
ما رأينا كشعر أحمد شعرا ... سار فى المشرقين سير اطراد
يا أخا الأمر والإمارة والإعـ ... ـجاز فى كل حاضر أو بادى
لك فى الشرق عبقرية شعر ... هى كالنيل ما لها من نفاد

وله رسائل شعرية إلى السنوسى بن صالح[4]، وأبى القاسم البارونى[5].

وشعره فى الاجتماعات كثير[6]، يقول فى الشباب الليبى[7]:

وجودكم يا شباب العصر فى الوطن ... أمر بدا كوجود الروح فى البدن
للحر عين، وعين الحر ساهرة ... فى خدمة العلم والآداب والسنن
وما سعى الناس فى أمر كسعيهمو ... فى صالح الأهل والأولاد والوطن
لا خير فى وطن يلقى بجانبه ... من وطأة الجهل ألوانا من المحن
وهذه ليبيا الفيحاء قد سمحت ... لها الظروف بلا ضعف ولا وهن

(١) ٢٤٠ - ٢٤٣ المرجع.
(٢) ٢٣٦ - ٢٤٠ المرجع.
(٣) ٢٤٤ - ٢٤٧ المرجع.
(٤) ٢٥١ الشارف للمصراتى.
(٥) ٢٥٣ المرجع.
(٦) ١٨٨ - ٢١٢ المرجع.
(٧) ١٨٩ - ١٩١ المرجع.

وقد يكون مدى الإصلاح مبدؤه ‏ من قادة لم تكن منا ولم تكن
والقوس لم تعطه إلا لصاحبه ‏ ولم تضف حسنا إلا إلى حسن
وأنتم الشعب لا يحتار فكركم ‏ كحيرة الضب إن يضلل عن السكن
شعب عريق فلا أصل بمبتذل ‏ بين الشعوب ولا قرع بممتهن
تسربت لكم العلياء من سلف ‏ ومن أصول مضت فى سالف الزمن

وللشارف قصائد كثيرة فى الغزل[1]، وقد عارض ابن الفارض فى يائيته بقصيدته[2] التى مطلعها:

يالائمى واللوم لا ‏ يجدى على العشاق شى
رفقا بقلب لم يزل ‏ يطوى كتاب الصبر طى
رفقا بقلب مدنف ‏ يكوى بنار الشوق كى
شوقاً إلى ذكر الحبيـ ‏ ـب فليته شوقاً إلى
يا من لحسن حديثه ‏ ألوى عنان السمع لى
وسقيت كأس عذابه ‏ فوجدته عذباً لدى

ويقول محمد صادق عفيفى عن الشارف: إنه علم من أعلام شعراء ليبيا فى العصر الحديث، صاحب نسج محكم وعبارة بليغة، وقافية متمكنة رصينة، مجيد فى مجموع شعره، مكثر، تغلب عليه الجزالة، تنازل له الشاعر أحمد رفيق المهدوى عن زعامة الشعر فى قصيدة بعث إليه بها ومطلعها:

تنازلت عن لقب الشاعر ‏ ولم أك من قبل بالناثر[3]

وقد مات الشارف عن ٨٧ عاماً[4]، وكان قاضياً[5] فقيهاً، وعالماً من

(١) راجع ١١٠ - ١٨٥ الشارف للمصراتى.
(٢) ١٤٠ و١٤١ المرجع.
(٣) ١٩٢ الشعر والشعراء فى ليبيا لمحمد صادق عفيفى.
(٤) فميلاده عام ١٨٧٢، ويذكر المصراتى أن ميلاده عام ١٨٦٤ «صـ ٥ و٢١ الشارف للمصراتى».
(٥) مكث الشارف فى القضاء الشرعى أكثر من نصف قرن.

جلة العلماء، وعالج الكتابة، فنشر بعض الفصول والمقالات فى الصحف الليبية... وكان حلو الحديث، سريع البديهة، ذكى الفؤاد، قوى الذاكرة.

وكان ينتصر فى أوائل حياته للترك، وله قصيدة فى كمال [1] أتاتورك، وقصيدة فى الدستور العثمانى [2] عام ١٩٠٨، ثم مال إلى القومية العربية وهتف بها.

وكان يعتز بأدبه اعتزازاً كبيراً وهو القائل:

أدبى روحى وروحى أدبى كره اللائم فيه أم أحب
أدب قد حفل الجد به وهو فى الظاهر لهو ولعب[3]

وبمثل ذلك كان يعتز بوطنه ويحبه حتى ليقول:

إن الحياة هى الحيا ة ولا حياة سوى الوطن
والحر يبذل فى سبيـ ـل حياته غالى الثمن[4]

أحمد رفيق المهدوى

١٨٩٨ - ١٩٦١م

ولد وفيق عام ١٣١٨ هـ (يناير ١٨٩٨) فى بلدة «فساطو»، وتعلم فى نالوت ثم فى مصراته، وفيها درس الفرنسية، ثم رحل مع والده وأسرته إلى الإسكندرية عام ١٩١٠ قبل الحرب العالمية الأولى، وأكمل تعليمه فيها، وفيها قال الشعر...

(١) ١٠١ - ١٠٣ الشارف للمصراتى.
(٢) ١٠٦ و١٠٧ المرجع.
(٣) ٢٠٠ المرجع.
(٤) ٢٥٧ المرجع.

ثم عاد عام ١٩٢١[1] إلى بنى غازى وظل فيها حتى عام ١٨٢٥ وهو يسهم مع الأحرار فى جهاد العدو المحتل، وهاجر إلى تركيا، حيث قضى فيها تسع سنوات، عاد بعدها إلى وطنه عام ١٩٣٤، ولم يلبث المحتل أن طرده ونفاه من البلاد عام ١٩٣٦ فعاد إلى تركيا عام ١٩٣٦، حيث قضى فيها عشر سنوات أخرى عاد بعدها عام ١٩٤٦ إلى وطنه يكمل رسالته فى بناء ودعم الاستقلال، وفى عام ١٩٥١ عين عضواً بمجلس الشيوخ، وظل فى وطنه حتى لحق بربه فى اليوم السادس من يوليو عام ١٩٦١م.

وقال رفيق الشعر وهو فى العشرين، ولم ينقطع عنه حتى أسكته القدر وهو فى الثالثة والستين.. وفى هذه الحقبة الطويلة قدم رفيق للأدب الليبى ولوطنه ليبيا عصارة قلبه وتجارب حياته، وكان رفيق من فحول شعراء عصره، شاعراً مبدعاً عبقرياً موهوباً، يترجم عن الشعور بالشعر، فيرسله نغمات حالمة شجية؛ أو جامحة فتية؛ أو رقيقة وفية، أو ثائرة محطمة، أو ساخرة لاذعة، أو ماجنة لاهية... ولم يكن فى شعره تعقيد ولا إغراب ولا صنعة، بل جاء شعره من السهل الممتنع؛ لقرب معناه، وجزالة أسلوبه، وعذوبة لفظه..

وكان رفيق يرى الشعر تعبيراً عن عاطفة الشاعر:

وما الشعر إلا الوحى جاشت بآيه ... نفوس غذتها حكمة الحكماء
يصوغ انفعالات العواطف منطقا ... وقد كلَّ عنها منطق الفصحاء
وما هو إلا زفرة سال حرها ... دموعاً، ودمع ذاب فى صعداء[2]

ويدعو إلى تخلصه من القافية وأوزان الخليل فيقول:

أما آن للشعر أن يستقل ... ويخلص من ربقة القافيه
فقد طال والله تقييده ... بتقليدنا الأعصر الخاليه
إلام نسير بوزن الخليل ... ونرسف فى قيده العائق

(١) يذكر عفيفى أن عودته كانت عام ١٩٢٠ (١٥ رفيق شاعر الوطنية، ١٥٦ الشعر والشعراء فى ليبيا).
(٢) ٣٥ ديوان رفيق.

ولـلـشـعــر فى كـل لحـن جمـيــل مجـال مــع الــنـغــم الـشــائــق[1]
فـيـا شــاعــر الـعـصر جـدد لــنــا مــن الــوزن غــير الــذى نــعــرف
ولا تخش مــر انــتــقــاد الــغــلاة فــســوف يــؤيــدك المــنــصــف

ويقول أحد أدباء ليبيا فى تصديره الذى قدم به القسم الأول من الديوان، وهو الأستاذ عبد المولى عوض لنقى:

شاعر الوطن الكبير أحمد رفيق المبدوى، أحد رواد الوطنية وعلم من أعلام الفكر والأدب فى بلادنا، وحياة رفيق تحكى قصة كفاح هذا الشعب الأبى المناضل إذ لم يبلغ الشاعر ربيعه حتى تعرض وطنه لغزو الاستعمار الإيطالى عام ١٩١١، ونظر الشاعر حوله فوجد الجميع يحملون السلاح رجالاً ونساء، فانبرى يسهم فى معركة التحرير بقلمه وفكره، فكانت قصائده وقوداً تلهب نار المعركة.

وقاد رفيق معركة الفكر فأنار بروحه الطموحة درب الكفاح الطويل وبث فى نفوس مواطنيه روح الشجاعة والإصرار على التخلص من الإستعمار، وتعرض شاعرنا إلى ألوان من الاضطهاد والتشريد، فلم تلن قناته، ولم يفتر عزمه، ومن منفاه بتركيا لم ينس الشاعر وطنه الذى هام بحبه، وأخذ يردد أشعاره فى الحث على مواصلة الجهاد وتمجيد بطولات مواطنيه، يمنى النفس بالعودة إلى أرض الوطن الحبيب، ولم يكن شاعرنا يعيش فى دائرة الوطنية الضيقة بل كان يؤمن بقوميته وعروبته فكانت تهزه أنباء كفاح أخوته المناضلين فى البلاد العربية، وشاء القدر أن يكلل جهاد الأحرار فى ليبيا بالنصر على يدى بطل الأمة الإدريس العظيم، ويعود الشاعر المغترب إلى وطنه بعد أن بزغت فيه شمس الحرية، ولم تهدأ نفسه الأبية عن مواصلة الكفاح فشارك مواطنيه فى معركة البناء والتشييد، فكان خير معبر عن آلام مواطنيه وآمالهم، يدافع عن حقوقهم ويحثهم على العمل والبناء، لم يتزلف، ولم يجامل فى الحق أحداً، فكانت حياة رفيق قصة شعب فى حياة رجل، ولم يلق السلاح إلى أن

(١) ٨٠ الديوان.

فارق الحياة مشيعاً بحسرات مواطنيه الذين عرفوا فيه الرجل الصلب الذى لا يلين.

وقد قسم الأدباء الذين أشرفوا على نشر الديوان حياة رفيق الشعرية إلى فترات عدة:

١ - الفترة الأولى وتبتدئ من عام ١٩١٨ تقريباً وهو مقيم فى القطر المصرى بالإسكندرية حتى رجوعه إلى بنيغازى ١٩٢١م.
٢ - الفترة الثانية وتبتدئ من عام ١٩٢١ حتى خروجه من بلده (بنيغازى) فى ١٩٢٥/٦/٢٥م قاصداً تركيا حيث تقيم عائلته.
٣ - الفترة الثالثة وتبتدئ من وصوله إلى (جيحان) فى تركيا ١٩٢٥ حتى عودته إلى بنيغازى نهائياً فى يناير ١٩٤٦م.
٤ - الفترة الرابعة وتبتدىء من عام ١٩٤٦ حتى إعلان استقلال ليبيا فى مطلع ١٩٥٢ (١٩٥١/١٢/٢٠م).
٥ - الفترة الخامسة تبتدئ من هذا العهد حتى وفاته يوم الخميس ١٩٦١/٧/٦م

وأشعاره فى الفترتين الأولى والثانية ليست كلها موجودة، والديوان يشتمل على كل قصائده فى الفترة الثالثة من شعر الشاعر وهى أطولها زمنا وربما أكثرها شعرا.

وكان أحمد الشارف الشاعر الليبى الكبير لا يقدم على الشاعر أحمد رفيق المهدوى أحدا من الشعراء الليبيين المعاصرين[1].

وقال العقاد فيه: إن شعره ملأ النفوس بإيناس غطى على كل ما هنالك من وحشة الظلام ووحشة المصير المجهول[2]، وقال فيه: من الواجب أن أنبه فى صحافتنا الأدبية إلى مكان هذا الشاعر الذى يقل نظراؤه فى العصر الحاضر[2].

---

(١) ١٥٦ لمحات أدبية للمصراتى.

(٢) ١٥٩ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى نقلا عن جريدة الأخبار المصرية عدد ١٩٥٤/١٠/١٥م.

وكان شعر رفيق أيام الاحتلال الإيطالى ممنوعاً محرما حتى إنه كان يقع تحت طائلة القانون من يتعاطى شعره، وحتى كان الصديق يطلب إلى صديقه أن يعود أدراجه إذا كان يتأبط شيئاً من شعر رفيق(١).

وقد سار شعره فى كل مكان، وحفظه الشباب الليبى لقوة ما أودعه الشاعر فى شعره من روحه الوطنية(٢)، ولخلو شعره من الصنعة والتكلف والتعقيد، وجمعه بين عمق المعنى وحلاوة اللفظ مع التناسب فى الرقة والجزالة، ومع طبعه الشعرى الأصيل الجذاب، ومع خياله القوى وثقافته الواسعة(٣). وقد نوه بشارة الخورى بوطنيات رفيق تنويها كبيرا(٤).

وكان رفيق يلقب بشاعر الوطن الكبير، ويعد فى مقدمة شعراء ليبيا ويمتاز شعره بالوطنية الدافقة، وبالتجارب الشعرية العميقة، وبالعاطفة الصادقة الحزينة، وبالخيال المجنح المحلق، وبالأسلوب الحلو العذب الرصين.

رفيق شاعر مطبوع، بلغ الشعر الليبى الحديث على يديه منزلة لم يصل إليها من قبل: «وكان بطبعه محباً للحرية متمرداً على الظلم(٥)».

وفى الشاعر أحمد رفيق المهدوى يقول الشاعر عزيز أباظة فى تقديمه لديوان رفيق الذى طبع فى القاهرة: لعل أروع ما يتضح لنا فى هذا الديوان القيم تلك التجارب الشعورية التى صورها الشاعر فأحسن تصويرها، دون أن يحيد بها عن نطاق الحقيقة والصدق والأصالة تعبير زائف أو فكرة مشوبة،

---

(١) من حديث لرفيق نشر فى مجلة «هنا طرابلس الغرب» - السنة الأولى، وراجع ص ٣٢ رفيق شاعر الوطنية.

(٢) عدد ٤ السنة الأولى عام ١٩٤٣ - مجلة عمر المختار.

(٣) عدد ديسمبر ١٩٥٤ - مجلة هنا طرابلس الغرب.

(٤) ٨٢ رفيق شاعر الوطنية.

(٥) ١ : ١٨٠ طبعة ثالثة - فى الأدب الحديث لعمر الدسوقى.

فنحن بإزاء شاعر يطل على مرائى الطبيعة ومجالى الكون، ومواكب الحياة، من خلال أحاسيسه اليقظة الواعية، ثم يرسم بريشته الصناع ما انبثق فى وجدانه من خلجات وخفقات، وما التمع فى عقله من لمحات وومضات. واستطاع بروحه الشفافة الملهمة، وبصيرته الثاقبة الواعية، وقدرته البيانية على تطويع اللغة لفنه، أن يأتى بشعر عربى مبين، يبهرك فى كثير منه بطلاوته المشرقة كما يهزك بأحاسيسه الصادقة. يسير على عموم الشعر العربى مع التجديد فى الأفكار والموضوعات والأخيلة؛ انصهر الشاعر ذاتية وشعوراً فى بوتقة الألم، فإذا بقيثارته تنطلق بهذا النغم الباكى، واللحن الحزين، وواضح أن نصيب العاطفة أوفى من نصيب الجزالة.

ويقول محمد فريد أبو حديد فى الكلمة التى نشرت له فى آخر ديوان رفيق المطبوع فى القاهرة: إنه أعجب بشعر رفيق:

كالنحلة فى الروضة تعبث بالنور
لا يفتأ حيران كثير الجولان
يقتحم الأشواك إلى زهر البستان
إن رفرف كالواقف أو حوم أو طار
كالنحلة فى الروضة تعبث بالنوار[1]

كما يعجب بقصيدته:

يا من على البعد نهواه ويهوانا   لشد ما شقنا شوق فأضنانا

ويراها من أبدع ما سجل فى الشعر العربى قديمه وحديثه، وكذلك قصيدة رفيق فى الشاعر الإيطالى دنونزيو يعجب بها إعجاباً شديداً[2].

ومن الأوزان الجديدة عند رفيق قوله:

---

(١) صـ ١٥٢.

(٢) صـ ١٥٦ ديوان رفيق ـ مطبعة الرسالة ـ القاهرة.

كالنحلة فى الروضة تعبث بالنوار
لا يفتأ حيران كثير الجولان
يقتحم الأشواك إلى زهر البستان

إلى آخر هذه القصيدة الجميلة التى عنوانها «قلب الشاعر والجمال» وقد نقده الشاعر موسى البرعصي وغيره فى ذلك، ونشر حديث للأستاذ الشاعر أحمد رفيق المهدوى فى مجلة طرابلس الغرب، قال فيه: أنا على خط مستقيم ضد من يحطم الأوزان والقوافى، والموسيقى فى الشعر لا بد منها، وإذا ذهبت الموسيقى فلا شعر ولا شعور، ولما سئل كيف توفق بين هذا الرأى ورأيك فى قصيدتك «أما آن» التى تدعو فيها إلى التحرر من القافية أجاب بأن القافية غل ولا يجب أن يتقيد بها الشاعر فى قصيدته من ألفها إلى يائها.

ويقول الشاعر على الجندى فيه: شاعر واسع الأفق سريع التأثر بكل ما حوله من مظاهر الكون المختلفة؛ فإلى جانب المشاعر الفردية نجد المشاعر الجماعية مصورة خير تصوير. إنه شاعر يعرف حقاً معنى الشاعرية، شديد الحساسية، عميق الوجدان.

ويقف النقاد جميعاً عند شعر رفيق الوطنى يعجبون فيه وبما فيه من حماس قوى، وتصوير ذكى.

وقد تزعم رفيق الدعوة إلى التجديد فى الشعر ـ كما يقول ناشر ديوانه محمد الصادق عفيفى ـ حتى قال عنه العقاد: لقد رأيت من الواجب على أن أنبه فى صحافتنا الأدبية إلى مكان هذا الشاعر الذى يقل نظراؤه فى العصر الحاضر.

وكانت زعامة الشعر بينه وبين أحمد الشارف، وفيه يقول الشاعر «الجواب»:

ملك القريض تجلة وسلاما ولتحى للحق الصراح دواما
وأمير در الشعر عشت موفقا لجلالك الزاهى نقوم قياما

ولعـــرش نـظمـــك والقلوب خـــوافق تعنـــو، وتـصغـى، رهبـة وغـــرامـــا
هـــل كـان فيـــك غـايـــة مـرغـــوبـــة أم كـان شعرك فى القلوب حسـامـا[1]

ويقول عمر الدسوقى فى تصديره لديوان رفيق المطبوع فى القاهرة: إذا استطاع الناقد التعرف على الشاعر من شعره دل ذلك على أصالة هذا الشعر، وعلى أن الشاعر يصدر فيه عن نفس سليمة، وهذه سمة من سمات الشاعرية الحقة، تغنى بالحرية كثيراً فى شعره، وهى التى طوحت به فى بلاد الغربة. وظاهرة أخرى فى شعره، وهى المرح والتهكم حتى من نفسه إن كان الحال يقتضى ذلك، وقد يدعوه المرح أحياناً إلى أن يتبسط فى أسلوبه، ويأتى ببعض الكلمات العامية المحلية الصبغة لتكون أبلغ فى الدلالة على النكتـة، وروح الفكاهة واضحة فى معظم قصائده النقدية، وتمتاز بالتصوير الساحر. والشاعر يصدر فى شعره كله عن تجربة، وعاطفة، تراه مغرماً بالجمال والجمال والشعر لديه صنوان. وتحس بتطور شعره فى الأسلوب، والتمكن من القافية، وحلاوة الموسيقى، كلما مر به الزمن، وتمرس بقول الشعر. ونراه بـرما بـالشعر فى عصره وقد تعاطاه من لا يحسنه أو يستخدمه فى غير أغراضه السامية؛ ويقول الشاعر:

تـــنـــازلـت عـــن لـقـب الـشـــاعـــر ولم أك مـــن قـــبـــل بـــالـــنـــاثـــر
فـقـــد أصبـــح الـشـعـــر فى عصرنـــا بـضــاعـــة مـن لـيس بـــالـشـــاعـــر
ومـــن كـــان مـثـــلى مـن المـفـــلـســـين فـــليس لـــه صـــنـــعـــة الـتـــاجـــر

وشوقى أحد أساتذة المهدوى، وأثره واضح فى شعره. وقد عارضه فى بعض قصائده، ولم يستـطع التخلص من جوه ومن ألفـاظه ومعـانيه حـين عارضه. . أكثر من الألفاظ العامية والأجنبية تظرفاً؛ وقد جمع بين القـديم والجديد فى شعره ويتميز المهدوى فى شعره بالوصف وما فيه من تأملات فكرية رائعة، وتصوير بديع.

---

(١) ١٥٩ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

وقد طبع ديوان المهدوى طبعتين:

الأولى: عام ١٩٥٩ فى القاهرة بمطبعة الرسالة وتقديم عزيز أباظة وبعض الأدباء وتقع فى ١٦٨ صفحة من القطع الكبير ولا تشمل كل شعر الشاعر.

والثانية: عام ١٩٦٣ فى جزءين وذلك فى ليبيا على نفقة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالمملكة الليبية المتحدة ويقع الجزء الأول فى ٢١٢ صفحة من القطع الكبير.

وقد تناول محمد الصادق عفيفى فى كتابه «رفيق شاعر الوطنية الليبية» التعريف برفيق والعوامل المؤثرة فى وطنيته، وذكر ألواناً من شعره الوطنى فى مختلف أطوار حياته، وآراء النقاد فيه.

وللأستاذ خليفة التليسى دراسة نقدية عن رفيق، بعنوان «رفيق شاعر الوطن»، وقد نالت تقدير الأدباء والنقاد، وللشاعر الليبى عبد المولى البغدادى رسالة عن رفيق أخذ بها درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر.

ويذكر بعض الكتاب الليبيين أن رفيقاً كان يسجل انتفاضات الشعب فى مناسبات كثيرة، إلا أنها كانت مجرد لقطات سرعان ما تمحى من الذهن، لأنها لا تحمل إحساسات عميقة، وهذا كله أيام أن كان مبعدا عن كراسى السلطات، ثم حين دخل مجلس الشيوخ بالتعيين انصرف عن الوقوف بجانب الشعب ومؤازرته فى قضاياه[١] وهذا ظلم لرفيق الذى يقول عفيفى فيه: إنه لا ينسى أحد أن رفيقاً شارك المتظاهرين بقيادة جمعية عمر المختار عام ١٩٥٠، فسجن، حتى قال فيه آنذاك إبراهيم الهونى:

دخولك السجن مع عز وإحساس　　　أهم من عز من سادوا بوسواس[٢]

---

(١) عدد يونيو عام ١٩٥٧ صـ٤٣ من مجلة صوت ليبيا.

(٢) راجع صـ٦٨ رفيق شاعر الوطنية لعفيفى.

ورفيق هو القائل فى وحدة ليبيا:

فكيف يقبل ذو عقل لبرقة أن ... تنفك عنها طرابلس وفزان
فليتق الله من فى قلبه ورع ... فكل ما خالف التوحيد كفران

ومن شعر أحمد رفيق المهدوى قوله وهو يودع وطنه مهاجراً إلى تركيا بعد الغزو الإيطالى لبلاده:

رحيلى عنك عز على جدا ... وداعاً أيها الوطن المفدى
سأرحل عنك يا وطنى وإنى ... لأعلم أننى قد جئت إدا[1]
ولكنى أطعت إباء نفس ... أبت لإبائها فى الكون حدا
علو النفس إن عظمت شقاء ... يلذ لمن إلى المجد استعدا
ويا وطنى هجرتك لا لبغض ... ولا أنى منحت سواك ودا
فلا والله ما هاجرت حتى ... جهدت، ولم أجد من ذاك بدا

ويقول المهدوى[2] فى الحنين إلى بلاده ووطنه:

يا من على البعد نهواه ويهوانا ... لشد ما شفنا شوق فأضنانا
ذكرى عهود الهوى باتت تساورنا ... يا من يبلغ للأحباب شكوانا

---

(١) الإد: الأمر الفظيع، لقد جئتم شيئاً إدا.

(٢) ولد فى بلده (فساطو) بجبل نفوسة وكان والده موظفاً بها برتبة قائمقام، ويقول فى الحنين إليها:

ذهبت بالسيط «فساطو» وإن ... لم يدعها غيرها أن تستقل
وطنى عندى عزيز كله ... وهو للروح نصيب من أزل

والتحق بمدرسة الزاوية، وكان والده موظفاً بهذه المدينة، وحصل منها على الابتدائية التركية وسافر إلى مصر عام ١٩١٠ ونال منها شهادة الكفاءة، ثم عاد إلى بنى غازى وعين ١٩٢١ سكرتيراً لبلديتها، ثم عزله الطليان فهاجر إلى تركيا ١٩٢٥، واشتغل بالتجارة، وفى عام ١٩٣٤ عاد إلى بنى غازى ولم يلبث أن نفاه الطليان عام ١٩٣٦ فهاجر إلى تركيا وتنقل فيها بين التجارة والوظائف وعاد إلى بنى غازى عام ١٩٤٦، ثم عين عضواً فى مجلس الشيوخ عام ١٩٥١... وتوفى فى يوليو ١٩٦١ (٥٩ ـ ٦٤ أعلام ليبيا).

إنّا بحكم الهوى صرنا ولا عجب — نزيد ذكراً لمن يزداد نسيانا
ما أنصفتنا الليالى حينما تركت — جسماً هنا وهناك القلب ولهانا
ما خيم الليل إلا بات يقلقنا — شوق إذا رقد السمار ناجانا
نحنُّ شوقاً إلى أوطاننا فإذا — تبسم البارق الغربى أبكانا

وفيها تأثر واضح بنونية ابن زيدون ونونية شوقى المشهورة التى قالها في منفاه ويقول فيها:

يا نائح الطلح أشباه عوادينا — نشجى لواديك أم نأسى لوادينا(١)
ماذا تقص علينا غير أن يداً — قصت جناحك جالت فى حواشينا(٢)
رمى بنا البين أيكا غير سامرنا — أخا الغريب، وظلا غير نادينا(٣)
كل رمته النوى: ريش الفراق لنا — سهما، وسل عليك البين سكينا(٤)
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع — من الجناحين عى لا يلبينا(٥)
فإن يك الجنس يا ابن الطلح فرقنا — إن المصائب يجمعن المصابينا
لم تأل ماءك تحنانا ولا ظمأ — ولا إدكارا ولا شجواً أفانينا(٦)
تجر من فنن ساقا إلى فنن — وتسحب الذيل ترتاد المؤاسينا(٧)

---

(١) الطلح: واد بإشبيلية كان ابن عباد (أحد ملوك الطوائف وصاحب اشبيلية ومن شعراء الأندلس) شديد الولع به، والمراد بنائح الطلح الحمام (كناية عن موصوف)، أشباه: جمع شبه وهو المثل. عوادينا: مصائبنا. نشجى: نأسى: نحزن. وأشباه عوادينا: مبتدأ وخبر. أشباه خبر مقدم وعوادينا مبتدأ مؤخر.

(٢) الحواشى: جمع حاشية وهى جانب الثوب، وأهل الرجل، وناحيته.

(٣) البين: الفراق. الأيك. الشجر الكثيف الملتف. السامر: النادى.

(٤) ريش السهم (بالبناء للمجهول): ألصق عليه الريش، ومعنى ريش الفراق لنا سهماً: بليت بفراق موجع أليم كأنه السهم فى إيلامه.

(٥) منصدع: مشقوق. عى: عاجز.

(٦) لم تأل: لم تقصر؛ من ألا يألوا اى قصر، وفلان لا يألوك نصحا يعنى لم يقصر فى نصحك، الادكار: التذكر، الشجو: الحزن والحنين. أفانين: أنواع وهى جمع أفنان جمع فنن وهو الغصن، وماءك مفعول به. وتحنانا تمييز. وأفانين صفة لشجو.

(٧) ترتاد: تقصد وتطلب.

أسـاة جسمك شتى حـين تـطلبهم | فمن لـروحك بـالنطس المداوينا؟[١]
آهـاً لنـا نـازحى أيـك بـأنـدلس | وإن حـللنـا رفيفـا من روابينـا[٢]
رسم وقفنـا عـلى رسم الـوفـاء لـه | نجيش بـالدمـع، والإجـلال يثنينا[٣]
لـفتيـة لا تـنـال الأرض أدمعـهـم | ولا مـفـارقـهـم إلا مـصـلينـا[٤]
لــو لم يسـودوا بـدين فيـه منبهـة | للنـاس كـانت لهم أخـلاقهم دينـا[٥]
لم نسر مـن حـرم إلا إلى حـرم | كالخمر من (بابل) سارت (لدارينا)[٦]
لمـا نبـا الخلد نـابت عنـه نسختـه | تمـاثل الـورد (خـيريـا) و (نسرينـا)[٧]
نـسقـى ثـراهم ثـنـاء، كـلما نـثرت | دمـوعنـا نـظمت منها مـراثينـا[٨]
كـادت عيـون قـوافيـنـا تحـركـه | وكدن يوقظن فى الترب السـلاطينا[٩]
لـكن مصر وإن أغـضت عـلى مقـة | عـين من الخلد بـالكافـور تسقينا[١٠]
عـلى جـوانبهـا رفت تمـائـمنـا | وحـول حـافـاتهـا قـامت رواقينا[١١]
مـلاعب مـرحت فيهـا مـآربنـا | وأربـع أنـست فـيهـا أمـانـينـا[١٢]

---

(١) أساة: أطباء، المفرد آس من أسا الجرح يأسوه أى داواه. النطس: مهرة الأطباء والواحد نطاسى.

(٢) النازح: البعيد. الرفيف: الشجر الندى، والخصب.

(٣) الرسم: الطلل والأثر. رسم الوفاء: دين الوفاء. نجيش بالدمع: تفيض أعيننا.

(٤) المفارق: جمع مفرق وهو وسط الرأس ويريد بها هنا الرءوس نفسها.

(٥) منبهة: شرف ومجد.

(٦) بابل: مدينة بالعراق وكانت تشتهر بجودة الخمر، ودارين: مدينة بالبحرين.

(٧) الخلد: الجنة، ويريد بنو الخلد زوال ملك العرب الذى كان بالأندلس. الخيرى والنسرين: نوعان من الزهر.

(٨) المعنى: أنا الشاعر الكلف بهذا المجد لا أفتأ أبكيه، ولا أفتأ أطريه، ولا أفتأ أرثيه بشعر ملتاع أسيف.

(٩) المعنى: لقصائدى فى رثاء ملك العرب هناك حرارة وروعة حتى لتكاد تحرك التراب، وتبعث من القبور خلفاء الأندلس وحكامه.

(١٠) المقة: الحب، الكافور: نبت طيب وعين فى الجنة.

(١١) رفت: اهتزت. التمائم. مفردها تميمة، وهى العوذة (الحجاب)، الرواق جمع راقية التى ترقى الصبى من سحر أو حسد.

(١٢) المآرب: الآمال: الأربع: المنازل مفرده ربع.

ومطلع لسعود من أواخرنا | ومغرب لجدود من أوالينا[1]
بنا فلم تخل من روح يراوحنا | من بر مصر وريحان يغادينا[2]
كأم موسى على اسم الله تكفلنا | وباسمه ذهبت فى اليم تلقينا[3]
ومصر كالكرم ذى الإحسان: فاكهة | لحاضرين وأكواب لبادينا[4]
يا سارى البرق يرمى عن جوانحنا | بعد الهدوء ويهمى عن مآقينا[5]
لما ترقرق فى دمع السماء دماً | هاج البكا فخضبنا الأرض باكينا[6]
الليل يشهد: لم نهتك دياجيه | على نيام ولم نهتف بسالينا[7]
والنجم لم يرنا إلا على قدم | قيام ليل الهوى للعهد راعينا[8]
كزفرة فى سماء الليل حائرة | مما نردد فيه حين يضوينا[9]
بالله إن جبت ظلماء العباب على | نجائب النور محدوا (بجبرينا)[10]
ترد عنك يداه كل عادية | إنساً يعثن فساداً أو شياطينا[11]
حتى حوتك سماء النيل عالية | على الغيوث وإن كانت ميامينا[12]
وأحرزتك شفوف اللازورد على | وشى الزبرجد من أفواف وادينا[13]
وحازك الريف أرجاء مؤرجة | ربت خمائل واهتزت بساتينا[14]
فقف إلى النيل واهتف فى خمائله | وانزل كما نزل الطل الرياحينا[15]
وآس ما بات يذوى من منازلنا | بالحادثات ويضوى من مغانينا[16]

---

(١) الجدود جمع جد. أبو الأب وإن علا أو الحظ والعظمة.
(٢) الروح: الرحمة والرزق.
(٣) تكفلنا: تعولنا وتربينا..
(٤) الحاضرون: سكان الحضر والمراد هنا المقيمون بمصر. البادون: سكان البادية والمراد البعيدون عن مصر.
(٥) الهدوء: حين يهدأ الليل والناس. الجوانح: الأضلاع. يهمى: ينصب، والمآقى: جمع مؤق وهو ما يلى الأنف من العين والمراد بها العيون.
(٦) ترقرق: لمع. دمع السماء: كناية عن المطر. خضبنا: صبغنا.
(٧) الدياجى: الظلمات والمفرد دجية.
(٨) والنجم يشهد أنه ما رآنى الا يقظا طول الليل راعياً عهد الوفاء لمصر.
(٩) يضوينا: يضعفنا أو يشملنا.
(١٠) ظلماء العباب: الأمواج المتراكبة. النجائب: النوق الجياد مفرده نجيبة. جبرين: جبريل.
(١١-١٦) عادية: مكروه. يعثن: يفسدن. ميامين: مباركة. شفوف: جمع شف: الثوب الرقيق، =

ويـا معـطرة الـوادى سرت سحـراً فـطاب كـل طـروح من مـرامينـا[1]
ذكيـة الـذيـل لـو خلتنـا غـلالتهـا قميص يـوسف لم نحسب مغالينـا[2]
جشمت شـوك السرى حتى أتيت لنا بـالـورد كتبا وبـالـريـا عنـاوينا[3]
فلو جـزينـاك بـالأرواح غـاليـة عن طيب سراك لم تنهض جـوازينا[4]
هـل من ذيـولـك مسكى نـحمـله غـرائب الشوق وشيـا من أمـانينـا؟[5]
إلى الـذيـن وجـدنـا ود غـيرهـم دنيـا وودهم الصـافى هـو الـدينـا
يـا من نغـار عليهم من ضـمائـرنـا ومن نصـوص هـواهم فى تنـاجينـا
نـاب الحنين إليكم فى خـواطـرنـا عـن الـدلال عـليكـم فى أمـانـيـا
جئنـا إلى الصـبر نـدعـوه كعـادتنـا فى النـائبـات فلم يـأخـذ بـأيـدينـا
ومـا غـلبنـا عـلى دمـع ولا جـلد حتى أتتنـا نـواكم من صيـاصينـا[6]
ونـابـغـى كـأن الحشر آخـره تميـتنـا فيـه ذكـراه وتحـيينـا[7]
نـطوى دجـاه بجـرح من فـراقكم يكـاد فى غلس الأسحـار يـطوينا[8]
إذا رسـا النجم لم تـرقـأ محـاجـرنـا حتى يـزول، ولم تهـدأ تـراقينـا[9]
بتنـا نقـاسى الـدواهى من كـواكبـه حتى قعـدنـا بهـا حسرى تقاسينـا[10]
يـبـدو النهـار فـيخـفيـه تجلدنـا للشـامتـين ويـأسـوه تـأسينـا[11]

= اللازورد: حجر صاف أزرق شفاف. الأفواف جمع فوف المراد بها الخمائل والحدائق والحقول. يذوى: يذبل. يضوى: يضعف. المغانى: المنازل.

(١) طروح: بعيد.

(٢) ذكية: عطرة، الغلالة: ثوب شف.

(٣) جشمت: تحملت على مشقة، السرى: سير الليل. الريا: الريح الطيبة.

(٤) الجوازى: جمع جازية: المكافأة.

(٥) الوشى: الزخرف.

(٦) الصياصى. الحصون وما يحتمى به جمع صيصية.

(٧) نابغى: ليل طويل ثقيل بغيض.

(٨) الدجى: الظم. غلس الأسحار: ظلام آخر الليل.

(٩) لم ترقأ: لم تسكن. التراقى: جمع ترقوة: مقدم الحلق فى أعلى الصدر.

(١٠،١١) حسرى: حزينة متلهفة أو ضعيفة عاجزة: يأسوه، يعالجه. التأسى: التشجع والتصبر.

سقيـا لعهـد كـأكنـاف الـربـا رفـة ... أنى ذهبنـا وأعـطاف الصبـا لينـا[1]
إذا الـزمـان بنـا غينـاء زاهيـة ... تـرف أوقـاتنـا فيهـا ريـاحينـا[2]
الـوصـل صـافيـة، والعيش نـاغيـة ... والسعـد حاشيـة، والدهـر ماشينـا[3]
والشمس تختـال فى العقبـان تحسبهـا ... (بلقيس) تـرفل فى وشى اليمانينـا[4]
والنيـل يقبل كـالـدنيـا إذا احتلت ... لـو كـان فيهـا وفـاء للمصـافينـا
والسعد لو دام، والنعمـى لو اطردت ... والسـيـل لـو عف، والمقدار لو دينا[5]
ألقى عـلى الأرض حتى ردهـا ذهبـا ... مـاء لمسنا بـه إلاكسـير أو طينـا[6]
أعداه من يمنه (التـابوت) وارتسـمـت ... عـلى جوانـبـه الأنوار من (سيـنـا)[7]
لـه مبـالـغ مـا فى الخلق من كـرم ... عهـد الكـرام وميثـاق الـوفـيينـا
لم يجـر للـدهـر إعـذار ولا عـرس ... إلا بـأيـامنـا أو فى ليـالـيـنـا[8]
ولا حـوى السعـد أطغى فى أعنتـه ... منـا جيـادا ولا أرخى ميـاديـنـا[9]
نحن اليـواقيت خاض النـار جوهـرنـا ... ولم يهـن بيـد الـتشـتيـت غـالـيـنـا
ولا يحـول لـنـا صـبـغ ولا خـلق ... إذا تـلون كـالحـربـاء شـانيـنـا[10]

---

(١) الرفة: الناضر من النبات. أعطاف الصبا: جوانب الريح الهابة من الشرق وكان العرب يحبونها.

(٢) غيناء: خضراء كثيرة الورق ملتفة الأغصان.

(٣) الوصل: الرفقة أو الصلة. والعيش: الحياة. وناغية: فيه مناغاة أى ما يسر ويعجب. الحاشية: الظل. ما شينا: ما شئنا. مخفف الهمزة. وأنث الخبر حملاً على المعنى إذ معنى الوصل الصلة ومعنى العيش الحياة ولهذا نظائر فى كلام العرب.

(٤) بلقيس: ملكة سبأ ولها قصة مع سيدنا سليمان ذكرها القرآن الكريم، ترفل: تطيل ثيابها وتجرها متبخترة. وشى: ثوب منقوش مزخرف. اليمانين: اليمنيين.

(٥) دين: خضع وذل وسلس، جاء فى الأساس «دان القوم» إذا ساسهم وقهرهم فدانوا له» فنائب الفاعل فى قول شوقى ضمير مستتر يعود على المقدار.

(٦) الإكسير: سر الحياة.

(٧) اليمن: البركة. التابوت: ما وضع فيه سيدنا موسى فى النيل.

(٨) الإعذار: طعام وليمة الختان. العرس: طعام الوليمة.

(٩) أطغى جياداً: يريد أكرم خيلاً. أرخى ميادين: أوسع ميادين.

(١٠) يحول: يتغير. الصبغ: ما يصبغ به المراد الخصائص والأخلاق، الشانى: العدو.

لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا
ألم تؤله على حافاته ورأت عليه أبناءها الغر الميامينا؟[١]
إن غازلت شاطئيه في الضحى لبسا خمائل السندس الموشية الغينا[٢]
وبات كل مجاج الواد من شجر لوافظ القز بالخيطان ترمينا
وهذه الأرض من سهل ومن جبل قبل (القياصر) دناها (فراعينا)[٣]
ولم يضع حجراً بان على حجر في الأرض إلا على آثار بانينا
كأن أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر لا بنيان فانينا
إيوانه الفخم من عليا مقاصره يفني الملوك ولا يبقى الأواوينا[٤]
كأنها ورمالا حولها التطمت سفينة غرقت إلا أساطينا
كأنها تحت لألاء الضحى ذهباً كنوز فرعون غطين الموازينا

والقصيدتان تستحقان الدراسة والموازنة.

وفي أثناء إقامة الشاعر بتركيا اشتغل بالتجارة، ثم تركها إلى إحدى الوظائف بجمرك السركجي باستانبول، ثم اشتغل في معادن الكروم بجهة دورسون بك، ثم ببلدية أدنة مأموراً[٥].

وكان للضربات الشديدة التي تلقاها في حياته من بوار تجارته وإخفاقه في حبه في الإسكندرية، وفشله في الزواج بابنة عمه التي كانت مخطوبة له وعدم نجاحه في زواجه بتركيا[٦] أثر في روحه وفي شعره وفي حياته. يقول من

---

(١) الغر: جمع أغر والمراد السادة المشهورون. الميامين: السعداء ذوو البركة والخير.
(٢) خمائل السندس: الأشجار الكبار الخضر كالحرير. الموشية: المزخرفة. الغين جمع غيناء: الخضراء. المجاج: الريق ترميه من فيك. ومجاج النحل: العسل ومجاج المزن: المطر، ومجاج الوادي: ما ينبته الوادي. لوافظ القز: مخرجات الحرير.
(٣) اخضع فراعنتنا العالم القديم البادي منه والحاضر، قبل أن يحكم قياصرة الروم، وكنا رواد الحضارة، اقتفى أثرنا كل متحضر.
(٤) الأواوين: جمع إيوان وهو القصر العظيم، الأساطين. جمع أسطوانة: سارية السفينة. لألاء: ضوء واشتعال من لألأت النار أظهرت.
(٥) ١٥٦ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.
(٦) ١٥٨ المرجع.

قصيدته «سينما العمر»:

أصبحت شيخاً لا كبيـ ـر السن محنى القناة
لكننى شيخ ولى روح الشباب، ولى صفاتى
روح تلوب على الجما ل، تحوم حول الفاتنات
عقلى معى حتى يلو ح الحسن تفرط عربداتى
سأعيش فى مرح فلا معنى ليأس فى حياتى

وقوله «حتى يلوح الحسن تفرط عربداتى» خطأ تعبيرى واضح، فقد ضمن «حتى» معنى الشرط وهى لا تكون له، وجعل تفرط عربداتى» جواباً لحتى، وهى لا تحتاج إلى جواب.. وكأن الشاعر يقول: إنى مولع بالجمال «أحب الحسن فى أية صورة مثلى فى ذلك مثل عمر بن أبى ربيعة».

ويعود المهدوى إلى وطنه عام ١٩٤٦ فيقول:

رجع المطوَّح من بعاده عاد الغريب إلى بلاده
الحب يفغم روحه والشوق يلهب فى فؤاده
وبشائر المستقبل الزا هى تضاعف من جهاده
ليرى حياة حرة هى وحدها أقصى مراده

ويقول فى الوحدة بين برقة وطرابلس:

طرابلس الغرب العزيزة فصلها تقسيمها فصل يعد من الهزل
شقيقة روح إن تفرق جسمها تفرق شعب واحد الجنس والأصل
أيمكن فصل بيننا وقلوبنا جميعاً على أعداء أوطاننا تغلي

ويقول:

لمن الملك، أو الملك لمن؟ هو لله وأبناء الوطن
وطن أبناؤه نحن فإن لم نكن سادته نحن فمن؟
نحن نحميه ونفديه بما عز من أرواحنا فهى ثمن
إن من يرضى بعيش فى حمى غيره فهو حقير ممتهن

ليس للأحرار فى الدنيا سوى   خلع نير الذل أو لبس الكفن
لا أرى التفريق فيها بيننا   غير محو أو حياة فى محن
نحن، والحب صفا، تجمعنا   لغة، دين، دم، عرق، وطن
انهضوا للأمر فى إبانه   قبل قول: «الصيف ضيعت اللبن»

ومن قصائد الشاعر هذه القصيدة التى نظمها عام ١٩٢٤ ويداعب فيها صديقه الحاج موسى البرعصى المقيم فى قرية سيدى حسين خارج بنى غازى وكان قد مرض فلم يستطع الشاعر زيارته لأن الإيطاليين حرموا الدخول والخروج من بنى غازى إلا بجواز من المتصرف الإيطالى، والشاعر فى القصيدة يداعب صديقه ويصف السور المحيط بالمدينة آنذاك:

نبئت أنك تشكو وطأة الألم   عافاك مولاك فى الدنيا من السقم
لا يسلم المرء من داء ينغصه   وإن نجا منه لم يسلم من الهرم
أجر تنال ويمحو بعض ما اكتسبت   يداك، فالله ذو لطف على الأمم
لا يبتلى مؤمنا إلا وعوضه   أجراً بأضعاف ما قاسى من الألم
فإن سلمت ونلت العيش فى دعة   فالشكر لله هذا أوفر القسم
لكن أظنك يا موسى قد اجتمعت   ثلاثة لك من بخت فلا تلم
سقم بجسم وإفلاس بذات يد   كمثلنا، ويد[1] تعدو على الحرم
وما أبرئ نفسى من محرمة   فالنفس أمارة بالسوء والتهم
إنا نشابهكم لكن صحتنا   خير ولكنها الموجود كالعدم
وما وجودك شيئاً طوله قصر   ما أقرب البون بين القبر والرحم
إنى ليمنعنى من أن أزوركمو   على اشتياق هموم داهمت هممى
وقد أحاطت بأكنافى ممانعة   إحاطة السور ذى الحراس والخدم
سور على كل باب (مالك) ولهم   فيه زبانية التعذيب بالقدم
لا تسلك الريح إلا وهى واجفة   مما ترى وعذابا غير منفصم

(١) يريد بذلك الطليان.

لو استطاعوا لسدوا عن مناخرنا ... إذا أتت فى حماهم هبة النسم
سور كظاهره وويلات باطنه ... ما فيه من رحمة حتى لذى رحم
ما فى المرور على حد الصراط كما ... فى باب ذا السور من هول لمقتحم
كأنه سد يأجوج ونحن به ... نموج فى الهم موجاً غير منتظم
كيف السبيل إليكم إن ربعكم ... يخاف طيف الكرى مسراه فى الظلم
إنى ليخجلنى من أن أزوركم ... على اشتياقى حياء يستفز دمى
فراغ كف وعجز عن معاونة ... لا خير فى الود لم يثمر ولم يدم
إن الصديق بلا جدوى ومنفعة ... لا خير فيه كما لا خير فى الصنم
لكننى موقن أنى سيشفع لى ... لديك علم بحال غير منكتم
لما رأيت قصورى فى مودتكم ... وبان عذرى لكم أهديتكم كلمى
شعراً وإن كان لا يرضى الكثير به ... فالشعر أحسن ما يهدى لذى فهم
فاقبله من صاحب مازال فى خجل ... مما جنته عليه حرفة القلم

ويرثى رفيق صديقه الفساطوى[1] فيقول من قصيدة طويلة:

يا أديب القطر حتى بعدما ... غبت، مازلت على الخير تدل
فقدك المؤلم أذكى أنفسا ... جاش فيها الشعر دمعاً فاستهل
كنت قد أعددت لك المدح فما ... راعنى إلا قضاء قد نزل
لك يا (أحمد) فى ذمته ... سيرة تبلغ ما سار المثل

ومن شعره الوطنى ما يقوله متحدثاً عن الطليان:

نازلتهم لا أبالى سوء عاقبة ... ولا عقابا ولا تهديد جبار
فكيف يطلب منى الصمت شرذمة ... باعت ضمائرها جهراً بدينار
إنى إذا قلت ما يرضى الضمير على ... ما فى اعتقادى فقد حررت أفكارى

وفى صباح ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ أعلن الإدريس أن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، كما أعلن أن الدستور الذى أصدرته الجمعية

(١) صحفى من بلدة الشاعر، كانت جريدته (العدل) فى طرابلس جريدة الأمة والوطنية.

الوطنية فى ٧ أكتوبر ١٩٥١ قد أصبح سارى المفعول، فقال الشاعر أحمد رفيق المهدوى فى هذه المناسبة الخالدة:

عيد عليه مهابة وجلال ... عيد، وحسبك أنه استقلال
يوم عليه من السعادة بهجة ... وعليه من نور السرور جمال
يوم سعيد فيه نالت أمة ... ملكاً تمجد ذكره الأجيال
واستقبل التاريخ مظهر دولة ... فأهل فى برج السعود هلال...
يأيها الملك الذى من جوده ... لبلاده ولشعبه استقلال
وفقت للدستور ثم منحته ... من بعض حقك فاحتواه جلال
حق سمحت به لشعبك راضياً ... إن الملوك بمثله بخال

ودعا رفيق إلى قيام برلمان يمثل الشعب كله فقال:

أتسمع الأمة لى فى شأنها
مقالة لا بد من إعلانها
لا تسعد الأمة فى أوطانها
إلا إذا فازت (ببرلمانها)
واعتمدت منه على سلطانها
وجندها الباسل من شبانها
وباتحاد الرأى من أعيانها
ومبدأ الوحدة فى كيانها
من «الجغابيب» إلى «فزانها»[1]

وقد عارض رفيق أمير الشعراء أحمد شوقى فى بعض قصائده:

١ ـ فقد عارضه فى قصيدته فى وصف الربيع.

٢ ـ وتأثر به كذلك فى نونيته التى نظمها فى الحنين إلى الوطن ومطلعها:

يا من على البعد نهواه ويهوانا ... لشد ماشفنا شوق فأضنانا

---

(١) راجع عن رفيق كذلك صـ ١٣٥ و ١٥٥ من كتاب الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

وقد سبق أن ذكرناها وقد تأثر فيها بنونيتي ابن زيدون وشوقي، المشهورتين.

إبراهيم باكير[1]

١٢٧٣ هـ (١٨٥٦م) - ١٩٤٣ (١٣٦٢ هـ)

عالم فقيه محدث أديب شاعر ناثر، كان والده مفتي طرابلس، وكذلك كان جده، وتعلم في بلده، على كبار الأساتذة، ومن بينهم: الشيخ نصر القمي، وأحمد بن عبد السلام إمام عصره، ومحمد بن موسى، وعبد الرحمن البوصيري.

وكان من معاصريه وأصدقائه كامل مصطفى سيبويه زمانه واستفاد منه، وتخرج فقيهاً نحوياً بليغاً عالماً واسع الثقافة، وامتاز - كما يقول المصراتي - بحب الفكاهة، مع نفس شاعرة يجذبها الجمال في كل صورة[2]، وتولى التدريس في طرابلس، وصار أديباً شاعراً مشهوراً مجيداً في الغزل، وعين عضواً في محكمة الاستئناف (١٣٠٦ - ١٣٢٤ هـ) وتقلد مناصب قضائية كثيرة، وفي عام ١٣٢٤ هـ عين مفتياً لطرابلس، وهاجر من الوطن إثر الغزو الإيطالي إلى الشام عام ١٩١٢ فأقام في دمشق يجالس العلماء والأدباء والشعراء، ثم عاد إلى طرابلس، وعين عضواً في المحكمة الشرعية العليا، فرئيساً لها.

وله ديوان شعر مخطوط، ومنظومات في العلوم، ومنظومة في الآداب والحكم، وله فتاوى كثيرة على مذهب أبي حنيفة، وكان نسيج وحده بين الفقهاء في شعره وأدبه، وبين الشعراء في فقهه وعلمه كما يقول الزاوي.

---

(١) ١٤ - ١٧ أعلام ليبيا، ١٠٥ - ١٣٤ لمحات أدبية عن ليبيا، و ٧٩ الحياة الأدبية في ليبيا.
(٢) ١١١ لمحات أدبية عن ليبيا.

ومن شعره النبوى:

يا عذولى لا تلمنى ... وامش عنى بالسلامه
كل شيء غير حبى ... قد سلا قلبى غرامه
إن عشقى فى مليح ... شرف المولى مقامه
فى ضحى من حر شمس ... قد أظلته الغمامه
طال بعدى عن حبيبى ... واشتكى قلبى سقامه
يا رسول الله مالى ... غير جاهك فى القيامه «؟؟»

ومن شعره كذلك قوله:

يا قضاة الحب إنى ... مغرم والعشق فنى
لى بباب البحر ظبى ... مائس حلو التثنى
فائق فى الحسن لكن ... طبعه يهوى التجنى
حسبك الله تعالى ... أيها المعرض عنى

ومن شعره أيضاً:

هلموا يا بنى وطنى هلموا ... إلى الأعمال تحظوا بالنوال
وجدوا فى بناء المجد واسعوا ... كما تسعى صناديد الرجال
فإن السعى عنوان الترقى ... وخير السعى فى خير الفعال
وبالسعى الجميل المرء يسمو ... ويرقى فى ذرى الرتب العوالى
ولا فوز لكسلان ولكن ... بقدر المجد تكتسب المعالي
تنام الليل ثم تروم مجداً ... لقد حدثت نفسك بالمحال
فدع عنك الخمول وكل وهم ... وزاحم بالمناكب لا تبالى

وللشيخ محمد السنوسى القلاص قصيدة فى تسعين بيتاً يمدح فيها إبراهيم باكير لما تولى الإفتاء فى طرابلس، سماها «باكورة البواكر»، وكذلك هنأه صديقه «السيد صديق الأزهرى» بقصيدة طويلة منها:

إذا مدحت أديباً زانه أدب ... وحسن طبع فإنى أمدح القمرا

وقد أشار إلى شاعرنا وإلى أخيه مصطفى بن باكير مؤلف كتاب «الشعر والشعراء في ليبيا» إشارة خاطفة[1].

الأديب سالم الفطيسي

أحد شعراء ليبيا القدامى، ومن أدباء زليتن، وقصيدته «ديسان» مشهورة، وهي من الكثبان في الحجاز، وفيها يقول[2]:

فؤادى زائد الأشجانْ ودمعى بعدكم هتانْ
كأني من سهادى لم أبت إلا على السعدان
فوا لهفى على عهد مضى في غابر الأزمان
بذات الشيخ ذات الطلـ ـح ذات الرمل والكثبان
أراها اليوم قد أخوت وكانت مرتع الغزلان
ولولا جيرة كانوا بذاك الحى في «ديسان»
لما عانيت أشواقى ولا طابت لى الأشجان
وذات الأيك قد سجعت وقد قامت على الأغصان
فقلت لها تعالى ولتبـ ـك معى على الأحزان
فقد ناداك من يبكى أسير من بنى حمدان

محمد بن منصور البكوش

١٢٥٣ - ١٣٤٧ هـ

من علماء زليتن وفضلائها، درس في الأزهر، وعاد عام ١٢٨١ هـ فاشتغل بالتدريس حتى عام ١٣٢٠ هـ.

---

(١) ١٩٩ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفى.

(٢) راجع ١٤٢ - ١٤٤ الشارف للمصراتى، وله قصيدة صوفية أخرى «صـ ٢٦٤ المرجع نفسه» شطرها الشارف «٢٦٥ المرجع» وكذلك خمسها «٢٦٦ و ٢٦٧» المرجع.

وكان مع ذلك شاعراً مجيداً، وتوفى عام ١٣٤٧ هـ.

ومن شعره قصيدته فى تحذير الناس من الاغترار بالدنيا ومنها:

فوا لصروف الدهر إن نفذ القدر
فلا ملجأ إذا ذاك منه ولا مفر
زخارف دنيانا إذا هى أقبلت فمنها لسان الحال ينبئ بالحذر
فكم جامع للمال قد مات فجأة فنال مع الأنشاب كذا مع السهر
وكم مانع حقاً عليه وحتفه يناديه بالويلات والخلد فى سقر

أحمد الفقيه حسن

عمل مديراً لأوقاف طرابلس، وهو من مواليد عام ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م فى مدينة طرابلس، حيث رأى النور فى ١٤ شوال من العام المذكور، وينحدر من أسرة عريقة فى الشرف تنتمى لآل البيت، وكان والده عضواً فى مجلس الأمة الذى أسس عام ١٩١٩ بفضل جهاد رمضان السويحلى[١].

تعلم فى مدرسة تركية، ولما جاء الغزو الإيطالى لم يستطع مواصلة تعليمه، وتلقى دروساً فى اللغة العربية على يدى بعض العلماء وفى مدرسة عثمان باشا، ثم هاجر مع والده إلى الإسكندرية عام ١٩١٤، وأقام فيها، فواصل دراسة العربية والفرنسية، وبدأ ينظم الشعر وهو فى هذا الثغر الجميل فى الحنين إلى وطنه.

وشاهد أحداث بلاده، وعاشها بكل مشاعره وروحه، وعاد مع مطلع الإستقلال، يسهم فى بناء وطنه[٢]، وله ديوان مخطوط، ومن شعره قصيدته فى

---

(١) السويحلى (١٢٩٧هـ - ٢٤ أغسطس ١٩٢٠) من مصراته «ولد بزاوية المحجوب، وتعلم بها، واشترك فى الجهاد مدافعاً عن بلده، وأجلى الإيطاليين عن مصراته وهزمهم، وشكل فيها حكومة وطنية برياسته عام ١٩١٥، ولما أسست الحكومة الطرابلسية كان أشهر أعضائها، وقتل بأيدى المستعمرين شهيدا.

(٢) ١٩٥ و ١٩٦ الشعر والشعراء فى ليبيا - عفيفى.

«مصرع موسيليني» ويقول منها:

كان القصاص من الإله جزاء ... فأصابه لما بغى استعلاء
طويت بميلانو صحيفة بغيه ... وبها تردى الميتة الشنعاء
طاغ سياسته أضلت شعبه ... باغ قد اتخذ الخداع كساء
في أي حرب كان شعبك باسلاً ... وبأي جند تطلب العلياء
كانت طرابلس لشعبك زاجراً ... عن أن يلاقي الذل والبأساء
لا ننس ظلمك يا (بنيتو) إنه ... كشعار حزبك يشبه الظلماء
فاليوم ذق كأس الحمام بذلة ... فلطالما جرعتها الضعفاء[1]

وقد سبقت له قصيدته «شكوى واستنهاض».

وهذه إحدى قصائد أحمد الفقيه حسن، وهي بعنوان «ليبيا المستقلة» ويقول الشاعر فيها:

عزم أهاب بليبيا متقدما ... ودعا إلى استقلالها وتكلما
وطن يؤيد حقه أبناؤه ... وطن إلى صيابة العرب انتمى
ضحى بأبطال وبرهن أنهم ... كانوا له يوما حماة للحمى
فالفخر ما ضحى به أبناؤه ... والمجد ما كتبت صحيفته الدما
هبوا إلى استقلاله بين الورى ... ولنيله طرقوا السبيل الأقوما
عقدوا الخناصر للجهاد وقد رأوا ... أن يستقل وأن يصان ويكرما
قوم أبت أخلاقهم أن يخضعوا ... للغاصب العاتي وأن يتحكما
طبعوا على كرم فكان جهادهم ... للنصر والمجد المؤثل سلما
جمعت طرابلسا وبرقة وحدة ... تبقى على طول المدى لن تفصما
هدى لتلك يد وتلك لهذه ... سند إذا ما الخطب أصبح مضرما
هي وحدة الوطن الذي أضحى بها ... عما يحاول في الحياة مترجما
نادى بها أبناؤه فتوحدت ... كل الجهود لكي يعيش مكرما

---

(١) ١٩٧ و ١٩٨ الشعر والشعراء في ليبيا لعفيفي.

فـالـيـوم تـظفـر ليبيـا إذ أبـرمـت / لـلمقـصـد الأسمى اتحـادا محكـما
رفعت عقيـدتهـا لنيـل حقـوقهـا / بـين الشعـوب وقـد أبت أن تهضـما
فـالشرق أجمـع لا يـزال مـؤيـدا / لـرجـالهـا ولـسعـيهـم مـترسـما
لا غـرو إن نجحـت قضيـة ليبيـا / فـالشرق فـاه بحكـمـهـا مـترنمـا
والحق مـا استنـدت دعـائمـه عـلى / حجـج مـؤيـدة فـكـان مـدعـما

والشاعر محافظ على الشعر العمودى لا يخرج عنه، وقالت عنه إحدى الصحف: إنه يملك روحاً مرحاً ولكنه لا يظهر فى شعره، وله حصيلة كبيرة من الشعر، ومعظمه فى الوطنيات، ومن شعره قصيدته «الحرية» ويقول فيها:

هـى الحـريـة انـقـادت طـلابـا / إلى شـعـب رأى فى الجـبـن عـابـا
أبى أن يـسـتـسـيـغ الـذل طـعـما / وطعم الـذل قـدمـا كـان صـابـا
ونـفس الحـر لا تـرضى امـتـهـانـا / وتـأبى الضيم فى الـدنيـا اصـطحـابـا
إلى الحـريـة الـيـوم أشرأبـت / رجـال لم تـكـن تخشى الحـرابـا
هـم الأحـرار فى الـدنـيـا أهـابـوا / بهـا جهـرا ومـا هـابـوا العقـابـا
رجال من بنى الشرق استمدوا / لهـم همـا وقد ثاروا غضابا
خـداع بنى الفـرنـجـة قـد تجـلى / وسـاسـة أهلهـا كشفـوا النقـابـا
لقـد خـدعت دعـايتهـم شعـوبـا / وأضحـى وعـدهـم فـيـنـا سرابـا
طـغت بهـم الحضـارة فـاسـتبـدوا / وقـد طـرقـوا بهـا لـلشر بـابـا
لـقـد ضـلت سيـاسـتهـم وزادت / بهـا الـعقـلاء يـأسـا واضـطرابـا

أحمد أحمد قنابة

من أسرة ليبيـة تنتمى إلى آل البيت، كانت تقـطن «ودان» فى فزان وهاجرت إلى أفريقيا الجنوبية.

ولد فى زندر بإفريقيا الجنوبية عام ١٨٩٨، وكان والده يعمل فى التجارة

في «كانو» بنيجيريا، وانتهى به المطاف إلى طرابلس وتوفى بها، وكان الشاعر فى سن الرابعة حين عاد والده إلى طرابلس، وتعلم في مكتب العرفان، ثم جاء الغزو الإيطالى لبلاده عام ١٩١١، والتحق بمدرسة إيطالية فى طرابلس، ثم تركها للتجارة، ثم عاد لمواصلة الدراسة فى المعاهد الدينية، ومن بينها مدرسة عثمان باشا ومدرسة أحمد باشا، ثم رجع إلى التجارة، ثم عمل بإذاعة طرابلس، وفي عام ١٩٤٣ بعد تحرر البلاد من الإيطاليين عمل محرراً صحفياً فى مكتب الاستعلامات، وبفضله قامت جريدة «طرابلس الغرب» أسهم الشاعر فى الحركة الوطنية، ونظم الشعر ليرضى به عواطفه، وله ديوان مخطوط[١]، ومن شعره قصيدته «الجامعة العربية»[٢]، ومنها:

ألا هبوا بنى وطنى وديني ... نذب عن العروبة والعرين
ألا هبوا، ألا اتحدوا ومدوا ... يمينكمو أمد لكم يميني
ولا تهنوا فتنهزموا وتنسوا ... عهودا من وثائقها حنيني
فجامعة العروبة لن توانى ... على إعزازنا فى كل حين
فما وطن العروبة كهف ضيم ... ولا كنف الكنانة بالمهين

وهى قصيدة طويلة.

وله قصيدة عنوانها «تحية الشباب»[٣].

وتوفى فى طرابلس عن ثمانين عاماً[٤]، وتوفى قبله الشاعر على الرقيعى.

وإذا كان[٥] الشعر الليبى شعراً أصيلاً له طابع وكيان خاص وله خصائصه، فإنه لم تكن له صورة واضحة المعالم ولم يصبح له إطار جلى الحدود إلا فى النصف الأول من هذا القرن وعلى يدى شعراء ليبيين عرفوا

---

(١) راجع ١٨٦ - ١٨٧ الشعر والشعراء فى ليبيا.
(٢) ١٨٨ و ١٨٩ المرجع.
(٣) راجع بعضها فى صـ ١٠٦ الشعر والشعراء فى ليبيا.
(٤) مجلة الأديب اللبنانية عدد مارس ١٩٦٨م.
(٥) مجلة الرواد الليبية - إبريل ١٩٦٥م.

بقوة الديباجة والعمق فى الأسلوب والدقة فى المعنى والرقة فى العبارات والإجادة فى النظم، ومن بين هؤلاء شاعرنا أحمد قنابة الذى يعتبر أحد رواد الشعر وعلما من أعلام الفكر والأدب فى ليبيا. وهو شاعر تفيض نفسه بالأحاسيس الجياشة والمشاعر الدافقة الساخنة نحو وطنه، ولما كان الشعر مرآة صادقة تعكس ما فى النفس فإنك تستشف فى شعره حرارة الإخلاص وصدق عاطفته ووجدانه نحو بلاده، كما تجد الوطنية الحقة فى كل قصيدة من قصائده، فكان ولا غرو شاعراً وطنياً مخلصاً تغنى ببلاده وساهم فى تغذية الحركة الوطنية يوم كانت تعيشها بالقصائد العصماء والدرر اللوامع من الشعر الوطنى، والتى تفيض ثورة متأججة على المستعمر الغاشم البغيض، ولكنها لم تكن وطنية ضيقة الحدود بمعنى أنها محصورة ضمن إطار بلاده ووطنه، بل هى منطلقة فى آفاق العروبة تحلق فى سماء مصر بقصيدة تارة وفى سماء الدول العربية بقصائد تارة أخرى، يفرح لفرحها ويتوجع لحزنها وألمها.. وهكذا أبناء العروبة.

ويشعر القارىء لشعره أنه يترنم كثيراً بالوحدة فلا تخلو قصيدة من قصائده دون أن يجىء فيها ذكر الوحدة حتى إنه لقب «بشاعر الوحدة».

واستمع إليه فى هذه القصيدة التي يبين فيها أننا أمة واحدة فى الجنس واللغة والدين والعادات والتقاليد وإن جزأنا الاستعمار إلى دول فيقول:

إننا وحدة من الجنس   واللهجة والدين وإن جزءونا

وفي قصيدة أخرى يدعو إلى الوحدة ويناشد الأمم بأن يتحدوا فيقول:

ألا هبوا ألا اتحدوا ومدوا   يمينكمو أمد لكم يمينى

ويقول فى قصيدة أخرى:

فشعبنا نحن نحميه بوحدتنا   وتحتذى حذونا لا شك أقطار

ويقول مخاطباً بنى شعبه:

شدوا بوحدتنا كي نستقل بها   فى أرض أجدادنا إنا لأحرار

وقال فى مؤتمر عقد بمدينة طرابلس أيام الاستعمار:

هنا فلنحقق وحدة عربية يصون لها ولدستورها الحق فيصل
رضينا بالاستقلال والوحدة التى تعصت ولكن بالإمارة تسهل

ويصل به شوقه وحبه إلى الوحدة واشتياقه إلى تحقيقها إلى أن يصف بالكفر كل من تسول له نفسه بإنكارها فيقول:

إن تك الوحدة فى توحيدنا فالذى ينكرها منا كفر
هذه الوحدة قلب نابض واقتسام القلب من إحدى الكبر

وهكذا بلغ شعر الوحدة على لسان الشاعر الأستاذ أحمد قنابة ذروته ومنتهاه، فشعره فيها هو فيض الإلهام والفطرة فلا ترى فيه تكلفاً ولا تحس به فتوراً، بل جاء شعراً قوياً جارفا حياً ينبع من دم قلبه وماء عينه فيحرك القلوب ويلهب الشعور ويشعل الحماسة فى الصدور، واستمع إلى هذه الأبيات الحية من قصيدته المشهورة التى يقول فيها:

شتت الله شملهم فرقونا
إنهم ظالمون مستعمرونا
أوهموا الناس: أننا فى إنقسام
لم نكن وحدة وهم وحدونا

وقد تأثر الشاعر بشعراء كثيرين ولكن أقواهم أمير الشعراء أحمد شوقى وشاعر النيل حافظ إبراهيم والشاعر العراقى جميل صدقى الزهاوى، ومن القدماء ابن الرومى.

أحمد راسم قدرى

أديب أكثر منه شاعراً، متأثر بجبران فى كتاباته فى مجلة ليبيا المصورة التى كان يوقع فيها باسم «قاسم فكرى».

وقد ولد فى طرابلس وتعلم التركية صغيراً، وهاجر بعد الغزو الإيطالى إلى مصر وسوريا، ودرس العربية فى مدارس حلب، ثم عاد إلى موطنه ودرس فى مدرسة الحزب الوطنى، ثم فى إحدى المدارس الإيطالية.

تأثر أول ما تأثر بالمنفلوطى، ثم بجبران والرافعى، وقرأ لطه حسين وهيكل والمازنى والعقاد والزيات، وللزهاوى وعلى محمود طه المهندس، ولأحمد شوقى، وأحمد محرم، كما قرأ للشاعر الصوفى الطرابلسى أحمد البهلول... ثم عكف على الثقافة الغربية، وعمل رئيساً لتحرير مجلة الأفكار[1]، وله ديوان تحت الطبع، ومن شعره قصيدته «غريان» ويقول منها:

غــريــان قــد أذكـى الفـؤاد هــواك   مــاضى الصبابــة فى فؤادى البــاكى
حركت شوقاً كـنت خـفت حـراكــه   مــن لي بمـن يـكـفيــه أو ألقاك

ومن شعره من قصيدته «الغانية»:

إنسيـــة شــاهــدتهــا   تلهــو وتعـبث فى مــزاح
غضبى وسكــرى من دلا   ل أو صبـا بـين المـلاح[2]

وقد نقده الشاعر يوسف الفيلالى بأنه متأثر بالمعانى الإيطالية[3] وبالأسلوب الإيطالى فى كثرة تتابع الصفات والمترادفات[4] فى شعره الشعبى.

كما يقرر أن هناك شبهاً بين بعض قصائده وأشعار بترارك الشاعر الإيطالى[5].

---

(١) ٢٠٠ و ٢٠١ الشعر والشعراء فى ليبيا.
(٢) ٢٠٢ المرجع.
(٣) مجلة الأفكار العدد (٧).
(٤) مجلة الأفكار العدد (٧).
(٥) قصة الأدب فى العالم.

ولراسم قدرى قصيدة عنوانها «معبودتى كانياق» يقول منها:

نفسى فـداؤك لـو قـدر ... ت على فدائـك يا حبيبى
مـالى إليـك شفـاعـة ... كيـما تحن علـى الغـريب
إلا التـوسـل بـالبتـو ... ل وبـاليسوع وبـالصليب

سعيد بن أحمد المسعودى

١٢٨٦ هـ (١٨٦٩م) - ١٩٥٢

من علماء طرابلس الأجلاء، وشعرائها المحلقين، درس فى طرابلس والأزهر، واشترك فى الجهاد الوطنى، وتولى عام ١٩٢٢ عضوية المحكمة العليا الشرعية فى طرابلس.. وشعره الوطنى المشهور.

ومن شعره الدينى:

اسعـوا إلى طلب المعـارف والهـدى ... وتـبـاعـدوا عـن خـلة الأشرار
جـدوا وقـومـوا بـالفـرائض كلهـا ... واخشـوا عقـوبـة سـطوة الجبـار

وخمس قصيدة أحمد الشارف التى مطلعها:

رضينـا بـحتـف النـفـوس رضينـا ... ولم نـرض أن يعـرف الضيم فينـا(١)

ومن شعره فى الغزل:

خـطرت تجـر ذيـولهـا ... هـيفـاء مـا فيهـا قصر
مكحـولـة العيـنيـن فى ... طـرف اللحاظ بهـا حـور
وأسـيـلة الخـديـن فى ... حسن يـزيـنـه الخفـر
والجيـد منهـا قـائـم ... يحمى محيـاهـا الأغـر
سـدلت ذوائبـهـا عـلى ... خصر نـحيـل مختـصر
لاحـت إلى كـأنها الـ ... ـبـدر المنـير إذا ظهـر(٢)

(١) ١٢٣ - ١٢٥ أعلام ليبيا، ٢٠٣ و ٢٠٤ الشعر والشعراء فى ليبيا.
(٢) ١٢٥ أعلام ليبيا، ٢٠٥ الشعر والشعراء فى ليبيا.

وقد ذكر صاحب كتاب الشعر والشعراء في ليبيا قطعته الأخرى الرائية وعنوانها «نصائح»[1]، وله تقريظ لديوان ابن زكرى[2]، وله قطعة أخرى في الغزل (١٠٢ الشعر في ليبيا).

محمد على زغوان

ولد عام ١٨٩٧م - ١٣١٥ هـ بباب البحر بطرابلس وهو من سلالة الأدارسة، وقد درس العلوم الدينية والعربية واشتغل في وظائف القضاء وغيرها، ومن شعره قصيدته إلى صبراته، ويقول فيها:

كم بصبراته عروس تجتلى وجمال في جماد بالحلل
عرصات بل تماثيل بدت تخبر عن نسر وعزى وهبل

وله أربعة عشر مؤلفاً لم تطبع[3].

محمد الأمين مصطفى أبو حامد

ولد في طرابلس عام ١٨٩٨ من سلالة هاشمية، وتعلم في المدارس الدينية، ثم عمل في التجارة مع والده، وتنقل بين طرابلس ونيجيريا؛ وفي عام ١٩٤٧ استقر أخيراً في طرابلس موطنه، وقد حصل على جائزتين في المسابقة الشعرية التي نظمتها محطة لندن الإذاعية: الأولى عام ١٩٤١ عن قصيدته «الشرق والغرب يلتقيان»، والثانية عام ١٩٤٦ عن «الجامعة العربية».. واشتغل في القضاء، وهو معجب بالجارم ومتأثر به.. وديوانه

(١) ١٢٤ أعلام ليبيا، ٢٠٥ الشعر والشعراء في ليبيا.
(٢) ديوان ابن زكرى، ٢٤٨ الشعر والشعراء.
(٣) ٢٤٠ و ٢٤١ الشعر والشعراء في ليبيا.

مخطوط ومن شعره قصيدتاه: صوت الضمير، وأنشودة البنات، ومطلع الأولى:

تبسم ثغر الصباح الأغر وأشرق وجه الوجود النضر

ومنها:

أتزعم أنك نعم الحكيم ولم تدر ما الخير أو ما الخبر
وتكبر فى عينك المغريات ويصغر فيها التراث الأبر[1]

حسين محمد الأحلافى[1]

- ١٩٠٥

ولد بزاوية المخيلى عام ١٩٠٥، وحفظ القرآن، ثم هاجر مع والده إلى مصر، والتحق بالأزهر، وفى عام ١٩٤٠ عمل إماماً بالجيش السنوسى، ثم عمل مدرساً بدرنة فقاضياً.

وشعره مخطوط، وله قصيدة عنوانها «ذكرى المولد» ذكرها عفيفى فى كتابه «الشعر والشعراء فى ليبيا» ومنها:

بدا نوره بالأمس والناس فى رمس وما أشبه اليوم الذى طال بالأمس
فإن بيع بالأمس الأسير فعندنا تباع شعوب للمساوم بالبخس
وإن دس بعض المشركين بناتهم فقد أزهقت فينا الألوف بلا دس

وذكر له محمد الطيب الأشهب قصيدة يتحدث فيها عن جهاد السيد أحمد الشريف السنوسى فى أوائل الغزو الإيطالى لبلاده[3].

(١) راجع ٢٣٢ ـ ٢٣٥ الشعر والشعراء فى ليبيا.
(٢) صـ١٦٨ الشعر والشعراء فى ليبيا ـ محمد صادق عفيفى، ١٣٩ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.
(٣) ٢٧٠ و ٢٧١ برقة العربية للأشهب.

إبراهيم محمد الهونى[1]

ولد فى بنيغازى عام ١٩٠٧، ودرس فى المدرسة العربيـة الإيطاليـة، ومنح شهادة التعليم عام ١٩٣٨، وشغل بعض المناصب التعليمية والإدارية والقضائية، يجيد الإيطالية، ويتزود بقسط من الثقافات الأجنبية، يؤثر مدرسة البارودى وشوقى وحافظ على مدرسة مطران؛ ومن شعره قصيدة عنوانها «آدم» ومنها:

مصـــائب مثلى قـــد أتتهم من العقـل ... فيـــا ليتنى أعـطى قليـــلاً من الجهـــل
رجعت إلى أصـــل الخـــلائق بـــاحثـــاً ... لكى أهتـــدى منـــه إلى منبـــع النبـــل
وفتـشت هذى الأرض شرقاً ومغربـــاً ... وفـتشت فيـها من جـنوب ومن شمل
فلم ألف فيهـــا عنصـــراً طـــاب أصله ... سوى عنصر من نسل خـاتمة الـرسـل

وقصيدة طويلة[2].

عبد القادر الحصادى

شاعر من شعراء برقة، عاصر أحداث الغزو الإيطالى، وأدرك مطلع عهـد الإستقلال، وتـوفى وبلاده فى بـدء نهضتها الجـديدة، وكـان مكفوف البصر، يتأثر بالمعرى فى شعره، وإن كان هذا الشعر لا يتميز بموهبـة فنية عالية، ومنه من قصيدة عنوانها «ثغر طبرق»:

ثــغــر لـطبرق حـسـنـه ربـانى ... مـتـبـسـم بـالأمـن لـلـربـان
مـتـوسط فى أبـيض مـتـوسط ... بـين المـضـايـق جـل رب بـانى
لبـواخـر الـرومـان أضحى معقـلاً ... تـرسـو بـه وبـواخـر الـيـونـان

(١) ١٥٢ الشعر والشعراء فى ليبيا ـ محمد صادق عفيفى.
(٢) ١٥٣ ـ ١٥٥ المرجع نفسه.

كـانت عـلى حصن قـديم قـد وهى　　أخـنـت عـلـيـه طـوارق الحـدثـان
فـبحـالـه يـنبيـك عن سـكـانـه　　مـن سـالف الإغـريـق والـرومـان
أمسى خـلاء مـابـه مـن سـاكـن　　إلا فـصـائـل مـن بـنى الـعـربـان
حـتى بـنـت تـركـيـة لمـا أتـت　　قـصـراً بـه لحـمايـة الأوطـان
فبنـوا حـواليـه وأضحـى قـريـة　　مـعـمـورة بـالـنـاس والبـنيـان[1]

وله مساجلات شعرية مع المهدوى والأسطى عمر والشارف[2].

محمد منير البرعصى

هاجرت أسرته إلى فلسطين وأقامت فى صفد منذ عام ١٢٥٢ هـ ـ ١٨٣٦م، وفيها ولد الشاعر عام ١٩١١ . . . تعلم فى الجامعة الأحمدية فى عكا وتخرج منها عام ١٩٢٧، ثم التحق بمدرسة البوليس بالقدس، وشغل عدة مناصب فيها، وفى عام١٩٤٦ ترك الوظيفة إلى الأعمال التجارية، ثم جاهد فى معركة فلسطين ووقع فى الأسر وأفرج عنه عام ١٩٤٩، وعاد عام ١٩٥٢ إلى برقة، وعمل فى القضاء والنيابة[3]. . . ومن شعره[4] قصيدة عنوانها «خواطر أسير» وأخرى عنوانها «إباء العروبة»، وفى الأولى يقول:

لـسـت أدرى أيـن أهـلى　　هـلى درى أهـلى مكـانى
أتـراهـم بـعـد أسرى　　وصـلوا دار الأمـان
أم رمـاهـم بـسـهـا　　م قـاتـلات مـن رمانى
مـسـنى الضر كـأنى　　صرت أيـوب زمـانى

(١) ١٨٠ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.
(٢) راجع ٢٣٦ ـ ٢٤٠ الشارف للمصراتى.
(٣) ١٨١، الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.
(٤) ١٨٢، ١٨٣ المرجع.

علي صدقي عبد القادر

شاعر موهوب من طرابلس، ولد فى ٦ نوفمبر ١٩٢٤، وتخرج من مدرسة أحمد باشا، واشتغل بالمحاماة، وقد مال منذ صغره إلى الأدب والشعر، ونظم مسرحية شعرية عنوانها «دماء تحت ظلال النخيل» ونال الجائزة الثانية فى مسابقة أعلن وطنه عنها لأحسن نشيد وطنى؛ وهو من المؤسسين للنادى الأدبى فى طرابلس، وعمل فى اللجنة القانونية التى وضعت القوانين الليبية الراهنة. . . وقد قرأ للمهجريين، وأعجب وتأثر بهم، ويلقب بشاعر الشباب، ومن شعره قصيدته «رقصة الاستقلال» ومنها:

أرقصي يا جبال فوق ثرى ليبـ	ـيا وهزى الرمال فوق الكثيب
تلك زهر الحرية اليوم تذكو	وبميلادها احتفى كل ليبى
إيه ليبيا، يا تاج إفريقيا ها	أنت أحسست فى دمى بدبيب
ثم أرهفت مسمعى فإذ الجو	أغاريد موطنى المحبوب
وتلفت يمنة وشمالاً	فإذا بى فى موكب من قلوب
رددى يا سماء خفقة قلبى	وأصيخى لخفقتى واستجيبى
ها أنا قد وقفت شعرى وروحى	ودمائى على ثراك الحبيب

وقصيدته التى عنوانها «دماء تحت النخيل»[1] معروفة، وقد سبقت له قصيدة ذكرناها فى نماذج الشعر الليبى.

وفى عام ١٩٥٧ أخرج الشاعر على صدقى عبد القادر ديوانه «أحلام وثورة» وفي آخره تعريف بالشاعر المحامى، الذى يزاول مهنة المحاماة فى طرابلس، ويطلق عليه شاعر الشباب، والذى قال الشعر فى سن مبكرة، واشترك فى الكفاح الوطنى، وأسهم فى وضع القوانين الليبية، ومثل بلاده فى بعض المؤتمرات والمعارض الدولية، ونال جوائز، شعرية عديدة، وطاف بكثير من البلاد العربية والغربية.

---

(١) راجع صـ ٢٢٠ ـ ٢٢٣ الشعر والشعراء فى ليبيا، وراجع ١٥٨ وما بعدها الحياة الأدبية فى ليبيا، وراجع ١٥٨ وما بعدها الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

وفى الديوان بعض قصائد من الشعر الحر، وقصائد عمودية، ومن أشهر قصائد الديوان قصيدته «ليبيا الأم»[1] التى يقول فى مطلعها:

إن يومى وغدى
ها هما رهنا يدى
هيه يا أرض اشهدى
إن هذى التربة الغراء ليبيا بلدى
أنبتت زهرة الاستقلال رمز السؤدد
وأقامت عرسها الخالد فوق الفرقد
طالما أرهقها أمس الجبان المعتدى

ومن أشهر قصائد الديوان كذلك قصيدته الوطنية «دماء تحت النخيل»[2].. وفي قصيدته «عطر وموسيقى»[3] يصف الطبيعة الجميلة في بلاده.. وفى الديوان بعض القصص الشعرية الصغيرة مثل قصيدته «ذرات»[4]، «و» اليتيمة[5].

ومن صور شعره قصيدته «الفدائى» التي يقول منها:

وقد قمت أحمل مدفعى
عزمى يؤجج أضلعى
والفجر لما يطلع
وقذيفتى تمشى معى
هيا قذيفة لعلعى
امشى لهدم المصنع
أولا، ألاقى مصرعى

---

(١) صـ ٢٨ أحلام وثورة - على صدقى عبد القادر «ديوان شعر».
(٢) صـ ٥٥ المرجع.
(٣) ٥٩ المرجع.
(٤) ٦٣ المرجع.
(٥) ٩٨ المرجع.

إنى فــدائــئُ الــوطـن
روحى لعــزتــه ثمـن
إنى فــدائــئُ الـوطـن
فــإذا علمت بسقــطتى
أمــاه عند الوقعة
لا، لا تقولي: حسرتى
بــل شــاركيني فــرحتى
بــالــذود عن حــريتى
أدعــى لـنصرة ثــورتى
فــأنــا وأنــت لأمــتى
إنى فــدائــئُ البــلاد
فإلى الجهاد، إلى الجهاد
إنى فدائئُ البلاد

وللشاعر ديوان شعر آخر عنوانه «صرخة البعث» . .

والشــاعر من أكـثر شعراء ليبيـا دأبـا عـلى مـواصلة الإنتـاج، وكـان يكتب القصيدة على النهج العمودى ثم تحول عنه إلى الشعـر الجديـد، وفى رأيى أن ذلك أفقد شعره كثيراً من الموسيقى والـرصانـة، وقد مثـل ليبيا فى جميـع مؤتمرات أدبـاء العرب.

وقد ظهر للشاعر ديوان جديد فى نوفمبر عام ١٩٦٦ بعنوان «زغاريـد ومطر بالفجر».

على الرقيعى

يحتل[1] على الرقيعى مكانة كبيرة فى وجدان المثقف الليبى، فهو كشاعر يضع قلمه فى خدمة قضايا بلاده، يتغنى ببسمات الأطفال، ويمجد كفاح البسطاء ويتبنى أحلام القطاعات العريضة من هذا المجتمع، وهو كإنسان يعيش عيشة المواطن الطيب، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان.

ولا يكاد أحد يذكر الشعر الليبى الجديد إلا ويأتى اسم على الرقيعى على رأس قائمة الذين يتبنون هذا اللون من الشعر، ويبذلون قصارى جهودهم من أجل تدعيم مفاهيمه الجديدة وومضاته البادئة، ولا يزالون يعطون حياتنا الأدبية، الجديد من الكلمات الشريفة، والأغنيات التى تمتلئ حباً للإنسان وحماساً لكفاحه، وثقة بمستقبله.

وبالإضافة إلى ما يتميز به هذا الشاعر من الأصالة الشعرية والإحساس الفنى المرهف، والغزارة فى إعطاء إنتاجه الخصب، ومن النضج ووضوح الرؤيا، فهو من الذين لم يزدهم الاتجاه الشعرى الجديد إلا مقدرة فائقة على كتابة الشعر التقليدى، وإعطائه هو الآخر آفاقاً جديدة فى مجال المضمون من ناحية وترابط البناء وجمال الأسلوب من ناحية أخرى.

بدأ على الرقيعى حياته الشعرية بداية عادية، وكان يلامس القضايا التي عالجتها أشعاره ملامسة طفيفة، يحس بها إحساس الإنسان العادى فى نطاق مدرسة شوقي وحافظ التى كان يمثلها المرحومان الشارف ورفيق المهدوى.

وما أن برزت المدرسة الأدبية الجديدة فى الشرق العربى ووجدت طريقها إلى بلادنا فى أوائل سنة ١٩٥٥ من خلال سجلات: الآداب، الثقافة الوطنية، الرسالة الجديدة، سواء فى روايات نجيب محفوظ ويوسف إدريس وعبد الرحمن الشرقاوى، أو من أشعار نزار قبانى وعبد الوهاب البياتى،

---

(١) عن مجلة الرواد الليبية عدد أبريل ١٩٦٥، وراجع عنه صـ١٧٣ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

وفدوى طوقان. . وما إن برزت هذه المدرسة واستوى عودها حتى وجد على الرقيعى ضالته فى الانضواء تحت لوائها. . يأخذ بأشكالها الفنية، ويتبنى محتواها الإنسانى، حتى خشي البعض على هذا الشاعر أن يبقى مجرد صدى لهذه الأصوات الكبيرة التى ملأت الأجواء الثقافية فى الوطن العربى وخاصة عندما ظهر ديوانه الحنين الظامى سنة ١٩٥٨م. إلا أن الأيام أثبتت أن ارتباط الرقيعى بأعلام النهضة الأدبية إنما زاده إضاءات جديدة لثقافته، وساعده على التعبير عن واقعه الإجتماعى. . . ونشير هنا إلى إحدى قصائده الطويلة التى تزيد أبياتها على السبعين. . يقول فى مطلعها:

وطنى لغيرك ما انتميت ولم أكن إلا لواديك الخصيب الأكرم
ولغير شعبك ما كتبت قصيدة وبغير ربعك مطلقاً لم أغرم
ما زلت يا وطن الرجولة موئلاً للفاتحين وكعبة المقتحم

إن الإيمان بالمستقبل، والثقة به، ظاهرة عامة فى شعر الرقيعى حتى فى أشد اللحظات حزناً عند هذا الشاعر، وليس من شك أن ذلك لا يعيبه على الإطلاق، فالتفاؤل ظاهرة الشعر الجديد، بل هو المضمون الحقيقى للحياة.

والرقيعى تتلمذ على مدرسة الشارف ورفيق المهدوى. . . والواقع أن الرقيعى على الرغم من اختلافه مع هذه المدرسة، ظل يحتفظ لرائديها بمكانة كبيرة، وحب لا حد له وعندما وافتهما المنية كانت مرثيتاه فيهما من أجمل ما كتبه حولهما الشعراء الشباب.

فهو لا يرثى الشارف بأبيات مقفاة لا يربطها سوى بحر واحد وروى واحد، لكنه يدخل إلى المرحلة التى عبر فيها الشارف عن بعض المواقف، ويعطيه العهد بأن الشباب الجديد سيحمل الراية من بعده:

ونحن نرضى بحتف النفس نقبله وليس منا الذى للضيم ينهزم

وهو لا يصور وفاة الشاعر ووقع المصاب من خلال تهويمات عامة، ولكنه يصور تأثره وحزنه على الشارف من خلال القطاع العريض الذى يتبناه الرقيعي فى أشعاره، ويحتل الجزء الأكبر من وجدانه:

أبكيك ملء الروابى ملء قريتنا ... ملء ابتسامات أطفال أحبهم
فدى ابتسامات أطفال بشارعنا ... أحبهم بهجة نشوى أحبهمو
يجرون يلهون فى طيب وفى نزق ... أرنو لهم كل يوم فرحة بهمو

ولعلى الرقيعى ديوان الحنين الظامى وقد قدمه كامل حسن المقهور.

شعراء معاصرون آخرون

١ ـ فى ليبيا اليوم نهضة شعرية كبيرة، ومنها طائفة كبيرة من الشعراء الممتازين المجيدين، وللجامعة الإسلامية فى البيضاء والجامعة الليبية فى بنيغازى فضل فى تأسيس قواعد النهضة الأدبية والشعرية المعاصرة.

ومن الشعراء المعاصرين: على سليمان الساحلى، وهو من الشعراء المقلين، عمل سفيراً لبلاده، وهو أديب مطبوع، ومن شعره قصيدة ذكرها محمد صادق عفيفى فى كتابه «الشعر والشعراء فى ليبيا» وعنوانها «شهيد كرامة» وهى فى الترحيب بالسنوسى عاهل البلاد، حين قدم من مصر إلى بلاده، ومنها:

يوم عظيم لا القرون تبيده ... أبدا، وليس له الزمان بماحى
أنسى بلادى كل ما شهدت وما ... قاسته بين أسنة ورماح
حل الأمير بأرضها فتبلجت ... أنواره كتبلج الإصباح[1]

٢ ـ ومن الشعراء كذلك صالح أبو سدرة، وله ماض فى الكفاح، وكان ملحقاً ثقافياً فى السفارة فى مصر، ويميل إلى الرمزية، وله قصيدة شطرها الشيخ عبد السلام عمران أحد خريجى الأزهر والمدرس بدرنة، ومن هذه القصيدة وتشطيرها:

قد سبت ناظرى وأذكت شعورى ... (زهرة بالرياض بين الزهور)
قال للظل غصنها حين وافى ... (صوحتها عواصف التدمير)

(١) ١٧٦ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

(أصبح الروض فى شذاها خليا) باكيا حسنها بدمع غزير
وبدا الروض فى ثياب حداد عابس الوجه بعد طول السرور[1]

٣ ـ ومن الشعراء المعاصرين: الشاعر محمد إبراهيم الهنقارى وهو من مواليد عام ١٩٠٦. ويعجب بالمتنبى وشوقى وحافظ والرصافى[1]، والشاعر الهادى «الصغير» بن عرفة وهو من مواليد عام ١٩١٠ ومن المعجبين بالبارودى والمتنبى ودرس بكلية اللغة العربية بالأزهر[3] الشريف، والهادى محمود أنديشه وهو من مواليد عام ١٩٠٨ وتخرج من الأزهر الشريف[4]، وعبد الرازق البشتى وهو من المتخرجين فى الأزهر الشريف[5]، وعبد الغنى البشتى وهو من مواليد عام ١٩٠٩ ودرس فى الأزهر الشريف[6].

٤ ـ ومن الشعراء أيضاً محمد بشير المغيربى[7]، وهو عصامى أديب وكاتب وشاعر، آثر الأعمال الحرة، وأنشأ له مكتبة فى بنى غازى، وله ديوان تحت الطبع، وقد ذكر له عفيفى باقة من أشعاره، منها قصيدة عنوانها «ذكرى عمر المختار»، ويقول منها:

ذكر تظل من الخلود كالبدر فى ليل الوجود
ملأت قلوب المؤمنين بروعة الماضى المجيد
أيام كان الليث يز أر فى مفازات وبيد
يحمى العرين من الذين غزوه فى الجمع العديد
أيام كان النسر يخطر فى الوهاد وفى النجود[8]

(١) ١٧٥ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.
(٢) ٢٣٠ و٢٣١ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.
(٣) ٢٥٠ و٢٥١ المرجع.
(٤) ٢٥٢ و٢٥٣ المرجع.
(٥) ٢٥٤ المرجع.
(٦) ٢١٦ ـ ٢١٩ المرجع.
(٧) راجع عنه صـ ١٥٣ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.
(٨) صـ ١٧٧ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

وله نشيد العلم نظمه عام ١٩٤٣ لجيش التحرير الليبى[1] ويلقبه الاشهب بشاعر الشباب.

٥ ـ ومن الشعراء المعاصرين: صالح محمد الشنطة[2]، وهو من مواليد عام ١٩١٧، وعلى محمد الديب صاحب جريدة (الليبى)[3]، وهو من مواليد ١٩٢٢، وعلى محمد الرفيعى وهو من مواليد عام ١٩٣٤ الذى يتأثر بالشابى وشعراء المهجر[4]، ومحمد أحمد الطبولى وهو من مواليد عام ١٩١٤ فى بنى وليد (ورفلة)[5]، ومحمد أمين الحافى من مواليد عام ١٩١٦ وقد تخرج من دار العلوم فى القاهرة وأسهم فى إنشاء «النادى الثقافى الليبى» بالقاهرة، ويعجب بالمتنبى وشوقى[6]، ومحمد عبدالله معتيق[7]، ومحمد ميلاد مبارك من مواليد عام ١٩٢٢ فى طرابلس[8]، وقد تأثر بالشاعر غنيم، وشعره رصين متين الديباجة، ومحمود محمد المنتصر من مواليد مصراته عام ١٩١٥ وهو معجب بالمتنبى وابن زيدون وشوقى والرصافى[9].

٦ ـ ومنهم كذلك مصطفى الطرابلسى، وقد ولد بدرنه عام ١٩٢٣، والتحق بمدرسة ابتدائية إيطالية، ثم ترك الدراسة للكفاح فى الحياة، ثم درس على أيدى بعض الشيوخ ونجح فى مسابقة للتدريس عام ١٩٤٦ عين بعدها مدرساً، وله شعر مخطوط ذكر منه عفيفى فى كتابه «الشعر والشعراء فى ليبيا» قصيدة عنوانها «صفا جوها»، منها:

وهم حاولوا بالأمس فل قناتنا فألفوا نبالا لا يرام لها كسر

(١) ٣٣٨ برقة العربية للأشهب.
(٢) ٢١٤ ـ ١١٦ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.
(٣) ٢٢٤ ـ ٢٢٦ المرجع.
(٤) ٢٢٧ ـ ٢٢٩ المرجع.
(٥) ٢٣٢ المرجع.
(٦) ٢٣٦ ـ ٢٣٨ المرجع.
(٧) ٢٣٩ المرجع.
(٨) ٢٤٢ و٢٤٣ المرجع.
(٩) ٢٤٤ و٢٤٥ المرجع.

يـريـدون تقسيم البـلاد شراسـة	فـهـذا لـه ثـلث وذاك لـه شـطر
تحـدثهم أطـماعـهم بـاقتنـاصـنـا	كـأن لم يكن بـالغـاب ليث ولا صقـر
فـسحـقا بني الأطماع خاب رجاؤكـم	فـليس لكم فى أرض أوطاننا شبر[1]

٧ ـ ومنهم كذلك سليمان محمد تربح؛ وقد ولد فى الاسكندرية عام ١٩٣٢ من أب ليبى مهاجر وأم مصرية، تلقى تعليمه فى مصر، وعاد إلى وطنه قبيل الحرب العالمية الثانية واستقر بدرنة، وفى الحرب تركها إلى الجبل الأخضر، ثم عاد إلى درنة، وتعلم فيها فى المدرسة الثانوية، ثم ترك المدرسة، يكافح فى الحياة، وعمل فى بعض الوظائف، أمينا لمكتبة بنيغازى، ثم لمكتبة الجامعة الليبية.. وله ديـوان مخطوط.. ومن شعـره من قصيدة لـه عنوانها عروس أحلامى»:

تـلاشى لـيـل أوهـامى	ولاحـت بنـت أحـلامى
عـروس تسحـر الـدنيا	بـأضـواء وأنـسـام
مشت من دلهـا سكـرى	فـدب السكـر فى جـامى
تمـر ولـيس يـبصرهـا	سـوى المترفـع السـامى
تـراءت فى مخـيـلتى	فـكـانـت سر إلهـامـى
وقـرت بـين أضـلاعـى	فـأحيت قلبى الـدامى
وشـاعت بـين أوصـالى	فكـانت روح إقـدامـى
هـى الحـريـة المـثـلى	لمن لـوصـالهـا ظـامى[2]

٨ ـ ومنهم أيضاً حسين الغناى، وهو من مواليد بنيغازى عام ١٩٢١، درس فى المـدارس المدنيـة، وكانت منـاهج التعليم فيهـا إيـطاليـة، وأجـاد الإنجليزية والإيطالية. وتقلب فى وظائف الدولـة بعد الاستقـلال؛ وقرأ فى

(١) ١٨٤ الشعر والشعراء فى ليبيا لعفيفى.

(٢) ١٧٢ ـ ١٧٤ الشعر والشعراء فى ليبيا، وراجع عن الشاعر صـ ١٦٩ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

دواوين الشعراء القدماء والمحدثين والمعاصرين، وأعجب بأبي ريشة من بين المعاصرين إعجاباً شديداً، وله ديوان مخطوط... ومن شعره من قصيدة عنوانها «الحقل»:

المـاء ينطق بـالخريـر   والطير يشدو بـالصفير
والـزنبق الـريـان يخـ   ـطر غصنه فوق الغدير
نشـوان دغدغـه النسـ   ـيم فهام من فرط العبير
والـزهر أبـدع فى التبر   ج والتحجب والسفـور
مـا بين أصفـر فاقـع   لونـا وأحمر كالثغور[1]

٩ - وكذلك من المعاصرين رجب مفتاح الماجرى[2]، وقد نشأ يتيماً، وكافح حتى نال ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٥٦، وعين وكيلاً للنائب العام فى بنيغازى.. وله ديوان مخطوط، لم ينشر بعد، وقد قرأ دواوين الشعراء المعاصرين، وتأثر من بينهم بحافظ وعلى محمود طه وعمر أبي ريشة ورفيق المهدوى وإبراهيم الأسطى عمر.. ومن شعره من قصيدته «عذبيني»:

أنـا لا أحـيـا عـلى الأحـلام والصـوت الحـنـون
إنمـا أحـيـا عـلى الآلام والـوجـد الـدفـين
إنها درب حـيـاتى إنها رجـع لحـونى
عـشـت فى الشـوك وللورد اشـتـياقـى وحـنـيـنى
فـإذا يـا «دولـتى» أعـلنـت حـبـى اعـذريـنى
أنـا فى دنـيـاى كـالـفـكـرة فى وادى الـظـنـون
قـلق كـالـزورق الـتـائـه، كـالـطير الـسـجـين
هـا هـو الـقـلب عـلى كـفـى خـذيـه ودعـيـنى[3]

---

(١) راجع ١٦٦ - ١٦٧ الشعر والشعراء فى ليبيا - محمد صادق عفيفى - طبع القاهرة ١٩٥٧ م.
(٢) ١٦٩ - ١٧١ الشعر والشعراء فى ليبيا - لعفيفى، صـ ١٦٥ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.
(٣) ١٦٩ - ١٧١ الشعر والشعراء فى ليبيا - لعفيفى، صـ ١٦٥ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى.

١٠ ـ ومن الشعراء كذلك الشاعر عبد السلام أبو هديمة، وقد ولد فى مدينة بنيغازى نحو عام ١٨٦٠، وتوفى عام ١٨٩٣ ـ ١٣١١ هـ، وهو أديب شاعر، نال شهرة أدبية كبيرة وشعره قليل وغير مطبوع[١].

١١ ـ ومن الشعراء المعاصرين:

١ ـ حسن أحمد السنوسى فى الحلقة الرابعة من عمره تلقى دراسته فى مصر فى مدارسها وفى الأزهر الشريف، واشتغل بالتدريس بعد عودته إلى وطنه إثر تحريره من الحكم الإيطالى[٢]، وقد ظهر له ديوان الركب التائه.

ومن شعره قصيدته «حديث الجبل الأخضر فى عيد الاستقلال» وفيها يجعل الجبل الأخضر ينطق فينقلنا إلى الماضى السحيق فى رحلة عبر التاريخ وفى خلال ذلك يتوقف لحظات يشير فيها إلى مواطن الجمال فيه من حيث روعة طبيعته وجمال مدنه:

أنا مهد الندى وترب المعالى ... منذ أن كنت فى قديم الليالى
نبتت دوحة العلا فى سفوحى ... ومشى موكب الهوى فى ظلالى
فعلى التضحيات عودت أسدى ... وعلى البذل نشئت أبطالى
أنا سفر من المواعظ يتلى ... وعرين، وقلعة للمعالى
قف تمهل إذا مشيت بأرضى ... واملأ النفس بهجة من جمالى
وخذ الأمن من براثن ليثى ... وخذ الحذر من عيون غزالى
حيثما سرت لا ترى غير حسن ... عبقرى النسج فذ المثال
فى الغدير الرقراق فى الغابة ... اللفاء فى المنحنى، وفى الشلال
هل «المرجى» الخصيب أو درنق ... «البيضاء أو «ماستى» ترى من مثال

---

(١) راجع صـ ٨١ الحياة الأدبية فى ليبيا للحاجرى، والعدد الأول من مجلة ليبيا من مقال بقلم محمد بن عامر.

(٢) راجع فى مجلة الرواد الليبية عدد إبريل ١٩٦٥ صـ ٩٦ دراسة عنه بقلم الشاعر راشد الزبير السنوسى.

أو «كشحات، كسوسة» مأوى لهزبر، ومسرح لغزال
هل رأيتم «كقبة» المجد حسنا أو «كالاثرون» أو «كرأس الهلال»
أو «كدرنا» وجنة الأرض «درنا» بين ماء وخضرة ودوالى

١٢ ـ ومن الشعراء: عبد ربه الغناى، وهو من مواليد ٣٠ ديسمبر ١٩٢٠، وتعلم فى المدارس الإيطالية، ثم التحق بالأزهر عام ١٩٣٨، وأخذ ينظم الشعر ويكتب القصة والمسرحية والمقالة الصحفية، وقرأ للعقاد والمازنى وتوفيق الحكيم وتيمور وزكى مبارك وتأثر بهم، والتحق بالمعهد العالى للسينما والمسرح بالقاهرة، وكان من أساتذته فيه درينى خشبه، ومسرحيته الشعرية «عودة البطل» فازت بجائزة وزارة الإرشاد فى ليبيا، واشتغل بالصحافة والمحاماة، وهو يتأثر بامرئ القيس وعمر بن أبى ربيعة والمتنبى والمعرى، وبشوقى وحافظ والزهاوى ومحمود غنيم وأبو ريشة وإيليا أبو ماضى وبأحمد رفيق المهدوى ولم يطبع له ديوان بعد.

١٣ ـ ومن الدواوين الجديدة التى نالت تقدير الأدباء: قيثارة الخلود للشاعر راشد الزبير السنوسى، ويحتوى على شعر وطنى وآخر عاطفى مع بعض النماذج للشعر القصصى والرمزى وللإخوانيات.

وأخيراً فإن الشعر الليبى المعاصر اليوم يتأثر خطى الآداب العربية فى مصر وسوريا والعراق ولبنان، وخطى شعراء المهجر، ويبرز تأثره بمدرسة أبولو واضحاً فى شعر إبراهيم الأسطى عمر ورفيق، ثم فى شعر بعض الشعراء المعاصرين مثل: على صدقى عبد القادر وعلى الرقيعى.

ومن الشعراء المعاصرين حسن صالح وخالد زغبية وراشد الزبير السنوسى[١] وعبد المولى البغدادى[٢].

---

(١) له ديوانان هما: قيثارة الخلود، والنغم الحائر.
(٢) فى مجلة الإذاعة الليبية عدد أول يونيو ١٩٦٨ مقال عن التجريد فى الشعر الليبى بقلم «نجم الدين غالب السكيب».

الباب الثاني

الآداب العربية

فى دول المغرب العربى

الفصـــل الاول

الآداب الحديثة فى دول المغرب العربى

١ ـ استقلت بلاد المغرب العربى: ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ مراكش بعد احتلال طويل[1]، واستقلت ليبيا عام ١٩٥١ م.

وإذا كان رفاعة الطهطاوى فى مصر سبق الاحتلال وأثر تأثيراً مباشراً فى الفكر المصرى الحديث وتلاه الأفغانى والإمام محمد عبده بحركتهما الإسلامية، فإن الشيخ محمد قبادو فى تونس صنع صنيعه، فقد مهد للاتصال بالفكر الأوربى، وحذا حذوه محمد بيرم وخير الدين باشا والشيخ الطاهر بن عاشور؛ وكانت مجلة الرائد التونسى (أنشئت عام ١٨٦١) تماثل فى مصر مجلة الوقائع

---

(١) احتلت إيطاليا ليبيا نحو ثلث قرن (١٩١١ ـ ١٩٤٣)، واحتلت فرنسا باقى دول الغرب العربى أمداً طويلاً، الجزائر (١٨٣٠ ـ ١٩٦٢)، وتونس (١٨٨١ ـ ١٩٥٧) والمغرب (١٩١٢ ـ ١٩٥٣)، ومصر نفسها احتلت احتلالاً إنجليزياً طويلاً (١٨٨٢ ـ ١٩٥٤). وقد حكم ليبيا منذ الفتح الإسلامى عدة دول تجدها فى هذا الكتاب، وحكمت تونس والجزائر كذلك دول عدة من أشهرها الأغالبة والفاطميون والصنهاجيون والحفصيون والأتراك العثمانيون والمحتلون الأوروبيون؛ وحكمت مراكش دول عدة من أشهرها:

الأدارسة ٧٨٨ ـ ٩٧٤ م

الفاطميون

المرابطون ١٠٥٣ ـ ١١٤٧ م

الموحدون ١١٢٥ ـ ١٢٤٨ م

المرينيون ١٢٦٩ ـ ١٤٦٥ م

السعديون ١٥٤٩ ـ ١٦٥٤ م

العلويون ١٦٦٠ حتى اليوم

المصرية (أنشئت ١٨٢٨) وقامت فى تونس المدرسة الصادقية (أنشئت عام ١٨٧٦) التى كانت تدرس فيها العلوم العصرية واللغات الأوربية.

٢ ـ والمنابع الثقافية لدول المغرب العربى فى العصر الحديث كانت هى الثقافة العربية الإسلامية وثقافات أوربا التى أذاعها الاستعمار بكل ما لديه من وسائل.

كان هناك[1] رفد قوامه فكر أوروبى غربى معرب، استقى من المصدر وصبغ بقالب عربى. فيه العلم وفيه الأدب البحت وفيه الفلسفة، تحملها كتب ومجلات من مشرق العالم العربى إلى مغربه، من مصر ولبنان؛ على أن الرافد الشرقى لم يقتصر على العلم الغربى المعرب، والنظريات الأوروبية وقد صاغها كتاب ناطقون بالضاد، بل كان ثمة فكر إسلامى بحت؛ إسلامى من حيث إنه كان يعالج القضايا الإسلامية من حيث تجديد نظرتها وتطوير أسلوبها وتفحص موقعها من التطورات الأخيرة والتعرف إلى ماذا يجب أن يكون أثرها فى حياة المسلمين، وأهم هذه القضايا هى قضية إصلاح المجتمع الإسلامى وتطويره فى إطار الدين الإسلامى الروحى والفكرى دون تجاهل ما كان العالم الآخر قد توصل إليه؛ هذه الاتجاهات المشرفة الإسلامية كانت قد وصلت من قبل سلفية بحتة، ثم وصلت المغرب العربى، وتونس على الخصوص، على النحو الذى اختطته الإمام محمد عبده، من وجوب التوفيق بين الإسلام والعلم الحديث الصحيح.

أما الرافد العربى الحضارى الحديث، وهو الذى أخذه أهل المشرق عن أوروبة؛ ثم كتبوه باللغة العربية فقد انتقل إلى المغرب العربى من طرابلس الغرب إلى مراكش، فأنت واجد عدداً كبيراً من القراء هناك ممن كانت تصلهم أعداد الهلال والمقتطف والمؤيد وغيرها بانتظام، فكانوا يطالعون عن طريقها وطريق غيرها نتاج الأفكار وجميل المقالات ومختار الشعر والأبحاث

---

(١) صـ ١٤ مجلة الكتاب العراقية عدد مارس ١٩٦٥ ـ من مقال للدكتور نقولا زيادة:

التاريخية والعلمية، يضاف إلى ذلك فئة من شباب المغرب العربي شردوا عن بلادهم على أيدى المغتصبين، واتخذوا من ديار المشرق - مصر وفلسطين ولبنان وسورية - مواطن هجرة، وهناك اتصلوا بالحركة العلمية فيها، ودرسوا فى جامعاتها، فلما عادوا إلى الوطن حملوا معهم علماً ومعرفة.

وأما الرافد الإسلامى الإصلاحى فقد انتقل إلى تلك الديار عبر العروة الوثقى التى حررها الأفغانى ومحمد عبده فى باريس، ومع مجلة المنار، التى كان يصدرها السيد رشيد رضا فى القاهرة، على أن وسائل أخرى كان لها من التأثير قدر هذا وأكثر، فمنها أولئك الذين طلبوا العلم فى القرويين والزيتونة والأزهر، وخاصة المعهدين الأخيرين، إذ كان طلبة العلم فيهما يعرفون المحاولات التى كانت تقوم لإصلاح الأمور شكلاً وجوهراً. فكانوا إذا عادوا إلى بلادهم حملوا معهم هذه البذور، والسلفية المغربية، مع تأثرها بحركات أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وصلت طلائعها الأولى فى واقع الأمر فى أوائل القرن الماضى إذ نقلها الحجاج والرسل والعلماء من الحجاز إلى المغرب، إثر ظهور الدعوة الوهابية وامتدادها إلى الحجاز.

ومن الصعب أن يفرق الباحث بين الرافدين العربى والإسلامى، فكلاهما استعمل اللغة العربية، وكلاهما قام فى ديار العرب المشارقة، وكلاهما يمثل ناحية من نواحى اليقظة الحديثة فى العالم العربى.

أما الرافد الغربى، فقد كانت الأبواب مفتحة له على مصراعيها، إذ إن السلطات الحاكمة كانت تدعمه وتفرضه فى غالب الأحوال؛ وهذا الرافد جاء المغرب العربى عن طريق المدرسة الفرنسية والإيطالية، والكتاب والمجلة والإذاعة والمعلم والجامعة الفرنسية والإيطالية؛ والمدرسة الفرنسية كانت إيجابية: فقد علمت أبناء المغرب والجزائر وتونس اللغة الفرنسية، وحببت إليهم الأدب الفرنسى، وأدخلت عقولهم إلى حرم الثقافة الفرنسية. فصاروا يفكرون فرنسياً ويعبرون عن آرائهم وشعورهم وعواطفهم فرنسياً، وبطبيعة الحال كان لها أثر سلبى لأنها لم تعلم العربية ولم تعن بالثقافة العربية أو الفكر

الإسلامى، وكان الأثران، الإيجابى والسلبى، أقوى فى الجزائر منه فى القطرين الآخرين.

وإن كانت المدرسة الفرنسية لم تصل إلى الجميع، ولذلك فالأمية كانت واسعة الانتشار بين فئات كبيرة من السكان حتى بعد سنوات طويلة من الحكم الفرنسى.

أما المدرسة الإيطالية فقد كانت أقل أثراً من الفرنسية. لقد علمت من الإيطالية لغة تصلح للتخاطب، ولم تفعل أكثر من ذلك، فلا هي حببت الناس إلى الأدب الإيطالى، ولا هى فتحت أمام القوم آفاق الفكر الغربى، ولا هى أوجدت طبقة مثقفة ثقافة إيطالية رفيعة؛ وكانت جامعات فرنسا مفتوحة أمام المغاربة. أما إيطاليا فلم تتح هذه الفرص للشعب الليبى، فالذين تابعوا دراستهم العالية فى جامعات إيطالية يعدون على الأصابع.

٣ - وفى عام ١٩٢٩ أنشأ الشيخ عبد الحميد بن باديس، بالمشاركة مع إخوانه وأبنائه من المشتغلين بالحركة العلمية فى القطر الجزائرى «جمعية العلماء المسلمين بالجزائر» والشيخ ابن باديس عربى، جزائرى زيتونى، يمثل فى حياته وعمله ومثله خلاصة أمانى الأمة الجزائرية وصفوة القائلين بالدعوة الإسلامية دعا الناس إلى العودة إلى صحيح الإسلام، وحملهم على «سلفية» تلك الأيام. أسر الناس بفضله، وكسبهم برحابة عقله. عمل لأمته، فوحد جهود العاملين معه، وكان لهم نبراساً.

وقد دعا إلى نبذ الخرافات والعودة بالدين إلى جوهره، وأهاب بالناس أن يذكروا اللغة العربية بالخير. وكان فى صميم هاتين الدعوتين تقوية للشعور بالشخصية الجزائرية. وهذه الدعوة كانت روحية اجتماعية فى وسائلها، لكنها كانت فى صميم الحياة السياسية هناك. ذلك أنها تتعارض تماماً مع وجهة النظر الرسمية للسياسية الفرنسية. من هنا جاءت نقمة السلطات على جمعية العلماء المسلمين؛ ولكن ابن باديس وصحبه وحملة لوائه من بعده حاولوا أن يكون اتصالهم بالشئون السياسية اتصالاً فردياً شخصياً، فيصيبهم الأذى فى

نفوسهم، وتظل المؤسسة قائمة.

وكانت «الشهاب» الأسبوعية جريدة ابن باديس والجمعية، تنطق بلسانهم، وقد مرت الجمعية فى الجزائر بثلاثة أدوار: الأول قارعت فيه ضعفة المسلمين وأتباع الخرافات بالحجة، فبينت خطأهم. الدور الثانى بدأ عام ١٩٣٩ وهو دور بناء، لكن نكسة الحرب أوقفته، حتى جاء الدور الثالث وهو دور العودة إلى إنشاء المدارس والعناية بالتعليم. ومع ذلك فليس هذا وحده هو الذى توليه الجمعية اهتمامها، ولكن هذا أبرز نواحى جهادها. وقد تولى رياسة الجمعية بعد ابن باديس الشيخ محمد البشير الإبراهيمى عام ١٩٤١، وقد توفى بعد استقلال الجزائر بسنوات وذلك فى أول سبتمبر ١٩٦٥، وأبَّنه فى المجمع اللغوى بالقاهرة د. إبراهيم مدكور فى ١٩/١٠/١٩٦٥ م.

وكانت «البصائر» هى الجريدة العربية الوحيدة فى الجزائر وهى أسبوعية تصدر فى ثمانى صفحات، وهى لسان حال جمعية العلماء المسلمين بالجزائر؛ وفى ليبيا قامت مجلة عمر المختار، وليبيا المصورة؛ وفى تونس المجلة الزيتونية.

٤ - على أن المجال الذى كان فيه نشاط الفكر والأدب فى المغرب العربى كبيراً هو المجال التعليمى. والظاهرة الأولى لهذا النشاط هو التوسع فى التعليم فى مرحلتيه الابتدائية والثانوية، خاصة فى ليبيا أولى أقطار المغرب العربى نيلا للاستقلال. فالذى يتابع هذا التطور العددى يتسنى له إدراك مدى اهتمام الدولة، من جهة، وتحمس الشعب الليبى، من جهة أخرى، لهذه القضية والأمر واضح أيضاً بالنسبة إلى المغرب وتونس. أما الجزائر فهى على عتبة النهوض بأعباء هذه المهمة.

أنشأت ليبيا الجامعة الليبية التى تشمل كلية الآداب والتربية وكلية التجارة فى بنيغازى وكلية العلوم التطبيقية فى طرابلس الغرب ورفعت مستوى دور المعلمين والمعلمات بحيث أصبحت هذه على مستوى عال يعد اللازم من المعلمين والمعلمات للمدارس الليبية العلمية المهنية والزراعية. وأنشأت كذلك «جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية» فى البيضاء وهذا المعهد

الذى هو تتويج لسلسلة من العمل الاسلامى عبر العصور فى ليبيا هو الذى سيرقى بالدراسات الإسلامية إلى المستوى اللائق به فى بلد له فى الحركات الإسلامية الإصلاحية فى القرن الماضى يد طولى.

وفى تونس قامت الجامعة التونسية بهمة البلاد وبعناية الحكومة، وهذه كلياتها العلمية والأدبية، أما جامعة الزيتونة فقد أصبحت كلية الشريعة فى الجامعة التونسية.

وأخذ المغرب فى تنظيم جامعاته بحيث يقوم بسد النقص الذى عانته تلك البلاد أثناء الحماية عليها. وهذه جامعة محمد الخامس فى الرباط ـ وهى أولى جامعات المغرب التى تم لها حظ العمل المنظم ـ تسير فى الطليعة. وستلحق بها جامعة ابن يوسف فى مراكش وغيرها من مدن المغرب الكبرى؛ وجامعة القرويين تحتل مكانها فى هذا الموكب الجامعى، بحيث تقوم كالزيتونة بواجبها فى تمكين المغرب من اللحاق السريع بالركب العالمى الحضارى.

وكان للجزائر جامعة من قبل، ولكنها تعطلت أيام الثورة، ثم أشعلت النار بمكتبتها فى تلك الأثناء تعطيلاً ونكاية بأهل البلاد. وها هى الآن ـ الجامعة ومكتبتها ـ موضع اهتمام رجال التربية، وسوف تعود الجامعة سيرتها الأولى فى خدمة الجزائريين ولمصلحتهم، لا لمصلحة الأقلية الفرنسية التى كانت هناك.

٥ ـ ويمكن القول إجمالاً بأن تونس والجزائر تأثرتا بالرافد الغربى تأثراً أكثر من كل من المغرب وليبيا، فالثقافة الغربية نقلت معها إلى تلك الديار العلم الغربى، وكانت نظراتها إلى المجتمع نظرة مدنية؛ ولما آذن الوقت بانتعاش الحركات الفكرية والروحية بين المسلمين فى الجزائر، اتخذت هذه الحركات صفة سلفية قوية، ومحافظة عل كل شىء فى الإسلام وإحيائه. فإذا كانت السياسة ترمى إلى القضاء على اللغة العربية والإسلام، فمقاومتها تقضى بالتشدد فى الحفاظ على العروبة والإسلام، وفى هذا ما يوضح المحافظة القوية التى كانت تتسم بها الحركة فى الجزائر «فقد نجحت الجمعية فى أمرين: توجيه الأمة نحو العروبة ونحو الشرق».

أما ليبيا والمغرب فقد كان تقبلها للثقافة الغربية أقـل نسبياً، بسبب قصر المدة، والتفاعل الداخلى فيهما كان أقوى. فالسنوسية فى الأولى والحركة السلفية فى الثانية، حملتا الناس على التفكير فى أمور دينهم ودنياهم، وإعداد أنفسهم لنواح فى الإصلاح الإسلامى فيها الكثير من المحافظة والإحياء وليس المقصود من هذا أن تونس والجزائر لم تعرفا حركات إصلاحية إسلامية، أو أن القطرين الآخرين لم يهتما بالعلم والتـطور الفكرى العلمى، ولكن القضيـة كانت قضية ترجيح.

٦ ـ أما الأدب من حيث هو سبيل للتعبير عن التفاعل الذاتى والقومى وثوران العاطفة وخفقات النفس وخلجات الضمير، فإن الصفة الغالبة عليه إلى وقت قريب، كانت هى صفة التقليد والمحافظة. فـالشعر ظـل محتفظاً بعموديته، والنثر على إشراق ديباجته فى كثير من الأحيان، ظل يرسف فى شىء، من قيد السجع.

وقد ظلت اللغة العربية حية، وهى فى المغرب وتونس أنشط منها فى الجزائر، بفضل القرويين والزيتونة، وفى ليبيا ظل منها قبس مضىء فى هذه الزوايا التى أقامتها السنوسية فى نواح مختلفة من البلاد، فكانت معاقل للتعليم واللغة؛ ولذلك لما أتيح للقلم أن ينطلق من عقاله، وجد لغة حية، تستطيع أن تحمل المعنى وتتضمن الفكرة وتعبر عن الخلجة. على أن الأدباء فى المغرب العربى قد أفادوا من تجربة المشارقة، فاتبعوا خطواتهم فى سيرهم، وقرأوا ما كتبوا أو ما نظموا وما ترجمـوا، ونقلوا عنهم تعابـير جديـدة واقتبسوا عنهم الأساليب الجديدة... كما قرأوا لمدرسة المهجر منذ العقد الثالث من القرن الحالى، وتأثروا بها كذلك، وخاصة باتجاهاتها فى التجديد.

وفى الأدب المغربى عناية بالماضى وأمجاده ترى هذا فى الشعر الذى نظمه العربى الكبادى وأحمد رفيق المهدوى وسليمان البارونى وعلال الفـاسى ومحمد العيد، كما تجده فى كتابات الطيب الأشهب والشـاذلى النيفر ومحمـد البشير الإبراهيمى والكتانى وعبدالله كنون والفاضل بن عـاشور وغـيرهم. يكتبون

وينظمون ليبصروا الخلف بمآثر السلف، وليحيوا التراث العربى الإسلامى، وليثيروا حمية الناس فى الدفاع عنه، والتمثيل بما فيه من قوة وقيم.

والأدب هناك فيه صور الجهاد فى سبيل الاستقلال، ورائحة النقمة على الأوضاع التى كانت سائدة هناك والتى خلفها الاستعمار، لكن الأدب الأحدث عهداً هو أدب فترة الاستقلال: فيه محاولة الأدباء للتعرف إلى الذات المستقلة؛ والشعر فى المغرب العربى يدور حول أمرين: أولهما الثورة والرغبة فى الحرية والتغنى بالإستقلال، والثانى هو قضية القديم والجديد أو المحافظة والتجديد. فبينما نجد الشعراء ينشدون قصائدهم دفاعاً عن الوطن، وتمجيداً للحرية والاستقلال، نجدهم يقومون بمعارك حول الشعر العمودى والشعر الجديد.

والشعر فى المغرب وفى الجزائر ألصق بالصيغة وأبعد عن أساليب التجديد العنيفة منه فى تونس، ولعل المغرب والجزائر كانا أعلق بذلك بسبب حركات الاحياء التى قامت فى القطر الأول، على أننا نلتمس هنا وهناك محاولات للتجديد، فهناك تجديد من حيث المحتوى والمعنى، ولعل أبا القاسم الشابى ومحمد العيد وأحمد رفيق المهدوى فى طليعة هؤلاء الذين غنوا على أوتار الماضى أنغاماً جديدة؛ أما من حيث التجديد فى المبنى فهناك محسن بن حميدة ومصطفى الحبيب بحرى والشاذلى زوكار ومحمد العربى صمادح ومصطفى بن زكرى. على أن التجربة الشعرية، عند هذا النفر، لا تزال كما يقول الشعراء من المشارقة فجة ينقصها العمق والاتساع.

٧ - والمقالة هى من أهم الألوان الأدبية الجديدة لم تتخذ بعد شكل العمل الفنى، بحيث تنقد أو تقيم كذلك، ومن هنا كانت المقالة السياسية أقوى وأنفذ من غيرها، لأنها عولجت مدة أطول، وعبرت عن مجالات أوسع وألصق بالناس، وثمة فئة من كتاب المغرب العربى حذقوا كتابة المقال السياسى نذكر منهم على سبيل المثال علال الفاسى والشيخ الإبراهيمى البشير وأحمد توفيق المدنى. وبين كتاب المقالة، من ينتقلون من نوع إلى نوع آخر فيجيدون فى الاثنين، فأحمد توفيق المدنى كان يجيد كتابة المقال

التاريخي، كما يجيد كتابة المقال السياسي؛ ومنهم من لا يلتفت إلى المقال السياسي، فيقصر همه على ناحية أخرى، فمحجوب بن ميلاد يكتب المقالة العلمية الجيدة، وكان المرحوم محمد فريد غازي يعني بالمقالة التاريخية، وعبد الله كنون يكتب مقالاته الأدبية محتفلاً.

٨ ـ ولا تزال القصة والأقصوصة في أول السلم في ديار المغرب العربي، ولم يبلغ كتابها هناك ما بلغه كتابها في المشرق العربي عدداً أو كماً أو كيفاً. ولمحمود المسعدي قصة كتبت قبل سنوات اسمها السد، هي واحدة من هذه القصص الرمزية القوية، التي تعبر عن شخصية موغلة في التعمق، مالكة لناصية اللغة، مغرمة بتقصي خلجات النفس البشرية، قادرة على رسم الصور القلمية الجيدة، ماهرة في التلاعب بالأسلوب ليتفق مع الفكرة، فيغمض أينما غمضت، ويتضح حيثما تتضح. أما قصة برق الليل للبشير خريف، ووزير غرناطة للهادي أبي طالب، وغومة بطل الصحراء لمصطفى المصراتي، فهي قصص تنتزع موضوعها من تاريخ البلاد نفسها، وفيها تشوق إلى التعرف إلى هذا التاريخ.

والأقصوصة آخذة في احتلال المكان اللائق بها، وتجد صوراً لها فيما تنشره مجلة الفكر التونسية وفي المجموعة التي ألحقها الصادق عفيفي بدراسته عن تطور القصة القصيرة في الأدب المغربي وفي أقاصيص أحمد رضا حوحو في مجموعته نماذج بشرية، وفي مجلة الرواد الليبية وغيرها.

وإدريس الشرابي يحزنه ما كان عليه الجزائريون الذين هجروا بلادهم إلى فرنسا، يخشى الواحد منهم أن يسرق متاعه القليل أو أن يدوسه أحد الجيران إذ جاء المكان للنوم والمكان في ظلام. أكلوا ليوفروا بعض الشيء للأهل الذين خلفوا وراءهم. هذه الأمور كلها، وما يرافقها من مرارة وألم وحرقة وتشوق وحقد ومرض وفترات من الابتسامة أو حتى السرور، يعالجها ويعالج أحوالهم وحياتهم في قصته «التيوس»، وقد عاش الكثير منها ولذلك فهو يكتب عن تجربة واختبار.

ويعتبر محمد ديب فى طليعة الكتاب الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية، وأذيع مؤلفاته صيتاً ثلاثية البيت الكبير والحريق والنوال (أو الغزالة كما يسميها أصدقاؤنا فى المغرب العربى) وفى هذه القصص الثلاث يعرض محمد ديب للحياة الجزائرية كما عرفها وخبرها. ويصف بؤس الفقراء، وقد كانوا أكثرية السكان فى تلك البلاد، ويصف آلامهم وشقاءهم ومحمد ديب لا يترك صغيرة ولا كبيرة مما يجول بخاطر الفقير المحروم إلا ويسجلها، ويتغلغل فى نفوس هؤلاء الناس ويطل على أحاسيسهم فيصفها بواقعية صريحة، ومن كتبه: الصيف الإفريقى الذى تنبأ فيه بوقوع الثورة الجزائرية.

وعمد مولود فرعون إلى قصة عامر الفتى الجزائرى الذى تزوج فرنسية النشأة وإن كان أبوها جزائرياً (وأمها فرنسية) ثم حملها لتعيش فى بلده بين نساء قريته وهذه القصة إسمها «الأرض والدماء»؛ وله قصة أخرى هى «ابن الفقير» وقد قصد مولود فرعون دراسة اجتماعية لفئة من الشعب الجزائرى، وأراد من كتابته إيقاظ الوعى عند الذين يقرأون كتبه، أملاً فى أن يحس الناس بوجوب القيام بعمل حاسم.

وثمة كاتب رمزى وضع «الجثة المطوقة» و «نجمة» وهو كاتب ياسين، والجثة المطوقة بأوزار حملتها هى الجزائر أما نجمة ففيها رمزية شديدة.

و«التل المنسى» و«نوم الرجل العادل» من وضع مولود معمرى قصتان ترميان إلى تحليل الشخصية الجزائرية لتوضيحها إلى غير أبناء البلاد بشكل خاص: الأصول التى تقوم عليها، والعناصر التى تكونها، وارتباطها بالماضى الإسلامى العربى، وحتى ما قبل ذلك، وجذورها المتصلة بتربة البلاد واستقلال هذه الشخصية عن العناصر الطارئة عليها وامتناعها عن الاندماج بها، ولو أنها لا تمانع فى الافادة من تجديدات الآخرين وتجاربهم، ومولود معمرى يلمح إلى القلق الذى يشعر به الجزائرى. لكن القلق يظهر بشكل أوضح فى قصة «رصيف الزهور» التى وضعها مالك حداد. فأبطال هذه القصة - الجزائريين منهم - تتمزقهم نزعات مختلفة وتتقاسمهم أهواء متباينة، بسبب تعرضهم - جهلة ومتعلمين - إلى تيارات متناقضة فيها القديم المتشدد فى

المحافظة، وفيها الحديث المغرق فى التجدد. والشاب والشابة يحاران فى الاتجاه الذى يجب أن يلحقا به، وتأتى الثورة لتزيد قلقهم قلقاً واضطرابهم اضطراباً، ومالك حداد تعنو له اللغة فيعبر عن كل هذا بيسر وبساطة، ومالك شاعر له دواوين شعرية مطبوعة.

وقبيل قيام الثورة الجزائرية الكبرى نشر هنرى كريا مسرحية «الزلزال» وهى قصة مدينة من الأصنام كانت قائمة بحيث لا يشك أحد فى أنها ستظل كذلك، ولكن زلزالاً يثور بها فيدكها، ويرى الكثيرون أن هذه المدينة هى رمز للحكم الفرنسى فى الجزائر، وأن الزلزال الذى يدمرها هو ما كانت تعتمل به نفوس الجزائريين من حنق على أولئك الذين استبدوا بهم، فإذا كانت قصة الصيف الإفريقى (لمحمد ديب): تنبأ بوقوع الثورة، فإن الزلزال شعور بأن الثورة آتية، وإحساس بما سيترتب على مجيئها من أثر فى هدم هذا الكيان السياسى.

ولآسيا جبار قصة العالم الجديد وقد صورت فيها دخول المرأة عالم العمل الجدى إلى جانب الرجل.

٩ ـ والشعر الحديث فى الجزائر يمثل الثورة والإرادة الحرة، ومقاومة الاستعمار، يقول ابن باديس فى قصيدته «شعب الجزائر»:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال: حاد عن أصله أو قال: مات فقد كذب

وكتب لهذه القصيدة أن تنتشر فى طول البلاد وعرضها إذ وجد فيها الشعب التعبير الصادق عن تمسكه بعقيدته الدينية الإسلامية العربية، وفيها يقول:

من كان يبغى ودنا فله الكرامة والرحب
أو كان يبغى ذلنا فله المهانة والحرب
يا نشء انت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخذ الخطوب ولا تهب

وينهى الشاعر قصيدته بهذا البيت المفعم بالأحاسيس وبالروح الوطنية:

فـإذا هـلكت فـصيحتى   تحيـا الجـزائـر والعـرب

وكذلك ملأ محمد العيد آل خليفة الجزائر بآهات شعبه وأنات أمته العربية، ويعتبر شعره وثيقة تاريخية مهمة لكل باحث عن الحركات الوطنية الجزائرية.

فعندما رأى المماطلة فى السياسة الفرنسية وموقفها من قضية شعبه، نبه شعبه الحر إلى ما يحيط به من أخطار وخاطبه قائلاً:

فقم يـا ابـن البـلاد الـيـوم وانهض   بـلا كسـل فـقـد طـال الـرقـود
وقـل يـا ابـن الـبـلاد لـكـل لص   تجـلى الـصـبـح وانـتـبـه الـرقـود
فخض يـا ابن الجـزائـر فى المنـايـا   تـظللك الـبـنـود أو الـلحـود
بـاخـلاص وإقـدام وعـلم   يـسـود عـلى الـبرية مـن يـسـود

وفى سنة ١٩٣٧ أجرت فرنسا انتخابات فى الجزائر لإدخال المنتخبين إلى البرلمان الفرنسى وقد أطلق هؤلاء النواب على أنفسهم ـ جبهة الشعب ـ فيصرخ فى وجه هؤلاء المزيفين فيقول:

فـيـا جبهـة الشـعب أيـن الحقـوق   فـإن الـرعـاة لهـا يـرقـبـون
وقـولى لـبـاريس مـا فى الـشـمال   سـوى أمـة لم تـشـأ أن تهـون
ومـا فى الجـزائـر إلا نـوائـب   يجـرى بهـا الـدهـر كـالمنجنـون

ويدعو إلى الثورة ضد الاحتلال الفرنسى فيقول:

الشعب ضـج من المظالم فـانشـدوا   حـريـة تحـمـيـه واسـتـقـلالا
لا أمـن إلا فى ظـلال مـرفـرف   حـر لـنـا عـال يـنـير سـبـيـلا

ويستمر الشاعر فى ثورته فإذا بـه يلتفت إلى أذناب الاستعمار الذين قبضوا ثمن خيانتهم وترفعوا عن مواطنيهم ويخاطب أحدهم:

قف حيث شعبك مهما كـان مـوقفـه   أولاً فـإنـك عـضـو منـه مـنحسم

تقـول أضحى شتيت الـرأى منقسـما وأنت عنـه شـتيت الـرأى منقسـم
أعدى عدى القوم من يعزى لهم نـسبا ويـسمع القدح فيـهم وهـو يـبتـسـم

وهو من المؤمنين بقوة الشعب وبصلابة إرادته الخلاقة حيث يقول:

وإذا أراد الـشـعـب نـال مـراده ولـو أنـه كـالـنجـم عـز منـالا

وله شعر كثير كله يدعو إلى الثورة وإلى الوحدة العربية.

والشاعر محمد اللقانى كذلك يدعو إلى الثورة فيقول:

ألا فـدع الـتـغـزل فى غـوان فـتـلك طـريـقـة المستـهـترينـا
فـمن صـوت الـبـلاد لـنـا نـداء يـكـاد المـرء يـسـمـعـه أنـيـنـا

وهو يمهد للثورة عن طريق مكافحة الأمـراض الاجتماعيـة ومن ذلك قوله:

بنى الجـزائـر هـذا المـوت يكفينـا لقـد غلت جبـال الجهـل أيـدينـا
بنى الجـزائـر هـذا اللهـو أوقـعنـا فى سـوء مـهلكـة عـمت نـوادينـا
بنى الجـزائـر هيـا استيـقـظوا فلكم أذاقـنـا اللهـو والإهمـال تهـوينـا

أما شعر الشباب فأقل صناعة وتعملا من شعر الشيوخ أمثال محمد العيد آل خليفة ومفدى زكريا واللقانى والطيب العقبى، فكان هؤلاء متأثرين بصياغة الـرصافى والـزهاوى فى العـراق، وبروح حـافظ وشوقى فى مصر، وبعمق مطران والزركلى فى سوريا.

فالشعر عند شعراء الجيل تعبير صادق عن واقع حياة الناس اليـومية وانعكاس لما تحس بـه الأنفس من أحاسيس ومشـاعر؛ مؤدى بلغـة بسيطة يفهمها أكثر عدد ممكن من الناس، ومن ذلك قول صالح باويه:

دمـدم الـرعـد وهـزتنـا الـريـاح حـطمـوا الأغـلال وامضـوا للـسـلاح
حـطمـوهـا واهتفـوا مـلء الأثـير يـا فـرنسـا اشهـدى اليـوم الأخـير

أقسمت أمي بقيدي: بجراحي سوف لا تمسح من عيني دموعي
أقسمت أن تغسل الجرح وتغدو شعلة تضرم أحقاد الجموع
أقسمت أن تحمل المدفع مثلي أن ترش الدرب في السهل الخصيب

ويقول محمد الجديدي من ديوان «أغاني العبيد»:

إن كان هذا اليوم يوم لقائنا فغداً يكون لقاؤنا بالوادي
وغداً نعود مظفرين لبلدة وغدا أعانق تربتي وبلادي
وغداً نعود مع المواكب واللوا يهتز من فرط اللقا والحادي
والشعب يشدو هازجاً مترنما والأم والأبناء في إسعاد
وإليك مني يا بلاد تحية ملأ تحن إلى لقا الأنداد

ويقول صالح الخرفي من قصيدة «تحية الجزائر» والتي ألقاها في مؤتمر الأدباء العرب في الكويت سنة ١٩٥٩م:

من منبر الأوراس حتى المجمعا فالضاد والرشاش قد نطقا معا
فانظر هنا تجد البطولة منبرا وترى البطولة في الجزائر مدفعا
لم ترو غلتنا المنابر فارتقيـ ـنا للخطابة أطلساً متمنعا
تلك الذرى كم زمجرت برصاصها فأوت لنا منه الخطيب المصقعا
قمم موطأة المتون لثائر روى صنوبرها دما فتضرعا

ويقول عبد الكريم العقون:

بني وطني أعيدوا مجد قوم أقاموه على أقوى عماد
وأدوا ما عليكم من حقوق لشعبكم وأدرأوا كل عاد
وفكّوا قيده لا تتركوه يعاني كل ظلم واضطهاد[1]

ومن قصيدة «أنا» للشاعر الجزائري مفدي زكريا صاحب ديوان «اللهب المقدس» ونشيد الثورة الجزائرية «قسماً بالنازلات»:

أنا حطمت مزهري لا تسلني وسلوت ابتسامي: لا تلمني

(١) راجع مجلة الأقلام العراقية عدد يوليو ١٩٦٥ ـ من مقال للشاعر الجزائري محمد الجديدي بعنوان «الثورة في الشعر الجزائري».

غاض نبع النشيد، وانقطع الوحـ ـى، وضاع الغناء، وأغفى المغنى

ونبت بى من الفنون ظنونى يوم أن خاب فى بنى العم ظنى

أنا من ردد الخلود نشيدى وشدا الكون للبقاء بلحنى

أنا من ألهب الشعور بشعر أزلى كالعارض المرجحن

أنا من علم القنابل والرشاش فى الساح أن توقع وزنى

أنا من ألهم المجاهد روحا فانبرى للوغى يبيد ويفنى

أنا من خلد الجزائر فى الدنيا ومن لقن ابنها كيف يبنى

أنا من أسكر الوجود بأنغامى ومن هز عطفه بالتغنى

أنا من هدهد الشراع على نهر دماها بصادحاتى وفنى

أنا إن كنت شاعر الثورة الكبرى فإنى (لخلفها) لا أغنى

وإذا بالمصير هنأ قوم فبشق الصفوف لست أهنى

كنت (للوحدة) النداء المدوى كيف للخلف أرهف اليوم أذنى

مذ تراءى الشقاق حطمت كاسا تى على مبسمى وأحرقت دنى

مذ رأيت السفين يجرفها اليم لسوء المصير اغرقت سفنى

مذ رأيت الغصون ينعى بها البوم تجافيتها وودعت غصنى

وتقززت من زهور رباها قرفا ـ بعد أن أصبت بنتن

ورأيت الرؤوس طافت بها حمى الكراسى ونالها مس جن

فتخيرت فى الرقى (سورة الإخلاص) منذ بات غيرها ليس يغنى

أبهذا المصير يا شعب ترضى؟ أيها الشعب.. أنت.. إياك أعنى؟

أنت من هد للطواغيت ركنا أفيرضى بنوك تقويض ركن

أدماء بالأمس غسلن عارا تسفك اليوم طوع خزى ولعن

وطنى أنت جنة أفترضى أن يسود النفاق جنات عدن؟

فاعصف اليوم بالألى فى المبادى قلبوا كالزمان ظهر المجن

وارع عهد الشهيد إن دماه جرفت فى طريقها كل ضغن

ودع الدوح للبلابل تشدو وابعث الشعر بالخلاص يهنى

فرحتى (وحدتى) وشعرى طيرى بسوى عيد (وحدتى).. لا أغنى

ولما أبعد الأمير خالد بن الأمير عبد القادر الجزائرى، إلى الإسكندرية تقمصه الشاعر الجزائرى محمد السعيد الزاهرى فقال على لسانه:

قضيت حياتى مدلجاً ومؤوباً ... ولكن كأنى رمت عنقاء مغربا
بلوت مراس الحادثات فلم أجد ... خبيراً بعقبى الدهر إلا مجربا
إذا جر صرف الحادثات إلى العلا ... فأهلا بصرف الحادثات ومرحبا
تركت ورائى بالجزائر، من إذا ... تذكرتهم زاد الفؤاد تلهبا
وما همنى خطب سوى أننى أرى ... هلال بلادى للأفول مصوبا
ألا فى ذمام الله يا خير مرشد ... إلى حيث خيم للفخار وطنبا
لئن كنت فى أفق الجزائر كوكبا ... فقد لحت فى الإسكندرية كوكبا
أما كان قرن الشمس عند شروقها ... شبيها بقرن الشمس تقصد مغربا
فدنياك ذا جأش قوى ثباته ... إذا ما خطوت الدهر تنشب مخلبا
إلى الآن لم تلق السلاح، ولم تكن ... لتلقى أيا مقدام من بعد ذى الظبى
فأنت أخو العلياء والبطل الذى ... إذا جد جد، زاد منه تقربا

ولأبى يقظان قصيدة ودع بها إبراهيم طفيش عندما حكم عليه بالنفى إلى مصر عام ١٩٢٣ وعنوان القصيدة: (تهنئة بنفى) منها:

راموا الإساءة جفوة وسفالة ... لكنهم قد أحسنوا إحسانا
ونفوه من رق إلى حرية ... ومن الممات إلى الحياة عيانا
قد أوصدوا أبواب تونس عنه بل ... فتحوا له أبواب مصر مجانا
قد أبعدوك فقربوك إلى الرجا ... ل فنلت عطفا بينهم وحنانا
قد صغروك فعظموك وأنزلوا ... ك منازل العظما فقم شكرانا
خفضوك جهلا منهم لكنهم ... رفعوا علاك لترفع الأوطانا

ويقول أبو اليقظان من قصيدة له[1]:

---

(١) من رواد الصحافة العربية فى الجزائر، ومن كتابها وشعرائها، قيلت هذه القصيدة بمناسبة خروج الشيخ صالح بن يحيى والشيخ محمد الرباحى من السجن سنة ١٩٣٩.

إن الحياة خطيبة فتانة ... وصداقها فى النفس والأهوال
كأس العذاب لأجلها مستعذب ... والموت عيش فيه كل كمال
والحزن أنس، والبكا ضحك لها ... والعسر يسر فيه كل نوال
والأسر دون نوالها حرية ... والقيد إطلاق من الأغلال
ما قام للأحرار مجد باذخ ... إلا وكان[1] من الأساس العالى
فيه غدا فى مصر يوسف جالسا ... فوق السرير متوجا بجلال
لولاه، ما نبتت (هوجو) غرسة ... كلا ولا نجحت بذور جمال[2]
فالسجن إن كانت مغبته العلا ... نعم المهاد، مهاد جل رجال
السجن مجمرة تفوح بفضلها ... قيم الرجال، رخيصها والغالى
لولا السوار لما بدا شوق، ولا ... كانت لدينا لفتة لهلال

ويقول الشاعر الجزائرى رمضان حمود[3]:

سمعت بأن السجن أضيق من قبر ... فألفيت قعر السجن أحسن من قصر
فماذا يفيد القصر والقلب حائر ... وماذا يضر السجن من كان ذا قدر
ومن لم يذق طعم الردى بنضاله ... سيشكو الأذى والدمع من عينيه يجرى

١٠ ـ وإذا كان العالم العربى قد شهد خلال القرن العشرين أحداثاً كبرى، أثرت فى حياته وتفكيره، وفى سير الأدب العربى وتطوره، تأثيراً كبيراً. فإن الحربين العالميتين الكبريين كان لهما صدى مدو، وأثر عميق، فى الثقافة والفكر والأدب، وقيام الحركات الوطنية فى شتى أنحاء الوطن الإسلامى ترك انطباعات كبيرة فى أذهان الأدباء والشعراء وحملة الثقافة العربية فى كل مكان، وقيام المدارس والمعاهد والجامعات، وكثرة

---

(١) الضمير يرجع إلى الأسر.
(٢) الشاعر توهم دخول هوجو السجن، وهو غير صحيح، وكذلك السيد جمال الدين الأفغانى لم يدخل السجن.
(٣) شاعر جزائرى معاصر توفى فى شرخ الشباب سنة ١٩٢٩ أنظر ترجمته فى «شعراء الجزائر فى العصر الحاضر» تأليف الهادى السنوسى ـ الجزء الأول.

الرحلات، وتبادل الثقافات والآراء فى شتى جوانب المعرفة والفن، واحتلال الصحافة والإذاعة والفيلم والكتاب مكانتها الضخمة فى التوجيه والتثقيف، كل ذلك أثر فى تطور الأدب، فى أفكاره وموضوعاته، وخيالاته وأسلوبه ومذاهبه، فى مختلف البلاد العربية، على تفاوت فى درجة هذا التطور، وفى مدى تأثر الأدب بهذه العوامل والأسباب.

وقد انتقل الأدب فى مصر من المرحلة الاتباعية، التى كان يمثلها شعر البارودى ونثر المنفلوطى، إلى المرحلة التجديدية التى يصورها فى الشعر صبرى وشوقى، وحافظ وشكرى ومطران وأبو شادى، والمازنى والعقاد وناجى وعلى محمود طه؛ ويمثلها فى النثر طه حسين وتوفيق الحكيم ومصطفى صادق الرافعى وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات ومحمود تيمور.

وتأثرت الشعوب والأدباء العرب بهذه التطورات السريعة فى الفكر المصرى والأدب المصرى، فحذا الأدباء فى كل مكان حذو أدباء مصر، فى الثقافة والآداب والفنون، فالتيجانى يوسف بشير تأثر بمدرسة شعراء أبولو تأثراً واضحاً، والشابى استمد أصوله الفكرية والفنية من مدرستى أبولو والمهجر، ومحمد العلوى والصقلى من شعراء المغرب العربى ينزعان فى شعرهما منزع على محمود طه فى شعره الرومانسى، وينحو عبد الله ابراهيم منحى الدكتور طه حسين فى تفكيره وأدبه، والكثير من أدباء المغرب العربى يتأثرون أدب طه حسين أو هيكل أو المازنى أو أبى شادى أو العقاد أو الزيات، والأدب فى المغرب - كما يقول الأديب المراكشى الاستاذ زياد - مدين ومتأثر الى حد كبير بتوجيهات الأدب العربى فى مصر، ورواد الفكر المصرى المعاصر، ودعاة النهضة الثقافية الحاضرة، ومن عناصر هذه النهضة يستمد أدباء المغرب أصول نشاطهم الأدبى.

ومع أننا نرى تأثرات مهجرية فى شعر بعض الشعراء المراكشيين مثل: عبد الله الحسين الشرقاوى وعبد الكريم التوائى، فإننا بجانب ذلك نلحظ أثر مصر الثقافى والأدبى واضحاً فى الانتاج الفكرى والأدبى فى المملكة المغربية.

وإذا كنا نعد من رواد القصة فى مصر توفيق الحكيم، ومحمود تيمور، وعبد الرحمن الشرقاوى وثروت أباظة، ففى المغرب نستطيع أن نعد من نظرائهم: عبد الله إبراهيم وعبد الرحمن الفاسى صاحب قصتى «الكاهنة» و«عمى بوشتاق» والذى ينحو منحى الأديب اللبنانى كرم ملحم كرم فى القصة والبحث الأدبى، وعبد الخالق الطريس صاحب قصة «فاطمة» وعبد المجيد بن جلوان صاحب قصة «فى الطفولة» وسواهم:

وفى البحث الأدبى نرى طه حسين وأبا شادى وأحمد أمين ومندور ومصطفى السحرتى وسواهم فى مصر، ونرى عبد الرحمن الفاسى وأبا القاسم الزيانى، وعبد الكريم بن زيدان، وهو مؤلف «تاريخ الدولة العلوية فى المغرب» وعباس بن إبراهيم صاحب تاريخ أغمات الذى يشابه كتاب «معجم الأدباء» لياقوت الحموى، وعلال الفاسى صاحب كتاب «النقد الذاتى» و«الحركة الاستقلالية فى المغرب».

وفى فن المقالة الذى تزعمه فى مصر المازنى وزكى مبارك وأحمد أمين والزيات والرافعى، وسواهم، نرى بجوارهم فى المغرب أمثال: عبد الرحيم غلاب رئيس تحرير مجلة «رسالة المغرب» وسواه.

وشعراء المدرسة الرومانسية فى مصر مثل أبى شادى وحسن كامل الصيرفى، وإبراهيم ناجى وعلى محمود طه، يتقبل خطاهم فى المغرب: عبد القادر حسن صاحب ديوان «أحلام الفجر» ومحمد بن إبراهيم، ومحمد مكوار، ومحمد الحلوى، وعبد السلام العلوى الذى فتن بشعر أبى شادى إلى حد كبير، بينما نجد فى المغرب كذلك متابعين لخطى المدرسة المصرية الكلاسيكية الحديثة الممثلة فى شعر: الجارم، والأسمر، والجندى، وعزيز أباظة، وذلك من أمثال: الحاج محمود الناصرى، وعلال الفاسى، وأبى جندار، وسواهم.

ولا ريب أن عزلة المغرب العربى قد باعدت بينه وبين تقبل الاستعمار الفكرى والثقافة الغربية فى الأدب، وساعد على ذلك تأثير جامعة القرويين فى

فاس، وكلية ابن يوسف فى مراكش، وثانويتى فاس والرباط، ثم جامعة الرباط.

ويرجع تاريخ النهضة الأدبية الجديدة فى المغرب إلى عام ١٩٢٧، وهو العام الذى تولى فى أواخره جلالة الملك محمد الخامس العرش العلوى فى المملكة المغربية وتولى قيادة النهضة الوطنية والاجتماعية والثقافية فى بلاده، والجامعة الجديدة التى أمر جلالته بإنشائها، ورعاها من بعده جلالة الملك الحسن ستكون بلا شك حلقة اتصال بين الماضى والحاضر، وستعمل على الاقتباس من تاريخ مراكش وحضارتها العقلية لدعم أصول النهضة الثقافية الجديدة ومقوماتها.

وإذا كان أدباء المغرب العربى اليوم يتابعون التطور السريع الذى تسير فيه الآداب العربية، ويرون آثار المدارس الأدبية المختلفة، الكلاسيكية والرومانسية والواقعية، وينصتون إلى الآراء الجديدة فى النقد والأدب والشعر والقصة والتمثيلية والمقالة والدراما، فإن من الضرورى دعم هذه اليقظة الأدبية الملحوظة عن طريق تبادل الزيارات والرحلات، وتشجيع الثقافات الجامعية، وإنشاء المطابع، والعناية بنشر المخطوطات، وتفهم تراثنا الأدبى بجانب الآداب الحديثة كافة.

والكتاب والصحيفة اليوم هما المدرسة التى يتثقف فيها الشعب بمختلف طبقاته، وجدير بالكتاب العربى الذى ينشر فى القاهرة، وسواها من العواصم العربية، أن يشق طريقه إلى المغرب العربى ليعمل على رفع المستوى الثقافى والوعى الفكرى.

والبعد المكانى بين الرباط والقاهرة بلد الأزهر والجامعات ضئيل، بجانب تقاربهما الروحى والفكرى واللغوى، والروابط القومية بين الأمتين تستمد من الدين والتاريخ والدم قوتها.

إن ازدهار الأدب ونهضته فى بعض أنحاء العالم العربى يجب أن يعم أثره فى كل إقليم عربى، وخاصة فى المغرب، لتستكمل الملكات نموها،

والمواهب قوتهـا، وليصبح لـلأدب رسالـة، ولينتقل الأدب من الـذاتية إلى القومية والإنسانية، وليستعيد الأدب صلته بحاضره وبمشاعر أمته.

ويقـرر الأستاذ عبـدالله كنون فى كتـابه «أحـاديث عن الأدب المغربى الحديث» أن المغرب العربى لم يشهد تحولاً فكرياً فى منتصف القرن التاسع عشر أو حتى فى مطلع العشرين، على نحو ما تم للمشرق العربى. ذلك بأن المغرب ضربت عليه عزلة أقصته عن التيارات المثيرة للفكر، سواء فى ذلك تيارات الغرب الأوروبى أم تيارات الشرق العربى. ومن ثم فقد جاء فجر النهضة فى المغرب متأخراً عنه فى الشرق نصف قرن أو يزيد.

إلا إن العقد الثانى من القرن الحالى، شهد فجراً للنهضة يلقى ضياءه على المغرب وقد عمل عـلى ذلك أسبـاب منها الاهتـمام بالتعليم الحـديث، والدعوة السلفية الإصلاحية على يد أبى شعيب الدكالى، وهبوب رياح الدعوة الإسلامية الإصلاحية من الشرق والحماية الفـرنسية التى أثـارت فى النفوس نخوة كان لا بد من التعبير عنها ولما جاء فجر النهضة فى المغرب كان الانتقال الذى تلاه سريعاً. فوسائل النقل والمواصلات التى تحسنت كثيراً فى الأربعين أو الخمسين سنة الماضية، ساعدت على النقلة السريعة حتى لا نقول الطفرة. وأخذ التعبير عن خوالج النفس يتنوع عما كان عليه من قبل، فأصبح يعتمد المقالة والشعر والقصة والتمثيلية. وتنوعت محتوياته عما كانت عليه من قبل، وسهلت لغته، وإن لم تهن، على القارئ إذا تعمد الكاتب تيسيرها.

ويظل الشعر ديوان العرب الأفضل، وتظل عنـايتهم به تحتـل المكان الأول فى أساليب تعبيرهم والأستاذ كنون يؤكد هذا، ولذلك فهو حريص على أن يوضح تطور الشعر غرضاً ولغة وأسلوباً ـ فهو يقول فى ذلك: «وقامت النهضة الحديثة فهزت الشعر هزاً تناول بنيانه من القاعدة، فكان الشعر الحر والشعر المنثور، فضلاً عن اندفاع الشعراء فى نظم قصائدهم على أكثر من بحر وبمختلف القوافى هذا فى القالب، وفى المحتوى ظهرت فنون من القول وصور من البيان، لم يكن للشعر العربى بها عهد كالشعر القصصى والتمثيلى، وامتد النفس فى وصف الطبيعة والتعبير عن أدق المشاعر الإنسانية والعواطف

القلبية، واختفت الموضوعات الشعرية القديمة أو كادت، وما بقى منها لاقتضاء المناسبات الاجتماعية بقاءه، صار وسيلة لبث الأفكار الإصلاحية وبعث الروح الوطنية».

وقد مرت[1] على الأدب المغربي حقبة من تاريخه، كان فيها من أقوى الآداب العربية، إذ كان الوارث الشرعى للآداب الأندلسية الرفيعة؟

واليوم نريد لهذا الأدب أن يتصل حاضره بماضيه، وأن يواصل أداء رسالته الإنسانية، حياً نابضاً واسع الخطوات، حتى يواكب المغرب الحديث، ويسايره فى تطوره، وجل المثقفين فى المغرب يتوقون إلى حياة أدبية أفضل.

ومن الوسائل الكفيلة ببعث الأدب المغربي:

١ ـ إحياء الأدب المغربي القديم بصفة خاصة، والاتصال بالأدب العربي القديم بصفة عامة، فإذا كان الاطلاع على التاريخ السياسى القومى يذكي الروح الوطنية، ويدعم المشاعر القومية، فإن الاطلاع على تاريخ الأدب القومى ينبه الأمة إلى شخصيتها الأدبية، ويلهب فى أفرادها الشعور بالمجد الأدبي القديم، ومن ثم يشعرون بمسؤوليتهم الخاصة، إذ يجدون أنفسهم أمناء على هذه الوديعة الغالية: ثمار قرائح الأجداد التى اسلموها إلينا، لتكون غذاء لعقولنا، ومتعة لنفوسنا، وأساساً نبنى عليه بناء رفيعاً فى الأدب والثقافة.

٢ ـ فتح نافذة أخرى على الآداب الأجنبية، سواء بطريق مباشر أو عن طريق الترجمة، جيث نجد أنفسنا أمام طرق فى التفكير ليست كطرقنا، وأنماط فى الذوق ليست كأنماطنا، وأصناف فى الشعور ليست كأصنافنا، وألوان فى الأداء الفني ليست كألواننا، فنطعم بكل ذلك أدبنا ونلقحه ونغذيه، فإذا المدارك تتسع، والآفاق ترحب وتمتد، وإذا العناصر الإنسانية تجد سبيلها إلى أدبنا من طريق واسع.

---

(١) من مقال لعبد العلى الوزانى (فاس) ـ نشر فى مجلة دعوة الحق المغربية بعنوان «دراسات حول الأدب المغربى الحديث».

٣ ـ تقوية البرامج الأدبية فى المدارس الثانوية وفى كلية الآداب، وفى سائر المعاهد التى تخرج الطليعة من أبناء هذا الجيل، فالمدرسة والمعهد والكلية هى العصب الحى فى جسم الأمة، وهى التى تخرج الأدباء وتكونهم، وتتيح الفرصة للمثقف أن يكون أديباً، بما تهدف إليه من تعليم طرق التفكير، وتربية الذوق الفنى، وإعطاء القدرة على النقد والمقارنة والموازنة والبحث والاستنباط، وكلها أسلحة لا غنى للأديب عنها.

٤ ـ ترك الكسل العقلى، والإقبال على القراءة التى لا تقل ضرورة عن الخبز اليومى، وعن الهواء والشمس والنار، القراءة التى تهز الأعماق هزاً، وتعيد خلق الإنسان من جديد، وتنقله من أرضيته إلى آفاق رحيبة، القراءة التى تصنع الرجال، وتؤثر فى الأحداث، وتغير التاريخ، وتعرف الإنسان بنفسه وبالمعالم المحيط به، وبالدور الذى خلق ليلعبه على مسرح هذه الحياة.

١١ ـ ومن الشعر المغربى قول عبد السلام العلوى:

وجهك الوضاح للقلب	نعيم وهناء
تركن الروح إليه	فتناجيها السماء
ويغيم الفكر حيناً	فإذا هو ذكاء
فهو فى الأفراح فيض	وهو فى الحزن عزاء
كلما أظلم أفقى	شع لى منه ضياء
لحظك الساجى لأعصا	بى هدوء وسكون
أنهل الراحة منه	إن أمضتنى الشجون
وأرى فيه رشادى	إن رمت بى الظنون
فإذا غاض شعورى	كان لى منه معين
وإذا ما حار لى	جاءنى منه اليقين

ولعبد الكريم سكيرج حول تعليم الفتاة:

ما للفتاة تغيرت أحوالها	وتضاعفت مع وضعها أهوالها
فكأنها شعرت بهضم حقوقها	لما تصدر فى العلا أمثالها

فبكت وقالت ليس لى من غيرة إن لم أفق من كان دونى حالها
ما لابنة الغرب التفوق وهى من جنسى ولكن أصلحت أحوالها
لو يعتنى قومى بتربيتى ارتقت رتبى وأخلاقى يتم كمالها
أو بالجهالة ظن قومى عفتى والناس أقرب للخنا جهالها
إن التى لم تحتفل بتأدب ولو أنها صينت تسوء فعالها
وإذا المعارف هذبت أخلاقها أعطى لها ما تستحق رجالها

وللشاعر إدريس الجاى من قصيدته «صلاة من وحى الهجرة»:

نبى الله، نور العالمينا قبسنا من ضيائك، إذ عمينا
متى زلت بنا قدم، وتهنا، ترقبنا يمينك والجبينا
لأنك، يا رسول الله هدى وكفك تمسك المتعثرينا
لأنك، يا حبيب الله، تحنو وترأف بالعباد المذنبينا
وما ذكر اسمك المحبوب إلا وصلينا عليك مسلمينا
ونحن، المؤمنين، وإن ضللنا نرى فى نورك الحق اليقينا
قرون كم مضت تتلو قرونا وأجيال مضت فى الغابرينا
ونذكر، كل عام هجرة الفا(م) دى نصره النصر المبينا
وأشرق نور أحمد حين وافى(م) المدينة داخلاً كالظافرينا
فما نقرت بيثرب أو تغنت دفوف، أو حناجر قبل حينا
لغير محمد بنشيد حب وإجلال، لهادى العالمينا
جنود الله لم ترها عداه وكيف، ونوره يعشى العيونا؟
نبى الله، ما هاجرت تبغى نجاتك، بل نجاة المسلمينا
وسيف الله لم يقطع رؤوسا سوى من ركبت فى الغاشمينا
وتلك، وأيم ربى، كان أولى لها ألا تطول هنا سنينا
نبى الله، نورك ما توارى وما كنا بغيرك مهتدينا
وحبل الله حبلك ما قطعنا ولا زلنا به متمسكينا
وما زلنا الشفاعة منك نرجو وكنا للنفوس الظالمينا
أأكرم من أهين فقال: يا رب: (م) غفرانا لقوم جاهلينا

وأحلم قادر، لم يسط يوما على من كان بالبطش القمينا
وأعلم من إليه الله أوحى وما درس العلوم ولا الغنونا
وأكمل خلق رب الكون خلقا وأصدقهم إذا حلفوا يمينا
وأجملهم إذا غضبوا لحق وأجملهم إذا حنوا حنينا

وللشاعر ابن دفعة محمد من قصيدة له بعنوان «هذا أنا»:

لمن العبير يضوع من ثغر الزهر؟

لمن الشعاع يرف فى وجه القمر؟
لمن الشدى الولهان، والصف، انتشر؟
وأنا وحيد هائم.. دامى الوتر
وبزورقى المنكوب تهت عن البحر
وغرست فى الرمل مركبى حتى غبر
شجن حياتى.. تموج بالغم والكدر
أمسى.. شيخ واجم يروى الذكر
وغدى.. ظنون لن يكون لها أثر
واليوم.. زنجى للاشىء ينتحر

وللشاعر إدريس الجاى، من «الرباط» فى عيد العرش الملكى[1]:

طرب الكون، وهل من عجب؟ يوم عيد العرش عيد الطرب
يا عذارى الأرز فى أعلى الذرى ونخيلاً باسقاً فى السبسب
وطيور الروض فى أفنانها رتلت كل نشيد أعذب
ورياحين الربى، هدهدها طائف الانسام بين العشب
وفراشا هام مفتونا بها وصدى الشلال حلو الصخب
طاولى، تيهى، ارقصى، ميسى، اعزفى امرحى، هيمى، وطيرى وثبى
عمت الفرحة شعبا مخلصا لمليك عبقرى أنجب

(١) مجلة دعوة الحق - فبراير سنة ١٩٦٤م.

اسمه الوضاء طغراء لنا	خطها المجد بماء الذهب
وكما تسطع شمس فى الضحى	أشرقت منه سماء المغرب
يا شريفاً عطره من يثرب	نور الآفاق يا نور النبى
يا الذى، إن سار، حفت ركبه	هالة الله، وأبهى موكب
حمل الأقباس فى دارتها	صيد ما زيغ، وشم يعربى
زين العرش سناه مثلما	زينت أعلامنا بالكوكب
(حسن)، نعم المسمى، حسب	طاهر مثل عريق النسب
اجتباه الله والشعب هنا	عز منا المجتبى والمجتبى
حيثما تسأل فى الشرق وفى (م)	الغرب، لا تسمع إلا: أحبب
طيب الارض شذا سمعته	وعرفناه بفصل أطيب
خير من يفخر إن قال: أنا!	خير من قال: نعم: كان أبى!

وللشاعر محمد الخمار، من «فاس» من قصيدة بعنوان «إلى راهبة»:

إن من شعرك الحزين سواد المعبد الجاثى قبلة البريه
إن من عينيك انبعاث حياة وسنى فى شموعه القدسيه
إن فى ثغرك الجميل تراتيل صلاة قديمة أبديه
أنت.. يا مبعثا جديداً تسامى فى جلال «لمريم المجدليه»
سبحة تلك فى يديك تهادت أم قلوب سلبتها العاشقينا؟
وصليبا أم حلية ترصيعها، ومسرحا أم فتنة تكتسينا
لا تظنيها تحجب الحسن عنا، قد تزيد البساطة الحسن حينا
خالد الحسن ما البساطة تعليه جمالاً وروعة وفتونا
أى فجر بعثته رائع الأفق بنفسى، وأى لحن جديد؟
أى شط فتحته لشراعى بعد طول التجديف والتشريد
أى حلم خلقته أخضر الدرب لقلبى، وأى وهم وليد
هى دنيا جعلتها ملء كفيّ وإلهام وانبعاث وجود
اتركينى فيها بلا ذكر اثم ينمحى لو نسيت لا تبتيلا
أتكون السماء أصغر منه وثرى هذى الأرض عرضاً وطولا؟

إن عــرفت الله الشــديـد عـقـابـا فـاعـرفيـه مسـامحـا وجميـلا
فـالـذى شرعـه ودينـه عفـو، لا يـرى فى الـوجـود إثـماً ثـقيـلا

وللشاعـر محمد غـربى، من «الـربـاط» من قصيدة بعنوان «جمال الأطلس»:

يـالابسـا ثـوب النجـ	ـوم لأنت منهـا كـوكـب
بـل أنت فـوق تـرابنـا	أبهى النجـوم وأثـقب
لم تـرض منزلـة السماء	لأن أرضـك أطـيـب
فـتركت فـوقـك سحبهـا	تبكـى عليـك وتنـدب
ونـزلـت من عـليـائهـا	وبـك الجبـال تـرحب
فـإذا بكتـك سحـابـة	وغـدت تنـوح وتسكب
فـلأن حبـك قـاهـر	وفـراق مثلك يصعب
لـو لم تكن فى البحـر أمـ	ـواج تجـىء وتـذهـب
لحسبـت ثلجـك مثله	ولـو أنـه لا يصخـب
لـو كنت فى اليمن القـد	يـم لما تهـدم مـأرب
ولـكـنـت تمـنـع سيـله	أبـداً، فـلا يـتسرب
منـك استمـد ثبـاتـه	وإرادة لا تـغـلب
وعـزيمـة مـثـل الحـد	يـد، شبـابنـا المتوثب
وطنى الحبيب أحبـه	حبـاً يـزيـد ويـدأب
مـاذا تـريـد العـين بعـ	ـد جمـالـه أو تـطلب؟
فيـه العيـون تـرقـرقت	ثـراء ليست تنضب
فـيـه الـروابى تكـتسى	حلل الـربيـع وتعجـب
فـيـه الـطيـور تـغـرد	اللحن الجميـل وتطرب
فيـه السماء تشـع بـالـلـ	ـون العـجيـب وتخلب
فـيـه الأراضى تـنـتـج	الخـير الكثـير وتخصب
فــيـه الـكـرامـة أمـة	تـلد الـرجـال وتنجب
تلد الشباب الباسل الشهـ	ـم الـذى لا يـرهـب!

طـوبى لكم يـا زائـرين ... فـإن هـذا المـغـرب
مـا هـذه أرض ولـكـن ... جـنـة أو أرحـب

١٢ ـ والصلات الفكرية والأدبية بـين طرابلس والقـيروان معروفـة ووطيدة وخاصة فى عهدى الأغالبة والصنهاجيين، وكذلك الصلات بين القيروان ووهـران وتاهـرت وتلمسـان مشهـورة؛ وبـين فـاس والقـيروان رحم موصولة، والأولى بلد إدريس بن عبد الله الكامل الحسنى، والثانية بلد عقبة بن نافع.

وفى أواسط القرن الثالث وفـدت من القيروان أم البنـين وفاطمـة الفهرية فأسسـت بها جامع القرويين سنة ٢٤٥، فكان الصنو الغربى لجامع عقبة بن نافع ولبيت الحكمة الاغلبى، كما أسست أختها مريم الجامع العتيق الآخر لعدوة الأندلسيين فى هذه المدينة المباركة[١].

ولئن[٢] ظفرت مدينة فاس بما ظفرت به من عمران واسـع وازدهار شامل فإن من عوامل ذلك ما نالته وهى في ميعة الصبا من شقيقتها القيروان، إذ لم يمض على تأسيس مدينة فاس إلا زمن قليل حتى وفد عليها عدد كبير من أهل القيروان أكرم المولى إدريس وفادتهم وأسكنهم بالجانب الغربى فعمروا هذا الجانب واختصوا به حتى أطلق عليه المؤرخون إشارة إلى ساكنيه إسم عدوة القيروان الوافدين على عدوة القرويين تمييزاً لها عن عدوة الأندلسيين فبرزت من أهل المدينة سيدة فاضلة هى فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرى المعروفة بأم البنين وبنت من مالها الخاص مسجد القرويين الذي ما لبث أن أصبح حوضاً من حياض المعرفة وموردأ من موارد العلم طبقت شهرته الآفاق وسارت بذكره الركبان وأصبحت بفضله مدينة فاس مركزاً ثقافياً وحضرياً فى العالم، فأمه الناس من مختلف الأقطار والأمصار، ولم تنقطع الصلات بـين مدينة فاس بعد انتشار عمرانها وبين مدينة القيروان بل بقى الارتباط بينهما

---

(١) من خطبة للرئيس التونسى بورقيبة فى فاس بحضور الملك الحسن الثانى فى ١٩٦٥/١٠/٢٦م.
(٢) راجع مجلة دعوة الحق (رجب ١٣٨٥ ـ نوفمبر ١٩٦٥) من خطبة للملك الحسن الثانى ملك المغرب ألقاها فى ١٩٦٥/١٠/٢٦م.

وثيقاً على مر العصور فى سائر الميادين ولا سيما ميدان العلم والثقافة، هذا علاوة على ما كان بين القطرين الشقيقين التونسى والمغربى بصفة عامة من تبادل وصلات.

وكان لعلماء القرويين جولات موفقة وصولات ظاهرة، وهل يذكر الفقه دون أن يذكر أبو عمران الفاسى والدارس ابن اسماعيل وأبو الحسن الصغير؟ أوهل يذكر النحو دون أن يذكر ابن آجروم الذى صارت المقدمة المنسوبة إليه عنواناً للنحو وعلماً له؟ وهل يذكر الشعر التاريخ دون أن يذكر ابن أبى زرع والجزائى والفشتالى؟ أوهل يذكر الشعر والأدب دون أن يذكر الجراوى وابن حبوس وابن الخطيب والمقرى.

وقد ربطت بين فاس وبين القيروان أواصر التعاون العلمى زمناً طويلاً.

١٣ - وفى عام ١٩٦٠ أنشىء إتحاد كتاب المغرب للعمل من أجل تكتيل جهود العاملين فى الحقل الفكرى والأدبى؛ وكان الأدباء المغاربة قد اجتمعوا فى يونيو عام ١٩٦٠ فى كلية الآداب بالرباط وأسفر الاجتماع عن تكوين هذا الاتحاد ويضم أدباء ومفكرين من ليبيا وتونس والجزائر، ومراكش بهدف جمع شمل الأدباء والمفكرين المغاربة وتقوية الصلات بينهم حتى يتغلبوا على مشكلات النشر، وإتاحة الفرصة للمواهب الصاعدة لتشق طريقها فى أمل واطمئنان، وبلورة الاتجاه الفكرى والأدبى فى بلدان المغرب العربى للإنطلاق بالمقومات الفكرية القومية وربطها بالتيارات الفكرية والأدبية العالمية.

وقد احتفل المغرب الشقيق بمناسبة مرور أحد عشر قرناً على تأسيس جامعة القرويين بمدينة (فاس) منذ أعوام.

وقد توجه فضيلة شيخ الجامعة الإسلامية فى ليبيا إلى المغرب ليشترك باسم جامعة السيد محمد بن على السنوسى الإسلامية، فى إحياء هذه الذكرى، وألقى فضيلته فى الاحتفال بحثاً قيماً عن جامعة القرويين «والدور

الذى قامت - وتقوم به - منذ تأسيسها».

وتحدث عن الفتن التى منى بها الإسلام، واضطرت «آل البيت» إلى التوزع فى أنحاء العالم الإسلامى، يطلبون النجاة، وينشدون الأنصار، ويدعون للإسلام، وقد استطاع فريق من هؤلاء المهاجرين أن يقيموا بالمغرب دولة إسلامية هى دولة الأدارسة (١٧٢ - ٣٧٥ هـ) ذات الحضارة الزاهرة، ومن أياديها البيض تأسيس جامع القرويين ٢٤٥ - ٨٥٩م. وظلت هذه الجامعة قروناً متعاقبة «موئل الطلاب، وكعبة العلماء ومجمع الفقهاء» وتوالت عليها البعثات من البلدان العربية والإسلامية، وتخرج على علمائها كثير من الأفذاذ، الذين خدموا الثقافة الإسلامية والشعوب المسلمة. كما وفدت إليها البعثات من البلدان الأوربية «فقبسوا من تعاليمها» مما كان له النصيب الأوفر فى نهضة أوربا وحضارتها القائمة؛ وتعثرت الجامعة بعض الفترات خلال تاريخها الطويل بفعل الظروف القاسية ولكنها غالبت المحن وظلت تواصل مهمتها لتحقيق القيم الممثلة فى التراث العربى الإسلامى، وتلقى من المسئولين الاهتمام والرعاية والتأييد.

الفصـل الثـاني

النزعات الأدبية الحديثة فى مصر

١ ـ الأدب المصرى الحديث الذى يبتدىء بقيام الثورة العرابية عام ١٨٨٢م، والذى بشر به محمد عبده وحمل راية الشعر فيه البارودى مجدداً وملقحاً له بالشعر العباسي وبلاغته، والذى لم يكن يعرف الأدباء والدارسون منهجاً فى دراسته غير المنهج القديم الـذى سار عليـه الشيخ سيـد بن على المرصفى، حتى نقل حسن توفيق العدل بعـد عودتـه من ألمانيـا منهج المستشرقين فى دراسات تاريخ الأدب ونقده.. هذا الأدب قد تعددت بيئاته ومدارسه فى مصر منذ مطلع القرن العشرين.

فمن بيئة الأزهر خرج: المنفلوطى، وحمزة فتح الله، والغاياتى، وعبد الرحمن البرقوقى، وطه حسين، وعبد العزيز البشرى، ومصطفى عبد الرازق، وعلى عبد الرازق، وزكى مبارك، والأسمر.

ومن بيئة مدرسة القضاء الشرعى: خرج عبد الوهاب النجار، وأحمد أمين، وأمين الخولى.

ومن بيئة دار العلوم: خرج عبد العزيز جاويش، والشيخ الخضرى، والجارم.

ومن مدرسة المعلمين العليا: خـرج عبد الـرحمن الشكرى وإبراهيم المازنى والدكتور أحمد زكى، ومحمد فريد أبو حديد.

ثم قامت الجامعة وخرج من صفوفها: الدكتور هيكل ومنصور فهمى وأحمد ضيف، وعبد الحميد بدوى، ثم توفيق الحكيم، والدكتور محمد مندور، ومصطفى السحرتى، وإسماعيل أدهم، ومحمد لطفى جمعة، وشوقى ضيف، وسواهم.

وكانت هناك مدرسة أدبية أخرى خرجت من بيئة الصحافة وفى مقدمتها العقاد.. ومن الصحف المشهورة جريدة اللواء التى صدر العدد الأول منها فى أول يناير عام ١٩٠٠، والجريدة التى أصدرها لطفى السيد، ومجلة البيان التى أصدرها عبد الرحمن البرقوقى عام ١٩١١ وتوقفت عن الصدور عام ١٩٢٣، ومجلة الزهور التى كان يصدرها أنطون الجميل، وسواها.

وكان هناك جماعات من أعلام الأدب فى مصر تتلمذت عليها هذه الطبقات، وفى مقدمتهم: محمد وإبراهيم المويلحيان، وعبد العزيز جاويش، وعلى يوسف، وسيد المرصفى، ومحمد المهدى، ومحمد السباعى، ثم مصطفى المنفلوطى.

وقد أثرت هذه الحركة الأدبية فى النثر، الذى انتقل من الأسلوب القديم الذى كان يمثله عبد الله فكرى فى رسالته «السفر إلى المؤتمر» وتوفيق البكرى فى كتابه «صهاريج اللؤلؤ»، ومحمد المويلحى فى كتابه «حديث عيسى ابن هشام» إلى الأسلوب الإجتماعى الوجدانى ممثلاً فى كتابة المنفلوطى، ثم طه حسين.

وأحدثت طبقة رجال الصحافة أثراً كبيراً فى تطور أساليب النثر وفى مقدمتهم: عبد القادر حمزة، وأنطون الجميل، وصروف، وجورجى زيدان، وخليل مطران، وأحمد حافظ عوض، وسواهم؛ وكان لمجلة المقتطف (١٨٧٦ - ١٩٥٣)، ولمجلة الهلال (١٨٩٢ -)، ثم للرسالة ومجلة أبولو ومجلة العصور لإسماعيل مظهر، ومجلة الثقافة، كما كان للسياسة أثر عميق فى النهضة الأدبية.. وقامت فى الهلال والسياسة عام ١٩٢٥ معركة حول القديم

والجديد. اشترك فيها الرافعى وطه حسين وسلامة موسى ورفيق العظم وسواهم. . وقد نشأت المدرسة الجديدة فى الشعر والنثر بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة كما ذهب إليه بعض الكتاب، أو عام ١٩٣٢ هـ كما أرجح.

وفى القصة تطور أسلوبها من السجع ممثلاً فى حديث عيسى بن هشام للمويلحى إلى أسلوب متحرر ممثلاً فى زينب لهيكل، وفى قصص محمود تيمور وطاهر لاشين وإبراهيم المصرى.

وكان إحياء التراث القديم والأخذ من الآداب العربية منبعين أصيلين من منابع الأدب فى مطلع القرن العشرين.

وكان الشعر بعد البارودى يتجه إلى الجانب الاجتماعى الذى مثله حافظ وشوقى.

وقد ظهرت مدرسة شعراء الديوان: العقاد وشكرى والمازنى عام ١٩١٣ تندد بمدرسة شوقى وحافظ وتدعو إلى التجديد على أوسع نطاق وظهر الجزء الأول من ديوان شكرى عام ١٩١٣ والجزء الأول من ديوان المازنى عام ١٩١٤، والجزء الأول من ديوان العقاد عام ١٩١٦، كما ظهر الجزء الأول من الديوان عام ١٩٢١، ويجعل بعض الكتاب شكرى بدء المدرسة الحديثة المعاصرة فى الشعر، من حيث يجعل العقاد نفسه هو بدء هذه الإنطلاقة. . ومهما كان فقد انفصل شكرى عن هذه المدرسة، ولذلك نقده المازنى فى الجزء الأول من الديوان، ثم تنكر عام ١٩٣٠ لآرائه التى أعلنها فى هذه المدرسة ووقف العقاد وحده.

ولكن فريقاً من النقاد يجعلون مطران هو بدء حركة التجديد فى الشعر وكان ديوانه، أو الجزء الأول منه قد صدر عام ١٩٠٨، ويعتد الدكتور أبو شادى بمطران اعتداداً كبيراً، ويتابعه فى ذلك مندور والسحرتى. . وقد ظهر أول ديوان لأبى شادى ممثلاً لاتجاهات أستاذه مطران فى الشعر والتجديد فيه عام ١٩١٢م.

وممن يعتدون بشكرى رمزى مفتاح فى «رسائل النقد» وأنور الجندى فى

«نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر».

وقامت معارك جديدة حول الشعر وحول حافظ وشوقى، وكان من أبطالها العقاد وطه حسين وسواهم.

وفى عام ١٩٢٥ قامت فى الهلال معركة حول القديم والحديث اشترك فيها: سلامة موسى وطه حسين وهيكل كما ذكرنا سابقاً.. وقامت من قبل معركة بين طه حسين ورفيق العظم فى السياسة حول حديث الأربعاء وآراء طه حسين فيه.

وفى عام ١٩٣٢ ظهرت مدرسة أبوللو ومدرستها الشعرية بريادة الدكتور أحمد زكى أبو شادى؛ وكان من أنصاره فى هذه المدرسة الدكتور إبراهيم ناجى ومصطفى السحرتى وسواهما وتعد مدرسة أبوللو انتصاراً للمدرسة الرومانسية فى الشعر المعاصر التى كان من أعلامها: مطران وشكرى والمازنى والعقاد، ومثلها أتم تمثيل الدكتور أحمد زكى أبو شادى والدكتور إبراهيم ناجى. وتابعهم فى هذه الحركة الشابى والتيجانى بشير، وكان من أنصارها السحرتى ومن الذين تابعوها الصيرفى وصالح جودت ومختار الوكيل وعبد العزيز عتيق وجليلة رضا، وسواهم.. وقد أثرت هذه المدرسة فى طبقة الكلاسيكيين فظهرت الكلاسيكية الجديدة ممثلة فى شعر محمود غنيم وعلى الجندى ومحمد الأسمر ومحمود أبو الوفا وعزيز أباظة وعبد الله شمس الدين وسواهم.

واستمر صدى مدرسة أبولو إلى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ حيث ظهرت المدرسة الواقعية ممثلة فى شعر: كمال عبد الحليم صاحب ديوان «إصرار» والفيتورى والجيلى وتاج السر ومحيى الدين فارس وسواهم..

٢ - ويقسم أبو شادى المدارس الشعرية المعاصرة فى العالم العربى إلى ثلاث مدارس رئيسية:

٢ - المدرسة الكلاسيكية المجددة تحت الراية الابتداعية وهى التى كان يتزعمها مطران، ومن أعلامها: الأخطل الصغير، وبدوى الجبل،

والشاعر القروى، وشفيق المعلوف، وإيليا أبو ماضى، وميخائيل نعيمة، وعبد الرحمن شكرى، وإبراهيم ناجى، وسواهم.

٢ - المدرسة التجديدية المتطرفة، ومن أعلامها: نزار قبانى، ونازك الملائكة.

٣ - المدرسة الوسط التى تحفل أشد ما تحفل بالموسيقى الاتباعية وبجزالة الألفاظ وبالصيغ العريقة المأثورة، والإشراق الغامر، ويمثل هذه المدرسة عزيز أباظة، وكان يمثلها من قبل على محمود طه.

ونستطيع نحن أن نقسم الشعراء إلى مدارس هى:

١ - المدرسة الكلاسيكية وفى مقدمتها: البارودى وحافظ وشوقى والجارم والجندى وغنيم والأسمر ومحمد بدر الدين وسواهم.

٢ - المدرسة الرومانسية، وفي مقدمتها: مطران وشكرى والعقاد المازنى وأبو شادى وإبراهيم ناجى.

٣ - المدرسة الواقعية وشعراؤها عديدون من شعراء الشباب اليوم، وفى مقدمته؛ محمد مفتاح الفيتورى وكمال عبد الحيلم وكيلانى سند؛ وسواهم.

٣ - مدرسة مطران:

فى عام ١٩٠٨ أصدر مطران الجزء الأول من ديوانه، فكان فاتحة لدعوة التجديد فى الشعر المصرى الحديث.. ويصور خليل مطران رأيه فى التجديد فى الشعر فيقول: أريد التجديد يتمثل فى التفكير بمعناه البعيد الغور الذى هو منبع الابتكار، ليحل ذلك التفكير تدريجاً محل الخيال المشتت الذاهب فى تشتيت الذهن ضروب المذاهب، الخيال الذى يصدر عن الحقيقة غالباً هى مصدر كل جمال ثابت..

ومذهب مطران فى الشعر يجمعه قوله فى تصدير «ديوان الخليل»: هذا شعر عصرى، وفخره أنه عصرى، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف الدهر. هذا شعر ليس ناظمه بعبده ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير قصده، يقال فيه المعنى الصحيح باللفظ الصحيح، وينظر فيه

إلى جمال البيت ذاته وفى موضعه وإلى جملة القصيدة فى تركيبها وفى ترتيبها وفى تناسق معانيها وتوافقها، مع ندور التصور، وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة وشفوفه عن الشعر الحر، وتحرى دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر.

وقد تتلمذ أحمد زكى أبو شادى وشعراء مدرسة أبولو على وجه العموم فى الشعر والنقد على مطران، فنظم أبو شادى الشعر القصصى والتمثيلى، ولقح شعره بأخيلة ومعانى الشعراء الأوربيين ودعا إلى التجديد فى الشعر دعوة جريئة، وكان أكثر شعرائنا فهماً لأصول الأدب والشعر والنقد، كما كان أعظمهم دعوة إلى التجديد، وإلى الشعر المرسل والحر، وأنشأ جمعية أبولو ومجلتها الشعرية الذائعة. . وكان أبو شادى يعد مطران أول شاعر ابتداعى فى الأدب العربى الحديث. . ويبسط أبو شادى شعوره الشديد بأستاذية مطران له فى الشعر فى ديوانه «أنداء الفجر» إذ يقول: فما نشوء الشعر المرسل ولا الشعر الحر، ولا ما بلغناه من الحركة التحريرية للنظم، ولا ما نتناوله من الموضوعات الإنسانية والعالمية إلا الرقى الطبيعى لرسالة مطران، وأول تعاليم مطران ترك النفس على سجيتها، وترك التصنع. . ويؤمن أبو شادى بأن مذهبه فى الشعر هو وحده التطور الطبيعى لمذهب مطران. وقد زاد أبو شادى على أستاذه تطور لغته وأخيلته وتعابيره ومثله العليا وتجاوبه مع الطبيعة. ويقول أبو شادى: إن الشخصية الفنية الحرة هى أهم ما يقدسه مطران، وهى ما تعودت أن أقدسه فى ذاتى وفى غيرى، وهذه الشخصية الحرة هى روح شعرى، وقد عشت تلميذاً على الطبيعة وعلى الثقافة الإنسانية. . ويقول أبو شادى فى أنداء الفجر: إن مذهبى فى الشعر يمثل الإطراد الطبيعى للتعاليم الفنية التى تشربتها نفسى الصبية من مطران.

ومطران هو رائد الحركة الابتداعية فى الشعر الحديث، ويقول الدكتور مندور عنه فى محاضرته عن خليل مطران: «مطران شاعر رومانتيكى أصيل».

٤ ـ مدرسة شعراء الديوان:

فى عام ١٩١٣ كان عبد الرحمن شكرى وإبراهيم عبد القادر المازنى

وعباس محمود العقاد يتلاقون على أفكار جديدة فى الأدب والشعر والنقد وإعلان الخصومة الأدبية على المدارس القدمية، وأخرج شكرى ديوانه الأول عام ١٩٠٩، وأصدر المازنى ديوانه الأول عام ١٩١٣، وتبعهما العقاد فأخرج ديوانه الأول عام ١٩١٦.. وفى عام ١٩٢١ ترك شكرى هذه المدرسة.. ولما صدر الجزء الأول من الديوان فى أبريل عام ١٩٣١ كان من ضمن بحوثه مقالة عن شكرى بقلم المازنى وعنوانها صنم الألاعيب، وفى عام ١٩٣٠ ترك المازنى هذه المدرسة وتنصل من آرائه فيها.. وصار العقاد وحده هو الذى يمثل هذه المدرسة.

والجزء الأول من الديوان تناول فيه العقاد والمازنى كلا من شوقى وشكرى بالنقد اللاذع المرير.

ويقص الدكتور رمزى مفتاح قصة شكرى مع المازنى والعقاد فى كتابه رسائل النقد الذى أخرجه عام ١٩٢٩، ووصف شكرى فيه بأنه زعيم الشعراء المجددين أو زعيم مدرسة الجديد، وأنه رأس المدرسة الحديثة وقال عن العقاد والمازنى إنهما تلميذان لشكرى.. وكذلك فعل مختار الوكيل فى كتابه «رواد للشعر الحديث».

والشعراء الثلاثة: شكرى والعقاد والمازنى ممن أثر الأدب الإنجليزى فى أخيلتهم ومعانيهم وفى شعرهم عامة.. والشعر عند شكرى هو وصف الحالات النفسية والمواقف العاطفية والإحساسات المختلفة وكل ما يتفاعل به العقل المفكر مع الشعور الحى المثقف، وقصائد شكرى صور كاملة لرسم النفس وحالاتها، والوحى أو الهاتف عند شكرى معناه استكمال المعنى فى ذهن الشاعر ونضوجه فى نفسه واستيفاء الإحساس به.

والشعر عند مدرسة الديوان تغلب عليه النزعة الوجدانية بينما تغلب على مدرسة خليل مطران النزعة الموضوعية.

والعقاد لا يقر لشوقى بأية موهبة فى الشعر كما تطالع ذلك فى الديوان بجزأيه، إنه لا يريد أن يعترف بشاعر لا تطالعنا شخصيته ومزاجه الخاص

ونظرته إلى الحياة وفلسفته فيها من خلال شعره، ولا تتكامل وحدة القصيدة فى شعره.

ويؤمن أصحاب مدرسة الديوان بأن الشعر يجب أن يكون تعبيراً عن وجدان الشاعر وحياته الباطنية، أى أن يكون صورة لنفسه، وصادراً عن نفس الشاعر وطبعه. إن مدرسة الديوان تدعو إلى صدق الشاعر فى الإحساس والتعبير.

وقد مات المازنى فى أغسطس عام ١٩٤٩، ومات شكرى عام ١٩٥٩م.

٥ ـ مدرسة أبوللو:

فى عام ١٩٣٢ كون أبو شادى مدرسة أدبية سماها «مدرسة أبولو» نسبة لإله الشعر عند الإغريق، وأصدر مجلة أدبية خاصة بالشعر ونقده، وسماها «مجلة أبولو».

وكانت رسالة مدرسة أبولو هى الثورة على القديم، والدعوة إلى الحرية الفكرية والأدبية والفنية، وإلى تمثيل الشعر لخلجات النفوس وتأملات الفكر ونبضات الأفئدة وهزات العواطف والمشاعر.. وكانت مجلة أبولو أول مجلة تقف نفسها على الشعر العربى المعاصر، من أجل النهوض به وإحياء روح الشعر الأصيل، وتهذيبه مما علق به من أوهام التقليد والصنعة والابتذال.. ورسالة الشعر عنده هى أداء رسالة «الشعر بالشعر للشعر».

وقد ظل أبو شادى يعلن الثورة على التقليد والجمود والرجعية، ويدعو إلى الأصالة والفطرة وإلى الوحدة التعبيرية، وإلى التناول الفنى السليم للفكرة والموضوع والمعانى، وأسمى رسالة للشعر عنده هى النهوض بالإنسانية عن طريق هذا الفن الجميل.. ويرى أبو شادى أن الطلاقة الفنية هى صفة فطرية فى كل فنان موهوب.

وكان أبو شادى من أشد الشعراء تحمساً وفهماً للتجديد ودعوة إليه،

وحرصاً عليه، وقد طاف بكثير من بلاد أوربا، وقرأ الآداب العالمية، ووقف على الفكر الإنسانى فى مختلف العصور، وله ثلاثة وعشرون ديواناً شعرياً، وهى ثروة ضخمة لا مثيل لها فى الشعر الحديث.

وأغراض مدرسة أبولو هى كما رسمها وحددها أبو شادى:

١ ـ السمو بالشعر العربى وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً.
٢ ـ مناصرة النهضات الفنية فى عالم الشعر.
٣ ـ ترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً ومادياً والدفاع عن كرامتهم.

وكانت عضوية الجمعية مفتوحة للشعراء خاصة والأدباء عامة فى جميع الأقطار العربية.

وفى سبتمبر عام ١٩٣٢ صدر العدد الأول من مجلة أبولو فى القاهرة وظلت تصدر أعدادها كل شهر حتى توقفت عام ١٩٣٥، وتولى أبو شادى رياسة تحرير المجلة؛ وسكرتيرية الجماعة، واختير لرياسة الجماعة أحمد شوقى، ولما توفى شوقى فى الرابع عشر من أكتوبر ١٩٣٢ اختير مطران رئيساً لها.

وكان من أعضائها: أحمد محرم، وإبراهيم ناجى، وعلى محمود طه، ومحمود أبو الوفا، والصيرفى، ومصطفى السحرتى وسواهم.

هذه أهم مدارس الأدب ومذاهب الشعر فى مصر، وقد كان ولا يزال لها صدى عميق فى الأدب والشعر فى شتى أنحاء العالم العربى.

ذيل الكتاب:

أولاً

الحركة الثقافية المعاصرة فى السودان[١]

- ١ -

منذ أن قام الإمام الأكبر الثائر، محمد أحمد المهـدى بثورتـه الوطنيـة الكبرى فى السـوادن عام ١٨٨١م، ضد النفوذ الاستعمارى الغربى؛ وتاريخ السـودان الثقافى يحفل بتطورات كبيرة، تستمد جـذورها من حـركة المهـدى ودعوته وانتصاراته.

فقد قامت الخلايا بكثرة فى السودان، وصارت من أهم المراكز الثقافية فى جميع أنحائه، وكانت تناقش فيها مسائل الـدين والعلوم والتصوف عـلى أوسع نطاق، ويقوم بالتدريس فيها علماء متصوفون، يدرسون لتلاميذهم شتى ألوان الثقافة الإسلامية.. ومن أشهرهم الإمام الشيخ محمد البدوى تلميذ الإمام المبدى الكبير، وحامل دعوته ورسالته، وشيخ العلماء الأول فى السودان بعد ثورة المهدى.. وقد درس فى الأزهر على الشيخ عليش والشيخ العدوى وسواهما، وصار إماماً فى مذهب مالك، ومرجعاً فى الحديث، وحجة فى سائر علوم الدين.. واشترك فى الثورة المهديـة، وكافـح من أجلها، ولما انتهت الثورة اختارته حكومة السودان شيخاً لهيئة العلماء.. وأقام فى منزله يلقى على طلابه المحاضرات والدروس، وكان من أنبه تلاميذه السيد الإمام عبد الرحمن

(١) لصلة السودان بليبيا الوثيقة طول عصور التاريخ، أثبتنا هذا الفصل هنا، وإن كانت السودان ليست من دول الشمال الإفريقى بداهة..

المهدى، وكان الشيخ يكرمه ويجله ويجلسه عن يمينه، ويتوسم بفراسته أنه سوف يصبح زعيم السودان بعد والده الإمام، وتوفى الشيخ رحمه الله فى أم درمان عام ١٩١١ ورثاه الشعراء بمراث بليغة، ومن بينهم الشاعر السودانى الشيخ محمد سعيد العباسى.

وقد تطورت هذه الحركة الثقافية إلى إنشاء المعهد العلمى بأم درمان ١٩١٢ ليكون أزهر السودان الجديد، واستعان المعهد بمناهج الأزهر وأساتذته للقيام بمهامه العلمية والإسلامية، ووفد كثير من طلابه على الأزهر يرتشفون من ينابيعه، وتلا ذلك إنشاء كلية للشريعة وأخرى للغة العربية فيه.. وتولى رياسته قبل سنوات شيخ جليل من شيوخ الأزهر السودانيين، وهو الشيخ محمد المبارك.. ومن معهد أم درمان تخرجت أجيال من شباب السودان الحر المثقف؛ ومن بين من درسوا فيه، وتخرجوا منه أعلام الفكر السودانى؛ ومن الشعراء الشاعر المشهور التيجانى يوسف بشير (١٩١٢ ـ ١٩٣٧).

وقد تطور المعهد وفروعه والكليات التى قامت معه، وتكون من ذلك كله الجامعة الإسلامية التى صدر قانون بإنشائها عام ١٩٦٦، وتحتوى على كلية الشريعة وكلية الآداب، وكلية أصول الدين، وكلية البنات الإسلامية.

وكان ذلك كله معززاً للتيار الثقافى الإسلامى الذى انتشر فى ربوع السودان منذ أوائل الفتح الإسلامى حتى اليوم، وهو التيار الذى أضاء شعلة الثقافة الإسلامية فى هذه البلاد، وتثقف عليه أجيال العلماء السودانيين، والشباب السودانى فى كل عصر وجيل، وعززه اتصال الفكر السودانى فى قديمه التليد بالأزهر الشريف وثقافته.

وهذه الثقافة الإسلامية الأزهرية عريقة فى السودان، منذ انتشر الإسلام فى ربوعه، وخاصة بعد فتح السلطان الناصر بن قلاوون لدنقلة فى التاسع من يونيو عام ١٣١٨م، وقد صحب هذه الثقافة الشعر والأدب، اللذان ازدهرا فى مدنه بعد قليل.. وفى القرن الحادى عشر الهجرى نجد عالماً سودانياً من خريجى الأزهر، يقف فى سنار ليمدح أحد ملوك الفونج، وهو

السلطان بادى أبو دقن (١٦٤٣ - ١٦٧٨م)، وذلك فى قصره بعاصمته الجميلة. . فيقول:

أيا راكبا يسرى على متن ضامر إلى صاحب العلياء والجود والبر
ويطوى إليه شقة البعد والنوى ويقتحم الأوعار فى المهمه القفر
وينهض من مصر وشاطئ نيلها وأزهرها المعمور بالعلم والذكر
لك الخير إن وافيت «سنار» قف بها وقوف محب وانتهز فرصة الدهر
وألق عصا التسيار فى صرح أفقها تجد كل ما تهوى النفوس من البشر

وكانت مواطن هذه الثقافة الإسلامية قديماً فى السودان، تتمثل فى سنار ودارفور والفاشر وسواها من مدنه، وكانت مملكة الفور فى دافور تهتم بنشر الثقافة الدينية، ومن علماء دارفور إبان ذلك جماعات درست فى الأزهر، وتزودت بثقافته. . ولعلماء سنار ودارفور منذ عهد بعيد وطلابهما رواقان فى الأزهر يسميان رواق السنارية، ورواق دارفور. . ومن الأدباء المشهورين فى مملكة الفور محمد ود عمارى من متخرجى الأزهر، وكان كاتب سلطان دارفور محمد الفضل أثناء فتح محمد على للسودان.

- ٢ -

وقد حاول المستعمرون الإنجليز منذ آخر القرن التاسع عشر فصل السودان عن عروبته وثقافته الإسلامية، وانتشر المبشرون الأوربيون فى شتى أرجائه، وانتشرت الثقافة الإنجليزية وفرضت على برامج التعليم فيه.

وتلا هذا التطور الثقافى إنشاء المستعمرين الإنجليز لكلية غوردون لتخريج طبقة تقترب من الغرب وثقافته، وإنشاؤهم كذلك لكثير من المدارس الأجنبية فى السودان. . وكانت برامج المدرسة فى كلية غوردن تخرج معلمين للإدارة، والتعليم فيها بالإنجليزية. . وقد دعا خريجوها إلى قومية الأدب السودانى والثقافة السودانية، ونشروا فصولاً عديدة فى مجلة حضارة السوادن

والنهضة السودانية ومجلة الفجر، بينوا فيها أهمية الثقافة الغربية وحتمية التأثر بها. . ومنذ قليل صارت كلية غوردون نواة الجامعة السودانية الجديدة. .

ولما خرج الجيش المصرى من ربوع السودان، وبدأ الإنجليز يعملون على نشر ثقافتهم ولغتهم، كان لا بد لمصر من أن تقوم بإنشاء العديد من المدارس فى المدن السودانية لتقاوم تيار «التغريب» ومما أنشئ المدرسة الثانوية المصرية بالخرطوم التى صارت اليوم فرعاً لجامعة القاهرة بعاصمة السودان الشقيق.

- ٣ -

ومن هذين التيارين الثقافيين تكونت عقلية الشباب السودانى، التى أبدعت الأدب السودانى الحديث شعره ونثره.

وفى مقدمة شعراء السودان وأدبائه اليوم الشاعر الكبير محمد أحمد المحجوب رئيس وزراء السودان الحالى.

الشعر فى السودان

- ١ -

تستحكم وشائج العروبة فى السودان الشقيق منذ الاتصال السياسى والحربى بين شعب السودان، وقواد الفتح الإسلامى فى مصر، من عبدالله بن أبى السرح (أمير مصر بعد عمرو بن العاص) إلى عبدالله بن الجهم (أمير مصر فى عهد المأمون) إلى ما تلا ذلك من عصور وأحداث وصلات تجارية وعسكرية.

وفى التاسع من يونيو ١٣١٨ م فتح السلطان الناصر بن قلاوون ملك

مصر مدينة دنقلا فى شمال السودان، وقضى على قواتها العسكرية، فتم فتح شمال السودان، وانتقل من الوثنية إلى الإسلام، وهاجرت القبائل العربية المختلفة من ربيعة ومضر فاستقرت فيه، واستقرت معها فيه اللغة العربية والثقافة العربية والأدب العربى بجميع فنونه وألوانه، شعراً ونثراً.

وبدأ المجتمع السودانى يسمع الشعراء ينشدون شعرهم فى المدح والتصوف والحكمة والفخر والوصف والغزل وسوى ذلك من ضروب الشعر.

واستمرت هجرة العرب من الحجاز ومصر وشمال إفريقيا ومن الأندلس بعد زوال الحكم الإسلامى من ربوعها متصلة إلى السودان؛ فزاد بذلك حظ الشعر قوة وثراء فى هذا القطر الشقيق.

وقد وجدت الآداب والشعر مجالاً خصباً لها فى سنار عاصمة مملكة الفونج، ثم فى دار فور عاصمة مملكة الفور.. وخاصة بعد زيادة الاتصال الأدبى بين مصر والسودان، حيث كثرت هجرة العلماء من السودان إلى الأزهر فى مصر، ومن مصر إلى السودان فأثرت اللغة والأدب والشعر بذلك خير إثراء.

- ٢ -

ولما قامت الثورة المهدية فى السودان تدعو إلى الدين وإلى نبذ طاعة الأتراك الطغاة وصنائعهم من المستعمرين، بقيادة الزعيم السودانى الإمام المهدى الأكبر قام الشعراء يبشرون بدعوته، ويمجدون جهاده، وقد مدح الشيخ الحسين الزهراء المهدى بقصائد طويلة.. ولما توفى الإمام المهدى الكبير بعد فتح الخرطوم والقضاء على غوردون، وذلك فى الثانى والعشرين من يونيو ١٨٨٦م رثاه الشعراء بأبلغ العبرات[1].

---

(١) الإمام المهدى هو محمد بن أحمد بن عبدالله الحسينى (١٨٤٣ - ٢٢ من يونيو ١٨٨٥) مال إلى التصوف من صغره، ونبغ فى العلوم الشرعية، ثم شاهد فساد الحكم التركى، وآثاره تغلغل الاستعمار الأوربى فى أفريقية، فتزعم الحركة الإسلامية فى السودان، واتصل بحكام العالم =

يقول الشيخ إبراهيم شريف الدولابي يرثي المهدى:

ودعـا إلى الـدين الحنيف مجـاهـدا بـالـسيـف والانـذار والـتـبـشـير
مـا شئت فيـه من الثنـاء فقـل ولا تـأخـذك لـومـة لائـم مـدحـور
هـو مجمع البحـرين بحـر شريعـة طـام وبـحـر حقيـقـة مـسـجـور
والله أكـرمـه بـطـيـب تحـيـة يحـدو بهـا مـوسى كـليـم الـطور
قـد كـان قـوَّام الـدجى متبتـلا متـواصـل الإحسـان غـير فخـور
طلق المحيـا خـاشعـا متـواضعـا كـهف الـفقـير وجـابـر المكسـور
تبكي المسـاجـد والمحـارب فقـده ومـواطـن الأذكـار والـتـذكـير
يـا آل بيت المصـطفى صبـراً وإن جـل المصـاب وعـز عن تـصبـير

ويقول الشيخ إسماعيل الكردفاني يصف قبة المهدى:

سمت قبـة المهـدى مجـدا وسؤددا ونيـطت بهـا الجـوزاء عقـدا منضـدا
ولاحت بـأنـوار الهـدايـة شمسهـا فـأشرق فيهـا الكـون وانقشع الـردى
ولم لا وقـد ضمـت لأفـضـل وارث لخـير الـورى طـه المشفـع أحمـدا
إمـام لـه فى كـل مجـد وسـؤدد مـآثـر فـضـل مـا أجـل وأمجـدا

ويقول محمد بن الطاهر المجذوب يرثى المهدى:

لبيـك لـه الـديـن الحنيـف وملة أبـان هـداهـا حـين تم خـرابهـا
فقـدنـاك يـا هـديـا يتمنا بفقـده فقـدنـاك يـا شمسـا دهـانـا غيـابهـا

وكان عمر البنا شاعر الثورة المهدية، ومن أبرز شعراء السودان، وهو شاعر بليغ، قوى الديباجية، رصين العبارة.

= الإسلامى يشرح لهم حقيقة الحالة فى بلاده ودعا إلى وحدة الصفوف وإلى فتح باب الاجتهاد فى الشريعة وكتابه «العبادات» مشهور، وقد أعلن الثورة ضد الاستعمار وقاومه مقاومة عنيفة، وهزم جيوشه حتى آخر رمق فى حياته، واستمرت الدعوة المهدية متصلة فى عهد عبدالله بن محمد التعايشى من بعده، ثم تولى ابنه عبد الرحمن المهدى بعده حركة الدعوة المهدية إلى أن نال السودان استقلاله وتوفاه الله فى الرابع والعشرين من مارس عام ١٩٥٩، فتولى زعامة طائفته من بعده الصديق المهدى.

وهكذا كان للثورة المهدية أبلغ الأثر فى الشعر، فقد أوجدت فيه حركة فنية واسعة النطاق بين الشعراء السودانيين، فمنهم من نظم القصائد فى تأييد الدعوة المهدية، ومنهم من نظمها فى تمجيد شخصية الإمام، ومنهم من مجد انتصارات المهدى العسكرية، ومنهم من وصف المعارك والوقائع، إلى غير ذلك من موضوعات الشعر.

وبذلك وبهذا الحدث الوطنى الجليل قامت فى الشعر السودانى مدرسة شعرية كلاسيكية محافظة تشبه مدرسة البارودى فى مصر، وتتأثر خطاها، طابعها دينى غالباً، وظهرت بذلك شخصية الشاعر السودانى لأول مرة مستقلة واضحة المعالم والسمات والخصائص... وعكف الشعراء على أنفسهم بعد انتهاء الثورة المهدية، وقضاء الإنجليز عليها عسكريا؛ وتخرج على أيدى هذه المدرسة كثير من الشعراء من بينهم عبدالله عمر البنا، وأحمد صالح، وصالح عبد القادر، وسواهم.

وكان للثقافة المصرية وللأدب المصرى والشعر المصرى المنزلة الأولى فى السودان حتى عام ١٩٢٤، ففى هذا التاريخ انفرد الإنجليز بالسودان بعد جلاء الجيش المصرى، وأخذ الإنجليز يعملون على بث الفرقة بين مصر والسودان، وعلى نشر ثقافتهم ولغتهم فى المدارس؛ وظهرت خلال ذلك المدرسة الشعرية الثانية ذات الاتجاه الإبداعى، وشعراؤها يتفاوتون فى نزعاتهم الثقافية، فمنهم من ظل يتأثر الشعر العربى القديم، ومنهم من تأثر بالمدارس الابتداعية الحديثة فى مصر كمدرسة مطران ومدرسة شعراء الديوان ومدرسة أبولو، ومنهم من رجع إلى الأخيلة الغربية، وكان الشاعر عبد الملك حمزة طمبل أول شاعر إبداعى فى حركة الشعر فى السودان، وهو أول من دعا فى مقالاته فى مجلة النهضة عام ١٩٢٧ إلى إبراز الطابع السودانى فى الشعر وإلى أهمية الثقافة الغربية، وقد جمع هذه المقالات فى كتاب نشره عام ١٩٢٨ بعنوان (الأدب السوادنى وما يجب أن يكون عليه) وقد تأثر طمبل بآراء النقاد المصريين، وأفاد منهم، وحمل على شعراء السودان وهاجم افتتاحهم القصائد بالغزل ووصف الناقة ودعا إلى العناية بالمضمون، وطالب بالاهتمام بالمعنى لا

بالمبق، ودعا أدباء السودان إلى الصدق والإخلاص؛ وقد حمل الدعوة بعده محمد أحمد محجوب، وله بحث عن الحركة الفكرية فى السودان.

ثم جاء التيجانى يوسف بشير صاحب ديوان إشراقة، ويوسف التنى الذى أصدر عام ١٩٣٨ ديوانه الأول، وفى عام ١٩٥٥ أصدر ديوانه الثانى «السرائر».

وفى تأييد النزعة القائلة بوجوب خلق أدب قومى سودانى يقول المؤرخ السودانى محمد عبد الرحيم فى كتابه «نفثات اليراع»: «يجب أن يكون للسودان أدب خاص يحمل طابع شمسه المشرقة، وطغراء بدره الوضيء، ويخص بعنايته الحياة السودانية وحدها».

وظهرت دواوين عدة قبل الحرب العالمية الثانية تمثل الاتجاه الرومانسى، ومنها: إشراقة للتيجانى، الشاطئ الصخرى لحسين منصور، دموع وأشواق للشاعر حسن عزت، الحرية والجمال للشاعر جعفر حامد البشير، وسواها.

ثم ظهر أخيراً ديوان ألحان وأشجان للشاعر السودانى محمد محمد على...

وبقيام الحرب العالمية الثانية قامت مدرسة ثالثة من مدارس الشعر السودانى المعاصر، هى مدرسة الواقعيين، ومنهم: محيى الدين فارس، محمد الفيتورى، الجيلى عبد الرحمن، تاج السر، وسواهم من الشعراء الذين تأثروا بالشعر المصرى والمهجرى، وغلب على مضمون شعرهم الميل إلى النزعة الواقعية، وقد ظهر لهؤلاء الشعراء عدة مجموعات شعرية تمثل مذهبهم فى الشعر، ويغلب على مضامينهم النزوع إلى الحرية والانطلاقة والثورة، وتأييد حركات المقاومة وتأبين الاستعمار وعصره البائد.

وهكذا نرى أن الثورة المهدية، وهى ثورة وطنية كبيرة، كانت الشرارة الأولى التى أطلقت الشعر السودانى من قيوده، وسارت به خطوات كبيرة فى سبيل التحرر والقوة والثراء، وكانت إلهاماً قوياً، وكان صداها عنيفاً فى أذهان

الشعراء السودانيين. . . وقد استمرت ملهمة موحية للشعراء فى القطر الشقيق. . فمجدها التيجانى وسواه، وجعلوها نقطة الارتكاز فى تاريخ السودان. . وكانت بداية الأدب الحديث هناك كما كانت الثورة العربية بداية الأدب الحديث فى مصر، والدعوة السنوسية أو سمها بـ «الثورة السنوسية» بداية الأدب الحديث فى ليبيا.

ونحن لا نجحد عوامل كثيرة أخرى فى الشعر السودانى، من مثل: البيئة الأدبية فى السودان، وأدب مصر، وأدب المهجر، وعروبة السودان، والثورات الوطنية فى السودان التى قامت امتداداً للثورة المهدية، مثل ثورة الشريف محمد الأمين، وثورة السلطان على دينار عام ١٩١٦ وثورة الدلنج عام ١٩١٧، وثورة على عبد اللطيف عام ١٩٢٤، ثم ثورات الشباب الوطنيين فى سبيل طرد الإنجليز من ربوع السودان.

ونقول أخيراً إن الشعر السودانى لا زال يتابع خطواته فى سبيل التجديد والقوة والحرية.

التيجانى بشير

الوحدة بين شمال الوادى وجنوبه، ليست شيئاً من صنع التاريخ؛ ولكنها حقيقة خالدة من صنع الله، وشعور أبدى بروابط الفكر والروح والآمال والآلام؛ وحنين متصل إلى الحرية والقوة والمجد، كما يعبر عن ذلك شاعر السودان بل شاعر الوادى، المرحوم التيجانى بشير، أبلغ تعبير، فيقول:

عادنى اليوم من حديثك يا مصـ ... ـر رئى، وطوفت بى ذكرى
وهفا باسمك الفؤاد، ولجت ... بسمات على الخواطر سكرى
من أتى صخرة الوجود ففرا ... ها؛ وأجرى منها الذى كان أجرى
هو من صاغنا على حرم النيـ ... ـل وشطآنه دعاء وشكرا
إنما مصر والشقيق الأخ السو ... دان كانا لخافق النيل صدرا

حفظا مجده القديم، وشادا   منه صيتاً، ورفعا منه ذكرا
كلما أنكروا ثقافة مصر   كنت من صنعها يراعاً وفكرا

ويعبر فى قصيدة أخرى عن هذه الوحدة الوثيقة، فيقول:

مصر دين الشباب: فى الحضر الرا   فه والبدو، من قرى وبقاع
حبذا الموت فى سبيلك يا مصـ   ـر لنشء عن الحمى دفاع

وهذا الشعور الملتهب فى نفس الشاعر بوحدة الوادى، ألهمه روائع الآيات فى النيل، نهرنا الخالد؛ يقول من قصيدته «فى محراب النيل»:

إن عبدنا فيك الجلال فلما   نقض حق الذياد عن محرابك
أو نعمنا بك الزمان فلم نبـ   ـل بلاء الجدود فى صون غابك

ويشبه حبيبه بالنيل تشبيهاً جيداً، فى قصيدته «أنت أم النيل؟» فيقول:

أنت يا فاتنى أم النيل زخا   را؟ بنفسى كليكما من شبيه
غننا السحر من شواطئه الخضـ   ـر، وغن الزمان من ماضيه
واذكر سالفاً مجيداً على الدهـ   ـر، عزيزاً على كرام بنيه

ويركب الشاعر زورقاً يسبح به فى النيل، فتتقاذفه الأمواج، حتى ليشرف على الهلاك، فيقول يخاطب النيل:

رفقا بمن آواك إلهامه   وصاغ فى صدرك وحى الجمال
آماله يا نيل... أحلامه   شبابه الغض الوريف الظلال

ويكرر ذلك، فيناجى النيل فى بشر وحب وأمل، فيقول من قصيدته «الزورق الأخضر»:

الله فى زورق من غافل   يا نيل لم يظفر بربان
شراعه الحب، ومجدافه   قلبان طفلان غريران
احفظ صبييه، وباركهما   للحب يا نيل وألحانى

وهكذا كان يغرد التيجانى، الشاعر المؤمن بوحدة الوادى، والذى أذاب

نفسه ألحاناً ساحرة، كان يبعث بها الحياة والأمل فى قلوب المصريين والسودانيين على السواء. . . وهذه إحدى خصائص شاعرية التيجانى، ابن النيل الطموح، وشاعر الوادى المغرد.

والتيجانى يمثل فكرة جديدة فى الشعر السودانى الحديث، فقد طفر الشعر فى السودان على يديه من عهد الأناشيد العامية، والمعارضات الأدبية للقدماء، إلى طور الاستقلال والذاتية والنضوج الفنى؛ وأصبح الشعر السودانى بفضل عبقريته، تعبيراً واضحاً متميزاً جميلاً، عن البيئة والمجتمع والشعب، وحياة الأمة وآمالها وآلامها، وثورتها فى سبيل الحرية والعزة والكرامة. . وتلك خاصية «ثانية» لشاعرية الشاعر؛ ومن ثم انتظم شعره النزعات الوطنية الحرة، كما انتظم الكثير من أوصاف الطبيعة والاستغراق الذهنى فى مشاهدها، والتبتل الصوفى فى محرابها، كما فى قصائده: «الخرطوم مدينة الشعر والجمال»؛ و«توق فى الصباح»، وتوق جزيرة مشهورة أمام الخرطوم، و«من أغوار القلب»، وقد وصف فيها استقبال روحه للربيع وجماله الأبدى، وتحدث فيها كذلك عن حبه وأحبابه.

وللتيجانى شعر وجدانى كثير، يمثل نزعات نفسه، وخلجات قلبه، وأعمق مشاعره وهواجسه، ويتمثل هذا الشعر الوجدانى فى غزله وحبه، وفى أحاديثه عن نفسه وآلامه.

أما شعره فى الغزل فتصوره قصائد كثيرة فى ديوانه، من أجملها «نعيم الحب»، ومن «وراء النافذة»، و«النائم المسحور»، و«فى الموحى» التى يصف فيها نشوته الروحية بساعات لقاء فى الظلام، و«القمر المجنون»، وقد تحدث فيها عن حبيبة له تسمى «قمرا»، أحبها وأحبته، ثم تزوجت قسراً سواه، فدفع بها الحب إلى الجنون، وقصيدته «جمال وقلوب»، وهى رائعة حقاً فى تصوير مشاعر محب وامق، ويقول فيها:

وعبدناك يا جمال وصغنا　　　لك من أنفاسنا هياماً وحبا
ووهبنا لك الحياة وفجر　　　نا ينابيعها لعينيك قربى

مـن تـــرى وزع المفـــاتـن يـــا حـســ   ـن، ومـن ذا أوحى لـنــا أن نـحـبـــا؟
من تــرى وثق العـــرى بـــين مسحـــو   ريــن أســـاهمـــا جمـــالا وقـــلبـــا

وأما شعره عن نفسه فكثير متصل فى الديوان؛ ومنه قصائده الجميلة: «الخلوة» وقد وصف فيها طفولته وهو يحفظ القرآن فى المكتب، والمعهد العلمى» ويصور فيها حياته العلمية الأولى فى معهد أم درمان، وبدء ظهور نزعات الشك فى تفكيره، و«قلب» وقد تحدث فيها عن قلبه ومنازعه وخطراته العميقة، «وهوى وفقر» وقد تحدث فيها عن فقره وهواه وصنيع دنياه معه، ويؤلم الشاعر ضياع عبقريته وأدبه فى وطنه فينظم فى ذلك قصيدته «الأدب الضائع».

وفى قصيدته «إلى» التى يصور فيها أحاديث نفسه، يقول:

ويـــا مـــهـيض الجـنـــاح كـــم أمـــل   تـبـغـى، وكـم فى الـســماء تــطلب؟
تـــود مصر الـــزمـــان، وهـــى لمـــا   يـــأمـــل منهـــا الـشـبـــاب مـــطلب

ويكاثره غنى مترف، فينظم فى ذلك قصيدته «قلب من ذهب» ويقول منها:

أيـنـــا يـــزحـم الـــوجـــود جـنـــاحـيـ   ـه، وتمشى الحـيـــاة بـــين ضـمـــيره
لى دنـيـــا الـفـنـــون والـــوحـى والإلـ   ـهـــام من صـــدقـــه ومن مـسحـــوره

وفى قصيدته «نفس» يصف نفسه الحرة الأبية، فيقول:

ســـبـحـــانـــك الـلـهـم نـفـ   ـس كـــلـهـــا عـــطف ولـــين
وتـــر مـــن الـنـــاى المـقـــد   س مـــن بـــقـــايـــا المـــرسـلين
مـــن قـــدس داجـيـــة الـشـعـــو   ر، وطـــهـــر واضـحـــة الجـبـــين
مـــن كـــل سـحـــر فى الـوجـــو   د، وســـاحـــر فى الـعـــالمـين
مـــن مـهـبـط الـــروح الـعـــزيـ   ـز، وعـنـصر الجـسـم المـهـين
صـيـغـت فـكـانـت حـــرة   أبـــدا عـــلى مـــر الـســنـين

وتسود شعره الوجدانى نزعة واضحة من القلق الفكرى والروحى، مما يبدو واضحاً فى قصيدته «يؤلمنى شكى» ويقول فيها:

أشـك، يؤلمنى شكى، وأبحث عن ... بـرد اليقـين، فيفنى فيه مجهودى
أشك لا عن رضا منى، ويقتلنى ... شكى، ويذبل من وسواسه عودى

ويقول فى مطلع قصيدته «حيرة»:

بين اثنتين أسر أم أبكى ... قبس اليقين وجذوة الشك؟

وللتيجانى شعر وصفى، من أروعه قصيدته «فجر فى صحراء» وقصيدته «طفل» التى وصف فيها قدرة الله الباهرة فى خلق الإنسان.. ومن أبدع شعر الرثاء فى شعره قصيدته الطويلة «دمعة على طفل».

ومن أظهر خصائص التيجانى فى شعره، نزعته الصوفية العميقة المشوبة بموسيقى غنائية رائعة، ويصف الشاعر حياته الصوفية الأولى فى صباه، فى قصيدته «الصبى العابد» التي يقول فيها:

كنت بين الصبا نعمت بإيما ... ن رضى؛ وأين عهد صبايا؟
فسلبت الهدى، وعوجلت فى النو ... ر، وقد كنت صادقا فى هدايا
تاه منى الصبا، وضلت سنون ... بعد فى منطق كثير القضايا
ومضى الشك بساليقين، فلله ... فؤاد تأكلته الرزايا

والشاعر فى قصيدته «الصوفى المعذب»، مؤمن عميق الإيمان، وحدة الوجود مذهبه، وهداية السماء نبراسه، وفى أسرار الكون تفكيره.. ويقول منها:

الوجود الحق ما أو ... سع فى النفس مداه
والسكون المحض ما أو ... ثق بالروح عراه
كل ما فى الكون يمشى ... فى حناياه الإله
هذه النملة فى رقـ ... تها رجع صداه

هـو يحيـا فى حـواشيـ ـهـا، وتحـيـا فى ثـراه
وهـى إن أسلمت الـرو ح تـلقـتـهـا يـداه
لم تمـت فـيـهـا حـيـاة الله إن كـنـت تـراه

ويؤكد الشاعر نزعته إلى التصوف فى قصيدته «قلب الفيلسوف» التى يقول فى آخرها:

فى مـوضـع السر من دنيـاى متسـع لـلحق، أفـتـأ يـرعـانى وأرعـاه
هنـا الحقيقـة فى جنبى، هنـا قـبس مـن السـمـوات فى قلبـى، هنـا الله

وللتنيجانى نزعات فلسفية عميقة فى شعره، فهو يتخذ من ينابيع الوحى طريقه إلى المعرفة، ويؤمن بمذهب الشك، لأنه السبيل إلى الحقيقة؛ ويرى فى الدين دافعاً للبشرية نحو الخير والمثل العليا، وأن المعركة الأبدية بين العلم والجهل متصلة؛ ونهايتها من غير شك انتصار العلم؛ كما يقول فى قصيدته «اليقظة» التى تحدث فيها عن أحرار الفكر، وعن العقل الإنسانى وتطلعه إلى كشف المجهول من أسرار الحياة.

وبعد، فإن شعر التيجانى يمثل عقلاً نفذ إلى أعماق الوجود والحيـاة، وثقافة واسعة استمدها من اطلاعه على كتب التصوف والفلسفة؛ كـما يمثل شخصية أدبية مستقلة فى التفكير والتعبير، وفى خصائص الشاعرية والبيان، وفى خيالات الشعر وأسلوبه ووحدة القصيدة فيه.

ولقد قرأ الشاعر طويلاً فى مصادر الأدب العربى القديم والحديث على السـواء؛ قرأ للجـاهلين والإسلاميـين والمحدثـين؛ كما قـرأ لشوقى وحـافظ ومطران؛ وشكرى وأبى شادى وناجى والصيرفى، وعلى محمود طه والهمشرى والعقـاد، وشعراء المهجـر وسواهم.. ولكنـه لم يقلد فى الشعر أحـداً، ولم يعارض فى قصائده شاعراً قديماً أو حديثاً؛ وذلك ينم عن ملكات شعريـة مطبوعة، متصلة بينابيع الإلهام الصادق فى نفسه.

ولقد مهد التيجانى بشعره لمدرسة جديدة فى الشعر السودانى المعاصر.

وفى عمر الزهور، وإشراقةالشباب، مات الشاعر عام ١٩٣٧، عن خمسة وعشرين عاماً؛ ولم يترك وراءه سوى مقالات قصيرة فى الأدب والنقد، كانت تنشرها له المجلات الأدبية فى مصر والسودان، ولم تجمع بعد فى كتاب؛ وغير ديوانه الصغير «إشراقة» الذى يحتوى على ست وستين قصيدة، تمثل أجل الإلهامات الشعرية، وأجل الآيات المعبرة عن شاعرية موهوبة، لها منزلتها فى تاريخ الشعر السودانى الحديث.. وصمتت إلى الأبد هذه القيثارة الساحرة.

ثانياً
الثقافة العربية فى صقلية

تلاقت الثقافة الإغريقية والرومانية[1] فى صقلية، وقد رحل أفلاطون إلى سيراقوزا عاصمة صقلية عام ٣٦٦ ق م بدعوة من دنيس حاكمها لتطبيق أفكاره فى المدينة الفاضلة فيها.

وقد فتح أسد بن الفرات صقلية عام ٢١٢ هـ: ٨٢٧ م، ودخلها معه عدد كبير من العلماء والفقهاء والشعراء، وكان هو عالماً فقيهاً، وتلميذاه: أبو يحيى أحمد بن محمد بن قديم، ويزيد بن محمد الجمعى من الراسخين فى علوم الدين.

ولأبى زيد القيروانى (٩٩٦ م) فضل نشر مذهب مالك فى صقلية، وكتابه الرسالة مشهور. وكان لقضاة الإسلام فى الجزيرة أثر كبير.

وإبان الحكم الإسلامى العربى لصقلية كان فى مدينة بالرمو وحدها أكثر من ٣٠٠ مسجد، وفى كل مسجد إمام يعلم الناس ويرشدهم ويفتيهم، وكانت بالرمو تحاكى القيروان وبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة فى العناية بالثقافة الإسلامية والعربية.

وبدأت المحاولات لإجلاء المسلمين عن الجزيرة عام ١٠٣٨ م على يدى

(١) استولى الرومان على الجزيرة عام ٢١٥ ق م من قرطاجنة.

جورجيو مانياتشي، وعززها عام ١٠٦٠ م روجيروا النورماندى المعروف عند العرب باسم روجار، ودانت الجزيرة كلها لحكم النورماند بعد ثلاثين سنة من الحروب، وبدأت هجرة النخبة الممتازة من أهل الأدب والشعر وأصحاب المذاهب الدينية والفكرية والسياسية، الذين هاجروا إلى مختلف العواصم الإسلامية، ومن بينهم: ابن حمديس وقد هاجر إلى الأندلس، وابن القطاع (١٠ من صفر ٤٣٣ هـ: ١٠٤١ م - ٥١٥ هـ) وقد هاجر إلى مصر عام ٥٠٠ هـ، وهو من بنى الأغلب ملوك صقلية من قبل الفاطميين وكان إماماً فى اللغة وشاعراً، وله كتاب فى تاريخ الجزيرة، وكتاب «الدرة الخطيرة فى المختار من شعراء الجزيرة» وسواهما.

وقد شجع النورمانديون الثقافة العربية فى الجزيرة، فنجد روجار الثانى يشجع الإدريسى (١٠٩٩ - ١١٦٦) الجغرافى العربى فيؤلف له كتابه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق»، وللمستشرق البلغارى بوريس نيتلوف دراسة عنه.

وفى العصر الحديث بدأ الاهتمام بالدراسات العربية بجزيرة صقلية فى القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادى على أيدى أنطونيو داميكو، وجان باتيستا، وفرانشيسكو طارديا وسواهم، من مثل جوزيبى فيللا؛ وعمل الفونسو ابرولدى على إنشاء كرسى جامعى فى جامعة بالرمو للغة العربية كان ممن شغله نالينو، ويشغله حالياً المستشرق أومبرتو رنزيتانو، وللكاتب المشهور روزاريو جريجوريو (المتوفى عام ١٨٠٩ م) عدة مؤلفات عن تاريخ العرب فى الجزيرة، وكذلك فعل سلفاتورى مورسو (المتوفى عام ١٩٢٩ م) وله كتاب عنوانه: «بالرمو القديمة» يحتوى على وصف للمدينة فى القرن الثانى عشر الميلادى. وميكيلى آمارى أعظم المستشرفين الصقليين (١٨٠٦ - ١٨٩٠) وله كتاب «المكتبة العربية» فى صقلية وطبع عام ١٨٥٧ هـ على نفقة الجمعية الشرقية الألمانية، ثم ترجمه إلى الإيطالية، وكتاب «تاريخ مسلمى صقلية» فى ثلاثة أجزاء، وترجم كذلك من العربية إلى الإيطالية كتاب سلوان المطاع لابن ظفر (الذى هو من مواليد صقلية فى القرن الثانى عشر الميلادى. . ومن

تـلامذتـه المستشرق سكابـاريللى (المتوفى ١٩١٩ م). وقـد حقق ديـوان ابن حمديس وترجمه إلى الإيطالية ترجمة لم تنشر بعد، وترجم كذلك إلى الإيطالية رحلة ابن جبير؛ ومن تلامذة آملوى كذلك المستشرق لاجومينـا، وقد نشر فهرس المخطوطات الشرقية الموجودة بمكتبات صقلية ومن بينها ٢٩ مخطوطـاً عربياً، وكذلك كتاب الملل والنحل للشهرستانى، ويشغـل أومبرتـو ريزيتـانو منصب مدير معهد الدراسات الشرقية فى جـامعة بـالرمـو حاليـاً. . ولحسن حسنى عبد الوهاب بحث عن الحكم العربى لصقلية، ولأمين الخولى بحث نشره فى المقتطف ١٩٢٣ عن المدينة العربية فى صقلية، ولأحمد توفيق المدنى الجزائرى كتاب عنوانه «المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا» نشره عام ١٩٤٥، ولعـلى مصطفى المصراتى كتـاب بعنوان «أسـد بن الفرات فـاتـح صقلية».

وقد نشر إحسان عباس ديوان ابن حمديس، وله كتاب عنوانه «العرب فى صقلية».

ونشر عبد الغنى المنشاوى ومصطفى السقا «ترجمة لابن حمديس الصقلى» عام ١٩٢٩ م.

وأعادت كلية الآداب ببالرمو عام ١٩٥٩ كرسى اللغة العربية بعد أن كان قد ألغى من نحو ١٥ عاماً، وانعقدت فى أكتوبر ١٩٦١ فى بالرمو ندوة للدراسات الصقلية الشرقية.

ثالثاً

طرابلس فى القرنين السابع والثامن

١ ـ فى عهد الحفصيين قام الرحالة التونسى التجانى[1] (٦٧٠ - ٧٢٤ هـ) برحلة إلى طرابلس فى صحبة أحد ملوك بنى حفص فى أوائل القرن الثامن الهجرى، وقد سجل مشاهداته فى هذه الرحلة فى كتابه المطبوع بتونس «رحلة التجانى».

وعندما دخل إقليم طرابلس، ودخل زوارة وصفها بأنها أكثر بقاع الأرض ظباء؛ وتحدث عن زواغة وكرم أهلها وأشار إلى آثارها القديمة؛ وعن صبرة (صبراتة)، وعن زاوية أولاد سهيل[2]؛ وعن زاوية أولاد سنان، وعن زنزور[3]، وعن الأربطة والمساجد على ساحل البحر الأبيض الليبى.

ويدخل طرابلس فيروعه جمالها ورياضها حتى إنها سميت المدينة البيضاء، كما يروعه ضخامتها، ويتحدث عن مسجد العشرة[4]، ويعجب بحمام المدينة مع صغره، وبنظافة شوارعها وطول اتساعها واستقامتها، وأكثرها

---

(١) من أسرة علمية مشهورة ولد بتونس، ونشأ نشأة علمية عالية وخدم ملوك الحفصيين، وسار فى صحبة الأمير الحفصى أبى يحيى زكريا بن اللحيانى لزيارة تونس وطرابلس فى آخر جمادى الأولى عام ٧٠٦ هـ وعاد من هذه الرحلة عام ٧٠٨ هـ: ١٣٠٨ م.

(٢) كان أبوهم سهيل كريماً مضيافاً وتوفى عام ٦٧٣ هـ.

(٣) توفيت للأمير الحفصى ابنة ودفنت فى زنزور أثناء هذه الرحلة.

(٤) سمى بذلك لأن عشرة من كبار أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة وتدبير أمر البلد قبل تملك الموحدين لها عام ٥٥٥ هـ.

يخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولها إلى آخرها؛ ويصف العناية بسور المدينة واحتفال اهلها ببنائه؛ ويذكر تاريخ المدينة فى الإسلام، وبنى خرزون الزناتيين وحكمهم. ويـذكر بعض علماء طـرابلس، ومنهم ابن أبى الـدنيـا (٦٠٦ - ٦٨٤ هـ)، وأبو على الحسن بن معمر الهوارى (٦٠٩ - ٦٨٢ هـ)؛ كما يذكر كثيراً من قصائد الشعراء ورسائل الأدباء.

ويتحدث عن شيخ علماء طرابلس فى ذلك الوقت، وهو الإمام الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم، ويصفه بـأنه نـال من المعارف مـا اشتهى، وقد حضر التجانى درسه بمسجد مجاور لداره، ويقول: إنه رأى رجلاً متضلعاً من العلم، ذاكراً بالمذهب ذكراً لا يجاريه فيه أحد، وله عناية بحفظ كلام القرويين فى المذهب، واعتماده فى الأصول على كلام الإمام أبى المعالى وكلام الغزالى، ويقول التجانى إنه تتلمذ عليه، وإن الشيخ أجـازه بإجـازة طويلة ذكر فيها شيوخه الذين تلقى عليهم.. ويتحدث عن ضريح الشيخ محمد بن عبد الوهاب القيسى الزاهد، وعن قبر أبى إسحاق إبراهيم الاجدابى الفقيه وأعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقهاً ونحواً ولغة وعروضاً ونظماً ونثراً.

٢ - وفى الرحلة المغربية[١] لمحمد العبدرى البلنسى الرحالة الذى قام برحلته فى ٢٥ من ذى العقدة عام ٦٨٨ هـ.

والعبدرى يذكر سلامة اللغة فى ليبيـا حيث لم يصبها من الـوهن ما أصابها فى المغرب، ويقول: وعرب برقة اليوم أفصح عرب رأيناهم؛ وعرب الحجاز فصحاء، ولكن عرب برقـة لم يكثر ورود النـاس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره وهم إلى الآن على عربيتهم لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ويذكر شواهد لحرص أهل برقة على سلامة لغتهم، ويتحدث عن معاملتهم فى التجارة، وعن تقاليدهم وعاداتهم[٢].

---

(١) نشرت فى تونس بمطبعة البعث التى أنشأها الأستاذ أبو القاسم كرو بتحقيق أحمد بن جدو.

(٢) كتب الأستاذ نجم الدين غالب السكيب سلسلة مقالات عن هذه الرحلة وعن ليبيا كما رآها هذا الرحالة المغربى، وقد اعتمدنا على مقالاته إذ لم يقع الكتاب فى يدنا.

خاتمة الكتاب

- ١ -

بين الأزهر وليبيا صلات قديمة وحديثة، فإليه كان يحج طلاب العلم من أبناء ليبيا فى القديم والحديث، وفيه كان يشغل وظائف التدريس بعض أبناء ليبيا فى مختلف العصور، ومن علمائه من هاجر إلى أرض ليبيا العربية المسلمة يفيد الناس، ويتصدر حلقات العلم فى مدن ليبيا العريقة الخالدة.

والأزهر، منذ انشائه كان حامياً للدين، وحارساً للغة، يذود عنهما طغيان الملحدين، وكيد الكائدين، وكان علماؤه منارة الدنيا، ومصابيح الهداية؛ وإذا كان الإسلام قد شرق وغرب، وأنجد وأتهم، وركز صواه وأعلامه فى كل قطر، وفى كل مكان، دان أو بعيد، فإن الفضل فى ذلك كله يرجع إلى الأزهر، قبلة المسلمين ومباءتهم، إذ كان يفد إليه الطالب، ويقصد إليه الراغب، ويمتح بدلوه منه كل ظامئ . . وبهذا كله صارت صلات المسلمين وروابطهم بعضهم ببعض، تنبعث منه، وتلتقى عنده، وتتوثق لديه، وتقيم صروحها عليه؛ وكان المسلمون، وإن تناءت ديارهم، وتباعدت أوطانهم، يلتفون جميعاً حوله، ويتجهون كلهم إليه، ويعلقون عليه الآمال الكبار . . وإن تلك الصورة القديمة، التي نقلها إلينا التاريخ عن عناية المسلمين بالأزهر، وبذلهم كل شيء للتمكين له، ومعاونته فى أداء رسالته، لتدل دلالة صادقة على ما كان له من مكانة مرموقة فى قلب كل مسلم، وعلى ما علقوا عليه من عظام الآمال فى خدمة الإسلام والمسلمين. وحاضر الأزهر

متصل بماضيه، منبعث من قديمه التالد، ومجده العريق. ولسوف يظل منارة شماء فى مصر، يرتفع به مجدها، ويتصل به فخارها، ويخلد به ذكرها؛ فهى به وطن المسلمين، ومعقد آمالهم، ومقعل رجائهم وما منا ـ نحن الذين عشنا فى أروقته طلاباً وأساتذة ـ إلا وقد نهل من معين الأزهر، واهتدى بنوره، وقبس من ضيائه، وغرف من تياره.

ـ ٢ ـ

ولما أنشأت ليبيا الجامعة الإسلامية فى البيضاء، التى أطلق عليها اسم جامعة محمد بن على السنوسى الإسلامية، تيمنا باسم جده الإمام الأكبر محمد ابن على السنوسى رائد الدعوة السنوسية؛ كان لا بد أن تقوم بينها وبين الأزهر صلات علمية وثيقة، وكان من مظهر التعاون بينهما أن تولى أساتذة جامعة الأزهر التدريس فى كليات الجامعة الإسلامية الثلاث الجديدة: الشريعة وأصول الدين واللغة العربية.

وندبنى الأزهر للسفر إلى البيضاء للتدريس فى كلية اللغة العربية هناك فشددت الرحال فى خريف عام ١٩٦٣ إلى ليبيا، ووصلت إلى البيضاء فى التاسع عشر من نوفمبر عام ١٩٦٣، وظللت ثلاثة أعوام فى البيضاء أدرس لطلبتي فى الكلية تاريخ الأدب العربى القديم والحديث، والنقد، والأدب المقارن، ونصوص الأدب، والأدب المهجرى؛ وعهد إلى لأول مرة فى تاريخ الكلية القيام بتدريس الأدب الليبي.

ـ ٣ ـ

وكانت مهمة شاقة، فليس فى الثقافة العربية كتب فى تاريخ الأدب العربى فى ليبيا، ولا يعرف عن الأدب الليبى شيء حتى عصر الحركة السنوسية، وكل ما يعرف عنه هو التراث الشعرى للأدباء الليبيين المعاصرين.

وقد وجدت من تشجيع شيخى الجامعة الإسلامية لى، فضيلة الأستاذ

الشيخ منصور المحجوب، ثم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد الديبانى، ومن تشجيع عمداء الكليات الثلاث لى: الشيخ محمد جوان، والشيخ مصطفى التريكى، والشيخ إبراهيم رفيدة عميد كلية اللغة العربية، ما حفزنى إلى مضاعفة الجهد فى كتابة فصول تاريخ الأدب العربى فى ليبيا لأول مرة فى تاريخ الثقافة العربية، ووفق تقسيمات جديدة لم يسبقنى إليها باحث.

لقد نشر للأستاذ الحاجرى كتاب «الحياة الأدبية فى ليبيا» فى القاهرة عام ١٩٦٢، ولكنه بحث عن الشعر الليبى منذ عصر الدعوة السنوسية أى فى المائة عام الأخيرة، وعلى الرغم من قصر هذه المدة فإنه لم يشمل كل جوانب الحركة الأدبية فى هذه الفترة، وللأسف لم أطلع عليه إلا عام ١٩٦٦ حين وقعت لى نسخة منه، وكنت قد انتهيت من كتابة كتابى جملة.

وكتب الأستاذ محمد الصادق عفيفى كتاباً عن «شعراء ليبيا»، وكتب كذلك دراسة عن الشاعر رفيق، ونشر ديوانه، كما كتب الأستاذ على مصطفى المصراتى البحاثة الليبى عدة كتب، عن بعض الشخصيات الأدبية الليبية البارزة، وكتب الأستاذ طاهر الزاوى كتاباً فى أعلام ليبيا، وفى هذه الكتب وغيرها طالعت، وإليها رجعت، ثم واليت الاطلاع على الكتب المؤلفة فى التاريخ العام لليبيا فى القديم والحديث، ومن بينها مجموعة الطيب الأشهب وغيره فى تاريخ الحركة السنوسية، وأخذت أقرأ فى شتى المصادر والمراجع القديمة والحديثة، المخطوطة والمطبوعة، حتى تجمعت لى هذه المادة الى نشرتها فى كتابى «قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الإسلامى إلى اليوم».

وبالإضافة إلى ذلك أفدت من رحلاتى فى مدن برقة، ومن مخطوطات مكتبة الإمام السنوسى المحفوظة فى مكتبة الجامعة الإسلامية بالبيضاء، ومما أعارنى إياه فضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم رفيدة شيخ كلية اللغة العربية فى البيضاء، وكان لمكتبة حسن الخراز فى البيضاء فضل وأى فضل بما أمدتنى به من شتى المطبوعات الحديثة عن ليبيا، وبما حرصت عليه من تجميع شتى المجلات والصحف الليبية لى.

لقد كان شبه معجزة أن أستطيع كتابة هذه الفصول الجديدة كل الجدة عن ليبيا وتاريخها الفكرى والثقافى والأدبى؛ وكان مما ضاعف من عزيمتى فى كتابتها ما شعرت به من الحب، وصلات المودة لهذا الوطن الإسلامى العربى، مما دفعنى إلى العمل ليل نهار، لإنجاز هذه المهمة، التى ألقيتها أنا وحدى على عاتقى الضعيف، والتى أخذت منى مجهوداً كبيراً طيلة عدة سنوات.

ولولا فضل الله ورعايته وتوفيقه لوقفت من حيث بدأت، إذ كنت كمن يحاول أن يخط فى الماء، أو أن يستضىء بالظلماء؛ أو أن يستهدى بالآثار فى رمال الصحراء.

وبقى طبع الكتاب، وقد كان مشكلة، أن أجد له ناشراً لطوله، وظللت أبحث عن ناشر، وبخاصة بعد انتهاء ندبى إلى ليبيا فى صيف عام ١٩٦٦ م، وأخيراً رأيت أن أقوم كذلك بطبعه، متحملاً ما يجب أن أتحمله فى سبيل نشره، من أعباء مادية، كما تحملت أعباءه الفكرية.

ولا أجد ما أقوله إلا أن أحمد الله على توفيقه، وأضرع إليه أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، فهو أكرم مأمول، وأجل مسئول، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب؟

محمد عبد المنعم خفاجى

الهرم فى صيف عام ١٩٦٨ م

مصادر الكتاب

ـ أولاً ـ

١ ـ كتب عن ليبيا:

١ ـ وثائق عن نهاية العهد القره مانللى ـ تأليف إسماعيل كمالى (بالإيطالية)، وتعريب وتحقيق مصطفى بازارمة ـ دار لبنان ببنى غازى ١٩٦٥م.

٢ ـ المجمل فى تاريخ ليبيا ـ مصطفى بعيو ـ الإسكندرية ١٩٤٧م.

٣ ـ ليبيا فى العصر العثمانى الثانى ـ جوزيف كاكيا ـ ترجمة يوسف العسلى القاهرة ١٩٤٦م.

٤ ـ تاريخ ليبيا العام ـ ابن مسعود.

٥ ـ ليبيا العربية ـ ابراهيم حقى.

٦ ـ ليبيا الحديثة ـ فؤاد شكرى.

٧ ـ ليبيا ـ حسن محمود وآخرين من سلسلة شعوب العالم.

٨ ـ ليبيا بين الماضى والحاضر ـ حسن سليمان محمود ـ القاهرة ١٩٦٢م.

٩ ـ قضية ليبيا ـ محمود الشنبطى.

١٠ ـ طرابلس الغرب لراسم رشدى ـ طرابلس ١٩٥٣م.

١١ ـ جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ـ محمد عثمان الحشائشى ـ مخطوط بدار الكتب المصرية.

١٢ ـ رفع الستار لمحمد الأخضر العيساوى.

١٣ ـ دراسات فى التاريخ اللوبى ـ مصطفى بعيو.

١٤ ـ المهدى السنوسى ـ للأشهب.

١٥ ـ السنوسى الكبير ـ للأشهب.
١٦ ـ إدريس السنوسى للأشهب ـ القاهرة.
١٧ ـ الدرر السنية فى أخبار السلالة الإدريسية ـ للإمام الأكبر محمد بن على السنوسى.
١٨ ـ برقة لنقولا زيادة ـ دار العلم للملايين.
١٩ ـ برقة العربية للطيب الأشهب ـ القاهرة.
٢٠ ـ تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ـ طاهر الزاوى.
٢١ ـ أعلام ليبيا ـ طاهر الزاوى.
٢٢ ـ فى صحراء ليبيا ـ أحمد حسنين باشا.
٢٣ ـ حاضر طرابلس الغرب ١٩٣٧ ـ بغداد.
٢٤ ـ البطش والكرب فى برقة وطرابلس الغرب ـ الفرات ١٩٤٢م.
٢٥ ـ شكيب أرسلان والقضية الليبية ـ محمد رجب الزائدى ـ البيضاء ١٩٦٤م.
٢٦ ـ شكيب أرسلان د. الشرباصى ـ جزءآن ـ القاهرة.
٢٧ ـ عمر المختار للزاوى ١٣٥٢ هـ ـ القاهرة.
٢٨ ـ الأسبان وفرسان القديس يوحنا فى طرابلس ـ عمر البارونى.
٢٩ ـ ميلاد دولة ليبيا ـ فؤاد شكرى.
٣٠ ـ السنوسية دين ودولة ـ فؤاد شكرى.
٣١ ـ التذكار لابن غلبون القاهرة ١٣٤٩ هـ ـ.
٣٢ ـ المنهل العذب لأحمد النائب الأنصارى ـ جزآن ـ نشر الفرجانى بطرابلس.
٣٣ ـ العهد العثمانى الأول فى طرابلس ـ عمر البارونى.
٣٤ ـ أعلام من طرابلس ـ للمصراتى.
٣٥ ـ الفتاوى الكاملية لمحمد كامل بن مصطفى ـ ط ١٣١٢ هـ.
٣٦ ـ ابن غلبون مؤرخ ليبيا ـ على المصراتى.
٣٧ ـ الفكر الإسلامى وصلته بالاستعمار الغربى محمد البهى.
٣٨ ـ ليبيا المجاهدة ـ محمد رجب الزائدى نشر دار الكتاب الليبى ببنيغازى.

٣٩ ـ مجلة رسالة الباكستان عدد خاص عن ليبيا ـ يوليو ١٩٥٧م.
٤٠ ـ مجلة القلم الجديد العدد الحادى عشر الصادر فى عمان ١٩٥٣م.
٤١ ـ حقيقة ليبيا ـ سامى حكيم ١٩٦٨ القاهرة.
٤٢ ـ موسوعة جغرافية الممالك الإسلامية المستقلة فى القارة الإفريقية، باللغة الفارسية، بقلم د. حسنى كنيلى بجامعة طهران ـ العدد الأول. وقد صدر عن ليبيا فى ٦٥ صفحة، ويشتمل على ٢٣ صورة و ٥ خرائط ملونة، وتناول الكلام على: حدودها، مساحتها، سكانها، تاريخ استقلالها، مناخها، ماؤها، أوضاعها الاقتصادية، حالتها الطبيعية، تقسيماتها الإدارية.

٢ ـ كتب عن الأدب الليبى:

١ ـ إبراهيم الأسطى عمر ـ لعلى مصطفى المصراتى.
٢ ـ رفيق شاعر الوطنية ـ محمد الصادق عفيفى.
٣ ـ رفيق شاعر الوطن ـ خليفة محمد التليسى.
٤ ـ أحمد رفيق ـ رسالة مخطوطة بمكتبة كلية اللغة العربية بالقاهرة ـ لعبد المولى البغدادى.
٥ ـ رفيق لعبد ربه الغناى.
٦ ـ نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان ـ لأحمد النائب الأنصارى ـ جزآن.
٧ ـ الشعر والشعراء فى ليبيا ـ محمد الصادق عفيفى ـ القاهرة ١٩٥٧م.
٨ ـ الحياة الأدبية فى ليبيا ـ طه الحاجرى ـ ١٩٦٢ القاهرة.
٩ ـ جبران والشابى محمد خليفة التليسى.
١٠ ـ المجتمع الليبى من خلال أمثاله الشعبية ـ على مصطفى المصراتى.
١١ ـ لمحات أدبية فى نصف قرن ـ للمصراتى.
١٢ ـ صحافة ليبيا فى نصف قرن ـ للمصراتى.
١٣ ـ أحلام وثورة ـ ديوان ـ على صدقى عبد القادر.
١٤ ـ صرخة ـ ديوان ـ على صدقى عبد القادر.

١٥ ـ زغاريد ومطر بالفجر ـ ديوان ـ على صدقى عبد القادر.
١٦ ـ ديوان البهلول تحقيق طاهر الزاوى ـ طبع بالقاهرة. وهو تخميسة على القصيدة العياضية.
١٧ ـ ديوان ابن زكرى ـ القاهرة ـ ١٣١٠ هـ.
١٨ ـ ديوان أحمد الشارف ـ بيروت ـ نشر على المصراق.
١٩ ـ ديوان رفيق ـ طبع ليبيا جزآن.
٢٠ ـ ديوان رفيق ـ مطبعة الرسالة بالقاهرة.
٢١ ـ ديوان البهلول ـ طبع استامبول.
٢٢ ـ قصة مرسال ـ على مصطفى المصراق.
٢٣ ـ ديوان البارونى ـ القاهرة ١٩٠٩م.
٢٤ ـ البلبل والوكر ـ للشاعر إبراهيم الأسطى عمر ـ تحقيق الأستاذين عبد الباسط سليمان الدلال، عبد اللطيف محمد شاهين.
٢٥ ـ شعر الطبيعة ـ للسحرى.
٢٦ ـ البحر لا ماء فيه ـ مجموعة قصصية ـ أحمد إبراهيم الفقيه ـ طبع ليبيا.
٢٧ ـ الجدار ـ مجموعة قصصية يوسف الشريف.
٢٨ ـ القصص القومى ـ زعيمة البارونى.

٣ ـ كتب عن الدول العربية والإسلامية وعن الرحلات:

١ ـ الإحاطة فى أخبار غرناطة ـ لسان الدين بن الخطيب.
٢ ـ الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الإباضية لسليمان البارونى.
٣ ـ الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية.
٤ ـ الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية ـ لابن قنفد.
٥ ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ـ محمد الزركشى.
٦ ـ تاريخ الموحدين والحفصيين لابن الشماع.
٧ ـ أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير.
٨ ـ أخبار المهدى بن تومرت للبيذق.
٩ ـ بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ـ ليحيى بن خلدون.

١٠ ـ واسطة السلوك فى سياسة الملوك لأبى حمو الثانى (٧٦٠ ـ ٧٩١) من ملوك الدولة الزيانية.
١١ ـ نظم الدر والعقيان فى ذكر شرف بنى زيان للحافظ التنسى.
١٢ ـ الخلاصة النقية فى أمراء إفريقية ـ لمحمد الباجى.
١٣ ـ خلاصة تاريخ العرب لسيديو ـ مترجم.
١٤ ـ نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار لمحمود مقديش.
١٥ ـ الرحلة الورتلائية للحسين الورتلانى.
١٦ ـ رحلة ابن جبير.
١٧ ـ رحلة ابن بطوطة.
١٨ ـ الرحلة المغربية للعبدرى ـ مخطوط جامع الزيتونة ـ تونس رقم ٥٠٩٣[١].
١٩ ـ الحلل السندسية فى الأخبار التونسية ـ تونس ١٢٨٧ هـ.
٢٠ ـ رحلة العياشى أبو سالم ـ نشر فاس ـ مجلدان.
٢١ ـ رحلة التجانى لعبد الله بن محمد التجانى (أدى فريضة الحج عام ٧٠٨ هـ).
٢٢ ـ الرحلة الناصرية لأحمد بن ناصر المراكشى.
٢٣ ـ الأزهار الرياضية ـ سليمان البارونى ـ القاهرة.
٢٤ ـ قصيدة نفيسة الجمان فى فتح وهران لمحمد أبى راس.
٢٥ ـ خلاصة تاريخ تونس ـ حسن حسنى عبد الوهاب.
٢٦ ـ تاريخ الجزائر ـ جزآن. لمبارك الميلى ـ طبع الجزائر.
٢٧ ـ الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى ـ نشر جعفر ومحمد الناصرى ـ الدار البيضاء ١٩٥٤م ـ ٩ مجلدات.
٢٨ ـ الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ـ ط القاهرة ١٣١٠ هـ ٤ مجلدات.
٢٩ ـ تاريخ المغرب من الفتح العربى حتى قيام الأغالبة والرستميين والأدارسة ـ د. سعد زغلول.

(١) طبعته دار البعث بتونس لصاحبها الأستاذ أبو القاسم كرو بتحقيق أحمد بن جدو.

٣٠ ـ ملامح المغرب العربي ـ للصياد ـ دار المعارف بالقاهرة.
٣١ ـ فتح العرب للمغرب ـ حسين مؤنس ١٩٤٧ ـ القاهرة.
٣٢ ـ البربر لعثمان الكعاك.
٣٣ ـ داخل إفريقية لجون جنتر مترجم.
٣٤ ـ الفتوحات الإسلامية ـ لدحلان ـ جزآن.
٣٥ ـ عصر المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس ـ محمد عبد الله عنان.
٣٦ ـ المجالس والمسايرات ـ ٣ أجزاء ـ مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة.
٣٧ ـ شرح لمعة من أخبار المعز ـ مخطوط بجامعة القاهرة.
٣٨ ـ كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة ـ جزآن ـ مصر ١٢٨٧ هـ.
٣٩ ـ أخبار ملوك بني عبيد ـ طبع الجزائر ١٣٤٦ هـ.
٤٠ ـ كنوز الفاطميين ـ ١٩٤٠م.
٤١ ـ عبقرية الفاطميين للأعظمى ـ طبع بيروت.
٤٢ ـ الفن الإسلامى في مصر جـ١ عام ١٩٣٥م.
٤٣ ـ قصة الحضارة ـ مترجم.

٤ ـ كتب في طبقات الرجال وفى التراجم:

١ ـ طبقات علماء إفريقية لأبى العرب التميمى.
٢ ـ طبقات علماء إفريقية لمحمد الخشنى.
٣ ـ إنباه الرواه للقفطى ـ طبع دار الكتب المصرية.
٤ ـ بغية الوعاة للسيوطى ـ طبع القاهرة.
٥ ـ شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ـ لمخلوف ـ مجلدان ـ القاهرة ١٣٥٠ هـ.
٦ ـ رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية ـ جزء أول تأليف أبى بكر المالكى ـ نشر حسين مؤنس ١٩٥١م.
٧ ـ طبقات علماء إفريقية وتونس ـ محمد الرعينى.
٨ ـ نزهة الألبا للأنبارى (٥٧٧ هـ) ـ طبع مصر ١٢٩٤ هـ.

٩ ـ المقرى للطيب الجنحانى ـ طبع تونس ١٩٥٥م.
١٠ ـ المقرى لمحمد عبد الغنى حسن ـ طبع القاهرة.
١١ ـ أسد بن الفرات ـ على مصطفى المصراتى.
١٢ ـ ابن حمديس الصقلى على المصراتى.
١٣ ـ ابن حمديس الصقلى ـ عبد الغنى المنشاوى طبع القاهرة.
١٤ ـ الأعلام للزركلى ـ ١٠ أجزاء ـ الحلبى بالقاهرة.
١٥ ـ أبو الحسن الحصرى ـ محمد المرزوقى ـ تونس ١٩٦٤م.
١٦ ـ حياة القيروان وموقف ابن رشيق منها ـ للياغى ـ بيروت.
١٧ ـ ابن رشيق لعبد الرؤوف مخلوف ـ القاهرة.
١٨ ـ ابن خلدون محمد عبد الله عنان.
١٩ ـ تاريخ جوهر الصقلى ـ القاهرة ١٩٣٣م.

٥ ـ تاريخ:

١ ـ تاريخ أبى الفدا ـ طبع القسطنطينية ١٢٨٦ هـ.
٢ ـ تاريخ الطبرى طبع بولاق ـ «تاريخ الأمم والملوك».
٣ ـ تاريخ ابن الأثير ـ الكامل ـ طبع المنيرية ١٣٥٧ هـ.
٤ ـ التاريخ الكبير لابن عساكر ـ مخطوط.
٥ ـ تاريخ غزوات العرب.
٦ ـ تاريخ الإسلام السياسى، حسن إبراهيم ـ ٤ أجزاء.
٧ ـ إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى جنوبا ـ حسن إبراهيم ـ القاهرة ١٩٥٧م.
٨ ـ المعجب للمراكشى (٦٦٩ هـ) ـ ليدن ١٨٨١م.
٩ ـ آثار البلاد للقزوينى ـ جوتنجن ١٨٤٩م.
١٠ ـ البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى ـ ليدن ١٨٤٨ ـ نشر دوزى ـ ٣ أجزاء.
١١ ـ المغرب فى حلى المغرب والمشرق فى حلى المشرق ـ لابن سعيد (٦٧٣ هـ) ـ ليدن ١٨٩٨. . والجزء الخاص بالأندلس تحقيق الدكتور

شوقى ضيف ـ طبع دار المعارف ١٩٥٣م.
١٢ ـ كنوز الفاطميين ـ زكى محمد حسن ـ القاهرة ـ ١٩٤٠م.
١٣ ـ المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكرى (٤٨٧ هـ) باريس ١٩١١م.
١٤ ـ نزهة المشتاق للإدريسى ـ طبع روما.
١٥ ـ تاريخ ابن خلدون ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ ط مصر ١٩٣٦م.
١٦ ـ نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار ـ محمود الصفاقسى.
١٧ ـ تجارب الأمم لمسكويه ـ الجزء الأول ـ ط مصر ١٩١٤م.
١٨ ـ طبقات الأمم لصاعد الأندلسى.
١٩ ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى ـ ط القدس ١٣٥٠ هـ.
٢٠ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر.
٢١ ـ الحلل السندسية ـ شكيب أرسلان.
٢٢ ـ بغية الملتمس للضبى.
٢٣ ـ حسن المحاضرة للسيوطى ـ ط القاهرة جزآن.
٢٤ ـ تاريخ اليعقوبى لابن اليعقوبى.
٢٥ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطى.
٢٦ ـ مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعى.
٢٧ ـ الفخرى لابن الطقطقى.
٢٨ ـ السلوك للمقريزى ـ طبع القاهرة.
٢٩ ـ الخطط والآثار للمقريزى القاهرة ١٣٣٦ هـ.
٣٠ ـ مروج الذهب للمسعودى.
٣١ ـ العالم العربى ـ نجلاء عز الدين.
٣٢ ـ الشرق العربى والخلافة العثمانية لضياء الدين الريس.
٣٣ ـ الدولة العثمانية والشرق العربى لمحمد أنيس.
٣٤ ـ البلاد العربية والدولة العثمانية لساطع الحصرى ١٩٥٧م.
٣٥ ـ محاضرات فى تاريخ الأمم والإسلام ـ محمد الخضرى ـ ٣ أجزاء.
٣٦ ـ تاريخ مصر الإسلامى: إلياس الأيوبى.

٣٧ ـ صفوة الزمان فيمن ولى مصر من أمير أو وال أو سلطان ـ للصفوى ـ مخطوط بمكتبة المؤلف.
٣٨ ـ دولة بنى قلاوون فى مصر ـ ط دار الفكر العربى بالقاهرة.
٣٩ ـ المنتظم لابن الجوزى ط حيدر أباد الدكن.
٤٠ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ـ مخطوط بدار الكتب المصرية.
٤١ ـ كتاب الدول المنقطعة لابن ظافر ـ مخطوط ـ دار الكتب.
٤٢ ـ مسالك الأمصار للعمرى ـ دار الكتب المصرية ١٩٢٤م.
٤٣ ـ تاريخ ابن الوردى ـ ط مصر ١٢٨٥ هـ.
٤٤ ـ مسالك الممالك للأصطخرى ـ ط ليدن ١٩٢٧م.
٤٥ ـ قصة الحضارة ترجمة زكى نجيب ومحمد بدران ـ ط لجنة التأليف بالقاهرة ـ تأليف ديورانت.
٤٦ ـ الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع لآدم ميتز ـ ترجمة أبو ريدة.
٤٧ ـ حضارة العرب ـ لوبون ـ ترجمة زعيتر ـ ط الحلبى ١٩٤٥م.
٤٨ ـ الطريق إلى مكة ـ محمد أسد.
٤٩ ـ القوميات ـ لأمين الريحانى.
٥٠ ـ اليقظة العربية ـ لأمين سعيد.
٥١ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ـ أجزاء ـ مترجم ـ طبع بيروت ١٩٤٨م.
٥٢ ـ حاضر العالم الإسلامى تعليق الأمير شكيب أرسلان.
٥٣ ـ الدولة العربية المتحدة ـ ١٩٣٨ القاهرة.
٥٤ ـ تاريخ الجبرتى عجائب الآثار لعبد الرحمن الجبرتى ١٣٢٢ هـ.
٥٥ ـ الصلة لابن بشكوال الأندلسى.
٥٦ ـ الضوء اللامع للسخاوى.
٥٧ ـ الديباج المذهب لابن فرحون.
٥٨ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى.
٥٩ ـ حضارة الإسلام فى دار السلام لجميل نخلة.
٦٠ ـ يقظة العرب ـ جورج أنطونيوس ـ ترجمة الركابى.

٦١ ـ تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان ـ ط الهلال ١٩٣١م.
٦٢ ـ عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ـ العينى الحنفى.
٦٣ ـ تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ط الشام ـ المطبوع منه ٥ أجزاء فقط.
٦٤ ـ تاريخ العرب ـ فيلب حتى ـ بيروت ١٩٤٩م.
٦٥ ـ أخبار الدول للقرمانى ـ ط حجر بغداد ١٨٨٢م.
٦٦ ـ خلاصة تاريخ العالم ـ مترجم.
٦٧ ـ أحسن التقاسيم للمقدسى ـ ط ليدن ١٩٠٦م.
٦٨ ـ معجم الأنساب ترجمة زكى محمد حسن وحسن أحمد محمود ـ تأليف زامباور.
٦٩ ـ تاريخ العرب لسيديو ـ ترجمة زعيتر ـ ط الحلبى ١٩٤٨م.
٧٠ ـ تاريخ الدولة العلوية فى المغرب لعبد الكريم بن زيدان.
٧١ ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى لبروكلمان جـ٣ ط ١٩٤٦م.
٧٢ ـ أعلام النبلاء ـ ٧ أجزاء طبع دمشق.
٧٣ ـ تاريخ أغمات ـ لعباس بن إبراهيم.

٦ ـ من مصادر الأدب والنقد والثقافات وموسوعات المؤلفين:

١ ـ كتاب الأغانى لأبى الفرج.
٢ ـ كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه.
٣ ـ كتابه اليتيمة للثعالبى ـ ٤ أجزاء تحقيق محيى الدين عبد المجيد.
٤ ـ زهر الآداب للحصرى ـ ٤ أجزاء.
٥ ـ نفح الطيب للمقرى ـ ٤ أجزاء ـ القاهرة ـ بولاق ١٢٩٧ هـ.
٦ ـ المقدمة لابن خلدون ـ ط التجارية.
٧ ـ البيان والتبيين للجاحظ ـ طبع الخانجى بالقاهرة.
٨ ـ الحيوان للجاحظ ـ طبع الحلبي بالقاهرة.
٩ ـ ديوان الهذليين ـ طبع دار الكتب المصرية.
١٠ ـ خريدة القصر للعماد الأصفهانى.

١١ ـ خريدة القصر ـ قسم شعراء المغرب ـ طبع ١٩٦٦م.
١٢ ـ العمدة لابن رشيق ـ طبع الخانجى ١٩٠٧.
١٣ ـ كشف الظنون ـ خليفة حاجى ـ مجلدان.
١٤ ـ معاهد التنصيص للعباسى ـ تحقيق محيى الدين عبد الحميد.
١٥ ـ جذوة المقتبس للحميرى ـ القاهرة.
١٦ ـ خزانة الأدب للبغدادى ـ ط القاهرة.
١٧ ـ خزانة الأدب للحموى ـ طبع القاهرة ١٢٩١ هـ.
١٨ ـ منهاج البلغاء لحازم ـ طبع تونس ١٩٦٦م.
١٩ ـ رسائل البلغاء ـ محمد كرد على ـ القاهرة ١٩٣٤ ـ ٣ مجلدات.
٢١ ـ معجم المؤلفين لكحالة ـ ١٥ مجلداً ـ دمشق ١٩٦١م.
٢٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان مصر ١٢٢٩ هـ.
٢٣ ـ سر الفصاحة لابن سنان ـ طبع الخانجى ١٩٣٢م.
٢٤ ـ الموازنة للآمدى.
٢٥ ـ الموازنة بين الشعراء لزكى مبارك.
٢٦ ـ شعر الفتوح الإسلامية للنعمان القاضى ـ القاهرة ١٩٦٥م.
٢٧ ـ المقدمة الأدبية لابن عاشور ـ تونس ١٩٥٧م.
٢٨ ـ فوات الوفيات لابن شاكر ـ تحقيق محيى الدين عبد الحميد ـ مجلدان ـ القاهرة ١٩٥٢ م.
٢٩ ـ درة الحجال نشر الرباط ١٩٤٠ م ـ مجلدان.
٣٠ ـ أبو الحسن حازم القرطاجنى وفن المقصورة ـ حولية كلية آداب عين شمس ـ عام ١٩٥١ م.
٣١ ـ نص المقصورة فى نفس المصدر عام ١٩٥٣ م.
٣٢ ـ الأمالى لأبى على القالى ـ ط دار الكتب المصرية.
٣٣ ـ الفهرست لابن النديم.
٣٤ ـ نهاية الأرب للنويرى ـ دار الكتب المصرية.
٣٥ ـ صبح الأعشى للقلقشندى ـ ط دار الكتب المصرية.

٣٦ ـ المستطرف للأبشهى ـ ط القاهرة.
٣٨ ـ الكشكول للعاملى.
٣٨ ـ عصر المأمون لأحمد رفاعى ـ ٣ أجزاء.
٣٩ ـ فجر الإسلام لأحمد أمين.
٤٠ ـ ضحى الإسلام لأحمد أمين.
٤١ ـ ظهر الإسلام لأحمد أمين.
٤٢ ـ دائرة المعارف الإسلامية ـ مترجمة إلى العربية.
٤٣ ـ دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى.
٤٤ ـ دائرة معارف البتسانى.
٤٥ ـ معجم البلدان ليقاوت الحموى ـ ط السعادة ١٩٠٦ م.
٤٦ ـ معجم الأدباء ليقاوت الحموى ط أحمد رفاعى.
٤٧ ـ النجوم الزاهرة ـ ابن تغرى بردى ـ طبع دار الكتب.
٤٨ ـ بغية الوعاة للسيوطى ـ القاهرة.
٤٩ ـ ديوان تميم ـ ط دار الكتب المصرية.
٥٠ ـ الفكر الإسلامى ـ محمد البهمى ـ ١٩٦٠ م.
٥١ ـ المجددون فى الإسلام لعبد المتعال الصعيدى.
٥٢ ـ قدماء ومعاصرون لسامى الدهان ١٩٦٦ م.
٥٣ ـ التصوف الإسلامى ـ لزكى مبارك.
٥٤ ـ تاريخ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى ـ توفيق الطويل ـ ١٩٤٦ م.
٥٥ ـ الإسلام والتجديد فى مصر ـ آدمز ـ ترجمة عباس محمود.
٥٦ ـ الحركات الإصلاحية ـ جمال الدين الشيال ١٩٥٨.
٥٧ ـ مشاهير الشرق ـ جورجى زيدان ١٩٢٢ م.
٥٨ ـ زعماء الإصلاح ـ أحمد أمين.
٥٩ ـ تيارات أدبية ـ إبراهيم سلامة ـ ط القاهرة.
٦٠ ـ المثل السائر لابن الأثير ـ ط مصر ١٣١٢ هـ.
٦١ ـ الذخيرة لابن بسام ـ ط كلية آداب القاهرة ١٩٣٩ م.

٦٢ ـ قصة الأدب في العالم ـ ط مر ١٩٤٣ ـ أحمد أمين وزكي نجيب محمود.
٦٣ ـ الثقافة العربية ـ للعقاد.
٦٤ ـ معجم ما استعجم للبكرى ط القاهرة ١٩٤٥ م.
٦٥ ـ عمالقة الأدب ـ ٣ أجزاء.
٦٦ ـ نشوار المحاضرة للتنوخي ـ ط هندية ١٩٢١ م.
٦٧ ـ النثر الفني لزكي مبارك ـ دار الكتب المصرية ١٩٣٤ م.
٦٨ ـ من أدبنا المعاصر ـ لأحمد أمين.
٦٩ ـ فيض الخاطر ـ لأحمد أمين.
٧٠ ـ وحي الرسالة ـ لأحمد حسن الزيات.
٧١ ـ مقاصد الشريعة لطاهر بن عاشور ـ تونس.
٧٢ ـ القرآن إبراهيم أبو الخشب.
٧٣ ـ الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ـ كامل السوافيري ـ ١٩٦٤ م ـ القاهرة.
٧٤ ـ منازع الفكر الحديث لجود ترجمة البسام وعباس فضلي.
٧٥ ـ أبحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم ـ إسحاق موسى الحسيني.
٧٦ ـ الإسلام والفلسفات المعاصرة ـ محمد البهي.
٧٧ ـ الإسلام والحضارة ـ محمد خلف أحمد.

٧ ـ مراجع في تاريخ الأدب العربي:

١ ـ تاريخ الأدب العربي في العصرين الأموي والعباسي إبراهيم رفيدة ومحمد عبد المنعم خفاجي بالاشتراك ـ القاهرة ١٩٦٦ م.
٢ ـ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ـ ٤ أجزاء.
٣ ـ الأدب العربي وتاريخه ـ لمحمود مصطفى ـ ٣ أجزاء.
٤ ـ تاريخ الأدب العربي للزيات.
٥ ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ـ ترجمة د. عبد الحليم النجار.
٦ ـ لباب الثقافة والأدب ـ محمد أحمد حماد ـ طبع القاهرة ١٩٦٢ م.
٧ ـ الاتجاهات الأدبية ـ محمد أنيس المقدسي.

٨ ـ المفصل فى تاريخ الأدب العربى ـ جزءآن ـ ط القاهرة.
٩ ـ تاريخ آداب العرب ـ للرافعى ٣ أجزاء.
١٠ ـ المنتخب ـ ٤ أجزاء ـ طه حسين وآخرون.
١١ ـ التوجيه الأدبى ـ طه حسين وآخرون.
١٢ ـ الشعر المعاصر ـ مصطفى السحرتى.
١٣ ـ الشعر المصرى بعد شوقى ـ حلقة أولى وثانية ـ محمد مندور.
١٤ ـ فى الأدب الحديث ـ عمر الدسوقى ـ جزآن.
١٥ ـ بلاغة العرب فى الأندلس لأحمد ضيف.
١٦ ـ شعراء الجزائر فى العصر الحاضر.
١٧ ـ أحاديث عن الأدب المغربى الحديث ـ عبدالله كنون.
١٨ ـ رسائل النقد ـ رمزى مفتاح.
١٩ ـ نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر ـ أنور الجندى.
٢٠ ـ حديث عيسى بن هشام.
٢١ ـ شعر اليوم للسحرتى.
٢٢ ـ جولة مع أدباء شمال إفريقيا ـ فوزى الميلادى
٢٣ ـ الاتجاهات الشعرية فى السودان ـ محمد النويهى ـ نشر معهد الدراسات العربية.
٢٤ ـ مراكز الثقافة فى المغرب ـ للكعاك.
٢٥ ـ شعراء السودان.
٢٦ ـ الديوان جزآن للعقاد والمازنى.
٢٧ ـ الأدب السودانى لعبد الملك بدوى.
٢٨ ـ الشعر الحديث فى السودان لعبده بدوى.
٢٩ ـ نفثات اليراع لمحمد عبد الرحيم.
٣٠ ـ رواد الشعر الحديث فى مصر للدكتور مختار الوكيل.

٨ ـ شعر ودواوين:

١ ـ أدباء من الجزائر ـ إبراهيم الكيلانى ـ اقرأ عدد ١٩٢.

٢ - شعراء الجزائر فى العصر الحاضر - للهادى السنوسى.
٣ - ديوان اللهب المقدس - مفدى زكريا.
٥ - ديوان حازم القرطاجنى - بيروت م.
٦ - الشوقيات.
٧ - ديوان ابن حمديس - ط روميه ١٨٩٧ م.
٨ - ديوان ابن خفاجة الأندلسى - جمعية المعارف - مصر.
٩ - ديوان المتنى - شرح العكبرى - تحقيق السقا.
١٠ - ديوان ابن هانىء الأندلسى.
١١ - ديوان حافظ إبراهيم.
١٢ - أطياف الربيع لأبى شادى - ١٩٣٤ م.
١٣ - ديوان المازنى.
١٤ - ديوان العقاد.
١٥ - ديوان شكرى.
١٦ - ديوان ناجى.
١٧ - ديوان الرصافى.
١٨ - ديوان الزهاوى.
١٩ - ديوان الكاظمى.
٢٠ - ديوان غنيم - دار المعارف بالقاهرة.
٢١ - ديوان مصطفى صادق الرافعى.
٢٢ - ديوان محرم.
٢٣ - ديوان الربيع - إلياس فرحات - سان باولو ١٩٥٤ م.
٢٤ - ديوان نبض الوجدان - حافظ جميل - بغداد ١٩٥٧ م.
٢٥ - ديوان الناصرى - بتحقيق الأستاذين: هلال ناجى، وعبدالله الجبورى جزآن.
٢٦ - ديوان إشراقة - التيجانى بشير.
٢٧ - ديوان الشاطئ الصخرى - حسين منصور.
٢٨ - ديوان دموع وأشواق - حسن عزت.

٢٩ ـ ديوان الحرية والجمال ـ جعفر حامد.
٣٠ ـ ألحان وأشجان ـ محمد محمد على.
٣١ ـ المطرب من أشعار أهل المغرب ـ لابن دحية ـ تحقيق الابيارى.
٣٢ ـ الشعر والشعراء فى السودان ـ لأحمد أبى سعد.

٩ ـ كتب فى اللغة:

١ ـ الأزمنة والأنواء لابن الأجدابى ـ طبع دمشق.
٢ ـ تهذيب الأزهرى ـ طبع القاهرة.
٣ ـ الصحاح للجوهرى ـ تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ـ طبع القاهرة.
٤ ـ كفاية المتحفظ لابن الأجدابى ـ طبع القاهرة.
٥ ـ لسان العرب لابن منظور ـ طبع بولاق.
٦ ـ القاموس المحيط ـ ٤ أجزاء ـ الحلبى بالقاهرة.

١٠ ـ كتب للمؤلف:

١ ـ قصة الأدب المعاصر ـ ٤ أجزاء.
٢ ـ الأزهر فى ألف عام ـ ٣ أجزاء.
٣ ـ قصة الأدب فى الأندلس ـ جزآن ـ طبع بيروت ١٩٦٢ م.
٤ ـ قصة الأدب فى مصر ـ ٥ أجزاء ـ طبع القاهرة.
٥ ـ رائد الشعر الحديث ـ جزآن ـ طبع القاهرة.
٦ ـ التصوف الإسلامى ـ جزآن ـ القاهرة.
٧ ـ التراث الروحى ـ القاهرة.
٨ ـ بين الأدب والنقد ـ بالاشتراك.
٩ ـ مواكب الحرية فى مصر ـ القاهرة.
١٠ ـ النقد العربى الحديث ومذاهبه ـ طبع القاهرة.
١١ ـ الأدب العربى الحديث ومذاهبه ـ طبع القاهرة.
١٢ ـ أدباء المشرق.
١٣ ـ الشعر والتجديد.
١٤ ـ البناء الفنى للقصيدة العربية.

ثانياً

صحف ومجلات

مجلة الهدى الإسلامى - ليبيا - تصدرها الجامعة الإسلامية.

مجلة ليبيا الحديثة.

مجلة ليبيا المصورة.

مجلة الإذاعة الليبية.

مجلة قورينا تصدرها كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية.

مجلة المرأة الليبية.

مجلة الفنون الليبية.

مجلة الأفكار الليبية.

مجلة صوت المربى الليبية.

مجلة صوت ليبيا.

مجلة المعرفة الليبية.

مجلة عمر المختار.

مجلة الرواد الليبية.

مجلة هنا طرابلس الغرب.

جريدة الأسد الإسلامى أصدرها فى القاهرة سليمان البارونى وصدر العدد الأول منها بتاريخ ١٩٠٧/٨/١٢ م.

مجلة المنهل مكة المكرمة.

مجلة الحج مكة المكرمة.
مجلة القلم الجديد الأردنية
عدد يوليو ١٩٥٣ م.
مجلة الكتاب العراقية.
مجلة الأقلام العراقية.
مجلة دعوة الحق المغربية.
مجلة المعرفة السورية.
مجلة العرفان ـ صيدا بلبنان.
مجلة الفكر التونسية.
مجلة الآداب البيروتية.
مجلة الأديب البيروتية.
مجلة الرسالة المصرية.
مجلة الأزهر ـ القاهرة.

مجلة أبولو ـ القاهرة.
مجلة الفكر المعاصر ـ القاهرة.
مجلة الشهر ـ القاهرة.
مجلة المجلة ـ القاهرة.
مجلة المقتطف ـ القاهرة.
مجلة الثقافة ـ القاهرة.
مجلة الكتاب ـ القاهرة.
مجلة الكتاب العربي ـ القاهرة.
مجلة المسرح ـ القاهرة.
مجلة القصة ـ القاهرة.
مجلة الشعر ـ القاهرة.
مجلة الرسالة الجديدة ـ القاهرة.

وجميع الصحف الليبية اليومية والأسبوعية والشهرية والنصف الشهرية، ومن بينها: الرائد ـ الحرية ـ الحقيقة ـ الزمان ـ العمل ـ برقة الجديدة ـ طرابلس ـ طرابلس الغرب ـ الرقيب ـ الفجر ـ الأمة ـ اليوم ـ فزان ـ جريدة الليبي ـ جريدة العدل الطرابلسية.

المحتويات

القسم الثالث

ذيل الكتاب

